

كن عارفا بأحاديث الاولى سلفوا ـ يزيدك العرف آدابا على أدب
فرب نفع غزير لست تدركه بدا بما أغمضته سالف الحقب

المجلد الثاني

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر
عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨
المراسلات: مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٢١

الجزء الثانى عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

فدنت منها قهرمانتها اسيا وجعلت تعزيها وتسليها وقالت لها بالله ياسيدتى ان تهدئى روعك وتستكنى لنفسك واصبرى على الايام وحوادثها ولا تفضحى نفسك ولا تعطيها هواها واملكى قيادك ولا تجمحى إلى التطوبح فى وهدة المصائب فوراءك من الاعداء كثير فبالصبر تنالين مرادك وتتغلبين على أعدائك ولا يحق لك أن تحزنى وفيروز شاه حى وسيفه فى يمينه فلو أخذت إلى أقصى الارض لسار فى أثرك واسترجعك إليه ومنع عنك مطامع الخاطبين ورد كيدهم إلى نحرهم وليس عليك فقط إلا أن تحفظى له نفسك وتدومى على حبه ولا تسلى بقبول غيره زوجا لك فاعملى أنت ما هو مطلوب منك وعليه هو أن يتمم العمل ويجرى المقتضى ولا تعاندى أفعال القدرة فان الله لا يزال يرغب فى مرور حوادث عليكما والدهر يحب أن يمتحنكما ويمتحن حبكما ليعلم ما أنتما عليه وإلى أى درجة تثبتان فى الحب . فقالت بعد أن تنهدت وأرسلت زفرة متأججة بنيران الحسرة والغيظ . وانى ما برحت على ازدياد شوق إلى حبيبى وجل ما أراه أمامى أن انى سيعقد زواجى على صالح بن الوليد حاكم مصر وقد اتفقوا على هذا العقد وانى اخاف انى عند وصولى إلى تلك الديار يباشرون بانفاذ هذا العقد وفى نيتهم انهم يجبرونى ويقهرونى اليه ويخلصونى من فيروز شاه . ثم احمرت عيناها وقامتا فى ام رأسها وقالت والرب العظيم رب موسى وابراهيم انى لأجعلن حظ صالح اسود مثل القير واقهر اماه عليه شديد قهر واجعل فى يندنى الدهر طوله ويندم على فعله هذا كل الندم لانى سأصحب فى ثيابى خنجرى وأخفيه إلى حين الحاجة إليه فاذا نظرت منهم اعمال الغدر ورأيتهم قد صروا على زفافى صالح على صبرت الى ان يدخل بى فأطعنه طعنة تكون القاضية عليه وبعد ذلك اقتل نفسى ولا اكون قد مكنت منى غير فيروزشاه الذى وعدته بحفظ وداده وحبه فهو وحيدى منذ انزلته قلبى وأحللته بمكان رفيع منه فهو اهل لأن يفدى بالنفوس وتبذل الارواح فى سبيل خدمته ثم انشدت

على ثقة باتلاف وعد   احبك باختيارى لا برغم
بنفسى من يعذبنى ويجفى   بغير جناية منى وجرم
وبى من زادنى من غير وعد   ولم يك ذاك يخطر لى بوهم
رثى من بعد ما قد كان يجفو   لما لاقيت من كمد وغم
وقد لبس السواد وجاء يسعى   كما شق الحنادس بدر تم
لقد مزج الهوى روحا بروح   كما قرن التقى جسما بجسم

وكيف وقد اذاب الحب جسمي　　وقد افنى السقام دمي ولحمي
فلا شيء سوى نفس خفي　　ودمع كانهمال المزن يهمي

ولازالت عين الحياة كل ذلك الليل وكل ذلك النهار وهي على ماهي عليه تنوح وتبكي وتندب وكلما شعرت بحركة يخفق قلبها وتنحل عزائمها وتخور قواها وتظن ان أباها قد بعث من يحملها للسفر ويبعدها عن حبيبها وهي تؤمل أن يعدل أباها عن عزمه ولا يعود يرضى بالرحيل ولما رأتها اسما على تلك الحالة تركتها مع بنتها وسارت هي فدبرت نفسها وهيأت لوازمها وحزمت لها ثيابها وفي مساء اليوم الثاني دخل أخوها الشاه حارث عليها وقال لها ان أباك بعثني لأذهب بك إلى مصر وهاقد رفعت كل مايلزمنا أثناء السفر على ظهور الجمال وركب أخوك الشاه أسد ولم يبق إلا أنت فهيا اخرجي من قصرك فان الباذل ينتظرك عند الباب وقد ضربت لك عليه هودجا يليق ببنات الملوك من مثلك ولاتتعوقي أو تتهاملي فاننا نرغب في السرعة فلا يصبح هذا الليل إلا ونحن بعيدون عن هذه الديار لانرى فيها أحدا ولايرانا منها أحد فلما سمعت كلامه شعرت بانفطار كبدها ولم تجب بكلمة بل نظرت إلى الأرض ساهية وكان الشاه حارث يعلم بحب اخته لفيروزشاه وأنه لايهون عليها السفر فلم يزد عليها أكثر من ذلك بل سار عنها نحو جاريتها اسما يطلب اليها مرافقتها وان تسلمه ثيابها وأمتعتها . وبعد ان بعد عنها أخوها ذرفت دمعا غزيرا من مآقي مقرحة وأنشدت :

كيف أصبحت يا دار وقد زا　　يلك الانس حين بانوا وولى
وكأن الديار إذ فارقوها　　زهرة من لآلىء الطل عطلى
كان فيها بدر إذا ما انجلى　　فالمحبون بين صرعى وقتلى
حجبته عن ناظرى سحب البيـ　　ـن وفي القلب والجوانح حلا
أيها النازح الذي ليس يهوى　　غيره القلب في البرية خلا
كل يوم أقضي عليك حذارا　　ان يرى مبصر شخصك ظلا
واشتياقي اليك في البعد مثل الـ　　ـقرب نار بها الجوانح تصلى

وأكثرت من التعداد والبكاء لفرقة الوطن وبعدها عن الدار وقالت في نفسها هل ياترى أعود فأرى هذا القصر الذي ربيت فيه وألفت رياضه وحياضه وهل ياترى تسمح لي الأيام ان أشاهد خدمي وحشمي ويسر قلبي بماقي اقربائي وانسبائي وجعلت تزيد من لوم الدهر وتنديده وقد صح لديها الصحيح وقطع الرجاء ولم يعد من أمل للقاء وقد أصبحت ببحر الاوهام والافكار المقلقة والأكدار وإذا بأخيها قدقرب منها فأخذها من يدها ونزل بها الدرج إلى باب القصر وهي ماشية من خلفه ولا تعي على نفسها ولا تعرف أين تضع رجلها وكانت كالعمياء التي تقاد من يديها ولا

تبصر ما أمامها وما وراءها ثم رفعها أخوها إلى هودجها وسارت البغال والجمال بالاحمال وهي في وسطها وفي تلك الساعة وصل الأمراء والرجال الذين أعدهم الشاه سرور للمسير بعين الحياة إلى مصر فساروا في المقدمة وهي من خلفهم على هودجها ودموعها تنهل كالسواقي وهي تعرف من نفسها أنها سائرة إلى سفر طويل لا تلاقي بعده ولا تعرف ان كان فيروزشاه يهتدي إلى الوصول اليها أولا أو أنها تراه أو يراها فيما بعد ولما خرجت من باب المدينة أصعدت زفرة حرا وتنهدت تنهد المتبول وبكت بدمعة سخية وأنشدت مودعة :

بعاد يزيد الجوى والحنينا	وبين يعلم قلبي الأنينا
فراق أذاب الحشا أدمعا	فأجرى بصافي الدماء العيونا
ألفنا السهاد لسكب الدموع	فأنكر منا الرقاد الجفونا
فقدت اصطباري غداة الرحيل	وعوضت عنه الجوى والشجونا
رعى الله أيام قرب مضت	وحيا لياليها والسنينا
وجاد الحيا أربعا بالديار	وسلم صحبا بها قاطنينا
وهبت بها نسمات القبول	تحدو الينا سحابا هتونا
وغنت بها سحرا ورقها	تنبه للنور فيها عيونا
ولا يرحب في رباها الصبا	تروح شمالا وتغدو يمينا
أحبينا هل يفك الرهونا	غريب ويقضي البعاد الديونا
وهل عائد زمن بالحمى	وبالقرب هل يسعف النازحينا
وهل بالتلاقي يجود الزمان	لنعلم أحبابنا ما لقينا
فقد صدع الصبر طول البعاد	وللقلب قد كان حصنا حصينا
وعلمني البين ماقد جهلت	فذقت النوى وعرفت الحنينا
فهل تذكرون غريب الديار	ويذكر من بالحي الظاعنينا
رحلنا فما تابعتنا القلوب	وسرنا فظلت لدينا رهونا
رحلنا فما تابعتنا القلوب	وسرنا فظلت لديكم رهونا

وكانت راكبة إلى جانبها قهرمانتها وبنتها وما أشرقت شمس ذلك الليل إلا وقد غابوا عن المدينة وبعدوا عن تلك الديار وكان لا أثر لهم بها ولا دليل ولندعهم الآن سائرون على هذ الطريق الطويل ونعود إلى تلك الأمم المتجمعة وما كان منها فانه بعد أن بعث الشاه سرور بولديه الشاه أسد والشاه حارث جمع اليه أمراء مملكته وبينهم الأمير خطير المصري واستشارهم في ماذا يفعلون فقال طيفور اني لا أرى بدا من المسير إلى مصر إلى حضرة الوليد حاكمها نتمسك بأذياله ونطلب منه المعونة على الأخصام إذا تبعوا آثارنا فنتحد وإياه يدا واحدة فنقطع منهم الآثار ونبيدهم عن

آخوهم ونهلكهم وإذا امتنعوا عن المسير وشاهدوا الصعوبة الواقعة لهم بارتكابهم مثل هكذا خطر نكون قد ارتحنا من شرهم لأنهم يعودون إلى بلادهم وعيالهم ويستكنون مرتاحين من هذه الحرب وأخطارها فوافقه الجميع على ذلك وقالوا ان هذا عين الصواب فاننا نفضل ان نرحل إلى مصر ونقيم بها أشهرا وأياما من أن نذهب فريسة لسيوف الايرانيين وعدمهم فقال خطير انى لا أرى أن أوفق الآراء ان نترك العدو وشأنه ونرحل إلى بلادنا غير انى أخاف من أنهم لا يتبعوننا إلى تلك الديار فيضيع ثأر أخي ويذهب دمه هدرا ولذلك عزمت على ان أكبس عساكر الزنوج المقيم فيها فيروزشاه فى الليل الذى نزعم فيه على الرحيل فبينما تكون قد ركبت الفرسان وسارت أمامنا المهمات أحط بجيشى على فيروزشاه فأنتقم منه وآخذ لنفسى بالثار وأرفع عنى العار وغير فيروزشاه لا أريد بدلا عن أخي فهو اعز رجل فيهم وأبسل فارس بينهم فقالوا له افعل ما بدا لك فى ذلك ثم ان الشاه سرور قال انى أرى من الموافق ان أسلم المدينة إلى الشاه سليم فيكون حاكما عليها مدة غيابنا وإذا دخل الملك ضاراب المدينة ونظره هو القائم عليها لا يؤذى أحدا بسببه ولا يعترض لأحد لأن له فضل كبير على فرخوزاد وليس بينه وبينهم من الاسباب العدوانية ما يستدعى الايقاع به والتعرض له بشر ثم قر الرأى على مثل ذلك قبل الشاه سليم بأن يبقى فى المدينة وان يسلم أمر الحكم اليه فى مدة غيابهم وتفرق الجميع من حول سرور ولم يبق عنده غير وزيره طيفور فتذكر كل ما وصل اليه من المصائب والاهوال والحروب الذى اتعبته وأكربته ورمته بالخسران فالتفت إلى طيفور وقال له لا شيء أصعب لدى من مبارحة هذه الديار وأخاف من عناد الدهر وغدره ان لا أعود فأراها فيما بعد وانى لأعجب من تقلبات الايام كيف بعد ان كان الزمان صافيا رائقا لا يشابه بكدر ينقلب على بكل هذه المصائب التى مرت علينا وأعجب منها إذا ما فكرنا بامر ودبرناه إلا عاد علينا شرا ووبالا فقبح الله هذه الايام وقبح أفعالها ورجالها وأعظم شيء يكدرنى ان من كان احب الناس الى واصدقهم فى خدمتى قد أخلف على وخاننى وأقام بخدمة عدوى وهو هلال العيار فما كنت أظنه إلى هذا الحد من الخبث والخيانة فقال له طيفور لا تغضب يا سيدى على هلال فقلبى يحدثنى ان هلالا سيأتينا بنفع عظيم فى قيامه بين الاعداء. قال وأى نفع يرجى منه وهو الى هذه الايام لم يأتنا بخبر ولا فكر فينا وأخاف من ان نرحل عن هذه الديار وهو ليس معنا لاننا كنا ننتفع به غاية الانتفاع ونعهد اليه بالمهمات.

قال وما أتم الشاه سرور كلامه الا رأى هلالا قد دخل عليه من باب الصيوان وهو اشعث اغبر وعليه الملابس العجمية كأنه من اكبر عيارى الفرس فانعطف اليه الشاه سرور وقال له بلهفة اين كان غيابك ياهلال فانى أراك كعيارى ايران وقد

أخبرت أنك عاهدت الملك ضاراب على خدمته ولم يكن عهدى فيك إلى هذا الحد مع انك رئيس عيارى بلادى وقد انعمت عليك كثيرا وما قصرت معك قط قال كلا يا سيدى فانى لم أخدم الملك ضاراب عن صدق نية ولا عاهدته على خلوص طوية بل اضمرت له الشر ونويت ايصال الأذية اليه والآن قد ترجح عندى انكم سترحلون عن هذه الديار إلى بلاد مصر فقصدت الانجاز واعتمدت إلى عمل الحيلة فأتيت اليكم أعرض ماخطر فى فكرى عليكم وأود سرعة العودة خوفا من الطولة فينكشف الأمر . قال طيفور وأى شيء خطر لك فابده فى الحال فاننا نوافقك عليه إذا كان صوابا . قال انه خطر فى ذهنى أن أدخل الآن على فيروزشاه وهو على انفراد وأقول له انى كنت الان بين عساكر اليمن اتجسس أخبارهم فرأيت أن أنزل إلى البلد لأشاهد عيالى فيها وإذا بعين الحياة وقد اركبها أبوها على هودج وبعثها إلى بلاد مصر ومعها ١٠ أمراء فقط لاغير فتأثرتهم حتى وصلوا إلى فم الوادى فرجعت اليك وهم يسيرون بتمهل فاذا سمع كلامى لابد من أن تتحرك فيه نيران الحب فيقصد ذاك المكان وحده وتكونون أنتم قد بعثتم بهودج فارغ فوق ناقة مجللة بالحرير وحولها ١٠ رجال وترسلون أيضا مائة الف نفس تكمن فى أعالى الوادى فمتى توسط الوادى وقرب من الهودج تهجم عليه العساكر بوقت واحد وتحتاط به من كل صوب وباقل من ساعة تقوده أسيرا وتنالون منه مرادا . فقال الشاه سرور حسنا مافكرت فان صح هذا الرأى وأوسر فيروزشاه لانعمت عليك مزيد الانعام وأوصلت اليك غزير العطايا . قال طيفور انى على يقين من أسر فيروزشاه ووقوعه فى أيدينا فاسرع إذن يا هلال وهانحن من هذه الساعة نسير العساكر إلى ذلك الوادى الذى أشرت اليه ونبعث بالهودج محمولا على ناقة مع عشرة من الأمراء ليكون كما قلت وبعد ذلك فالتدبير على الله فودع هلال الشاه سرور وطيفور وخرج من عندهما وهما فى فرح لايوصف وقد بعث فى الحال فاستدعى بأحد قواده الأمناء وأطلعه على الدسيسة وقال له أريد منك أن تذهب بمائة ألف من العساكر وتكمن فى الوادى على جانبيه ومتى نظرت إلى أحد وقد اعترض الهودج وقصد توقيفه فانطبقوا عليه أجمعكم واستأسروه وقودوه إلى فهذا يكون فيروزشاه ابن الملك ضاراب وإياك من التهامل ففى مثل هذا الوقت يجب الانتباه والتيقظ قال سمعاً وطاعة وأخذ من تلك الساعة مائة الف من العساكر المنتخبة وسار بهم إلى حيث أمرهم الشاه سرور وأقاموا ينتظرون النهاية ومايكون من أمر هلال العيار . ثم أمر الشاه سرور أن يؤتى بهودج فرفعه على ناقة وسلمه إلى عشرة من الأمراء وساق بين يديهم العبيد وقال لهم متى أجزتم الوادى فسيروا على مهل إلى أن يفاجئكم فيروزشاه فاتركوا الهودج وتفرقوا عنه وسوقوه

أمامكم وإياكم من أن تقطعوا الوادى قبل أن يفاجئكم فاجابوه بالسمع والطاعة وخرجوا من بين أيديه وساروا على الطريق الذى أوصاهم أن يسيروا عليها .

فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من هلال العيار فانه عاد من عند الشاه سرور وسار إلى أن دخل جيش الزنوج فقصد صيوان فيروزشاه وكان إذ ذاك قد قرب نصف الليل واسود حالكه فتقدم مظهرا على نفسه التعب واللهثة وهو يقمز ويقفز إلى أن قرب من الصيوان وعول على الدخول على فيروزشاه وإذا يرى فرخزاد وخورشيد شاه خارجين من الصيوان وكانا قد صرفا السهرة عنده ثم ودعاه وتركاه وحده ليس عنده إلا بهروز العيار فلما رآهما أراد أن ينزوى إلى جهة الصيوان فما مكناه بل تقدم منه فرخزاد وقد رآه على تلك الحالة فاشغله أمره وكان قلبه يجفل منه ويخافه وصاح به ما بالك ياهلال فى هذه الجهة وأى شيء تقصد فى هذه الناحية مع أن مهنتك أن تقوم بخدمة الملك ضاراب مع بقية العيارين الذين عنده قال ياسيدى ان معى بشارة أريد أن أبشر بها سيدى فيروزشاه واطلعه عليها لأنى عالم بانه فى مزيد احتياج اليها وانها تسره جدا ولذلك قصدت أن أخدمه خدمة يتذكرنى بها إلى آخر الأيام ويعلم انى أمين على مصالحه . قال وما هى هـــذه البشارة وما هو هذا الذى يحتاجه فيروزشاه فابده لنا . قال ليس فى وسعى أن اطلع أحدا على مثل هـذا السر فهو مخصوص به متعلق بذاته لا دخل لأحد غيره به فاذهبا إلى مكانكما فليس ذلك من مصلحتكما ثم قصد أن يتقدم فصاح به فرخزاد واستوقفه وقال له ويلك يا هلال اتطمع بالخلاص من بين يدى أو تظن انى اتركك تدنو من فيروزشاه فوحق الله العظيم الذى خلق المخلوقات وكون الكائنات إذا خطوت خطوة واحدة إلى الامام أرسلت سبق هذا إلى صدرك فاسكنتك قبرك وجعلتك عبرة للناظرين والسامعين فابد الذى أتيت بصدده لى حتى إذا كان صوابا تركتك ان تدخل على فيروزشاه لأننا تركناه وقد دخل إلى فراشه ونام فيه فلا أوافق على نهوضه منه إلا لأمر خطير . فلما رأى هلال ان لابد من اطلاع فرخزاد وخورشيد شاه على أمر دسيسته أظهر الجد فى كلامه وأبدى وجه الحيلة وقال اعلم ياسيدى انى كنت بخدمة الملك ضاراب فبعثنى لاكشف له أمرا جديدا من جهة الأعداء فسرت واختلطت بينهم وأنا بصفة واحد منهم ثم حدثتنى نفسى أن أدخل البلد لأن لى هناك أهل وعيال وأنا فى شوق زائد اليهم وفيما أنا داخل المدينة سمعت الناس يقولون ان فى هذه الليلة تسافر عين الحياة فسألت عن ذلك فقيل لى ان أباها مراده أن يرسلها إلى بلاد مصر إلى الوليد حاكمها لتزف على ابنه صالح فلما سمعت هـذا الكلام كاد يطير الشرار من عينى وقلت ماذا يا ترى يصير بسيدى فيروزشاه إذا عرف بسفرها وغابت عنه . ثم خطرت لى ان

اقصد قصر عين الحياة فقصدته املا ان اطلع هناك على شيء انفع به سيدى فلما وصلت اليه وجدت الأحمال مرفوعة على ظهور الجمال وقد رفع لها هودج من الحرير على باذل مجلل بالجواهر والزخارف ثم رفعوها اليه وسلموه إلى جماعة من العبيد وبعد ذلك وصل عشرة رجال من امراء اليمن فساروا من خلف الهودج وهم بالعدد الكامله ليحموها فى الطريق فلما رأيتهم انقطع رجائى من ان اخلصها فتأثرتهم من ورائهم وهم لايعلمون بى الى ان خرجوا من المدينة وتسلموا الطريق المؤدية الى مصر وعند ذلك لاح لى ان اقصد سيدى فيروزشاه واطلعه على هذا الأمر عساه ان يسرع فينقذ عين الحياة قبل ان تبعد عن هذه الديار فيعض كفيه ندما وأسفا ولايعود يقدر بعد ذلك على الوصول اليها لأن اباها يعمل برأى طيفور الخبيث الحاسد فقبح الله وجهه فماهو الا خداع ماكر وفى رجائى ان فيروزشاه بعد ان يتم له مراده ينعم على بالأموال الغزيرة واحوز عنده على التقدم لانه لم يأته احد بمثل هذه الخدمة من عيارى بلاده قال فرخوزاد سر اذن امامنا ودعنا نقضى الغرض ونعود قبل الصباح قال دعنا ياسيدى نأخذ معنا فيروزشاه لانه غرض كبير فى ذلك وربما يلومنا اذا لم نتوفق فى طريقنا قال لاسبيل الى وقوفه على هذا الأمر الا بعد انقضائه ولا اريد ان يستيقظ الان من نومه لأمر بسيط كهذا فى وسعنا ان نقضيه ونعود على عجل لانك زعمت ان مع عين الحياة عشرة امراء فقط فلا يحتاج الامر لفيروزشاه ونحن كفؤ لالفى امير من امراء اليمن فهيا سر امامنا بالعجل فلما رأى هلال اصرار فرخوزاد على المسير وحده مع خورشيد شاه وانه لايقبل مطلقا ان يعرف فيروزشاه سار امامهما وهو يلعن الصدف التى منعته من اتمام مرغوبه وقال فى نفسه لابد من التوفيق فان لم يكن فيروزشاه فهؤلاء من اعيان الفرس واحدهما ابن فيلزور البهلوان والاخر ابن عمه الملك ضاراب ولازال سائرا بين يديهما وهما سائران من ورائه وقد اخذ كل منهما جوادا سابقا وتقلد بسلاح عامة الزنوج الذين صادفونهم فى طريقهم وخرجوا من الجيش دون ان يعلم احد أى جهة يقصدون وفى اى طريق يسيرون وقد رآهم الحرس فلم يقصد ان يعترضهم لما عرفهم وقبل الصباح بساعتين وصلوا الى تلك الوادى فدخلوا وساروا فيها وهم يجدون فى المسير الى ان تبينوا على نور الافلاك الهودج وهو سائر امامهم ومن خلفه الامراء وبين يديه العبيد بالمزاريق فصفق هلال بيديه من الفرح والتفت الى فرخوزاد وقال له هوذا ياسيدى عين الحياة محموله على هودجها وقد ادركناها بمكان قريب فلما شاهد فرخوزاد وخورشيد شاه الهودج تحققا صحة كلام هلال العيار فقوما العمدان واطلقا العنان وصاحا بالامراء ويلكم ايها الاوغاد

إلى أين تغدون فى هذه البرارى أتظنون أنكم تخلصون بعين الحياة وورائكم أسود الآجام تطلب لكم الموت والانتقام . فلما سمع الرجال الذين من الهودج الصياح أظهروا على أنفسهم الخوف والجزع فنخسوا الناقة وتفرقوا إلى جهة الكمين وكذلك هلال العيار فانه لما شاهد هجوم فرخوزاد ورفيقه أطلق ساقيه إلى جهة العساكر الكامنة فى أطراف الوادى فصاح فيها وأمرها بأن تحمل وكان فرخوزاد قد وصل إلى الهودج فأناخ الناقة ورفع سجاف الهودج وإذا به يراه فارغا ليس فيه أحد فالتفت إلى ورائه فلم ير هلال العيار فخاف من المكيدة والغدر فصاح فى خورشيد شاه وقال له هيا بنا إلى الرجوع على عجل فان هذه مكيدة تمت علينا من هلال العيار فما أتم كلامه حتى سمع صياح عساكر اليمن وقد تدفقت من الفم مثل السيل العرمرم وأحاطت بهما من كل جهة وصوب وهى تصيح وتنادى وقد سدت بكثرتها تلك الوادى . فعرف فرخوزاد وخورشيدشاه أنه لا خلاص لهما إلا بالضرب والثبات وملاقاة الأعادى إلى أن يأتيهما الله بالفرج فأطلقا العنان وشرعا بأيديهما العمدان وخاضا ذلك البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ولم يكن إلا القليل حتى قامت الحرب على ساق وقدم وطاف ساقيها بكاسات العدم يسقيهم فيها سم البوار ويعجل عليهم بقصف الأعمار وكلما ازدحم القوم على خورشيد وفرخوزاد . صاحا فيهم وحملا عليهم حملة الآساد . فدفعاهم إلى الوراء بهمة وحمية . وفعلا أفعالا فارسية . وقاتلاهم مقاتلة فيروزية . تتحدث بها الأبطال والفرسان فى كل زمان ومكان . قال وكان القتال قائم بين فرخوزاد ورفيقه وبين رجال اليمن وهلال العيار الخبيث المكار واقف على رأس أكمة بفم الوادى ينتظر نهاية الحال وما يكون من أمر القتال وهو ينتظر أسرهما وقودهما الى الشاه سرور ليظهر له صدق خدمته ونجاح مهمته كان النهار قد قارب الوصول فانبعث من انبثاق الصباح نور ضعيف تتميز به الأشباح من بعضها البعض وبينما هلال على تلك الرابية وإذا به شخصا آت إلى الجهة فتبينه وإذا به شبرنك العيار وكان شبرنك فى عسكر اليمن وقصد الرجوع قبل وصول النهار فصادف مروره بالقرب من تلك الجهة فسمع غوغاء على بعد فانخطف إلى ذلك المكان يستكشف الأخبار وهو لا يعلم السبب ولما قرب أخذ يتلصص وفى علمه أن لا أحد يراه . فلما نظره هلال قال فى نفسه لا بد من كيده والقبض عليه قبل وصوله إلى مكان المعركة ثم انحذف إلى الطريق ودار بظهره إلى جهته وظهر على نفسه أنه لا يراه وأنه منهمك بأمر يفتش عليه فى الأرض فلما رآه شبرنك على تلك الحالة ظن أنه لم يره فقال فى نفسه لا بد لى أن أعرف قصده وماذا يفعل هنا فاختفى خلف شجرة وجعل ينظر اليه فوجده قد دنا من الأرض فحفر وطمر ثم نقل إلى الامام وفعل كذلك ثم

نقل أيضا وفعل كالأول فاحتار من عمله وقال ماذا ياترى يخبي فى هذا المكان فوالله لأحرمنه مايخبئه وصبر عليه إلى أن صار بعيدا منه فقرب من الحفرة الأول فوجده قد وضع فوقها حجرا فثبت عنده أنه طمر شيئا مهما فرفع الحجر وحفر قليلا وإذا به يرى حنجورا فيه ماء كدر فانشغل باله من ذلك وجعل ينظر إلى الحنجور فوجده فى هيئة غريبة لم ير قط مثله ففتحه ورفع سدادته فانبعثت منه رائحة زكية انفتح لهاصدره فوضع فم الحنجور على أنفه وجعل يستنشق منه وهو مسرور برائحته ولم يمض إلا دقائق قليلة حتى شعر من نفسه بأنه فى اضطراب وقد ثقل رأسه وأسدل على عينيه فعلم أنه قد بنج وأن تلك حيلة نصبت له ثم زادعليه الحال فوقع إلى الأرض ولم يعد يعى على نفسه وكان هلال قد شاهده من بعد فعاد اليه وهو يصفق من الفرح فوجده على تلك الحالة فشد كتفيه وأوثق رجليه ثم أيقظه بضد البنج فانتبه ونظر مابين يديه وإذا به يرى هلالا العيار أمامه فقال ماذا جرى على ياهلال قال قد وقعت فى قبضة يدى واصطدت بفخ قد نصبته لك وعما قليل سأقودك إلى حضرة الشاه سرور وينتقم منك على تجسسك جيوش اليمن . قال ويلك أتغدر بنا ونحن فى أمان منك ولم نتحذر من عملك لأننا مركنون لك واثقون بايمانك . قال لاتطمعون منى بخلوص لأنى ماوافقت الملك ضاراب وأجبته إلى خدمته إلا لأتخلص من الهلاك ولانصب له أو لأحد من أعزاء قومه شرك الهلاك فهكذا عمل العيارين وإلا فلا وها أنى قد نجحت فى عملى فقدت فرخوزاد وخورشيدشاه إلى وهدة الهلاك وعماقليل تراهما أسيرين أو قتيلين وقد خدمتنى الصدف بأكثر مما طلبت فقد قادتك إلى على غير انتظار لأنى إن أحرمتك الدخول بين قومك ومنعتك عنهم أحرمتهم منافع عديدة لأنك من أكبر المتجسسين المحتالين وقد رماك الله بيد من هو أقدر منك حيلا وحيلة . فسكت شبرنك ولم يبد خطابا ولا جوابا وصبر على حكم القضاء . وأما هلال فقد تركه على حاله ملقى إلى الأرض وصعد إلى الرابية التى كان عليها قبلا فشاهد الحرب لا تزال قائمة بين قومه وبين فرخوزاد وخورشيد شاه فتعجب من ثباتهما أمام هكذا عسكر جرار ورآهما يصيحان صيحات الأسود ويهجمان على اليمنيين فيفرقانهم ذات اليمين وذات الشمال ويخوضان بحر ذلك الجيش بثبات وعزيمة تكاد تأخذ بالعقول فخفق قلب هلال عند ماشاهد منهما ذلك وقال فى نفسه هوذا النهار قد قرب والشمس سوف تشرق على القوم وأخاف أن تأتى عساكر الفرس لمساعدة فارسيهما فتذهب مأموريتى سدى وأكون قد تعبت دون نتيجة ولم أتمكن من خدمة سيدى الشاه سرور خدمة ترضيه ليكون ذلك كفارة تشفع لى عنده على إقامتى عند عدوه . ثم ان هلال انطلق الى بين العساكر وصاح ويلكم يارجال اليمن

انكم ان قاتلتم هذين الفارسين أياما وشهورا لا تنالون منهم مرادا فصوبوا سهامكم الى جواديهما فمتى وقعا الى الأرض مسكتوهما مسك اليد وقدتوهما قود البعير . فلما سمع الفرسان كلامه تنبهوا اليه فمالوا الى جواديهما فقتلوهما وللحال وقع فرخوزاد ورفيقه الى الأرض فامتشقا سيفيهما وجعلا يقاتلان وهما على الأرض حتى كلا وملا وضعفت عزائمهما لأنهما اثنان وأمامهما مائة ألف فارس ولم يكن الا القليل حتى سقطت السيوف من أيديهما ووقعا الى الارض وقد سلما بأنفسهما بعد أن قتلا مقتلة عظيمة وأهلكا قسما كبيرا من الاعداء فرمت الفرسان أنفسها فوقهما وأوثقوهما بالحبال وقادوهما أسارى أذلاء لانه قد أضعفهما التعب وفعل فيهما الملل كل الفعل كونهما لم يناما كل الليل فاستلم هلال العيار أمر قيادتهما وهو يقول لهما ويلكما أظننتما أنى دعوتكما الى وليمة فسبقتما اليها فيروزشاه ولم تتركانى أن آتى به لانى نصبت هذا الفخ له فوقعتما به أنتما ولا بد لى من أن أسعى خلف فيروزشاه فأقوده أسيرا ذليلا لينتقم منه سيدى الشاه سرور فقال له فرخوزاد قبحك الله من خائن غادر أتظن أن فيروزشاه قريب التصديق مثلنا لاسيما وعنده بهروز العيار ولو تركناك تصل اليه لما كان وقع علينا ما وقع وماذلك الامن أفعال العناية ولابد من أنك تقع مرة ثانية بأيدى الملك ضاراب فينتقم منك جزاء على خيانتك وغدرك هذا . قال انى لا أقع بيده ولو نصب لى ألف شرك وسوف ان شاء الله ترون فرسان العجم واحدا بعد واحد أسراء مثلكم وأما بهروز فلابد لى من مسكه كما مسكت شبرنك عياركم وها هو ملقى الى وجه الصعيد ثم شدهما الى شبرنك وكر راجعا ومن خلفه الفرسان تتدفق كالسيل العرمرم وهو من أفرح خلق الله بنجاح مسعاه وعدم ضياع تعبه .

قال الراوى ولا زالوا سائرين الى أن وصلوا الى الشاه سرور فدخل عليه هلال العيار وقبل الارض بين يديه وقال له بشراك يا سيدى بنجاح مسعانا فاننا أسرنا فرخوزاد وخورشيدشاه وشبرنك العيار . فلما سمع الشاه سرور ذلك تكدر وقال له ويلك ياهلال قد وعدتنى بأسر فيروزشاه فأين هو وما بالك قد أتيتنى بغيره . قال له ياسيدى لم تساعدنى الظروف على ايصال الخبر اليه ثم حكى له كل ما كان من أمره الى أن عاد اليه . فقال طيفور لا بأس فان الاثنان من أمراء العجم فاحدهما ابن فيلزور البهلوان فارس بلاد فارس وثانيهما من امراء العائلة الملكية فهو ابن عمة الملك ضاراب وسيد فى قومه . فلما سمع خطير ان ابن فيلزور البهلوان اسير فى ايديهم نهض واقفا وقال قد ساق الى الله سبحانه وتعالى اخذ الثار من اقرب طريق فان فيلزور البهلوان قد قتـــل اخى وها ابنه الآن فى ايدينا فقتله وناخذ بثار اخى خاطر منه ونحرق قلب ابيه عليه كما احرق ابوه قلبى على اخى . فقال له طيفور لقد اصبت فى

ذلك وأنا فى نيتى أن يقتل الاثنان فنرتاح من شرهما وماذا يقدر يعمل معنا الملك ضاراب ونحن فى هذه الليلة نقلع عن هذا الديار وفى صباح الغد لايعود يرى لنا أثر فى كل هذه النواحى فوافقهما على ذلك الشاه سرور وقر الرأى على قتل الاثنين معاً . فلما سمع الشاه سليم بذلك وتحقق أنهم اعتمدوا على قتل فرخوزاد كاد يطير الشرار من عينيه وخفق قلبه وانفطر فؤاده من خباثة طيفور وغدره ولم يعد يسعه السكوت فقال للشاه سرور إن قتل فرخوزاد وخورشيدشاه ياسيدى من أكبر الخطأ ولا أريد أن توافق عليه فتندم فيما بعد ولا يجب أن تنسى لك ولدان فى أسر الملك ضاراب أحدهما فى جيشه والآخر فى بلاد فارس فاذا عرف بأنك قد قتلت أسيريك يأمر بالحال بقتل ابنيك فيعدمك إياهما وماذا ياترى يفيدك قتلهما إذا قتل ابناك على أن الملك ضاراب لم يعاملهما معاملة صارمة بل يكرمهما ويراعيهما وفى أسره أيضا الأمير قتيل فينزل به البلاء والتنكيل وفضلا عن ذلك فانكم راحلون إلى مصر إلى الوليد حاكمها واعتمدتم أن تتركوا تعزاء اليمن تحت سلطتى ولا بد بعد رحيلكم من أن يدخل الملك ضاراب المدينة فاذا قتلتم فرخوزاد ورفيقه لا يبقى على أحد فيها ولذلك لا أقبل أنا أن أبقى عرضة للمصائب ونغضب فيروزشاه آفة الحرب ورحاها ولا أعرض بنفسى لانتقام فيلزور وغيره من فرسان إيران . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام رآه عين الصواب وقال صدقت فيما قلته فقد غاب عن ذهنى أمر ولدى وإنى أشكر الله سبحانه وتعالى حيث لم أقتل هذين الأسيرين وإلا لو قتلتهما وعرف الملك ضاراب بقتلهما يقتل ولدى فى الحال ثم أمر الشاه سرور أن يسلم فرخوزاد ورفيقه إلى جماعة من الأمراء وأوصاهم بالتحفظ والانتباه عليهما وقال لهم فى المساء سيروا بهما أمامنا إلى مصر وانتظرونا فى الطائف عند المنذر بن النعمان حيث يكون الملتقى وأمر أن يسلم شبرنك إلى هلال فأخذه وشده إلى الطنب وأقام على عذابه واتفقوا جميعا على السفر فى ليل ذلك النهار وقد وطد خطير عزمه على كبس جيش فيروزشاه تحت الظلام عليهم يقعون به فيأخذونه أسيرا فى طريقهم ويقدمونه للوليد لأنه يسر بأسره كونه يزاحم ولده فى عين الحياة .

فلنترك أهالى اليمن وعساكر مصر إلى أن يقدم الليل ونتوجه إلى جهة الايرانيين فانهم نهضوا فى الصباح على نية القتال ونظروا إلى جهة الأعداء فوجدوهم لم يخرجوا من خيامهم فتعجبوا من ذلك ولا سيما الملك ضاراب فانه تحير وجلس فى ديوانه وجمع اليه أعوانه ووزراءه ورجال مجلسه فاجتمعوا اليه وجلس كل فى مكانه فنظر إلى كرسى خورشيدشاه وفرخوزاد فوجدهما فارغتين فسأل عن سبب غيابهما فلم يجبه أحد فبعث من يسأل له عن الخبر فى خيامهما وبين عسكرهما فلم يعلم أحد عنهما خبراً

فقال له فيروز شاه أنهما صرفا السهرة عندى وانصرفا عنى فى آخر السهرة ولم أعد أعلم عنهما خبرا فبعث وأحضر حراس فيروز شاه وخدم صيوانه وسألهم عنهما فقال له الخدم أنهما خرجا من الصيوان وبعدا بضع أذرع وإذا بهلال العيار قد جاء وفى نيته الدخول على سيدنا فيروز شاه فمنعناه واستفسرا منه عن السبب فقال لهما ان الشاه سرور قد بعث بنته عين الحياة إلى مصر وقد شاهدتها فوق الهودج وخلفها نحو عشرة أمراء من أمراء اليمن فتتبعت آثارهم إلى أن خرجوا من المدينة وأتيت مسرعا لأخبر فيروز شاه عله يتأثرهم ويستخلصها وقصد الدخول ثانية فمنعناه وسارا وهو بين أيديهما وأظن أنهما سارا معه إلى المكان الذى أشار إليه . وقال له الحراس أيضا اننا نظرناهما وقد خرجا من الجيش إلى الجهة التى ولم نكن نعلم مكان مسيرهما وكان بين يديهما هلال العيار . فلما سمع الملك ضاراب وسائر الموجودين هذا الكلام أطرقوا إلى الارض وقالوا ان تلك حيلة قد تمت من هلال العيار وقد صفق فيلزور من الغيظ وبكى خوفا من أن يتم على ولده أمر يكرهه وكان أعظم الجميع غيظا فيروز شاه لأنه تكدر مزيد الكدر كيف أن هلال العيار لم يصل إليه وكيف تمكن من أخيه وقاده بالحيلة مع أن الحيلة كانت منصوبة له ولو تركاه يصل إليه وسار معهما لما تمكن أحد منهم . ثم رفع الملك رأسه وسأل عن شبرنك العيار فقيل له انه من الأمس لم يظهر له خبر فقال الملك لا بد من أنه يكون قد وقع فى قبضة الأعداء بدسائس هلال الخبيث وإذ ذاك لاحت منه التفاتة إلى جهة ولده فيروز شاه فوجد بالقرب منه بهروز العيار بن الغول وهو يحدق من واحد إلى آخر وشرار النار يتطاير من عينيه وقد كاد يختنق من الحنق فلحظ منه ذلك وقال له لما هذا التقاعد يا بهروز وقد نظرت ما جرى علينا من أعمال هلال العيار وكيف غدر بنا وخاننا . فقال له ياسيدى قد نبهتك إلى ذلك لأنى كنت أعرف خبائثه وأنه سيخوننا وقد سألتنى أن أكفله فلم أقبل وقد أخبرتك بوقته أمام فرسانك وأعيانك . قال له ان كنت تعلم غدره وخباثته كيف لم تنتبه إليه وتقف فى طريق دسائسه وتمنعه عن أن يغدر بنا . فقال له بهروز انى كنت مؤكدا أن هلالا لا يقصد الايقاع بأحد من كل جيوشنا وأمرائنا إلا بسيدى فيروز شاه ولذلك كنت ملازمه ليلا ونهارا أسهر عليه ولا أدع أحدا يخدمه غيرى ولا أترك هلالا يقرب منه قط أو يدنو من صيوانه ولو وصل هلال إلى سيدى فيروز شاه وأخبره بما أخبر به فرخ زاد وخورشيد شاه لعرفت منه الحيلة وعملت على كبحه وانما الآن أقسم لك بالاله العظيم انى لا بد من أن أمسك هلالا واقوده لبين يديك تجازيه على فعله وانى سأقصد جيش الأعداء وأتجسس حال فرخ زاد ورفيقه فان كانا مأسورين فلا أعود اليكم إلا

بهما ولو أقمت بين الأعداء أشهراوأعواماوان كان وقع عليهما أمر مكدرفان أكرر قسمى بسيدى فيروز شاه انى لا أعود إلا ومعى الشاه سرور وطيفور تفعل بهما ما تريده.

وفى الحال خرج بهروز من حضرة الملك ضاراب بعد أن ودعه وودع فيروز شاه وأخذ معه شياغوس النقاش وأقاما ينتظران الليل وسواده إلى أن جاء وهو مقتم مظلم أسود الوجه والقلب فسارا إلى أن توسطا الطريق بين الجيشين فحفرا فى الأرض حفرة برأى بهروز وتدبيره ثم أمر شياغوس أن يقيم فى الحفرة وعلمه كلاما يقوله كلما رأى شخصا مارا من تلك الجهة وقال له ان هلال العيار لا بد له من أن يطرق جيشنا فى هذا الليل فاذا شعرت به مارا وقرب منك فقل له ما هو كذا وكذا وافعل ما هو كذا وكذا وأنا كامن بالقرب منك فانى لا أترك هذا الليل يمضى ولا أريد أن يطلع الصباح قبل أن أقبض على هلال العيار وأكيده فاجابه شياغوس إلى سؤاله وأقام فى الحفرة وبعد بهروز عن الطريق وبالقضاء المقدور صادف مرور هلال من تلك الطريق بعد ذلك بقليل فلما قرب من الحفرة سمع صوت أنين عميق صادر من فؤاد موجوع إلى جانب الطريق فتعجب من ذلك وكان سواد الليل يستره ولم يعهد أن أحدا رابط له فى تلك الجهة فتقدم فى تلك الحفرة وصغى باذنه وإذا يرى الأنين قد زاد وسمع لغة يمنية ورجلا يقول . قد قرب الأجل يا ربى وكدت أهلك من الجوع ولى ثلاثة أيام فى هذا المكان لا ترسل لى أحدا يسحبنى إلى قومى يارب انى أنذر لك النذور وافرق باموالى على الفقراء إذا بعثت أحد يأخذنى إلى المدينة ربى ارسل لى هلال العيار أو غيره فانت السميع المجيب . فلما سمع هلال كلامه تأكد عنده أنه من أهالى اليمن فقال من أنت ياهذا ومن الذى رماك فى هذه الحفرة . فاجاب قل لى من أنت فانى اراك يمنيا . قال أنا هلال العيار كنت مارا من هنا فسمعتك تأن وتشكو فقصدت أن اطلع على أمرك فاظهر شياغوس أنه متألم من حالته وزاد فى توجعه وقال بالله عليك ياهلال ارفعنى من هذه الحفرة وأوصلنى إلى أول الجيش وارمنى هناك فانا ساعد وكيل أشغال الشاه حارس بن الشاه سرور وكنت مع الجيش أثناء الحرب من نحو يومين بالقرب من سيدى فاصبت بعدة جراحات ووقعت إلى الأرض ولما كان القتال لا يزال عاقد خفت من ان أدس بارجل الخيل فذهبت إلى هذه الطريق فوقعت فى هذه الحفرة وقد خارت قواى وضعفت ولم أقدر على النهوض لكثرة ما سال منى من الادمية ثم أغمى على وغبت عن الدنيا ثم وعيت الى نفسى ولم أصادف أحدا ولا أقدر على المشى فبقيت كما ترانى أفيق تارة وأغيب أخرى ولا يعلم بى احد وها الدم يتدفق من جراحاتى وانى هالك فى هذه الليلة لا محالة

فبالله عليك يا هلال خذنى إلى مكانى . فصدق هلال كلامه لأنه كان عالم أن وكيل أشغال الشاه حارس قد قتل فى تلك المعمعة وكان بهروز يعرف ذلك وقد شاهده ينازع فسأله عن نفسه فأخبره أنه يمنى وأنه أصيب بجراح فتمم قتله فقال له هلال اصبر على يا ساعد فانى ذاهب إلى معسكر الأعداء وسأعود بسرعة لان فى نية عساكرنا أن تكبس فى هذا الليل عساكر فيروز شاه وقد بعثونى أترقب لهم الفرصة إلى حين يناموا ومتى عدت أخذتك معى فقال بالله عليك يا هلال لا تتركنى فانك ربما إذا رجعت تجدنى قد مت وأنت تعلم محبة سيدى لى فمتى علم بانك كنت السبب فى نجاتى من الموت أنعم عليك وزاد سروره منك . قال لا يمكننى الآن وسأعود قريبا فاخذك بطريق وأخاف من العاقة لا سيما وان خورشيد شاه وفرخوزاد عندنا أسيرين وفى النية أن يرسلا إلى مصر فى هذه الليلة قبل أن يتسهل لها الخلاص . فقال لا عاقة الآن فان الأعداء لا يزالون متيقظين لأن الليل من أوله فيمكنك أن ترفعنى إلى مكانى وتعود دون أن يعلم بك أحد وأقسم لك بالرب العظيم انى أعطيك اموالا غزيرة وأجزيك جائزة لم ترها كل عمرك وادع سيدى أيضا أن يسر قلبك ويرضيك وأنت تعرف عظم منزلتى عنده وحبه فضلا عن أنك تكون قد فعلت معى عظيم رحمة لا أنساها منك ما دمت حيا . وجعل شياغوس يتوقع عليه ويبكى ويعده بدفع الدراهم والدنانير الكثيرة حتى لعب الطمع فى رأسه وحدثته نفسه أن يوصله إلى محله ويقبض منه ما وعده به حالا واشرطت عليه بذلك فاجابه إليه . فقال له اذن قم بنا لأوصلك قال لا أقدر على الوقوف فارفعنى على ظهرك . فتقدم منه هلال وأوقفه ثم دار بظهره وأركبه عليه وقصد الرجوع إلى جهة الجيش وكان شياغوس طويل القامة والرجلين فلف يديه على رقبة هلال وفعل برجليه كذلك فوق رجليه حتى لم يعد يقدر هلال على المشى وكاد يختنق فصاح فيه وقال له ويلك يا ساعد ارفع نفسك وحل يديك لأسرع بك فانى أود العجلة والرجوع فان قومنا بانتظارى لأنهم يرغبون فى كبسة فيروز شاه هذه الليلة . فقال له وأى ساعد هنا ومن الذى تعنى وما هذا الاسم الذى تقوله فانا شياغوس النقاش وهذا الذى تراه إلى جانبك بهروز العيار . فلما سمع هلال هذا الكلام خارت قواه وتقطعت عزائمه ولم يعد يقدر على المشى عند سماعه بذكر بهروز ثم شد عليه شياغوس برجليه فالقاه إلى الأرض وكان بهروز قد حضر إليه وقد رأى كل ما كان بما تقدم فاوثقا هلالا وشداه بالحبال وقال بهروز لشياغوس سر انت بهلال إلى المعسكر وانا سائر الى خلاص فرخوزاد وخورشيد شاه وانى لا ارجع الا بهما واعلم فيروز شاه بما قاله هلال من ان فى نية خطير والشاه سروران بكبساه فى هذه الليلة ليكون على حذر فاجابه شياغوس الى طلبه ورفع هلالا على كتفه وهو

مغلول الأيدى والأرجل وسار به عائدا حتى انتهى إلى حضرة الملك ضاراب فوضعه أمامه وقال له خذ ياسيدى فهذا الخائن الناكث هلال العيار الذى غدر بنا وقاد رجالنا إلى الذل والاستئسار فلما رآه الملك سر بأسره وسال شياغوس عن بهروز فحكى له كل ما كان منه وكيف أسرا هلالا وسار بعد ذلك لخلاص فرخوزاد ورفيقه وبعد ذلك أمر الملك بأن يوضع هلال إلى جنب الشاه شجاع والأمير قتيــــل عند طور الايرانى بعد ان وبخه ولامه وتهدده واخبر شياغوس فيروزشاه ماسمعه من هلال من ان فى نية الأعداء ان يكبسوا جيشه فى تلك الليلة وحذره من غدرهم .

وأما بهروز فانه دخل بين جيوش الأعداء وطاف بين خيام الأعيان وقد رأى امنهم الاستعداد والتهيء إلى الكبسة وعلم انهم بانتظار هلال ليعود اليهم بالخبر ولا زال إلى ان قرب من المكان المأسور فيه فرخوزاد فوجد شبرنك العيار مشدود إلى الطنب ومربوط بالحبال فدنا منه شيئا فشيئا بحيث لا يراه أحد واخرج سكينه فقطع الحبال واطلق له يديه ورجلاه وسار به بعيدا وعرفه بنفسه وقال له ماذا جرى عليك ياشبرنك فحكى له بالاختصار كل ماكان من هلال وكيف غدر به بعـد ان غدر بفرخوزاد ورفيقه . ثم قال له وقد عرفت الآن ان فى نيتهم هذه الليـلة ان يرسلونا الى مصر لنبقى فيها الى ان يصلوا حيث فى خاطرهم ان يرحلوا الى مصر وقد وكل بنا نحو ١٠ او ١٢ نفسا من الأمراء وهم بانتظار امر الشاه سرور ليسيروا بنا فالحمد لله الذى وصلت قبــل ذلك قال لا بأس فانى ازمعت ان البس ملابس الأمراء واختلط بينهم واجعل نفسى حارسا على فرخوزاد الى ان يتسهل لى خلاصهما واما انت فسر بالعجل واخبر فيروزشاه بكل سرعة بان فى خاطر خطير ان يكبس جيش الزنوج فى هذه الساعة وانه متأهب مستعـد وهو منتظر رجوع هـلال ولا بد إذا استعوقوه أن يرسلوا غيره فيتحذروا لأنفسهم . ثم ودعه وسار شبرنك وهو فرح بالخلاص مسرور به ومن بعد ذهابه اختلط بهروز بين أمراء الشاه سرور القائمين على حراسة فرخوازد وخورشيد شاه كحارس معهم وكان كل واحد منهم من جهة من جهات المملكة قد انتخبهم سيدهم وأوصاهم بالمحافظة على الأسيرين وحرسهم على ذلك فلما أقام بينهم بهروز لم يعرفوه فسألوه عن نفسه فأخبرهم أنه مرسل للحراسة معهم على الأسيرين فصدقوه وظنوا أنه مبعوث من قبــــل الشاه سرور مثلهم فامتزجوا معه بالمعاشرة والمكالمة وقد شاهدوا منه ما سرهم وأعجبهم فأحبوه وانشرحوا من مرافقته وفى تلك الساعة وصلت أوامر الشاه تأمرهم بالركوب والمسير أمامهم على طريق مصر وان ينتظرون قدوم العساكر فى الطائف وهى مدينة المنذر ملك النعمان إلى ان تصل اليهم فيسيرون معا وكان كل خوفه من أن عيارى الاعجام تحتال على خلاص أسيريه

فتتشلهما من يده ولذلك قصدا بعادهما قبل حمله على عساكر الأعداء . وفى الحال نهضت الأمراء فركبت خيولها وركب بهروزجواد سرقه من باب بعض الخيام وخرج الجميع من المدينة بعد أن رفعوا الأسيرين على جوادين وهما موثوقان مغلولان واستلموا طريق مصر وتبطنوا التلال والسهول وهم يقصدون الطائف

وبعد ذهابهما ارتاح فكر الشاه سرور ووزيره طيفور فاصدروا الأمر بأن تتأهب العساكر للسفر وتتهيأ وتستعد للرحيل بعد ساعات قليلة تحت سواد الليل دون أن يعلم بها أحد من الأعداء ففعلوا وأخذت الأحمال ترفع على ظهور الجمال والبغال وتدخل المدينة لتخرج من باب آخر مؤد إلى طريق مصر وكانت أيضاً عساكر مصر تحت امرة خطير تستعد للهجوم على جيش فيروز شاه بعد أن رفعت أحمالها وسيرتها أمامها مع عساكر اليمن وكان الشاه سرور قد أضاف إلى المصريين جيشا من اليمنيين وأوصاهم ان يأخذوا كل ما يقع فى أيديهم كونهم مسافرون قبل الصباح فامل الجميع النجاح ولم يكن من عائق يعيقهم إلا رجوع هلال وقد شغل بالهم عليه ولعبت بهم الهواجس حتى قطعوا منه الرجاء وارتابوا من طول غيابه . فدعا الشاه سرور إليه خفيفا العيار وقال له سر إلى جيش فيروزشاه واكشف لنا خبره أهل لا يزالون سهارى وتفرقوا للمنام وانظر لنا خبر هلال العيار وماهو سبب غيابه فاجاب بالسمع والطاعة وانطلق فى الحال حتى دخل بين خيام الزنوج فلم يجد أحدا ووجد أن الخيام مقفلة الأبواب فتوهم أن الجميع نياما فكر راجعا بسرعة وهو فرحان ومسرور بذلك ولا زال حتى وصل إلى بين يدى سيده فعرض عليه ما رآه وقال له اعلم يا سيدى أن الجميع فى الخيام ما منهم واحد فى الخارج حتى أن الحرس فى غفلة وقد دخلت بين الخيام وخرجت دون أن أرى أحدا من الزنوج إلا بعض حرس نيام ففرح الجميع لهذا الخبر ولاسيما خطير وفى الحال نهض إلى جواده فركبه وفعلت مثله سائر الفرسان وتقدموا إلى جهة الزنوج وفى نيتهم أن يكبسوهم ويوقعوا بفيروز شاه فيأخذوه أسيرا أو يقتلوه ولما قربوا من الخيام هجموا عليها هجمة واحدة من كل الجهات وجعلوا يدوسونها ويدخلونها فلا يروا داخلها أحدا ومثل ذلك فعل خطير فانه دخل إلى مضرب فيروز شاه وسيفه مشهر بيده فلم ير فيه أحدا فطار عقله وتأكد أنه علم بدسيستهم فرجع حالا إلى الوراء وجعل يصيح برجاله أن ترجع عن الكبسة وإلا هلكت وما لبث أن سمع أصوات فيروز شاه كالرعد القاصف فى خلال ذلك الليل ومن خلفه الزنوج تبربر بالسنتها وتهجم كالأسود الكواسر

قال وكان السبب فى ذلك أن شياغوس لما رجع بهلال العيار أتى به إلى جهة فيروز شاه بكل سرعة وأخبره بالذى سمعه من هلال العيار وأنه كان آت ليرى فى

أتى وقت ينام الفرسان وتقفل الخيام ليعود إلى مولاه ويخبره بذلك فسر فيروزشاه من هذا الخبر وفى الحال أمر أن تركب عساكر وتترك كل شيء فى محله وتقفل الخيام بما يدل أنها بيام داخلها وترجع معه إلى الوراء. ففعلوا وما استقروا إلا القليل حتى أتى شبرنك أيضا فأخبر فيروز شاه بأن الاعداء يتهيأون ويتعددون وأنهم منتظرون رجوع هلال فأمر شبرنك أن يبقى عند الخيام فنجاء من العيارين بجس الخبر يعارضه ولايمانعه بل يدعه يدخل ويرجع من حيث أتى . فأقام شبرنك مع بعض من عياريه وفى تلك الساعة وصل خفيف العيار فنظروه وقد دخل بين الخيام فراقبوه وعلموا أنه غش بالحال الحاضرة وظن ان الجميع قد ناموا لأنهم رأوه رجع بالحال وهو بمزيد فرح فأخبروا فيروز شاه فتأكد قرب مجيئهم ولم يكن إلا القليل حتى سمع الصياح وشاهد الأعداء وقد تخللوا الخيام وطافوا بها من كل جانب وإذ ذاك صاح بأعلى صوته وأمر العساكر بالهجوم مهجمت من خلفه وقد أطلق لجواده العنان فخرج من تحته كالسهم الطيار وبدقائق قليلة أدرك الأعداء فأرسل حسامه إلى صدورهم يخترقها وهوى بعمده على رؤوسهم يسحقها وفعل مثله ميمون وباقى الفرسان والابطال وقد تمكنوا من القوم وأى تمكين فمالوا فيهم بضرب الفصال من اليمين والشمال وسدوا عليهم طرق الخلاص حتى لم يعد لهم من مناص وصاروا كيفما داروا يرون عساكر الزنوج تضرب فيهم فى وجوههم وأقفيتهم فينقلون عن خيولهم ولما رأى خطير صعوبة هذا المركز وان جيشه كر راجعا عن الخيام وطلب الهرب بنفسه وهو لايصدق بالنجاة وقد تبعه من تسهل له الفرار وستره الليل عن أعين النظار وذهب الباقون ضحية شفار السيوف لأن فيروزشاه علم أن هذه العساكر هى عساكر مصر ورجال عدوه الذى يزاحمه فى عين الحياة وتصور وقوع أخيه فرخوزاد ونسيبه خورشيد شاه فى قبضة الأعداء فشعلت بقلبه نيران الغضب ولذلك جود الضرب فى الأعداء ليشفى غليله منهم فكان يلقى الفرسان فوق بعضها أكواما كالتلال المتجمعة ويدوس بنعال فرسه رؤس الرجال والأبطال ولا يسمع فى تلك المعمعة غير صوته فانه يعلو على كل صوت وكانت رجاله تشتد فيه وهى تراه حاضرا فى كل مكان لأنه كان كالنجم ينخطف من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وهو يمدد الرجال وينزع منها أرواحها ويحرمها النظر إلى هذه الدنيا ولم يكن ساعة حتى وصلت أيضا عساكر إيران تحت إمرة فيلزور البهلوان لأنهم سمعوا الصياح والصراخ فعلموا أن الاعداء قد كبسوا جيش فيروزشاه ولم يكونوا يعلمون بمادره من كيدهم فأمرهم الملك ضاراب بالركوب وأن يسرعوا لانقاذ ولده فركب فيلزور فى الحال وتقاطرت من خلفه الفرسان والأبطال وقصدوا مساعدة فيروزشاه إلا أنهم لما وصلوا اليه وجدوه

قد فرق الأعداء وبدد شملهم وأهلكهم عن آخرهم وقد هدأت الحال أوكادت . ثم نزل عن فرسه ودخل إلى صيوانه والدم قد غطى ثيابه فاغتسل ونزع ما عليه ولبس لباسا آخر وجلس فى الصيوان ثم دخل عليه فيلزور بقية الفرسان وسألوه الخبر فاخبرهم بعمل بهروز وشياغوس وخلاص شبرنك وانهم أوصلوا اليه خبر الأعداء وقد عقدوا رأيا على الايقاع به وهو فى غفلته على فراشه فاخلى الخيام وأقام بعيدا عنها يكمن لهم إلى أن تخللوا الخيام فضربهم برجاله ورماهم بنبال قوته فتطايروا إلى الموت سباقا واكتست الارض من جثثهم ثوبا نجيعا وتبدل لونها بالاحرار القانى . ثم بعد ذلك نهض وسار إلى أبيه ودخل عليه فوجده على مقالى الجمر وكان الوقت اذا ذاك آخر الليل وقد قرب الصباح فدنا منه وقبل يديه فقبله بين عينيه وسأله عما اوجب ذاك القتال فى الليل الدامس فحكى له ما كان شبرنك وشياغوس وقال له فى آخر كلامه انى صرفت الجهد إلى ان لا يتصدع خاطركم إلى ذلك لعلمى بانى وحدى قادر على هلاك أهل اليمن ومصر باجمعهم والحمد لله خدمتنى السعادة وساعدتنى يد العناية ففعلت بالأعداء افعالا لم يروها طول زمانهم وايامهم فانه لم ينج منهم أحد الا القليل وما ذلك الا ببركة رضاكم ويد عنايتكم فقبله أبوه ثانيا وبكى من الفرح لأنه كان يحبه حبا قويا عظيما ويفرح بشجاعته وبسالته

فهذا ما كان من هؤلاء وأما الشاه سرور فانه أقام فى صيوانه ينتظر رجوع الأمير خطير من كبسته لفيروزشاه وما أقام الا القليل حتى عاد اليه ذليلا مقهورا وهو يركض ملتفتا الى ورائه ومن خلفه العساكر متقطعة من عشرة وعشرين وهى على غير هدى لا تعى على نفسها ولا تصدق أن تصل الى مراكزها فالتقاه الى خارج الصيوان وساله عن السبب فقال له ان الله لم يقسم لنا نصيبا بالنصر وعوض ان تكون الكبسة لنا صارت علينا وها ان العساكر التى نجت وصلت اليك والباقى لا ريب انه هالك أوهلك فانهض فى هذه الساعة وسر نتتبع السائرين أمامنا فانى لا أقبل ان ابقى دقيقة فى هذا المكان فنهض الشاه سرور وطيفور وقد كادا ينشقان من الغيظ والحنق مما لحق بالعساكر وما وقع على خطير من الفشلة والانكسار وركب كل منهما جوادا وركبت بقية الفرسان والأمراء ومن كان لا يزال فى ذلك المكان دخلوا المدينه وسلموها الى الشاه سليم واوصوه بكل الحفظ وودعوه وخرجوا من الباب الآخر وهم بحزن لا يوصف على فراق وطنهم وبلادهم وتركهم خاو بعدهم عنها ماعدا طيفور فانه كان وحده مسرورا بهذه الرحلة حيث كان يعد نفسه بانه ينال الخيرات من الوليد ملك مصر بحيث دبر له على الاتيان بعين الحياة اليه لتزف على ابنه واكبر فرحه كان عند تصوره بانه قد افلت من يد فيروز شاه حبيبته وأبعد عنه وقهره

وأنزل به الأحزان والأكدار ولم يعد له سبيل إلى الوصول إليها فيما بعد وإذا وصل فلابد من هلاكه وموته وكان يشتهى من كل نفسه أن تسول لفيروزشاه نفسه ويتبعهم إلى تلك الديار ليدبر فى هلاكه وهكذا انتهت مدة قيامهم فى تعزاء اليمن ولم يعد من سبيل إلى رجوعهم اليها فيما بعد وخرجوا من المدينة وتبطنوا القفار وسلكوا طريق مصر يقصدون المرور على الطائف لينزلوا على المنذر بن النعمان سيدها الذى كان بجيشه معهم فى هذه الحرب وكانت مدينة الطائف منتهى حكم الشاه سرور وبأخذوا فرخوزاد وخورشيد شاه من هناك ويسيروا بهما إلى مصر وسنعود إلى اتمام حديثهم فيما يأتى

وأما الشاه سليم فانه أقام فى المدينة إلى أن تبين وجه الصباح وأشرقت الشمس على تلك الأرض والبلاد وإذ ذاك دخل دار الأحكام وبعث فدعا أعيان المدينة والأمراء المتخلفين فيها وقال لهم انى ما دعوتكم إلا لأعرض عليكم أمر خطير نحن فى حاجة إليه الآن فقالوا له مر بما شئت فاننا مطيعون لك سامعون لقولك وما نعهده فيك من الحكمة وحسن الادارة وسلامة الطوية يجعلنا أمناء بانك لا ترغب إلا فى ما فيه مصلحتنا ونفعنا . قال انكم باجمعكم تعلمون عظم سلطان الملك ضاراب واتساع شوكته وكثرة جيوشه وفرسانه ولهذا قد رأيت من الموافق أن تذهب باجمعنا إلى حضرته ونعرض طاعتنا ونخبره بسفر الشاه سرور إلى مصر بجيشه وابنته وبهذا نشترى مرضاة الملك ضاراب خوفا من أن يظن باننا لا نزال مصرين على العناد فيوقع بنا وينهب المدينة قصاصا للشاه سرور وانى أكفل لكم قبوله لنا عنده والعفو عنا منه وبطاعتنا له نحفظ أموالنا وأرواحنا وليس فينا من يقدر على مقاومته وعناده فاستحسن الجميع رأيه وقالوا له افعل ما أنت فاعل وانا نرى بعملك هذا الصواب وليس فينا من يكرهه ونهض الشاه سليم وأخذ معه جماعة من الأعيان وسار بهم يقصد الملك ضاراب

وكان الملك ضاراب إذ ذاك فى حيرة عظيمة لأنه لما أشرقت الشمس نظر إلى جهة جيش الأعداء فلم ير أحدا منهم وكان لا يزال عنده وزراؤه وابنه فقال لهم ان حالة الشاه سرور تستحق الشفقة والرحمة لأنه ناقص العقل ضعيف الرأى منقلب الافكار فلا أظن إلا أنه دخل المدينة وفى نيته أن يدبر له أمرا جديدا يستعين به على عنادنا على أنه لا خلاص له منا إلا بشىء واحد لا بد منه على كل حال وهو زواج بنته بابنى وبهذا تنتهى بيننا الحرب ويعود السلم ويرجع إلى بلاده الامان وترتاح رعيته . فقال طيطلوس انى أخاف من أن يسافر الشاه سرور ببنته إلى مصر ليزفها على الشاه صالح بن الوليد ويلزمنا أن نتبعه إلى هناك هذا إذا لم يكن قد رحل فى هذه الساعات القليلة . قال الملك انى أحب أن أعرف ذلك فينبغى أن نرسل من يكشف

لنا الأخبار ويأتينا بالعلم اليقين . وما أتم كلامه حتى دخل عليه شبرنك وقال له ياسيدى ان الشاه سليم صاحب المدينة السلمية ومعه جماعة من أعيان اليمن آتون اليكم . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام خفق قلبه ونبهته دواعى الحقيقة وحكى له ضميره بكل ما وقع على عين الحياة وأصبح بانتظار الشاه سليم لتجلى له الحقيقة ويظهر ما كان من أمر الشاه سرور ولم يمض إلا دقائق قليلة حتى وصل الشاه سليم ودخل الصيوان فلاقاه الملك ضاراب بالترحاب والاكرام وأجلسه إلى جانبه وأبدى له من الملاطفة فوق ما كان يظن وفعل ذلك مع جميع الذين كانوا معه . وبعد أن جلس الشاه المذكور بدقائق قليلة بدأ بالكلام فقال للملك ضاراب اعلم يا سيدى أننا نحن قد جئناك طائعين صاغرين ملتمسين منك العفو والسماح عن المدينة ومن فيها وقد حملتنا كرامة أخلاقك على الاتيان اليك والرجاء منك بالعفو والسماح ولا خفاك أن الشاه سرور قد ترك المدينة وسار عنها قاصدا بلاد مصر وقد أعهد إلى بولاية المدينة ولذلك قد أتيت إليك أعرض عليك قبولى ودخولى وإنى إذا قبلت أن أكون على البلاد أكون مقاما من قبلك لا من قبل غيرك لأنك أنت الآن سيد البلاد وحاكمها كونها فتحت بسيفك وسيف ولدك سيد فرسان هذا الزمان . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام سرى الدم باردا فى عروقه واسودت الدنيا فى عينيه وانعقد لسانه فى الأول عن الكلام فنظر إلى الأرض باهتا . وأما فيروزشاه فقد ضاع عقله وغاب وعيه وغلب عليه الحب فصاح وهو على غير هدى وهل سار بينته عين الحياة معه فانى سأدركه فى طريقه وأستخلصها منه وأنزع منه روحه إن شاء الله . فقال كلا ياسيدى فانه بعث بينته من قبل ولا ريب أنها قد بعدت كثيرا عن هذه الديار ومعها أخواها الشاه حارث والشاه أسد وهما يسرعان المسير فكثر غضب فيروزشاه وزاد خفقان قلبه ونمى الغيظ به على حين كان شدة الشوق وألم الفراق يصدعان قلبه ولبه . ثم أجاب الملك ضاراب الشاه سليم بهدوء وسكينة وقد نظر إلى عواقب الأمور بعين الباصر الخبير وخاف على ولده من أن تتكدر شعائره وتنفطر مرارته قال له اعلم أنه لابد لنا من المسير خلف الشاه سرور ولو اختبأ فوق القبة الزرقاء أو نزل تحت الأرض إلى ما تحت الماء ولا ارجع عنه بعناية الله إلا بارغامه على زواج بنته بابنى وماسار إلى مصر إلا ليجلب الانتقام والويل إلى تلك البلاد وإلى حاكمها الوليد الذى كان فى غنى عن كل ذلك فان ابنه لا يصلح ان يكون زوجا لعين الحياة ولا تقبل به وقد اخبرت انه ناقص العقل اعمش العينين جبان مهان فقبح الله الشاه سرور ما اجهله فهو مجنون ناقص الفكرة خرب بلاده ووطنه وقاد بنفسه إلى العذاب والغربة وجر من خلفه إلى وهدة الهلاك ألوفا من الامراء والفرسان والقى بهم الى

الأخطار انقياداً لطلب طيفور ذاك الحية السامة أيظن أنه يتوفق لبنته زوجا كاملا بأوصافه كفيروزشاه على أننا سننظر فى ذلك متى دخلنا المدينة وأما أنت فانى أعرف حسن مزاياك وما أنت عليه من الحكمة والتعقل ولا سيما وقد وصل الينا كثير من جميلك ومعروفك فانك فى أول الأمر قدعاملت فرخوزاد معاملة العقلاء وقدرته حق قدره ورفعت منزلته لما شاهدت فيه البسالة النادرة فى أمثاله ولم يتولد فيك البغض له والحسد منه بل أوصلته إنعامك وإحسانك وفوق ذلك فانى عرفت خلوصك بما أبديته للشاه سرور عند ما كان فى نيته أن يسلم فيروزشاه وفرخوزاد إلى هورنك وقدأبديته النصح بأن يطلقهما ويعهد اليهما كبح عدوه فامتنع بطلب طيفور وكان ذلك منك عن حكمة ودراية وميل إلى خلاصهما ويا حبذا لو قبل أوانئذ بمشورتك لكان الآن فى راحة وطمأنينة وأكثر من جميعه فانى أذكر لك فضلا وجميلا دفاعك عن فرخوزاد وخورشيدشاه فى هذه المرة عندما كان الشاه سرور قدنوى قتلهما وقد أخبرنى شبرنك الذى كان حينئذ معهما مافعلته رغبة فى منع قتلهما وعليه فانى بالاتفاق مع سائر مملكتى وأعيانها وفرسانها نشعر باحسانك ومن ينكر الاحسان ليس بانسان فاحكم الآن أنت على تعزاء اليمن وأملك فيها فنلك من يصلح أن يكون ملكها لأن بقلبك من الرحمة وحب العدل ما يكفل لعموم الرعيه والسعادة وحسن الاقبال وليكن حكمك مطلقا وليس تسلط أحد عليك وإنى ساعدك وعونك وغوثك عندالحاجة وأثبت قولى الآن بالقسم أنى سأمنع الشاه سرور إذا رغب فى الرجوع إلى بلاده من الحكم والسيادة وسأكون له من الآن وصاعداً أكبر عدو وسأنتقم منه إذا وقع فى يدى ولا أبقى عليه مطلقا وسآخذ بنته بالرغم عن أنفه وأزفها على ابنى بعد موته وقديعلم الله أنى لوكنت أعلم أن ابنى يوافق على الانتقام منه لما قصرت عن مسكه وفيروزشاه نفسه أقدر من الجميع على ذلك إنما كل رغبته فى عدم خرق حرمته مراضاة لعين الحياة لعلمه أن ذلك لا يرضيها أما الآن وقد زاد إلى حد أنه رضى بفوات ملكه وبعد إلى أبعد الأقطار ملتجئا إلى من ليس فى وسعه أن يحميه منى فلا بد من تأثره وكيده .

وكان فيروزشاه يسمع هذا الكلام وهو لايكاد يميز بين معانيه وتركيبه لأنه كان غائب العقل والهدى وجل ما أدركه من قول أبيه أنه سيتأثر الشاه سرور ويأتى بعين الحياة ولذلك علق نفسه بقليل أمل بعيد النوال ولم يسعه الوقت ولا مكنته حالته الحاضرة من الكلام فرمى بنفسه إلى كرسيه وقد أسند برأسه عليها وهو غير ملتفت إلى انتباه الجمع اليه وكدرهم من حالته وقد يفعل العشق بأربابه أكثر مما فعله بفيروزشاه على أنه وإن كان متمكنا منه غاية التمكين إلى درجة جنونية إلا أن

قواه العقلية وجلده على احتمال المكاره وصبره عند وقوع المصائب عليه جعله يقاوم صدمات الحب بثبات عجيب ومع كل ذلك لم تخل حالته من المظاهر الارتباكية العشقية الفعالة فكان الجميع ينظرون اليه بقلوب الشفقة والرحمة ولاسيما أبوه . ثم تقدم فيلزور وسأل الشاه سليم عن ولده فرخوزاد فاخبره بالتدقيق عما كان من أمره وأمر خورشيد شاه وقال له إنهما بعثا أمام العسكر من أول الليل مع بعض أمراء اليمن وقد أوصى الشاه سرور أن يقيموا بهما فى الطائف إلى أن يصل هو إلى هناك وعندى أن الشاه سرور لايقدر أن يمد اليهما يدا لانى نبهته أنه إذا فعل بهما شرا يخسر ولديه وبقية الأسرى الذين عندكم ولذلك امتنع عن قتلهما وأمر بمراعاتهما وإنى أسال الله أن يسهل لهما الخلاص ويرجعهما اليكم لأنى أحب فرخوزاد وقد أنزلته منزلة الولد وياحبذا لو سمح لى الزمان أن أبقيته عندى لكنت ملكت بسيفه قسما عظيما من البلاد واخضعت تحت اقدامى كل عدو ألد إنما بعده عنى أورثنى حزنا لاينقضى إلا بقربه وقد أجهدت النفس إلى إقناع الشاه سرور طمعا براحة فرخوزاد وفيروزشاه فلم أتوفق إلى الغاية لأن طيفور صارف الجهد إلى هلاكهما غير أن العناية لا تساعده على ذلك .

وبعد ان اقام الشاه سليم مدة فى صيوان الملك ضاراب يشرح له عن أحوال الشاه سرور وطيفور ويذمهما الرداءة عملهما نهض الملك ضاراب بفرسانه وابطاله وامر ان يركب الجيش برمته ويدخل المدينة وياخذ له مراكز موفقة يقيم فيها لأجل راحته ليتما يامرهم بالمسير إلى مصر وسار هو فى المقدمة وإلى جانبه فيروزشاه وهو حزين كئيب لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال وأكثر حزنه كيف أنه يدخل المدينة وعين الحياة بعيدة عنها قد فارقتها بالرغم وأجبرت على مبارحتها وكان يخطر فى خاطره أن لا يدخل المدينة لو لم يحركه شوقه إلى الدخول إلى قصرها عله يجد من تلك الآثار اللطيفة مايبل به شوقه او يرى من يخبره بخبر رحيلها كيف كان وماذا فعلت وفوق كل ذلك كانت رغبته فى ان يقف ويذرف العبرات السخية ويندب فراقها منه ويصرف وقته فيه . ولو لم يكن الا القليل حتى ازدحمت الأقدام عند ابواب المدينة لأن اهلها باجمعهم خرجوا لملاقاة الملك ضاراب وفيروزشاه وبقية قومهما وهم ينادون بالطاعة والانقياد ويدعون لهما بطول العمر والبقاء وكانت المدينة بابهج زينة وارهج احتفال وقد خرجت النساء من خباياها والأطفال من مهودها والشيوخ من زواياها وكلهم يسرحون ويمرحون وقلوبهم مملوءة بالفرح لنهاية هذه الحرب ورجوع الأمن والراحة الى المدينة التى اصبحت فى ضيقة عظيمة فلاقى الملك ضاراب جميع الأهالى بالبشاشة والتحيات وهو يخترق الأسواق سائرا الى دار الحكومة ولا زال

حتى انتهى اليها والقوم افواجا من خلفه ومن امامه وكان فيروزشاه مع كل التجمع والازدحام وهو غائب الوعى محصور من التطويل يرغب فى الافراج ويتمنى قدوم الليل لينفرد بنفسه يشاهد مكان حبيبته الخالى منها ولما استقر الملك ضاراب داخل القصر امر ان يؤتى بتاج بلاد اليمن فاتى به فرفعه بين يديه ووضعه على راس الشاه سليم واجلسه فى صدر الديوان وامر ان ينادى باسمه فى سائر البلاد وان يكتب الى كل جهات المملكة بما كان من الشاه سرور وتركه للبلاد فارامن وجه الملك ضاراب الى بلاد مصر غير ملتفت الى مافيه مصلحته وخيره وقد اختار خراب بلاده وهلاك رعيته وتشتيت شمله وبعده عن مسقط رأسه على ان يسلم بنته زوجة لفيروزشاه وماذلك الا بغضا وعدوانا ولهذا قد فتح الملك ضاراب البلاد بسيفه واستولى عليها عنوة ولما لم يكن له من صالح فى فتحها اعهد بها الى الشاه سليم صاحب المدينة السليمية والبسه التاج اليمنى واقامه حاكما عوضا عن الشاه سرور فمن اطاع وجاء صاغرا استقر فى مكانه وكان هو الحاكم والوالى ومن خالف كان خصمه الملك ضاراب وولده فيروزشاه الفارس الكرار والأسد المغوار الذى اشتهر صيته فى سائر الأقطار . وبعد ان بعث الملك ضاراب بهذه التحارير امر الشاه سليم ان تدفع مراكز المدينة الى عساكر الاعجام وان يقدم لهم مايحتاجون اليه من المآكل والعلوفات . واختار لنفسه بحضور الملك ضاراب وزراء عاقلين حكماء وقوادا باسلين اشداء واعهد اليهم بتدبير المملكة وقيادة الجيوش فاستحسن الملك ضاراب عمله وصرف ذلك النهار كله فى تدبير احوال الشاه سليم واستقراره على البلاد على امل ان يعود فى الغد الى ضرب مجلس من قرمه للتدبير فى امر صالحه ولما كان المساء دعى الملك ضاراب وبقية الفرسان الى وليمة الشاه سليم الا فيروزشاه فانه اعتذر لنفسه بانه يرغب فى الاعتدال واتخذ له مركزا قصر عين الحياة فانصرف وحده اليه فوجده مقفلا فخلع بابه ودخله وعبراته تتساقط من اجفانه منهمرة كالغدران ولما اجتاز الباب وتوسط الدار تذكر تلك الليالى التى مرت فيها فبكى بكاء الثاكلات وانشد من حرق قلب وانفطار كبد

بكيت حتى بكى من رحمتى الطلل ⁂ ومن بكائى بكت اعداى اذرحلوا
يا منزل الحى اين الحى قد نزلوا ⁂ نفسى تساق اذا ما سيقت الابل
أنعم صباحا سقاك الله من طلل ⁂ غيثا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعهدهم والدار جامعة ⁂ والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ما قد نعمنا والحبيب بها ⁂ والدهر يسعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت اعرفه ⁂ والدهر ذو دول بالناس ينتقل

بانوا فبان الذى قد كنت آمله والبين أعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق والدمع مندفق والركب مرتحل
كان قلبي لما ســـار عيسهم صب به دنف أو شارب ثمل
لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم وثوروها وصارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها ترنو إلى ودمع العـــين منهمل
يا حادى العيس عرج بى أودعهم ياحادى العيس فى ترحالك الأجل
إنى وحق لا أنسى مودتهم ياليت شعرى بطول العهد مافعلوا

ثم خنقته العبرة وشاجت به بلابل الأشواق ووقف نحواً من ساعة وهوفى ضياع عقل وازدياد وجدوشكوى لايرى فى تلك الدار إلا شخص حبيبته الوهمى مع علمه بغيابها ولا يحلو له غير البكاء والنوح فانه كان ينادى وما من سامع ويدعو عين الحياة وما من مجيب إلى أن فاض الدمع بحورا من عينيه فأنشدأيضا :

ترى ينقضى حال التهاجر والقلا ويرجع ما قد انقضى لى أولا
أيام كنا والديار تلمنا فى طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا من بعـــدهاتيك المنازل والحلا
أتروم منى يا عذولى سلوه وأرى فؤادى لا يطيع العذلا
فدع الملام وخلنى بصبابتى فالقلب من أنس المحبة ما خلا
يا سادة تركوا الديار وسافروا لا تحسبوا قلبي لبعدكم ســـلا

ثم تقدم إلى المقصورة التى كانت تجلس فيها عين الحياة فوجد أثاثها لا يزال على حاله وسفرة المدام التى كانت تجلس عليها إلى جانب ومن حولها كرسيها فشاقه مارآه وزاد بوجده وغرامه وهيجته الذكرى إلى أيام كانت تعاطيه المدام وتنشده الأشعار فوقف بقدم الحزين والدموع لا تنقطع عن السيلان وقلبه لايفتر عن الخفقان وعيناه تنظر إلى شخص عين الحياة الوهمى وهى كأنها تلومه عن بعد وتقول له لو أسرعت إلى لما قدر أبى أن يبعدنى عنك فجعل يصيح من فؤاد مجروح وقد اعتراه ضرب من الجنون وكاد يختل عقله ولم ير فى القصر لا أنيسا ولا جليسا إلا رسوما وآثارا فكلما كان فى المقاصير كان من أثر حبيبته عين الحياة وذلك كان من أكبر الأسباب المهيجة لغرامه الموجبة لتدفق أدمعه ولازال على حاله حتى شعر كأن الاغماء يصارعه فألقى بنفسه على كرسى عين الحياة وأسند رأسه بيديه وهو يروم أن يصبر نفسه على فراق حبيبته فلم يقدر وكان التعداد له أكبر سلوى ومناقشة الأشعار أعظم صبر ولذلك أنشد :

يا منزلا لعب الزمان بأهله   فأبادهم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم فيما مضى   كان الزمان بهم يضر وينفع
أصبحت تفزع من رآك وطالما   كنا اليك من المخاوف نضرع

وبقى على حالته هذه إلى أن مضى قسم طويل من الليل وهو بين بكاء وتعداد ثم تبع ذلك نوم ثقيل فغرق ببحران الثبات لايعى على حالته وهو ملقى على الكرسى إلى أن بدت غرة الصباح فانتبه من نومه ونظر إلى حالته وقد كدرته جدا ولام نفسه على اعطائها مداها فجعل يسندها بالصبر ويقويها على احتمال صعوبة الفراق ثم خرج من القصر فوجد خادمه لايزال ينتظره على الباب ومعه جواده الكمين لأنه كان قد أوقفه عنده منذ الليل فنسيه ولم يعد ينتبه اليه فأقام الخادم على حالته والجواد معه وهو ساعة ينام وساعة يستيقظ إلى أن وصل اليه فيروزشاه فركب جواده وهو حزين على تهامله فيه وكيف لم يلتفت اليه ويأمر الخادم بأن يقدم له العلف وينزع عنه العدة ولازال سائرا إلى ان دخل دار الاحكام فوجد مجلس أبيه قد حف بكامل أعضائه فدخل بعد ان كان أوصى الخادم أن يعتنى بالجواد وقبل يد أبيه وجلس فى مكانه وكان النحول قد أخذ منه مأخذا عظيما وظهرت على وجهه آثار الليل الماضى ودلائل البكاء والنواح التى لاتخفى على أحد فعلم الملك ضاراب أن ابنه صرف ذلك الليل فى لوعة واشتكاء ولذلك فكر ان لا يتركه وحده بل عزم أن يوكل طيطلوس أن يرافقه ويقيم معه كل مدة إقامتهم فى المدينة وأخبر بذلك طيطلوس فأجابه اليه ليسليه ويبرد شوقه . ثم ان الملك قال انى ازمعت على السفر إلى بلاد مصر لأقيم فيها حربا عوانا وأخربها على رأس حاكمها وأستخلص عين الحياة بقوة الله سبحانه وتعالى فما قولكم فى ذلك . وكان مجلسه إذذاك مؤلفاً من كامل وزرائه وبطانته فأجابه طيطلوس ان ذلك لابد منه إلا أنه يلزمنا ان نبصر فى مستقبل الحال ونرى ما أمامنا من المصائب والأهوال . فقال فيروز شاه انى لا أرى لزوماً لمسير الجيش برمته إلى مصر فانى قد أزمعت أن أسير بجيشى إلى بلاد مصر وانى أستعين بالله فأقضى الأشغال وحدى وأعود اليكم ولاأخفاكم انى كنت وحدى فى بلاد الزنوج ساعدتنى العناية حتى تسلطت عليها وأهلكت ملكها وكنت إذذاك دخلتها وأنا أسير مغلول وأما الآن فانى مطلق وسيفى فى يمينى وجيشى مطيع لى يوافقنى على ركوب المخاطر والاهوال وكله أبطال فرسان . فقال طيطلوس ان مصر ليست كبلاد الزنوج فهى صعبة المسالك كثيرة الرجال وانى أعرف أننا لو سرنا بالجيش كله لنلاقى من الاخطار مالايخطر لنا الآن ببال وعندى أننا نرسل إلى طهران إلى مصفر شاه بن عم الملك ضاراب نستدعيه الينا بالعساكر والابطال ونرسل

أيضا إلى طبرستان إلى كرمان شاه حاكمها فيأتينا بالخبر الذى عنده واننا فى احتياج إلى هذا المدد لأنه قد نقص من عساكرنا أكثر من مائة الف فارس بسبب هذه الحرب ولابد أننا إذا قصدنا مصر ينقص أكثر من هذا العدد ولاريب فى اننا نغلب إذليس فى وسعنا أن نسد النقص هنالك . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام رآه عين الصواب فقال لاينبغى بنا أن نخاطر بأنفسنا ونهلك رجالنا ونعود ولا ننال المقصود وقد يعلم الله مانلاقى فى هذه الخطرة ولا نعرف ما وراءها من الاهوال ولا ندرى ان كان نعود إلى بلادنا فى الحال أوتطول غيبتنا وتتشعب إلى شعب وفروع فوافق الجميع هذا الرأى إلا فيروزشاه فانه تكدرغايةالكدر وكادت مرارتهأن تنشقوتنفطر من هذا التطويل إلا أنه لم يفه بكلمة ولا أبدى رأيا بل صبر على مضض وقد خاف فى نفسهأن بسبب هذه المطاولة والتأخير يحصل على عين الحياة أمر مكدريذهب بحياتها لأنه كان متيقن أنها لاتسلم بنفسها إلى الزواج بغيره إنما كان يلوح له أنها إذاأجبرت اليه تقتل نفسها وتفضل الموت على الحياة مع غيره وقد لحظ أبوه منه ذلك وكذلك طيطلوس قد قرأ مافى باطنه فاستدرك الأمر تطمينا له وتطيبا بخاطره فقال انه لمن الواجب ان نسير فى الحال خوفا من ان تجبر عين الحياة على الزواج إلا انى أعلم حق العلم وأتأكد أن الشاه سرور وطيفور لايرتضيان بقيام العرس على هذه الصورة ولا يقبلان بزواج عين الحياة ووراءهما عدو يتأثرهما مثلنا ولذلك لابد للشاه سرور ان يعتذر إلى الوليد بأنه لايسمح بينتهإلا بعد خلاصه مرعدوه وارتياح بالهمن جهته ليكون فى أمان فيما بعد ويرجع إلى ملكه أمينا غير خائف عليه فانى لاأرى فى التأخير من ضرر يذكر فى مقابل النفع الذى ينتج عنه وفى الحال أمر الملكضاراب طيطلوس ان يكتب الكتابين إلى مصفر شاه وكرمان شاه فاخذ وكتب :

بسم الله إله العرب والعجم وسائر الأمم

من الملك ضاراب ملك بلاد فارس وأبى فيروز شاه إلى ابن عمه مصفر شاه عامل طهران وحاكمها . فبعد السلام عليكم وإيصال التحيات اليكم أبدى أنهلاتخفاكم الاسباب التى وقع الحرب لاجلها فيما بيننا وبين أهالى اليمن وحاكمها الشاه سرور إلا أننا بعد أن توجهنا من إيران فى طلب خلاص فيروز شاه والسعى خلفه وقضاء مصلحته سرنا وسار أمامنا فىالمقدمةطيطلوس فلقىالشاه سروروحاربه بعدانحارب ابنه وقهره فتأخرطيطلوس وهلك ممن معه خلق كثير فالتزموا ان يلتجئوا إلى الجبل ليتخلصوا من الهلاك فشدد عليهم الضيق الشاه سرور ولولم أدركهمهلكواعنآخرهم ثم اشتد بعد ذلك نار الحرب وزاد استعارها فيما بيننا وبين اليمنيين حتى أحرزنا

عليهم نصرا مجيدا وكدنا ننهى الحرب ونقضى منهم وطرنا فهادنوننا إلى عشرة أيا
فاجبنام وفى تلك الاثناء جاء طومار الزنجى بجيوش الزنوج وهو من جبابرة ها
الزمان وعمالقتها يركب الفيـل ورجلاه تكاد تصل إلى الأرض فانضم إلى الأعد
وجددوا الحرب معنا فاسروا الفرسان بأجمعهم ومن جملتهم فيلزور واشتد ازر الشا
سرور وأمل الفوز والظفر وعزم على قتل الأسرى وفى مقدمتهم كبيرهم فيلزور نوض
تحت سيف الجلاد وإذا لم يكن الله يرغب فى موته بعث بولدى فيروزشاه من غرب
وهو لايعلم بنا بل عاد من جزائر الزنوج بجيوش الملك هورنك بعـد أن قتله وتملك
على بلاده وقبل وصوله بعث بتحرير إلى الشاه سرور يتهدده ويتوعده مع بهروز العيا
فصادف وصوله وفيلزور تحت خطر الموت فوقع الرعب فى قلوب أهل اليمن وخافو
سوء العاقبة لما يعلموه من اقدام فيروزشاه وبسالته فاخروا قتل الأسرى وبعثوهم إل
القلعة الجبلية وفى نيتهم انها تحميهم إلا أن بهروز رجع فاخبر سيده بالواقع فاسرع إل
خلاصهم فخلصهم وهدم القلعة الجبليه وعاد الينا براية النصر الفارسية وقد اقرن الي
الراية السودانية وبحال حلوله بيننا حل النصر وجاءنا الفرج فانه أهلك جيش طوما
وبدده وقتل طومار على مرأى من الجميع بضربة سيف لاتبرح من ذهنى حتى الموت
وبعـد ذلك حاصر الشاه سرور فى المدينـة فدخلها وقفل أبوابها فزحفنا عليه وكدنا
نخرب المدينة وندك أسوارها دفعة واحدة فلما رأى منا ذلك بعث الينا بشروط الصلح
ووعد بزواج بنتـه عين الحياة بفيروزشاه وضرب لذلك أربعين يوما على زعم انه
يهيء أمرها فكان منه ان استجار بالوليد ملك مصر ووعده انه يزوج بنته بابنه الشا
صالح أبى مخطه فمده بفئة من العساكر مع خاطر وخطير فقتل فيلزور الأول وتبدد
الجيش المصرى ولما رأى الشاه سرور نفسه غير قادر على مقاومتنا فر هاربا إلى مصر
بينته عين الحياة ووزيره الخبيث طيفور وكان عياره هلال قد احتـال على فرخوزاد
وخورشيد شاه فاستأسرهما وسار بهما إلى مصر إلى بلاد الوليد وحتى الساعة لانعرف
خبرا عنهما . ولذلك عزمت أن أرحل بجيشى ورجالى واتتبع هـــذا الخبيث فاقتله
واقتل وزيره طيفور لانه هو الأصل لكل هذه البلايا واخلص أولادنا منه وأزف
بنتـه على فيروزشاه ولذلك أطلب اليك أن تعجل إلى بالمسير بمائة الف فارس مع
بطل بلادك وحاميها الأروع وليثها الصميدع بهزاد البهلوان ابن فيلزور لاننـا فى
حاجة اليـه واياك من التأخير والعاقة فانا على جمر الغضا نطلب السرعة والعجلة كى
لايفوتنا هـذا المخادع الخائن أو يفعل امرنا به يزداد كدرنا ومصيبتنا ونحن الآن
فى بلاد اثين بانتظارك والسلام .

وكتب كتابا آخر مثله إلى كرمان شاه يطلب اليـه السرعة والاستعجال وبعـد

ان ختم التحريرين دعا شبرنك وشياغوس وقال لها كل منكما يأخذ كتابا يوصله إلى صاحبه وليكن مسيركما مسيرا يسابق مسير الطير فقال شبرنك بما انى قليل الخبرة لا اعرف كل الطرقات فانى أسير إلى طهران إلى مصفر شاه وشياغوس يسير إلى طبرستان لأنه خبير بالطرقات لكثرة تردده اليها وإلى غيرها من الممالك فاجابه شياغوس وأخذ كل منهما تحريرا وانطلق يجرى بسرعة البرق وافترقا فى الطريق فسار كل منهما إلى جهة وسار شبرنك يقطع القفار ويوصل سير الليل بسير النهار وهو لايأخذه هدو ولا يقر له قرار حتى دخل إلى طهران وكانت من المدن الشهيرة وهى من أعمال ايران وكان الملك ضاراب قد أقام عليها ابن عمه مصفرشاه وهو من الفرسان المشاهير ومن أصحاب الحكمة والدراية وكان شاب من عمر فيروزشاه ومثله شكلا وهيئة لايقدر أن يميز الرأى بينهما فانه جميل الطلعة بهيجها أحمر الوجه واسع الجبهة معتدل القامة واسع العينين صغير الأنف وبالاختصار كل مافيه جميل وكان محبوبا جدا من الأعجام وخصوصا من الملك ضاراب وكان بهلوان تخته وحامى بلاده بهزاد ابن فلزور وهو من الجبابرة العظام الذين ضربت بهم الامثال فى تلك الأيام وكان فى سن العشرين إلا أن الذى يراه لا يظن إلا أن له من العمر أكثر من ثلاثين وسيأتى له معنا فى هذه القصة حديث كبير لعظم ما أوجد الله فيه من الشجاعة التى ندرت بمثله بين عموم فرسان ايران وغيرها من فرسان ذاك الزمان . ولما وصل الكتاب إلى مصفرشاه وجده مختوما بختم الملك ضاراب فأخذه بلهفة وكان يحب أن يعرف ما كان من أمره ففتحه ودفعه إلى أحد أمرائه يقرأه على رؤوس الحاضرين فقرأه ذاك الامير وكان بهزاد حاضرا فما انتهى على سماع آخر التحرير إلا صاح بصوت ارتج منه ديوان مصفرشاه وقال أكل ذلك يجرى على عساكر العجم ونحن هنا براحة واطمئنان نأكل ونمرح فوا أسفاه ياليتنى كنت حاضرا لأرى طومار كيف تتفاوت الفرسان وكيف يجسر أن يمد يدا إلى أبى ويأسره ثم جعل يحرق الارام ويتلهف إلى الطيران إلى الملك ضاراب وقال أيؤخذ أخى أسيرا ويقاد إلى بلاد مصر وأنا حى فلا بد لى من السرعة للانتقام ثم انه سأل مصفرشاه أن يسرع بالمسير فأجابه اليه لانه كان مثله يحب العجلة اجابة لطلب الملك ضاراب وفى الحال أمر القواد والفرسان أن تتهيأ إلى المسير بعد ثلاثة أيام وأن تجتمع العساكر فى ظاهر المدينة وتخرج المؤن والذخائر التى يحتاجونها فى سفرهم وفى الحال ارتبكت المدينة وانتشر الخبر فى البلاد فما منهم الا من طلب السير والسفر وبعد نهاية الثلاثة أيام خرج مصفرشاه وقد نشرت على رأسه رايته المخصوصة به ومن عن يمينه بهزاد ليث الطراد وهو راكب على جواد أدهم كالليل الحالك ومقلد بسيف مشطب ماضى

الحديد وقد علق الى جنب جواده عمدا من الحديد ثقيل العيار لا يحمله الا كل صنديد جبار وأخذت العساكر فى المسير طالبة تعزاء اليمن

فهذا ما كان من أمر مصفرشاه وأما كرمان شاه فانه وصل اليه شياغوس النقاش ودفع اليه الكتاب وكان اذ ذاك فى مجلسه فتلى الكتاب فى حضرته وكان بهلوان بلاده يلنا بن فيلزور أيضا وهو ابن ١٧ سنة أصغر من بهزاد وكان جبارا صنديدا فلما سمع ما كان من أمر أبيه وأخيه فرخوازاد فعل كما فعل بهزاد وسأل كرمان شاه ان يسرع الى اجابة أمر الملك ضاراب فانفذ أمره الى الجند بالخروج وان يتسابقوا الى المسير ولا يتأخروا قط عن ذلك ولم يمض الا ثلاثة أيام حتى نهضت عساكر كرمان شاه من المدينة وسارت تحت أمرته أياما ولياليا الى أن يصلوا

ومن الواجب أن نرجع الى عين الحياة لاننا تركناها محمولة الى بلاد الوليد مجبورة الى ذلك البعاد الذى كان عندها من ضروب الفواجع القتاله وكانت لا تسير دقيقة بدون نوح ولا تعداد تذم الزمان وفعله وتعلن الايام وغدرها حيث أطاعت أباها وخدمت طيفور وهى فى هودجها منفردة عن الناس لا تنظر الى أخويها الا عند الاكل وكان أخواها يريان آثار البكاء والتقرح فى عينيها فيلومانها عليه وهى تظهر انها فى كدر على الوطن العزيز وبعدها عنه وكان يكدرهما النظر اليها وهى على تلك الحال وقد أخذ النحول الذى كان قد فارقها منذ عودة فيروز شاه من بلاد الزنوج أن يعود اليها بالتدريج شيئا فشيئا ولا زالوا فى مسيرهم الى ان دخلوا بلاد مصر واذ ذاك أرسل الشاه حارث رسولا الى الوليد يعلمه بقدومهما ومعهما عين الحياة وكان قصده بذلك ان يخرج الوليد بنفسه الى ملاقاتهما وتشاهد أخته عظمته فتنزع عنها الحزن والكآبة وتميل الى الشاه صالح وتنسى فيروز شاه ولما وصل الخبر الى الوليد سر قلبه غاية السرور فدعا اليه وزيره بيدانديش وقال له هاأن عين الحياة قد وصلت الينا وصارت فى يدنا وفى صباح الغد تدخل المدينة وتقيم فى قصورها ومن الواجب ان يخرج الجميع الى ملتقاها اكراما لها وتعزازا لشأنها ومقامها لتعلم عظم منزلتها عندهم وحبا أيضا بالشاه حارث والشاه أسد أخويها اللذين جاءبها من بلادها فأجابه بيدانديش الوزير الى ذلك وأمر فى الحال ان تخرج الفرق بالزينة والملابس الفاخرة وان ترفع الرايات المذهبة وتخرج الحرف وأرباب الصنائع كل حرفة لوحدها وأن تعزف فى المقدمة الموسيقات العسكرية والموسيقات الوطنية وان لا يبقى نوع من أنواع العظمة والملاهى الا ويخرج وأمر ابنه أيضا أن يتزين بملابسه وأن يحتف به موكب من رجاله وأوصى وزيره أن يكون مع ابنه ويعتنى به ويلاحظ عمله وخطواته وأن لا يتركه يبدى حركة تحطه عند عين الحياة وكان يعلم حالة ابنه وما هو عليه

من البلادة وقباحة المنظر ولذلك كان يريد أن نجبر عين الحياة على قبوله ويعرفه جيدا أنها اذا خيرت لما قبلت به مطلقا لان مملكته كانت تضحك عليه وقد لقبوه بالشاه صالح بظاظ الدين شلبي أبي مخطة وكان جل غايته أن يزوجه فى حياته فيأتيه غلام يعهد إليه بولاية العهد التى تفقد من بعده إذ ليس من وارث غيره لانه وحيد له وهذا هو السبب الذى حمله أن يرضى بالمقادة برجاله وأمواله وأن يخاصم أعظم ملوك ذاك الزمان لان ابنه مع ماهو عليه من الضعف والجبن وبلادة الطبع علق بحب عين الحياة على السماع فلم يعد يقبل غيرها حتى أنه لعدم صبره وخلوه من الجلد والرزانة خسر عقله وجن كما تقدم معنا إيراده

وفى الحال انتشر خبر وصول عين الحياة فى المدينة وبلغ مسامع الكبير والصغير من رجال ونساء فخرج الشيخ يتوكأ على عصاه وبرزت النساء على غير انتظام وطافت الاولاد بين العساكر فبعضها يصفق بالايدى وبعضها ينادى بالازقة . قوموا بنا ننظر عين الحياة . وبأقل من ساعتين أصبحت المدينة خالية خاوية وقد خرج من أهلها الخاص والعام بحسب طلب الوليد فبعضهم يحمل أكاليل من الزهور وبعضهم يحمل مشاعل توقد بالعنابر والعود فينبعث منها رائحه زكية ملئة تلك النواحى وكان فيما بينهم الشاة صالح بظاظ الدين وقد لبس من الملابس ما يبهج الانظار ويدهش الابصار ويشغل الافكار ومن حوله الوزراء والاعيان وبين يديه الجيوش والخدم وأجواق الاهالى على اختلاف حرفها وكل يشغل بحرفته تقليدا والرايات تخفق مرفوعة بايدى الابطال والموسيقات تعزف باطرب الالحان والانغام حتى كان المشهد عظيما والاحتفال بهجا لم يسبق له مثيل حتى تغطت فسحات تلك الارض بالخلائق وهم سائرون على ما ذكر يتقدمون شيئا فشيئا إلى أن تبينوا الهودج عن بعد فصاحوا بصوت واحد مظهرين الفرح والمسرة وكان الشاه أسد والشاه حارث يشاهدان عن بعد هذا الاحتفال العظيم فقالا لعين الحياة هو ذا أهل مصر برمتهم قد خرجوا للقياك ترحيبا بك وتحيبا فيك ولا ريب فى أنك تكونين مكرمة مبجلة فى هذه البلاد وتصبحين وحدك الحاكمة فى أهلها وكل ما فيها والمالكة عليها وعلى أموالها فلم تلتفت إلى كلامهما لأنها لم تكن من النساء اللواتى يؤخذن بالزخارف والزين ويملن إلى العظمة الخارجية بل كانت تنظر فى كل شىء إلى جوهره وتترك عرضه ولا يميلها عن عزمها ويضعف رأيها أعظم الاشياء وابهجها وعلمت من نفسها أن الوليد قصد بذلك انقيادها الى ولده وترغيبها فيه فزاد ذلك فى كدرها وقد كادت تتمنى أن تدخل المدينة دون أن ترى وجه أحد أو يراها أحد ومع كل بغضها الشاه صالح كانت لا تكره أن تراه وذلك رغبة فى انحطاط منزلته وارتفاع منزلة فيروز شاه عندها لانها

كانت تعلم انه قبيح المنظر لايقاس بفيروز شاه ولا بمزية من مزاياه وكانت تتأكد انها إذا نظرته يزيد نفور قلبها منه فلا تعود توافق مطلقا على قبول عقدها عليه وكما ان شخص فيروز شاه اللطيف مرافقها وحسبات أعماله لا تزال مرسومة فى دماغها كذلك يصير شخص صالح القبيح ومزياه الكريهة جلية لديها فتبعدها عنه وتنفرها منه ولم يكن إلا القليل حتى وصلت تلك الأمم المتجمعة فدنت من الهودج واحتاطت به وهى فى مزيد فرح تسرح وتمرح وتصفق وتغنى وكلها تميل إلى أن ترى عين الحياة من سجاف الهودج وأن تطل منه ولذلك ازدحمت الأقدام حول الهودج ثم وصل الشاه صالح وبيدانديش الوزير وبقية الأمراء فصافحوا ولدى الشاه سرور وسلموا عليهما وترحبوا بهما وسألوهما عن أبيها فأخبراهم أنه عن قريب يصل وأنه سائر على الأثر وتامل الشاه حارث صالحا وما هو عليه من قباحة المنظر وبلادة النطق وتلعثمه بالكلام وقصر قامته وغير ذلك فارتاع منه وقال فى نفسه لا ريب ان اختى تفضل الموت ولا ترغب فى أن تكون زوجة له إلا أنه أخفى ذلك وأظهر السرور به والفرح بلقياه واجهد الوزير نفسه فى أن يقوم مقام الشاه صالح بتأدية فروض الترحاب وان يمنعه من كثرة الكلام وبعد ذلك وقفوا بقرب الهودج منتظرين عين الحياة لان تمد رأسها وتحييهم باشارة السلام فيبدون لها علامة التأهل والترحاب وكانت عين الحياة كما تقدم كارهة هذا الاحتفال ولا ترغب فى أن ترى أحدا إلا انه لما كان من فروض التادب والكياسة ان تبدى ما هو منتظر منها رفعت سجاف الهودج ومدت برأسها منها فوقع نظرها فى الأول على الشاه صالح فشخصت اليه وأحدقت به ولم تعد تعى على نفسها لانها وجدته قصير القامة كبير الرأس والأنف تسيل من أنفه أقنية من السوائل الدماغية الكريهة فتدخل إلى فمه وعيناه تسيل أيضا على الدوام سوائل الدموع الناتجة عن مرض عضال فى عينيه ولم تكن ترى له رقبة قط بل كان يظهر للرائى ان كتفيه يرتفعان إلى قرب أذناه وفمه يمازج صدره كأنه مركب فيه ومما زادها فيه احداقا ما رأته فيه من الخفة والطيش لانه حالما رآها لم يعد يتمالك نفسه فصاح صياح عدم الصبر وجعل يردد اسمها وقد رجع اليه قسم من حالته الجنونية التى كانت قد وقعت عليه ولذلك لم يطاوعها قلبها وعقلها على ان تبدى اشارة أو تحيى أحدا بل لتظهر للوزير كراهتها فيه ضحكت ضحكة الازدراء وهزت برأسها استخفافا به وأظهرت نفسها أنها تتفرج عليه فاجهد بيدانديش الوزير ان يصرف هذه الحالة وقد كدرته أعماله وغاظه مقابلة عين الحياة له على هذه الصورة حتى ازدرت به وأسقطته من عينها واستخفت به غاية الاستخفاف وكانت عموم الأقوام الموجودة هناك شاخصة إلى الهودج ناظرة إلى عين الحياة لان بدر جمالها لم يخف على أحد

بل انحدر ببهاء نوره إلى أبعد مكان من تلك الجهة وأشرق ساطعا فى كل عين وقلب حتى أنها لما انزلت سجاف الهودج صاح الجميع بصوت واحد وقامت فيما بينهم الغوغاء وارتفع الصياح ودار حديثها فى كل شفة ولسان وكل يشكر محاسنها وجمالها ويأسف على ضياعها من الشاه صالح ويتمنى فى قلبه أن تكون لنفسه وأما الوزير فتكدر مزيد الكدر من عملها كيف لم تحي أحدا غير أنه كان قد ابتهر مما شاهد فيها وعذرها على ضحكها على ابن سيده واستخفافها به وعلم أن عين الحياة مدركة تنظر إلى الحقائق من حيث هى فلا يميلها عن عزمها كل زخارف هذا الكون لأنه رآها لم تلتفت الا إلى الغاية الوحيدة التى جاءت لأجلها ولم تظهر اهتمامها لشيء ولا فرحها من شيء ولما رأت أن الشاه صالح غير موافق لها رغبة فى أن تظهر ذلك على مرأى من الجميع ليعلموا من حركاتها أنها غير راضية عنه مجبورة اليه فلا يلومها أحد فيما بعد.
وأما الشاه حارث والشاه أسد فقد خجلا من الوزير كيف أن أختهما لم تحيه ولا أشارت إلى أحد بالسلام بل كان منها ما كان وأراد أن يعتذر أمام الوزير فقال الشاه حارث أن عين الحياة كانت لا تنتظر أن تلاقى منكم هذا الالتفات وقد ابهرها هذا الاحتفال حتى غيب عنها وعيها فلم تعد تعرف ماذا تفعل أو ماذا يجب عليها أن تقدم لنحوكم من فروض الشكر غير أن النساء مهما كنا عاقلات لا بد أن تشغلهن الأفراح عن المتوجب عليهن وما ذلك الا لا تحجابهن عن عموم الهيئة المتجمعة من جنس الرجال ومن المعلوم أن المرء لا تسمو سريرته وتعلو همته وينمو عقله الا بعد أن تحنكه الأيام وتقلقه الحوادث ظهراً لبطن وبطناً لظهر وتدفعه وقائع الحادثات إلى أكف المصائب فتتلاعب به زنود الأحوال وتوضح لديه كل ما كان محجوباً عن أعينه بعيدا عن ادراكه وهذا كله لا يمكن أن يكون فى غير جنس الرجال المعدين من قبل الطبيعة للقيام بخدمة هذا الكون. فعلم الوزير منه غايته بأنه يريد أن يقنعه أن ما كان من عين الحياة كان على سبيل الدهشة لا بالقصد والغاية فوافقه على كلامه وهو يعلم أن عين الحياة فوق الرجال حكمة. ما فعلت هذا الا بقصد تصوبيا لغاياتها ومآربها الا أنه قال فى نفسه ان كان قصد أبيها واخوتها زفافها على الشاه صالح نزفها عليه قبلت أولم تقبل ومن اللازم أن نصبر إلى النهاية لترى ما يكون منها وبعد قليل من الوقت كرت تلك الجموع راجعة إلى المدينة على الحالة التى أقبلت فيها وهى غاية الانتظام الى ان قربت من الأبواب واذا بالوليد قد خرج الى أبواب البلد وهو بانتظارعين الحياة وأخويها ولما رآه الشاه حارث ترجل وأخوه عن جواديهما واقتربا منه فترحب فيهما وأعادهما إلى جواديهما وسألهما عن أبيهما قبله د سلامه وأعلماه أنه بعثهما اليه واخبرهما أنه يسير على أثرهما فى اليوم الثانى ولما

ريب فى أنه يصل قريبا وانه لا يقيم فى الطريق إلا أياما قليلة لأنه يسير على مقتضى مسير العساكر ثم أخبراه بما كان من الملك ضاراب ونعيا إليه خاطرا فتكدر من هذا الخبر وكاد يغمى عليه لأنه كان يحبه جدا ولام نفسه كيف خاطر بهما فبعثهما بهذا الجيش وعزم على الانتقام من الملك ضاراب إذا جاء بلاده وكان يترجح عنده أنه لا بد أن يطرق بلاده ولا يترك عين الحياة قط . وفى تلك الدقيقة رفعت عين الحياة السجاف ونظرت إلى الوليد فوجدت عليه من المهابة والوقار ما جعلها أن تشير إليه اشارة السلام وأرخت السجاف حالا فتاه بها عقل الوليد وجمد من محاسنها وتمناها لولده وتاقت نفسه إلى تعجيل اجتماعه بها ولم يكن يعرف منها النفور والبغض وأمر فى الحال أن يذهب بها إلى قصر بنته طوران تخت وأن تبقى عندها فى قصرها بكل اكرام وتبجيل

وبعد ذلك سار الوليد بالشاه حارث وأخيه إلى دار الحكومة فاقاما بها عدة ساعات ترد اليهما الأعيان مسلمة ومرحبة ومن ثم عين لهما الوليد مكانا للاقامة فذهبا اليه وهما بغاية السرور لما لقيا من المجابرة والاكرام وكان يلوح لهما أن الوليد أقدر الملوك عند انتشاب الحرب وأكثر أعوانا وأجنادا وأصعبهم بأسا ومراسا . وبعد ذهابهما اجتمع الوليد بوزيره فقال له ان ولدى معذور لمحبته عين الحياة فهى بدون شك من أجمل بنات هذا العصر وأعقلهن . قال انى وافقتك على وحدانية جمالها وخصالها انما أظهر لك حقيقة الأمر الذى تبينته فيها انها لا تقبل مطلقا ان تكون زوجة لولدك ولا يخفاك أن طلابها الآن كثيرون وكلهم من أبناء الملوك العظام أصحاب الحسن والجمال والبسالة والاقدام ولم تقبل أحدا منهم إلا أفضلهم حسنا واحسانا وأشجعهم عند وقع المصائب واثارة القتال وهو فيروز شاه بن الملك ضاراب وعلى ما قيل لى وما هو مسموع أنه أجمل منها وجها وأعدل قدا وناهيك عن اقدامه وبسالته وكفى أن يقال أنه قتل طومار الزنجى وأباد جيشه وأرسل أسيرا إلى جزائر الزنوج فتخلص من أسره وسطا على هورنك فقتله وقتل كل عاص وتملك جزائر البحر وحده وقاد من خلفه جيشا من الزنوج عرمرما وهذا لا يصدق أن يكون من فارس واحد وفوق كل ذلك فانه قتل صفراء الساحرة واستولى على كل ما فى قصرها من الجواهر والتحف التى لا يمكن أن توجد عند أعظم ملوك هذا الزمان ولو لم تكن عين الحياة ذات عقل واصابة لكان يمكن أن تبدل فيروز شاه بالشاه صالح اجابة لطلب أبيها وجهلها عن مستقبل حياتها وما أعلمه حق العلم أنها عاشقة له مغرمة به ولهذا لا توافق على زواجها بغيره ما لم يقطع رجاؤها منه أى أنه إذا تزوج بغيرها أو إذا مات ولم يعد من وسيلة للوصول إليه والحصول عليه وإلا مادام يطلبها بجد ويفادى بنفسه لأجلها فلا تنكث له عهدا بل تبقى مصرة على حبه . ثم أخبر الوزير

الوليد بما كان منها حال وقوع نظرها على ولده وكيف أنها ضحكت منه عندما رأت قباحته وخفته وأظهرت على نفسها عدم الاعتناء به بل اعتبرته كسخرية جاء للتفرج عليه . فتكدر الوليد من هذا العمل وقال إن أباها ما بعثها إلى هذه البلاد إلا تحت هذه الغاية الوحيدة وهي زفافها على ولدي وهي الآن قد صارت في يدي فلا تفلت منها قط ولا بد لي من أن أقتل فيروزشاه وأقطع رجاءها منه وكما أشرت تعود فتنظر إلى ابني بعد ذلك بعين الرضى والقبول لعلمها أن لاخلاص لها وتعلم من نفسها أن لامندوحة لها عن الزواج به فضلا عن أني سأطلب إلى أبيها حال وصوله أن يزفها عليه فاذا أجاب أقت بالحال باحتفال الزفاف وأجبرتها بما أمكن من السرعة رضيت أولم ترض فقال الوزير لا أظن أن الشاه سرور يوافقك على زفاف بنته في الحال ووراءه مثل الملك ضاراب ويخاف اذا سمح بها تتركه ولا تعود الى المحاماة عنه ولا بد الملك ضاراب أن ينتقم منه ويقتله وأنه ليس من الصالح أن تزف في الحال على الشاه صالح خوفا عليه من أن توقع به وبنفسها حفظا لحب من أحبته ولا تزال تطلبه ومع كل ذلك فلا بد لنا أن نصبر الآن الى حين اتيان أبيها فنرى ما يكون من هذا الأمر فالذي يراه موافقا نتبعه لأنه أعلم بحال بنته ومسئول عنها كونه وليها ومدبر أمرها وأقام بعد ذلك الوليد بانتظار الشاه سرور وسنرجع الى شرح ما يكون منه في ما يأتي

لاريب في أن القارىء يرغب في أن يعرف ماذا جرى على فرخوزاد وخورشيدشاه لأننا بعثناهما أسيرين مكبلين من ١٢ أميرا مع أمراء اليمن وبهروز العيار بينهم كواحد منهم وقد أركنوا له ومالوا اليه كل الميل لأنهم وجدوه انه حريص جدا بالمحافظة عليهما وكان يحرسهما في دوره مع ستة من رفقائه وفي اليوم التالي يحرس غيره فينام هو مع رفقائه الستة وفي النهار يسيرون جميعا ولم يتمكن بهروز من خلاصهما في الطريق ولا ساعدته الظروف بل كان معاق كل الأمل بأنه يتسهل له السعي بخلاصهما حال وصولها الى الطائف حيث يمكن الأمراء جميعهم ان يناموا سوية كونهم يأمنون على الأسيرين بوضعهما في غرفة تقفل عليهما الأبواب ولا زالت على هذه الحال حالتهم حتى وصلوا إلى الطائف فبعثوا الخبر إلى وكيل المنذر وكان اسمه الأمير بدر يعلمونه بأنهم آتون بأسيرين من امراء الفرس وقد امروا من الشاه سرور ان ينتظروه في الطائف وبعثوا اليه ايضا بتحارير المنذر يطلب اليه فيها ان يحروا كل المحافظة والانتباه على الأسيرين ليثما يصل هو والشاه سرور لأنه كما سبق كان مع جيشه في معسكر اليمن يحارب مع اليمنيين في كل هذه الحرب وقد وكل بالمدينة هذا الأمير وخلف له نحو ألف من العساكر واوصاه بالاقامة دائما على الأسوار

وكانت أسوار الطائف منيعة جداً من عمل القدماء ذات مراكز طبيعية صخرية وهى عالية غاية العلو لا يقدر الراءى من أعلاها ان ينظر إلى الأرض دون أن تأخذ بعقله الصفراء ويقع فى قلبه الوهم والخوف . فلما وصل الخبر إلى الأمير بدر فتح أبواب المدينة وخرج لادخال أمراء اليمن وشاع الخبر فى البلد فتجمعوا ليروا الأسيرين المذكورين وعلموا أنهما لو لم يكونا ذا شأن لما حوفظ عليهما كل هذه المحافظة وبأقل من ساعة أدخل فرخزاد ورفيقه مكبلين بالحديد ومن حولهما حراسهما وقد جروا من خلفهم رجال المدينة بأجمعهم وقدعلت النساء السطوح وملئت الجدران للفرجة على الأسيرين وطلب الأمراء اليمنيون أن يطاف بهما المدينة قبل الذهاب إلى القصر للمحافظة عليهما فطافوا الأسواق والشوارع والناس تزدحم أفواجاأفواجاحتى كادت تتمزق أحشاء بهروز ولم يهن عليه هذا العمل إلا أنه لم يكن فى وسعه عناد الامراء رفاقه ومنعهم من أمر اتفقوا عليه كلهم لأن رغبته كانت التظاهر بماتتكدر به شعائر الأسيرين إظهاراً يبرهن للأمراء أنه صادق المحافظة صافى النية وبعد أن طيف بهما كل شوارع المدينة أخذا إلى غرفة كبيرة فى أسفل قصر المنذر بن النعمان صاحب الطائف وهناك رفعا عنهما بعض ما كان عليهما من أثقال الحديد وأتوهما بالأكل والماء وأقام فى نفس الغرفة كامل الأمراء وقد تاقت أنفسهم إلى الراحة وأملوا أن يقيموا أياما فى تلك المدينة فيصرفون وقتهم باللهو والطرب والنزهة وكانت الطائف مدينة كثيرة الرياض حسنة المناخ وهى عبارة عن جنة الأرض وفيها كثير من النخل ذات الثمر . ففى مساء ذلك اليوم اجتمع كل الأمراء إلى بعضهم وتحدثوا فى أمر الحراسة هل تكون كالعادة أو يقام فى كل ليلة خفير واحد فأجاب بهروز وقال إن البلد من أعمال اليمن وليس فيها عدو نخشاه فيسطوعلينا وينزع منا أسيرينا فضلاعن أنناقائمون عندهما لا نفارقهما فاذا طرأ شىء فالذى يخفريتنبه الباقين وإننا فىغرفة منيعة محاطة من كل جهة بالأبنية لا خوف من أن يصل الينا شر أو أذى فاستصوب الجميع رأيه وقال لقد أصبت فاننا نقيم فى كل ليلة حارسا واحدا يعهد اليه أمر المحافظة لأننا كلناتعبانون من شدة ما لقيناه فى سفرنا وقبل وصولنا وما منا إلامن تطلب نفسه الراحة بكلشوق واشتياق وأن هذه المدينة طيبة المناخ فليس من الضرورة أن نجور علىأنفسنا بها . ثم إنهم اعتمدوا على ذلك وأعهد إلىبهروز أمر المحافظة تلك الليلة فسرغاية السرور وقال فى نفسه هو ذا ما كنت أطلبه فمن الواجب السعى الآن فى إطلاق سبيل فرخوزاد وخورشيدشاه من عقالها وإلا إذا فاتتنى هذه الفرصة ووصل الشاه سرور ووزيره واجتمعت العساكر والعيارون وساروا من هذه المدينة يصعب على أمرخلاصهماغاية التصعب وصبر إلى أن يحل الليل وينام الأمراء ولكى يكون أمينا من نجاح مسعاه

عول على أن يشعل النور بالبنج فيثقل نوم الأمراء فتتم غايته على أحب مايروم وأقام ينتظر نصف الليل ليقدم على العمل :

قال وبالأمر المقدر أنه لما كان فرخوزاد وخورشيدشاه فى أسواق المدينة يطاف بهما من شارع إلى شارع قصد رجال الدرك أن يمرا بهما من قرب قصر الملك لتنظره حريمه ونساؤه وكان للمنذر بنت وحيدة ليس له سواها قد كملت حسنا وزادت بهاء ورونقا وفاقت بنات المدينة بجمالها وظرفها ولم تكن ترى من يضاهيها جمالا من الشبان الذين خطبوها من أبيها ولذلك لم توافق على واحد منهم وصبرت على أمل أن يخطبها من تطلبه نفسها وترغب فيه وكان أبوها قد سلم اليها أمر رضاها لأنها وحيدة له ولا يريد أن يجبرها على أمر تكرهه وكلما تقدمت قليلا فى السن يزاد حسنها ويلذ جسمها وتثقل نهودها حتى نضج ثمر جمالها وطاب قطفه لشهوة المشتهين ولذلك أخذت تحركها دواعى الصبوة إلى التقرب من زوج يوافق مشتهاها فكان ذلك كل همها وعملها حتى لم تعد تفكر بغير هذا المعنى ولما كانت هذه الحال حالتها أخبرها البعض من خدمها أن أباها آت إلى المدينة بعد أيام وأن الشاه سرور أرسل بفارسين من فرسان العجم اليها وقد طيف بهما فى الأسواق حتى وصلا إلى تحت قصرها وسألاها أن تطل من النافذة فتراهما وقالوا لها اعلمى يا سيدتنا بأنهما من كبراء الرجال وأولاد الملوك لما أعطاهما الله من الحسن والجمال والهيبة والكمال . فلما سمعت هذا الكلام حركتها دواعى الطبيعة إلى التفرج عليهما والنظر اليهما فدنت من النافذة وأرسلت نظرها الى الأسفل فوقع فى الأول على خورشيدشاه وكان على جانب عظيم من الحسن والبهاء فلم تعد تتمالك نفسها ووقع فى قلبها موقعا عظيما وتمكن حبه منها تمكنا عجيبا فعدمت صبرها ووعيها وفقدت عقلها وعولت على أن تصيح بالعسكر أن يتوقف عن المسير فلم يطاوعها لسانها لأخذ يتلعثم ولم يظهر غايتها وعزمت أن ترمى بنفسها من النافذة إلى الاسفل فخانها قواها وضعف عزائمها إذخارت من جرى ما لحق بها من شدة الحب المفرط التى وقع عليها غتة وللحال رمت بنفسها إلى الأرض ولم يكن إلا قهرمانتها وكان اسمها نعمى فدنت منها وأنهضتها على صدرها ولم تكن تعلم سببا لما أصابها فجعلت تطيب خاطرها واستفسرت منها عما لحق بها وما أصابها فتنهدت عند استماعها كلامها وأنشدت :

راح يثنى عطفه مرحا أى صب من هواه صحا
مفرد فى الحسن ليس له من شبيه فاق شمس ضحى
ينجلى فى ليـــل طرته منه مسك الخال قد نفحا
خده وردومقلتـــه نرجس تسقى النهى قدحا

مهجتى فى حبه تلفت　　واصطبارى فى الهوى نزحا
ما رأينا مثله قمرا　　بالبها يختال متشحا

فلما سمعت قهرمانتها منها هذا الانشاد اخذتها البهتة وارتبكت من امرها لانها لم تكن عرفت منها قبل ذلك شيئا مما ذكرت ولا تعلم انها أحبت أحدا ولا مالت الى أحد قط ثم عولت على أن توضح لها باجلى بيان عن معنى هذا الشعور التى تبديها وانها تحب من وتقصد من بقولها واذا بها قد وقفت ودنت من النافذة على أمل أن ترى خورشيدشاه مرة ثانية فلم تر احدا لان الخفراء ساروا به وبفرخوزاد وبعدوا بهما فلما لم تر احدا لطمت خدها وبكت وعولت ان ترمى بنفسها ثانيه من النافذه فعرفت القهرمانة منها ذلك فمنعتها ولامتها وابعدتها عن النافذه فجلست إلى الحائط وانشدت

سيدى مذ غبت عن نظرى　　لم أفق من خمرة الكدر
أحسب الصبح العشا أبدا　　فنهارى أول السحر
لم تمل روحى إلى وطن　　لا ولا قلبى إلى وطر
سل نجوم الأفق عن قلقى　　فعسى تنبيك عن خبرى
لا وعين منك راقدة　　لم تذق عينى سوى السهر
أيها البدر الذى حجبوا　　نوره الوضاح عن بصرى
لو ترى حالى بكيت على　　قلبى المسجون فى سقر
كدت أخفى من ضنا جسدى　　عن عيون الجن والبشر

فوقفت أمامها قهرمانتها وقالت لها بالله عليك يا سيدتى ان توضحى لى الاسباب الموجبة لعلمك هذا وقلقك ومن الذى تعنين بكلامك هذا لانى قبل الآن لم أكن أعهد فيك إلا النفور عن الطلاب والخطاب فهل من حادث جديد لم أعلمه فاظهرى لى أمرك واخبرينى بما فى صدرك واظهرى سرك ولا تخشين أمر فلما سمعت كلامها أذرفت دموعها وتذكرت تلك النظرة التى أعقبت هذه الحسرة فزاد تسعر قلبها وأنشدت أيضا

بهوى جد بقلبى　　طامعا فى لفتاتك
وفؤاد ضل فى حصـ　　ـر قليل من صفاتك
وبطرف لم يمتع　　نظرة من نظراتك
غافلا عن ذنبه إذ　　هو من بعض هباتك
يا غزالا خاطر القلـ　　ـب برؤيا خطواتك
آه ما أعجزنى عن　　حمل ماضى عزماتك

بالحمى ترتع والاسـ　دثوت فى عرصاتك
كيف يرجوك فؤاد　والحمى بعض حماتك
بابى حبات مسك　نقلت فى وجناتك
بل سويداء قلوب　أحرقت فى جمراتك
أترى يادهر هل فى　لحظة من لحظاتك
يغفل الواشون كى　أحسبها من حسناتك

فلما شوق القهرمانة إلى معرفة الحقيقة وخافت أن تكون مولاتها قد علقت بحب فتى وأن يكون لها بذلك علم ودخل فتحركت إلى معرفة الحقيقة وفى نيتها أنها تكسب رضاها فقبلت يدها وقالت لها بالله عليك يا سيدتى أن لا تكتمى عنى أمرا فانى محروقة من أجل عملك هذا وأكدى انى لا أكره مافيه خيرك وصالحك وانى أساعدك عليه بما فوق قوتى ان امكن . فقالت لها ويلك يا نعمى ان الذى أحببته والذى أقصده فى كلامى لم أكن قد رأيته قبل الآن ولا سمعت بذكره ولا أظن ان الله يخلق مثيلا له فهو إله المحاسن وسيدها وملك اللطف وأميره جل جماله عن ان يماثل بجمال أو قوامه يقاس بقوام ومانظرته والله إلا نظرة واحدة ففعلت فى فؤادى مالا أطيق له حملا وماذلك إلا من وحدانية ظرفه ولطفه فقد صدق من قال فيه :

غلام كما سال فى خده　عذار تنمنم فى ورده
بفيه المعطر ماء الحيا　ة وماء الحياء على خده
به برد جامد كم أذا　ب قلبا يتوق إلى ورده
وانى لارشفه بالضمير　ر فحر فؤادى من برده
لقد أقلق القلب هجرانه　فأصبح احير من بنده
وأنحل جسمى اعراضه　فجسمى أوهن من عهده
جفانى من غير ذنب جنيـ　ت مولى يجور على عبده
فيا ويح قلبى من حبه　ويا ويح نفسى من صده

نعم هو فوق ماذكرت فمن يا ترى يساعدنى على حبه ومن يا ترى يوصلنى اليه ويجمعنى به فهو والله :

ريم حياتى فى يديه　ومنيتى فى مقلتيه
توريد دمعى كل يو　م من تورد وجنتيه
واحر قلبى من قلو　ب اصبحت أسرى لديه
أبدا يغار عليه من　عينى إذا نظرت اليه

من لى بقلب غير قلـ ـبى استعين به عليه

ولا تعجبي من كثرة شوقى اليه ووصفى له فلو نظرته لعذرتنى وقلت بالحقيقة انه أهل لأن يقال انه أفضل حبيب يحب فما هو إلا فارس المحاسن وكنت أسمع ان جماعة الفرس يتنوع الجمال وقد خصهم الله به منة عليهم وطالما تاقت نفسى إلى أن أرى واحدا منهم وسألت الله كثيرا ان يسهل لى ما أتمناه فأجاب سؤالى وبعث إلى بأحسنهم وأرفعهم واقتاهم وارقهم فانظرى يا نعمى فى أمرى ولا تتركينى وساعدينى يساعدك الله . فقالت لها لعلك علقت بأحد هذين الاسيرين اللذين بعثهما الشاه سرور وأبوك إلى هذه المدينة قالت نعم علقت بالطفهما بهاء وأعدلها قامة وأسناهما إشراقا فيا ليت اليد التى مدت اليه قطعت فلا كان من يطلب له أذى ويتمنى له شرا فلا بد من الافراج عنه فدبرى ولا تتهاملى قالت ان طلبك هذا صعب النوال لا يمكن الحصول عليه قط لأن مع الاسيرين ١٣ أميرا يقيمون بالليل والنهار على المحافظة عليهما ولا بد فى الغد أو ما بعده أن أبوك والشاه سرور وعساكر اليمن برمتها فيدخلون هذه المدينة فيطلبانهما ويأخذانهما معهما فماذا يا ترى يكون من أمرك إذا علم أبوك بذلك وانك أحببت أعداء المملكة وهل يمكن أن تصلى اليه بدون أن يطلق من أسره ويحل عقاله وترجع اليه حريته . قالت انى لا أخاف من أبى ولا من أحد فى جنب نوال مرادى فانى أرغب فى أن أكون زوجة لهذا الفارسى وأنال وصاله ولو ساعة ومن ثم لا أعود أقدر مصائب وأهوال هذا الكون وان مت فموتى لا يحسب بشيء بالنسبة لهذا الحظ السعيد وقد سدت على طرق التدبير فان عقلى لم يعد يرى إلا حبيب قلبى ومتمناه وقد عدتنى بالمساعدة فساعدينى ولا تضيعى العراقيل فى سبيل حصولى على بدرى وأكدى أنك اذا امتنعت عن النظر فى تدبير ذلك انتقمت منك بالموت واتبعت نفسى فيك فالآن الحياة بلا من أحب لا تطيعنى ولا ترغب فى ان تبقى عندى ولا ريب بأنها تفارقنى وإذا ساعدتنى وحصلت على هذه السعادة التى أذكرها لك فانى أبيت مديونة لك كل حياتى لا أمنع عنك شيئا ولا أفضل أحدا عليك بل تكونى مدبرة حياتى . إذا ساعدتنى التقادير وكان حبيبى هذا من العائلة الفارسية المالكة وأطلق سراحه ورجع إلى أهله كان لك عنده أكبر مقام وأرفع منزلة .

فلما سمعت القهرمانة منها هذا الكلام أطرقت إلى الأرض ونظرت فيها نظر المتحير وأحدقت الفكرة فى إيجاد طريقة تسهل فيها طلب مولاتها وصرفت على ذلك نحوا من نصف ساعة وتاج الملوك تائهة فى بحران العشق وفيافى الغرام تنظر الجواب من القهرمانة وكان قلبها معلق كل التعلق بجوابها لعلمها أنها ذات بصيرة وخبرة وانه

لا يصعب عليها تدبير أمر من الأمور الصعبة وبعد مضى نصف ساعة رفعت القهرمانة رأسها وقالت لتاج الملوك هل لا تزالين مصرة على هذا الطلب وهل لا ترجعين عن عزمك لانك باصرارك هذا تجبرين على ان تخاطرى بحياتك وحياتى أيضا ونلتزم بأن نلقى بأنفسنا إلى حفر الهلاك فاما ان نفوز واما ان نهلك ويفتضح أمرنا . قالت انى أعرف حق المعرفة انى احتاج إلى أن أسلك طرق المهالك وأرمى بنفسى فى أعظم الصعوبات إنما لاخفاك ان القلب الضعيف لا يحصل على الظريف وقد قيل فى لسان الحكماء من لا يخاطر لا يطيب له خاطر فاظهرى لى ما لاح فى ضميرك فى هذا المعنى وعلينا ان نسعى وعلى الله ان يدبر ويتمم أمر مسعانا قالت قد لاح لى أولا ان تدخلى هذه الليلة بعد نصف الليل إلى الغرفة التى فيها الاسيران والأمراء ولا بد ان يكون الجميع إذ ذاك نيام وهناك اما نقتل الأمراء ونخلص الاسيرين ونقفل الغرفة من داخل ونخرج من هذا القصر ونبعد عن المدينة واما ينتبهون الينا ويفتضح أمرنا وننظر منهم فيعلمون بذلك أباك والشاه سرور ويكون من أمرنا ما لا نعلمه وغير هذه الطريقة لا أجد قط . قالت نعم هى طريقة مصيبة ولا بد لنا فى المساء من زيارة تلك الغرفة وخلاص حبيبى ورفيقه وبعد ذلك نستشيرهما فيما يفعلان فاستحضرى إذا على خنجرين لقضاء الغرض يكون واحد بيدك وواحد بيدى وانى أرى وجه الفوز ظاهرا لى عيانا وسوف تتذكرين ما قلته لك وأقوله الآن . وبعد ان اعتمدوا على ما تقدم أقامتا تنتظران حلول الليل ودنو الوقت المطلوب .

وأما فرخوزاد وخورشيد شاه فانهما بعد أن أقاما فى تلك الغرفة التى أعدت للمحافظة عليهما أصبحا ينتظران الفرج القريب على يد بهروز وقد قالا له سراويلك لقد طال علينا المطال ونخاف من أن يدركنا الشاه سرور وطيفور فيصعب علينا بعد ذلك الخلاص وبما أطلعنا على أمرك فيقرنانك الينا وتكون المصيبة الأخيرة أشر من الأولى . قال انى اعلم ذلك جيدا وقد دبرت فى نفسى طرق الخلاص وفى هذه الليلة ان شاء الله أحل عقالكما وأذهب بكما من هذه المدينة بعد أن أقتل كل الأمراء الذين معنا وكان مساء ذلك الليل مظلماً جدا بما يساعد بهروز على نوال مراده . ولما قرب نصف الليل واعتمد الأمراء على ان يناموا أخذ بهروز قطعة من البنج ودنا من النور فأشعله بها وتركها فى زاوية الغرفة وخرج إلى الخارج مظهرا ان نيته قضاء حاجة وصبر إلى ان عرف أكيدا أنها فعلت فيهم وأنها احترقت إلى آخرها عاد فدخل ونظر اليهم فوجدهم قد صافحوا الارض وهم كالأموات من عظم ما لحق بهم من فعل البنج لانهم استنشقوا منه رائحة زكية فمالوا بقاوبهم وأفكارهم اليها وقد حمدوا فعل بهروز وقالوا لاريب انه استحضرها من بلاده لان فى بلادنا لا يوجد مثل هذه

الرائحة الزكية ثم ضعفت أبصارهم وأخذت قوة انتباههم تنقص شيئاً فشيئاً فظنوا أن ذلك من فعل النعاس لانهم صرفوا سهرة طويلة ثم أخذوا يقعون إلى الأرض واحدا بعد واحد وهم يجهلون السبب حتى غابوا جميعهم عن الوجود فلما رآهم بهروز على تلك الحالة أسرع إلى باب الغرفة فقفله من داخل وقفل سائر النوافذ واستل من وسطه خنجره ودنا من الأول فذبحه وذبح الثانى أيضاً وعول ان يذبح الثالث ويفعل بالباقين مثله وإذا به سمع صوت مشى على ظهر سطح الغرفة ثم رأى قافعة فتحت من السقف وحبل دلى منها على شكل سلم فأسرع إلى إحدى الزوايا فاختفى فيها وكانت الغرفة كبيرة جدا لا يظهر فيها النور جليا وصبر إلى ان يعلم الحقيقة وقد أخذته الدهشة وحسب لذلك الف حساب وعول ان يوقع بالقادمين أيا كانوا فلا يتأخر عن إتمام أعماله وتعجب غاية العجب عند ماشاهد انه قد سقط من تلك القافعة على ذلك الحبل فتاة بديعة المحاسن تحمل بيدها خنجرا ثم نظر من خلفها فتاة أخرى تزيدها عمرا وهى بنحو الثلاثين من السنين وبيد الثانية أيضا سكين مشهرة ففكر انه ربما كان قصدهما الايقاع بفرخزاد ورفيقه فهيأ نفسه إلى مفاجئتهما وصبر ينتظر النهاية

وكانت تلك الفتاة تاج الملوك وقهرمانتها وكما تقدم معنا الكلام انهما صبرتا تنتظران الليل لاتمام ما اتفقتا عليه وكانت القهرمانة تعرف منزلا لتلك الغرفة يوصلها إلى الأسفل فجدلت لها حبلا رتبته على ترتيب السلالم وبعد نصف الليل سارت مع سيدتها وهى تحمل ذاك السلم إلى أن دخلت غرفة تعلو تلك الغرفة ودنت من تلك القافعة ففتحتها شيئا فشيئا فنظرت إلى ضعف النور وإلى الأمراء وهم ملقون إلى الأرض فقالت لسيدتها هو ذا القوم نيام فلنطلب من الله المساعدة وننزل إلى الأسفل ومهما شاء ربك فعل فقالت افعلى ما بدالك وللوقت ربطت فى الأعلى طرف الحبل ودلته إلى الأسفل . ثم نزلت تاج الملوك ومن خلفها القهرمانه حتى انتهتا إلى الأرض واستقرتا عليها ونظرتا إلى النيام فوجدتا اثنين منهم قد ذبحا جديدا والدم يتدفق من أوداجهما وقد فصلت رؤوسهما عن جسديهما والروح لاتزال تخبط فيهما فجمدتا وارتبكتا فى أمرهما وقالت تاج الملوك ماهذه الحالة ومن ياترى قتل هذين الاميرين ولم يعد فى امكانهما ان تجريا أمرا لأن تاج الملوك وان كانت من قوة القلب والبسالة على جانب عظيم وقد هون عليها عشقها ركوب هذه الأخطار والنزول إلى ذبح ١٣ أميرا فى وسع كل منهم ان يدفع عن نفسه منها فلا يمكنها من الوصول اليه إذا كان مستيقظا إلا ان ضعف القلب البديهى فى جنس النساء عن تأثرهن لدى مشاهدتهن مثل هكذا مشهد مريع أضعفها ورفيقتها وخافتا من ان يكون أحد يرقبهما لأن ما فعل تلك الافعال إلا من قادته الحوادث ارتكابها رغماً وانه فعل

ذلك فى الحين ثم نظرت تاج الملوك إلى الأسيرين فوجدتهما قد توسدا الأرض وهما يصفحان نوراوبهاء فكادت تصرخ من انشاغفها وقالت لقهرمانتها انظرى يا قهرمانتى ألا يحق لى أن أفادى بنفسى لأجل حبيبى هذا الذى علقت به من نظرة واحدة فقالت دعى عنك يا سيدتى قولك الآن وتجلدى فاننا ماجئنا إلا لقضاء غرض مهم فلاح لبهروز بعض الحقيقة وقال لا ريب فى أنهما قد جاءنا لخلاص فرخو زاد وخورشيد شاه ويظهر أنهما فى حالة غرام ولذلك دنا منهما بتأن شيئا فشيئا إلى أن نظرتاه فارتاعتا منه وخفقت قلوبهما وخارت قواهما وارتخت أعصابهما وكادتا تقعان إلى الأرض لولم يبادر إلى تطمينهما بصوت بشوش رطب وقال لهما لا تخافا ولا ترتاعا فانى مساعد لكما معين لمقصدكما فاظهرا لى الغاية التى جئتما لأجلها . فما أجابتاه بشىء بل بقيتا واقفتين كالأصنام لا تبديان حراكا ولا تفوهان بكلام . فقال لهما قلت لكما لا خوف عليكما من شىء وإلا فانى لا أتركـكما تذهبان من هنا قبل أن أعرف مقصدكما وأزيدكما ايضاحا بان أعرفكما بنفسى فانا بهروز العيار عيار فيروز شاه بن الملك ضاراب وقد أخذت على نفسى العهدة بأن أخلص سيدى فرخو زاد بن فارس بلادنا فيلزوور رفيقه أيضا وهو خورشيد شاه بن عمة الملك ضاراب الذى أشرتما إليه ولذلك كنت كواحد من هؤلاء الأمراء وهم بأجمعهم يظنوننى بعثت من قبل الشاه سرور للمحافظة معهما ولم تسمح لى الفرص أن أفى بتعهدى إلا هذه الليلة وقد بدئت بالعمل وقتلت اثنين من الأمراء وهممت بقتل الباقين وإذابكما قد فتحتما النافذة فاختبئت منكما حتى عرفتما بالحال وشاهدتما المقتولين ولذلك لم يعد فى وسعى أن أبقيكما خوفا من ظهور أمرى فاطلعانى بالعجل على سركما ولا تـكذبان على بشىء

قال فلما سمعت تاج الملوك ما سمعته من بهروز كادت تطير من الفرح وأعظم فرحها أن من أحبته ومالت إليه هو من أكابر عائلة الملك ضاراب . ولذلك لم يعد فى وسعها أن تخفى عنه أمرها وتأكد لديها أن الصدف تخدمها وأن التوفيق مصحبها فقالت له انى أطلعك على واقعة الحال ولا ريب فى أنك تصدقنى وذلك انى بنت المنذر وقد سمعت أن الخفر يدور بأسيرين من أسراء الفرس مرسلين إلى مدينتنا فنظرت من النافذة بينما كانا تحت قصرى فوقعت عينى على هذا البدر الذى دعوته خورشيد شاه فالت اليه نفسى وتعشقته بالرغم عن إرادتى ولم يعد لى من صبر قط عنه فدعوت قهرمانتى وأطلعتها على حالتى وشكوتها عشقى وسألتها تدبير واسطة لخلاصه فلم نرى إلا أن ننزل من هذه القافعة بينما يكون الأمراء نيام فنذبحهم ونخلص الأسيرين ونرجع إلى القصر ومن ثم نخرج من المدينة بعد أن نأخذ ما نحتاج إليه

ونبعد عن هذه الديار ونترك أميرينا بعدئذ إلى تدبيرهما . ولما صرنا داخل هذه الغرفة أخذتنا الحيرة لدى مشاهدتنا هذين الأميرين مذبوحين ولم ترقظ أحدا مستيقظا والآن قد عرفنا حق المعرفة أنك بهروز العيار وما سخرك الله إلا لقضاء مصلحتى واتمام مرغوبي . قال انى أعلم جيداً أنك بنت المنذر انما لا أرى شاهدا يدلنى على صدق حبك لخورشيد شاه وأنك لا تخونين عملنا . فقالت كيف لا ترى شاهدا وأكبر شاهد هو نزولى إلى هذا المكان ومخاطرتى بنفسى بين قوم لا أعرفهم وماذلك إلا من عظيم حبي وعشقي له . قال ان كنت كما تزعمين أنك جئت لأجل ذبح هؤلاء الأمراء فاقدمى اذن على هذا العمل أمامى واذبحى الباقين فانهم مبنجون لاخوف من استيقاظهم وانتباههم وبذلك يثبت عندى أنك أتيت لهذه الغاية فتممتها وذبحت بيدك أعداءنا قالت على عينيك يابهروز انما أيقظ لى محبوبي ليرى بعينيه ما أفعل له بأعداه فدنا من خورشيد شاه وفرخو زاد وأيقظهما فاستيقظا وقالا بدهشة أين الخلاص يا بهروز قال قد وقع ثم نظرا إلى تاج الملوك وجاريتها فاندهشا من جمالها المفرط ووجودها فى ذلك المكان ولا سيما خورشيد شاه فانه مال اليها وأحبها كما أحبته وقال لبهروز من هذه ومن أين أتت . قال سوف تعلم انما انظر الآن ما يكون من أمرها . ثم تقدمت تاج الملوك من الأمراء وأخذت خنجرها بيدها وقد اشتدت قواها وفرحت غاية الفرح وسرت مزيد السرور لأن حبيبها يشاهد عملها ويعلم أن ذلك لأجله وابتدأت تنحر الأمراء وكلما قربت من واحد فصلت رأسه عن بدنه حتى ذبحت الجميع وقد تلوثت بالدم من رأسها إلى قدمها وفى الحال دنا بهروز من فرخوزاد وخورشيد شاه فقطع وثاقهما وقيودهما وقال لهما هذه تاج الملوك بنت المنذر قد جاءت لخلاصكما فتقدما منها وسلما عليها وشكراها على معروفها معهما فما صدقت أن سمعت كلامهما وعولت أن تبيح بغرامها لخورشيد شاه وتشكوا له ما لحق بها من حبه حالما نظرته وهو مأسور غير أن السرور الذى طفح على قلبها حال دون ذلك فلم تقدر أن تجيب بكلمة بل تساقط من عينيها دمعة رقيقة برهنت عما دعاها إلى هذه المخاطرة

وفى الحال قالت القهرمانة وقد قصدت تقصير ذلك المشهد تخفيفا على مولاتها من المصائب هلموا بنا إلى قصر مولاتى حيث هناك يمكننا أن نتفق على رأى فيه النجاح فان الوقت قصير والأمر خطير وعدونا كبير وفى الحال أخذت تاج الملوك من يدها وصعدت بها السلم وصعد من خلفها خورشيد شاه وفرخوزاد وبهروز ولما صاروا على ظهر الغرفة أقفلوا القاعة وساروا إلى دهليز طويل انتهوا منه الى دار وسيعة وهى دار القصر ثم صعدوا أيضا بسلم آخر مؤد الى أعلى طابق فى القصر وهو

مقام تاج الملوك فدخلوا مقصورتها وجلسوا فى مراتب معدة للجلوس ولما استقر بهم المقام قالت تاج الملوك لخررشيد شاه لاتعجب منى ومن عملى ولا تستخف بى إذا ذكرت لك حبى وما لحق قلبى من جرى نظرى إليك النظرة الأولى على أنى كنت قبل أن أراك لا تميل نفسى قط إلى الزواج ولا أرغب فى أن أملكها لأحد وطالما رددت خطابا وطلابا وقد أجهد أبى نفسه دون حصوله على جدوى ولم يقدر أن يقنعنى بقبول من كان يرغب أن يزوجهم بى وكان أمرى بيدى لأنى وحيدة له ولما رأتك عينى ولم أكن أظن أنك تفتك بقلبى هـذا الفتك بل قصدت أن أتفرج على رجال العجم . غير أن الله قادك إلى لسعادتى وحاولت أن أخفى عن قهرمانتى حالتى حتى فلم أقدر ولم أكن أعهد أن العشق يصل بالانسان إلى هذه الدرجة وبعد ذلك اتفقت مع قهرمانتى أن تسعى بخلاصكما ونخرج من المدينة فجعلنى غرامى أن ألقى بنفسى فى نصف الليل إلى أعماق هذا القصر بين جماعة غرباء الديار ولتأكدى أنى لا أنال مرادا إلا باعدامهم فبتدبير العناية قد وصلت إليكما وكان بهروز العيار قد سهل لى طرق مساعى والحمد لله فكل شىء موفق ولم يعد يهمنى إلا شىء واحد وهو أن تقبلنى خادمة لك أمينة على حبك وأن لا تبعدنى عنك مادمت حية وها أنا بين يديك أسيرة مطروحة على أقدامك لا أريد منك إلا كلمة واحدة تنذر اما بموتى واما بحياتى ولا تحسب ذلك منى وقاحة فانى أتكلم عن صفاء نية إجابة لتطلبك قلبى الذى لم يعد فى طاقتى أن أدفع عنه ثقل هـذه الضربة إلا بموافقتك والتفاتك ورضاك . ثم رمت بنفسها على أقدامه تقبلها فتحركت منه عواطفه لنحوها وقد تقدم أن حالما رآها تحركت فيه شعائر حبية لأنها كانت بديعة بمحاسنها يندر وجود مثلها بين بنات عصرها ولذلك دنا منها ورفعها وقال لها طيبى قلبا فانى مجيبك إلى سؤالك ولك فى قلبى فوق ما فى قلبك وقد مالت نفسى إلى حبك كل الميل ولابد لى من اتخاذك زوجة عندما يجمعنى الله بقومى ويروق بالى ويتزوج فيروز شاه بعين الحياة لأن لا أحد منا يرغب فى أن يجرى زفافه على فتاة قبل أن نرى فيروز شاه زوجا لعين الحياة فهو فخرنا وتاجنا وسيدنا وقد وقفنا أرواحنا فى سبيل خدمته وقضاء مصلحته . فما صدقت تاج الملوك أن سمعت هذا الكلام حتى وقع على قلبها أشهى من وقوع العافية على بدن العليل ولم تعد تعرف لكثرة فرحها بماذا تجيبه أو بماذا تكافئه على قبولها فبقيت صامتة إلى أن قال لها وإننا لا ننسى معروفك معنا وجميلك إلينا وقد خاطرت بحياتك من أجلنا ورميت بنفسك طمعا بخلاصنا إلى وهدة الفضيحة وركوب الشنار ولو عرف الأمراء بخبرك لأطلعوا عليه الشاه سرور والمذكور لابد أن يخبر أباك على إهانتك واحتقارك عندما يعلم أنك سعيت إلى خلاص أسيريه .

فأجابت أنى لم أفعل إلا ماهو متوجب على وماسعيت إلا بصالح نفسى لأنى تأكدت أن كنت أحصل عليك أكون قد حصلت على كل السعادة ونلت درجات الراحة والمجد التى لم تنلها قط بنت من بنات عصرى . وإذ ذاك قال فرخوزاد أننا لا نضيع لك معروفا ولا بد من قرانك بخورشيد شاه لانه حتى الساعة لم تعلق نفسه بحب فتاة وقد صادفك ولا أظن أنه يهتدى إلى من هى أحسن منك غير أنه يجب أن ننظر فى الأمر ونرى فى تدبير أنفسنا قبل فوات الفرصة وضياع الوقت ونحن الآن لانزال فى خطر محدق بنا وحتى الساعة لا نملك سلاحا ولا يمكن فى الصباح أو ما بعده أن تأتى عساكر اليمن وليس فى طاقتنا أن ندافع مثل هذا الجيش دون أن يكون لنا من حصون هذه المدينة حامية يدافع عنا وعنها . قالت وأى تدبير أوفق من المسير إلى بلاد اليمن والاجتماع بقومك فهيا بنا نسير فى هذا الليل نفتح أبواب المدينة بالرغم عن حراسها ونخرج قبل وصول الصباح ونسير على غير الطريق المستقيم . قال فرخوزاد ليس ذلك من الصواب فانى لا أوافق على الخروج من المدينة وجل ما أرغبه أن أتملك المدينة وأتسلط على أسوارها وأدافع فيها عند قدوم الشاه سرور لبينما يدركنا الملك ضاراب لأنى أعلم أن الشاه سرور إذا فر من وجه الملك ضاراب إلى مصر لابد له من أن يتأثره بعد أن يجمع شتاته فلا يتركه دون أن ينتقم منه ويجبره على أن يزف بنته على ابنه . قالت أخاف أن يكون فى ذلك صعوبة كلية لان أبى قد أقام على المدينة قبل ذهابه منها حاكما يقال له الأمير بدر وقد ترك معه ألفا من الحامية تحمى المدينة وتحافظ على أسوارها . فقال هل لايوجد أكثر من ألف فارس فى المدينة قالت كلا لا يوجد أكثر من ألف نفر مع الأمير بدر . قال ان ذلك هين فان كلا منا يقدر على أن يلاقى ألف وألفى فارس فأطلب اليك أن ترسلى فى الصباح إلى الأمير بدر أن يأتى لمواجهتك فنعرض عليه الطاعة فان اجاب وسلمنا المدينة أبقينا عليه وإلا قتلناه واستلمناه فى عاجل الحال . فاجابته الى ذلك

وبينما كان الحديث متبادل بينهما كانت القهرمانة قد هيأت صفرة الطعام ورتبت ورتبت مائدة الشراب واحضرت كل ما يحتاجون اليه فدعتهم إلى مباشرة ذلك فنهضوا اليه جميعا فجلسوا يأكلون من تلك المآكل الفاخرة وكان فرخوزاد ورفيقه من مضى ايام كثيرة لم يلتذ بأكل ولا شرب فأكلا بشوق زائد وبعد فراغهما قاما مع تاج الملوك الى معاطاة الشراب وهم فى غاية ما يكون من الامان والاطمئنان ينتظران الصباح وبعد ان جلسا اخذت تاج الملوك فى ان تعاطيهما من تلك الخمرة المعتقة وتناشد خورشيد شاه الاشعار وهو تائه ببحر من الغرام قادته اليه وقائع الصدف وكلما نظر الى وجهها يشتد به وجده ويتزايد حبه وينمو غرامه ويتمنى ان يبقى على

تلك الحالة طول حياته لو أمكنه لأن لاشيء ألذ على العاشق الولهان من استماع الفاظ من أحبه وشكواه له بأنه مثله هائم وأنه يتمنى ما يتمناه ولا أحب على قلبه من أن يرى محبوبه ساع إلا التقرب منه والاجتماع به يسهل الطرق ويزيل المصاعب وكانت تاج الملوك مثله ترى مايراه وقد يسرها كلما رأته محدقا بها متشوقا اليها ملتذا بحديثها مسرورا برؤيتها . وبعد أن صرفا نحو ساعتين تقريباً على تلك الحال لعب بهم النعاس وكان لم يبق للصباح إلا نحو ساعتين أيضا فناموا وأقامت القهرمانة كحارسة عليهم وقد رفعت ماعلى الموائد وانتظرت ذهاب الليل إلى أن رحل وجاء نور صباح اليوم الثاني فاستيقظتهم من نومهم وأعلنت لهم وصول النهار فهبوا وهم نشاوى من خمرة الليل فغسلوا وجوههم وجلسوا ريثما استراحوا ثم طلبوا أن تهيء لهما القهرمانة سلاحا وجوادين وتحفظهما عندها ففعلت وطلبا من تاج الملوك ان تستدعي الأمير بدر ليعلما مايكون من أمره فأجابت إلى ذلك وأرسلت أحد خدمها أن يدعوه اليها ولم يكن إلا القليل حتى حضر فشاهد عندها الاسيرين وأخذته الدهشة ولعب به العجب إلا أنه صبر ليعلم ما يكون من أمر تاج الملوك ويعرف بأي طريقة تخلصا فسلم عليها وسألها عما تريد فقال له فرخزاد اعلم يابدر اني أنافرخوزاد بن فيلزور البهلوان أعظم رجل في بلاد فارس بعد الملك ضاراب ورفيق فيروز شاه وأعز الناس عنده وهذا خورشيد شاه بن عم الملك ضاراب وسيد قوم وقائد جيش والذي تراه أمامك أيضا هو بهروز العيار الذي سعى في خلاصنا وان قلت كيف سعى أخبرك أنه من حين خروجنا من اليمن اختلط بين الأمراء كواحد منهم وأقام معهم على حراستنا ولم يعرفه أحد منهم إلى أن وصل إلى هذه الديار وخلا له الجو فذبح الأمراء عن آخرهم وخلصنا من ذلك الأسر وها أننا قد ملكنا سلاحنا وعادت الينا الحرية ولما أتينا إلى هذه السيدة الكريمة قبلتنا بكل رغبة وطاوعتنا إلى طلبنا ولذلك دعوناك إلى أن نعرض عليك أمرا فيه الخير لك وهو أن تقيم على طاعتنا وتنزل العلم اليمني عن أسوار المدينة وترفع العلم الفارسي فتنال منا الخير والهناء وإلا فاننا نحن وحدنا قادرون على استلام المدينة بالرغم عن كل ممانع ومدافع ولا يغرك ما عندك من الجيش القليل فاننا بساعات قليلة نبيده واعلم أن الشاه سرور ما قدر على أسرنا إلا أن أمكن لنا ونحن على غير انتباه مائة الف فارس وكان في وسعنا أن نلقاهم أياما لو لم يقتل جوادنا فانظر الآن في نفسك وأجب إلى ما نسألك فيه وإلا فاخلع نفسك فنقيم غيرك مكانك ولا تطمعك نفسك باتيان الشاه سرور وسيدك المنذر والجيش اليمني فانهم سيأتون هذه الديار فارين من وجه الملك ضاراب وأحوالهم غير منتظمة ولا بد أن يكون في أثرهم الملك ضاراب فاذا وصلوا إلى هذه المدينة ووجدوها قد خالفت

عليهم يسيرون فى طريقهم ولا يلتفتون اليها خوفا من أن تدركهم عساكر الفرس . فلما سمع الأمير بدر هذا الكلام أطرق برهة إلى الأرض ثم قال الى فرخوزاد إنى أجيبك إلى ما تطلبه وها أنا ذاهب لآتينك بمفاتيح البلد وأحضر اليك أيضا العلم اليمنى تحرقه بالنار وتفعل بعد ذلك مايخطر لك فكانا تحت أمرك . فشكره فرخوزاد وخرج من القصر وبعد خروجه قالت تاج الملوك اعلموا أن الأمير بدر موصوف بالمكر والغدر فلا بد أن يذهب ويأتى بالعسكر وفى نيته أن يقبض عليكما ويردكما إلى الأسر وهو محب لأبى ويطمع نفسه فى فلايهون عليه أن يرانى قريبة من خورشيدشاه فيجب أن تكونوا على استعداد لنرى بعد قليل مايكون من أمره . فقال بهروز انى سأذهب إلى خارج القصر أنتظر قدومه فاذا فعل كما أشار وشاهدته آت بمفاتيح المدينة والقلاع تركته يدخل وإذا شاهدته قد عاد ومعه عسكر دخلت عليكما ونبهتكما تخرجان اليه قبل أن يقرب القصر ويمسك بابه قالوا أحسنت يا بهروز ونظرت موضع النظر فأقام بهروز عند الباب وصبر نحو ساعة من الزمان وإذا بالأمير بدر قد عاد ومن خلفه العساكر والأبطال لأنه لما مضى من عند فرخوزاد كان قلبه مملوءا من الحنق والغيظ وماوعد بالطاعة إلا وفى نيته أن يجمع العساكر ويرجع اليهما فيعيدهما إلى السجن ويمسك تاج الملوك عنده إلى أن يأتى أبوها فجمع أعيان المدينة وأطلعهم على الواقع فمنهم من وافقه ومنهم من أشار عليه بقبول طلب فرخوزاد وقالوا له إن البلاد الآن خرجت من يد الشاه سرور ولا بد للملك ضاراب أن يأتى هذه البلاد فنكون فى نعمة عظيمة فلم يطعهم بل ذهب إلى القلاع وأخذ من فيها من الرجال وأمرهم أن يستعدوا للقتال وسار بهم على عجل وفى نيته أن يقفل باب القصر ويبقى الجميع داخله ويحاطه بالعسكر إلى حين مجىء المنذر والشاه سرور وطيفور فيرون عيانا ما كان من خيانة تاج الملوك ويفعلون بعد ذلك ما يرومون فى الأسيرين وقبل أن يصل من القصر شاهده عن بعد بهروز فأسرع وأخبر فرخوزاد وخورشيدشاه فنهضا كالأسدين وقد طلب خورشيدشاه إلى تاج الملوك أن تقف فى نافذة القصر وتنظر إلى قتاله وقد تصدع قلبه لما رآها تذرف الدمع من عينيها وطمنها وطيب خاطرها وقال لها لاتخافى فسوف تشاهدين بعينيك صدق ماأقوله لك فليس فى مدينة أبيك من يقدر أن يلقانا فى حرب وقتال وكفانا فخرا أن يقال أننا من رجال فارس وأننا ننتسب إلى فيروزشاه عروس الميدان وسيد فرسان هذا الزمان . ثم انحدرا إلى الخارج فوجدا الأمير بدر قد وصل إلى قرب القصر ومن خلفه العساكر والأبطال وقد قوموا الرماح واندفقوا من كل ناح وفى الحال صاح خورشيدشاه وحمل وهو كالليث الكاسر وكذلك فرخوزاد أطلق لجواده العنان وخاض ذاك البحر المتلاطم

بامواج الفرسان . فأبلاهم بالذل والهوان . وأنزل عليهم سهام البلايا . وقدمهم لافرند سيفه ضحايا . ومال فيهم ذات اليمين وذات الشمال . ميلان أسود الدحال . وأما خورشيدشاه فانه نظر الى تاج الملوك وهى فى نافذة القصر مصفرة الوجه باكية العين فاشتدت قواه وطلب أن ينقلها من تلك الحالة إلى حالة فرح ومسرة ويغير عنها حزنها عليه بسرورها منه فجود الطعن فى صدور الرجال . وأكثر الضرب فى رؤوس الأبطال . وكان كأنه الباشق وهم من أمامه كالحجال . فما حمل على فيئة إلا ومالت بين يديه . وقصدت الاخفاء عن عينيه . ولازال القتال يعمل . والدماء تبذل . والرجال تقتل . وسلطان الموت يفعل . حتى قل عدد الأعداء . واغتالتهم المنية . وحكم فيهم حاكم البلاء فأنفذ فيهم نافذات الرذية . فتأخروا الى الوراء طمعا بالخلاص . ورجاء أن يجدوا الى طريق السلامة من مناص ولما رأى الأمير بدر الى تلك الحال . وشاهد ما حل بعساكره من الوبال . صاح فيها ليثبتها فى القتال . وفاجأ خورشيدشاه . وفى نيته أن يعدمه الحياة . وقد كدره ما رآه من تاج الملوك تنظر اليه فى النافذة وتصيح فرحة من عمله وذلك أنها فى بداية القتال كانت خائفة كل الخوف على حبيبها لأنها كانت تتردد فى نجاحه ونجاح رفيقه وفكرت أنهما وإن كانا من الفرسان المعدودين الا أنه لا يترجح أن اثنين غريبين يقويان على ألف فارس فى بلادهم وربما قامت الاهالى معا ولذلك كانت باكية نائحة الا أنها لما شاهدت فعلهما سرها غاية السرور فانسع صدرها من الفرح وكانت عيناها لا تفارق خورشيدشاه كيف مال وهى ترى الى ضرباته تخرق صدور الرجال فتمددها الى الارض وعجبت منه ومن عمله وأخذت تصيح داعية له بالنصر والفوز وهى تقول له لاشلت يداك يافارس المعارك وليث المعامع فمثلك تكون الفرسان والافلا وبمثلك تفتخر تاج الملوك بين ربات الخدور فبلغك الله مناك ونصرك على أعدائك ولا كان من يطلب أذاك ولا يرضى برضاك . قال وكان كلما سمع منها مثل هذا الكلام . يزيد بالبسالة والاقدام . ويهجم كأسود الآجام . الى ان التقى بالامير بدر وقد رمى بنفسه الى قتاله طمعا بالفوز عليه . وايصال الاذية اليه . وليذل تاج الملوك ويريها ما يحل بحبيبها الا أنه ما جال معه جولة واحدة حتى صاح فيه فخبله وامتطى سيفه وضربه به ضربة قوية . وقال بملء صوته انظرى يا تاج الملوك ما حل بهذا الصعلوك . فقد جاء يوم أجله . وآن أوان مرتحله . وأرسل السيف يهوى فوقع على قمة رأسه فشقه الى تكة لباسه وانطرح الى الارض قتيلا . وبدمه جديلا . فزغرطت له تاج الملوك وكادت ترمى بنفسها عليه من فرحها به وأما رجال بدر فشاهدوا ما حل به وكيف وقع قتيلا الى الارض فصاحوا وطلبوا الامان ورمو

بأنفسهم إلى الأرض وتركوا سلاحهم وتقدموا صاغرين ونادوا باسم الملك ضاراب وفيروزشاه فلما سمع فرخوزاد نداهم كف عنهم وقال لهم هيا اسرعوا أمامى إلى جهة أبواب المدينة فاقفلوها وسلمونا المفاتيح وبعد ذلك ننظر بأمركم فساروا أمامهما إلى الأبواب فقفلها فرخوزاد بيده وأخذ المفاتيح وعاد إلى قصر تاج الملوك فدخله مع خورشيدشاه بعد أن أقاما بهروزا على الباب كالحارس ودخلا على تاج الملوك فتلقتهما بالاكرام وأظهرت لهما مزيد فرحها ومن ثم سألاها عما إذا كانت تريد أن تقيم على المدينة حاكما خلاف الأمير بدر لأنهما لا يعرفان أحدا ولا يستخلصان أحدا فقالت لابد من ذلك وإنى أمينة من وكيل أشغالى ومدير قصرى ناصر الطائفى وفيه الكفاءة لأن يحامى على الأسوار إلى أن يأتينا الملك ضاراب .

وفى الحال دعت بناصر مدير القصر وقالت له إنى لما كنت امينة منك مسرورة من أعمالك السالفة وقد خدمتنى بكل جد واجتهاد عن صدق نية وصفاء باطن وكان من الواجب أن أكافئك على سابق خدمتك الصادقة قصدت أن أقيمك حاكما على المدينة متصرفا بأمرها ومتى جاء الملك ضاراب طلبنا اليه أن يقرك على حكمك هذا فتصبح من الأمراء الذين يحق لهم التعظم والاكرام فاختر لنفسك قوادا ومدبرين وأقم على الأسوار حتى إذا جاء الشاه سرور وطيهور وأبى أخبرتهم بواقعة الحال فاذا قصدوا الدخول جبرا مانعت حق الممانعة ودافعت حق الدفاع إلى أن يجىء الملك ضاراب لأنه لابد أن يكون فى أثرهم وبعد ذلك فان الشاه سرور إذا قصد حصار المدينة بعثنا برسول الى بلاد اليمن وأعلمنا الملك ضاراب فيبعث الينا بالعساكر والفرسان وعلى كل حال فان أمورنا مائلة الى النجاح بالرغم من المخالفة فان أبى إذا دخل المدينة ووافقته أنت ينزع عنك هذه المأمورية وربما أذلك وقهرك فلا تضيع عنك هذه الفرصة وتخسر سعادة بعثها اليك الله سبحانه وتعالى . فلما صدق ناصر هذا الكلام وقال لها أصحيح ماتقولين قالت بدون ريب وها فرخوزاد وخورشيدشاه قد أقامك أيضا وأعهدا اليك بالولاية وسألانى أن أبلغك ذلك فقال له فرخوزاد سر من هذه الساعة ولا تتهامل بأمر المدينة وخذ تدبير أمرك وتمم عملك بهذا اليوم لان الشاه سرور قريبا يكون هنا واياك من الجبن والخوف فانك قد رأيت منا ما رأيت فاننا بحوله تعالى أنا وخورشيدشاه قادران على أن نحارب جيش اليمن أشهرا وأياما الى أن يأتينا الفرج وتصل الينا عساكرنا ورجالنا . قال سوف ترى مايسرك فانى أفدى بنفسى فى سبيل خدمتك وفى تلك الساعة وصل جماعة من أعيان المدينة الى قصر تاج الملوك واستأذنوا بالدخول عليها وعلى فرخوزاد فأذنت لهم فدخلوا وطلبوا الامان على أنفسهم وأموالهم فقال لهم فرخوزاد لاخوف عليكم وأنتم تعلمون عدل الملك ضاراب

وحبه لرعيته ولا نخفاكم أن الشاه سرور بعثنا أسارى الى هذه المدينة وفى نيته أن يتبعنا فارا من وجه ملكنا ورجالنا وبعدهربه هذا تصبح البلاد بيدنا ولابد أن يكون الآن آت على الطريق وقد ترك بلاده فاستولى عليها الملك ضاراب . وعلى كل فأنتم أصبحتم من أتباعه لان الطائف على الدوام تتبع لتعزاء اليمن فمن ملك تلك ملك هذه قالوا اننا نعلم ذلك ولاجله جئنا اليكم مستجيرين مظهرين طاعتنا وانقيادنا اليكم ونعلم أن الملك ضاراب هو الآن ملك البلاد وسيدها ثم قال لهم ان جل ما نطلبه منكم أن تبقوا على أعمالكم وأشغالكم وقد أقامت السيدة تاج الملوك عليكم حاكما ناصرا الطائفى فوافقناها على ذلك ونريد أن تطيعوه وتنقادوا اليه كطاعتكم للمنذر فأجابوا بالسمع والطاعة . وبعد ذلك خرجوا مسرورين وشاع فى المدينة تعيين ناصر وأنه أصبح صاحب الامر والنهى وأن ولايته من قبل الملك ضاراب فما منهم من كره ذلك بل سر به الجميع طمعا بالامن والراحة وقد ثبت لديهم أن لا رجاء بعد بالشاه سرور . وأما فرخوزاد فانه ذهب الى الاسوار فتفقدها ونظر الى من عليها وأخذ العهد على الجميع وأوصى ناصرا بالانتباه والتيقظ وأن يخبر الشاه سرور والمنذر بأن المدينة بيده وبيد خورشيدشاه وأن جميع من فيها طائعون لاوامر الملك ضاراب ورجع الى قصر تاج الملوك فوجدها جالسة مع خورشيدشاه يتشاكيان لوعة الغرام ويعدان أنفسهما بمستقبل حسن ويشكران الله على هذا التوفيق الذى حصل ويمدحان من حوادث الزمان كيف أوصلتهما الى بعضهما على ميعاد فأنتجت بعد العذاب هناء واستخرجت من التعب راحة ومن الشقاء حياة وكانت القهرمانة قد أحمت حمام القصر ودعت فرخوزاد وخورشيدشاه للاستحمام والاغتسال من أقذار الدم الذى لحق بهما من جرى القتال فاستحم كل منهما بدوره ونزعا عنهما ثيابهما وجاءتهما بثياب نظيفة وقد أجهدت نفسها فى مرضاتهما املا بما وعدتها به تاج الملوك من سعادة الاستقبال وحبا بسيدتها وبعد ذلك جلس كل منهما فى غرفة تاج الملوك فأتتهم بالطعام الذى كانت قد هيأته وهو مختلف الالوان فأكلوا وهم آمنون من حوادث الدهر وغدره لان المفاتيح كانت معهم وبهروز سهران على راحتهم ولم يعد فى المدينة من يعصاهم أو يخالف لهم قولا وبعد أن نهضوا عن مائدة الطعام احضروا بواطى المدام وجلس كل الى ناحية فأخذت تاج الملوك قدحا من زجاجة مملوءة من الخمر الجيدة المعتقة اللذيذة الصافية اللون الموصوفة بما يأتى :

راح اذا ما الراح كن مطيها	كانت مطايا الشوق فى الاحشاء
عنبية ذهبيـــــة سبكت لها	ذهب المعانى صاغة الشعراء
صعبت وراض المزج سيء خلقها	فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء يلعب بالعقول حبابها	كتلاعب الافعال بالاسماء

وضعيفة فاذا أصابت فرصة　قتلت كذلك قدرة الضعفاء
جهمية الأوصاف إلا أنهم　قد لقبوها جوهر الأشياء
وكان بهجتها وبهجة كاسها　نار ونور قيدا بوعاء
أو درة بيضاء بكر أطبقت　حملا على ياقوتة حمراء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها　فى الكف قائمة بغير وعاء
ولها نسيم كالرياض تنفست　فى أوجه الأرواح بالأنداء

وناولته إلى خورشيدشاه وسألته أن ينشدها شيئا من الشعر فأخذه من يدها وأنشد

بروحى ساق قد جلى تحت فرعه　جبينا كبدر التم عند شروقه
سقانى بنجلاويه كأسا من الهوى　فأسكر فى أضعاف سكر رحيقه
وقال اخترع بكر المعانى تغزلا　فلى منظر يهديك نحو طريقه
فوجهى مثل الروض ان باكر الحيا　جنى أقاحيه وغض شقيقه
وإن أشبه التفاح خدى حمرة　فلى نوتة تحكى مناط عروقه

وبعد أن أنشدها الشعر شرب بصحتها ثم سكب فى القدح خمرا وأعطاها إياه وسألها أيضا أن تنشده ما يخطر فى بالها فأجابته بكل قبول وأخذت الكاس من يده بقلب مملوء من الفرح وأنشدت :

قدم الراح يا نديمى لعلى　أعقر الهم إن شربت العقارا
واجل كاساتها على وزمزم　باسم من صير العقول حيارى
قهوة مثل دمعة العين فى الكا　س صفاء فالليل زاد اعتكارا
وأدرها إذا النجوم تجلت　وشهدنا من زهرها الانوارا
وكأن السماء روضة حسن　أطلعت فى مقامنا أزهارا
والثريا كأنها فى الدجى غيـ　د تلففن بالشعور عذارى
وكأن الهلال يحكى وقد را　ح من الغرب زورقا أو سوارا
فاسقنى من يديك حتى ترى الفجـ　ر عن الصبح قد أماط الازارا
وصل الليل بالنهار فان الـ　عيش أهناه ما يكون جهارا
فاترع الكأس لا عدمتك صرفا　فعلى الصرف نصرف الاعمارا

فطرب خورشيدشاه وفرخوزاد لانشادهما وسرا لفصاحة كلامها وطلاقة لسانها وأقاموا على تلك الحال بقية ذلك النهار وطول ذلك الليل وهم لا يعون الى شىء وقد لعبت بهم الخمرة ودارت فيهم وتلاعبت وأى تلاعب ولا زالوا إلى أن غابوا عن الهدى ولعب بهم النعاس فناموا فى مجالسهم ولم يتمكنوا من القيام إلى أن يشرق صباح اليوم التالى

قال فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الشاه سرور فانه سار مجدا فى طريقه وهو بين حالة فرح وحزن فالأول من جرى تخلصه من حرب الأعجام وبعده عنهم ومسيره إلى قوم كان يتصور فى ذهنه بما زرعه طيفور فى عقله أنهم يعظموه ويبجلوه ويقدروه حق قدره ويحموه من كل عدو ألد لأن ملكهم أشد ملوك الارض بأسا وأكرمهم أصلا وأوسعهم ملكا وأكثرهم جيشا وفرسانا . والثانى من جرى بعده عن وطنه وتركه ملكه وبلاده التى صرف فيها عمرا طويلا وهو على غاية مايكون من الراحة والعظمة نافذ الكلمة واسع السلطان مرهوب الجانب بين ملوك الأرض أجمع وبين أمرائه ووزرائه ودام فى مسيره إلى أن قرب من مدينة الطائف وكان ثابت فى فكره أن فرخوزاد وخورشيدشاه أسيران فيها وقد صمم النية أن يبات يوما فى المدينة فيأخذهما فى طريقه ويرحل فى الصباح على عجل لأنه كان يخاف من أن يخطر للملك ضاراب أن يتأثره فيوقع به وهو على الطريق قبل أن يصل إلى مصر ولذلك كان يسرع فى المسير . ولما تبين الطائف عن بعد دعا اليه المنذر وقال له هاقد أقبلنا إلى مدينتك وليس فى نيتى أن أبقى فيها أكثر من هذه الليلة فقط فاذهب أمامنا اليها وهيء لنا مكانا نبيت فيه هذه الليلة واخرج لنا المؤن الموجودة فيها لنصحبها معنا فى هذه السفرة لأننا فى احتياج إلى كثرة المؤن قياما بأود العسكر وأخرج فرخوزاد وخورشيدشاه ليكونا بين الجيش فاننا الآن فى أمان من عيارى العجم ولا خوف من إفلاتهما من أيدينا . قال على الرحب والسعة وانطلق إلى جهة المدينة مسرعا أمام الشاه سرور وقبل أن يدنوا من الاسوار تبين عليها راية فارسية وذلك أن فرخوزاد قد خاط راية بلاده ورفعها على الاسوار أملا أن يراها المنذر والآتون معه فيعلمون أن المدينة خرجت منهم ودخلت فى طاعة عدوهم وبينما كان فرخوزاد فى القصر عند تاج الملوك جاءه بهروز وأخبره بقدوم عساكر اليمن فسار إلى أن دخل الحصون وشدد عليها الحصار وأوصى من فيها أن يكونوا على استعداد وتهددهم بعدم التراخى وشد أيضا على الامير ناصر وهو الحاكم الجديد الذى قاموه من قبلهم . وفى تلك الساعة قرب المنذر من الاسوار وشاهد العلم عليها فأخذه العجب واحتار من هذا الامر ودنا شيئا فشيئا الى أن صار تحتها فوجد الرجال وقد أقاموا عليها مسلحون مهيأون مستعدون فزاد قلقه ودنا من الابواب فوجدها مقفلة فرجع إلى تحت الاسوار ونادى من عليها أن يفتحوا الابواب فقالوا له لم يعد فى الامكان لان المدينة الآن هى فى حوزة فرخوزاد وخورشيدشاه لانهما تخلصوا من القيود واستوليا عليها بالسيف بعد أن قتلا الامير بدر الطائفى . فقال لهم وكيف تخلصا وماذا جرى على الامراء اليمنيين الذين كانوا على حراستهم قالوا قد قتلوا جميعهم إلا واحدا منهم كان من

بينهم كحارس وهو بهروز العيار وإنما جل ما نعرفه الان انهم متفقون مع بنتك تاج الملوك قائمون عندها فى القصر ياكلون المآكل الطيبة ويشربون الخمور المعتقة وهى التى خلصت الأسيرين مع بهروز العيار . قال ولما لايمكن فتح الباب وهل انتم متفقون معهم قالوا أن مفاتيح البلد بيد فرخوزاد وهو الان دائر فوق الاسوار يتفقدها وقد تولى بنفسه امر المحافظة عليها وكلنا نخافه وليس فينا من يعصى له امرا وقد تهددنا مع بنتك اننا إذا قصرنا فى الدفاع عن المدينة اهلكونا وعاملونا بالقساوة ولذلك عاهدناهم إذا طلبتم الدخول عنوة ان نمنعكم وليس لنا الا ان نقوم بهذا التعهد ونفى بقولنا خوفا على حياتنا ولا سيما على ما نظن انهم قد بعثوا خبرا الى الملك ضاراب يعلمونه بما كان من حالة المدينة ولا ريب انه يبعث بالعساكر اليها وهذا ايضا مما يزيدنا خوفا . قال وهل فى نيتكم ان ترمونا بنبالكم اذا قصدنا مهاجمة المدينة . قالوا سترى منا ذلك دون شك فاذا لم ترجع الان رميناك بالنبال وابعدناك بالرغم وإلا هلكنا عن آخرنا ولحق بنا مالحق بالامير بدر وكيلك على المدينة

فلما سمع المنذر هذا الكلام وقع عليه اشد من ضرب الحسام وكادت ان تنفطر مرارته وعض على زنوده من الاسف والغيظ وتمنى انيكون قد قتل ولا لحق به كل ما سمعه واكثر غيظه كان من بنته تاج الملوك كيف انها خانته وسعت فى خلاص اعداء بلاده ووافقتهم على ابيها وكل ذلك لاجل محبتها لهم وتعلقها بهم وتمنى انيكون وصل اليها لينتقم منها ويشرب جرعة من دمها وقد سقطت من قلبه وقلبت محبتها الى بغض وانتقام . ثم عاد راجعا الى ان التقى بالشاه سرور فقال له قد حبطت مساعينا وخسرنا خسارة كبرى . قال انى ارى على اسوارك راية فارسيه فما الداعى لذلك وماذا جرى فى غيابك قال ان بنتى خانت وعابت على واتفقت مع خورشيد شاه وفرخوزاد وبهرزو العيار الذى صحب الامراء من تعزاء اليمن وهو بينهم بصفة امير لايعلمون به وقد اقام على الحراسة مثلهم الى ان دخلوا المدينة وبالاتفاق مع بنتى خلصا وحاربا بدر الطائى وكيلى على البلد فقتلوه وبددوا الجيش واختاروا غيره واقاموحاكما آخر وهو وكيل اشغال بنتى الخائنة واستلموا الحصون واخذوا مفاتيح المدينة وبعثوا بالاخبار الى الملك ضاراب وقد عرفت منهم انهم مستعدون على الدفاع وعاهدهم الاهالى باجمعهم وانقادوا اليهم فلما سمع الشاه سرور ذلك كادت تنفطر مرارته وتكدر غاية الكدر ومثله طيفور لانه كان يود ان يبقى فرخوزاد اسيرا كيدا لابيه وقهرا له وقال للمنذر ان كل هذه المصائب وصلت الينا بسبب البنات والزواج فما من بنت من بناتنا الا وتميل لرجال الفرس وتتمناهم ويكن خائنات خادعات وحيث الآن قد حصرت المدينة فلنسر فى طريقنا

ولا نعرج إلى المدينة لا نطمع فى حصارها خوفا من أن يدوقنا ذلك فيلقينا فى المهالك ويمنع عنا اتمام المسعى الآخذون الآن بصدده فلنبق فى طريقنا إلى أن نصل إلى مصر ونجتمع بالوليد وهناك يرتاح بالنا ويهدأ روعنا ونأمن من كيد عدونا وبطشه فأجابه الجميع إلى طلبه وداموا فى مسيرهم على طريق وهم فى غيظ وكدر من عظم ما سمعوه وشاهدوه فى الطائف ولا زالوا حتى بعدوا وغابوا. وقد شاهد فرخوزاد مسيرهم فعلم أنهم قد خافوا من أنهم إذا حاصروا البلد يتعوقون عن المسير على أنهم هم سائرون هربا من وجه الملك ضاراب فلا يمكنهم أن يقاتلوا أو يتأخروا عن السرعة والعجلة حبا بالوصول إلى محط وصال آمالهم وذلك طمعا بالأمان والراحة وإذ ذاك رجع إلى القصر واعلم تاج الملوك بما كان من أمر أبيها والشاه سرور ففرحت غاية الفرح وزال ما بقلبها من الهموم والأتراح ولم يعد أمام عينيها من مكدر يكدرها ونظرت إلى مستقبل حياتها بعين الفرح والسعادة وقالت فى نفسها قد زالت الأسباب التى كانت تخيفنى وها ان أبى قد بعد عنى والشاه سرور ترك حصار المدينة ولم يعد يلتفت إليها قط وقد أبقاها لأعدائه وها ان حبيبى فى يدى والى جنبى ولم أكن أعهد أن الأيام تخدمنى وتصفو لى إلى هذا الحد ويهنأ لى العيش بأطيب هناء

وبعد ذلك كتب فرخوزاد كتابا إلى الملك ضاراب وأبيه يعلمهما بكل ما كان من أمرها إلى أن أعلمهما بقدوم عساكر اليمن ورحيلها عن المدينة وقال لهما فى آخر الكلام وها نحن الآن بانتظاركم فى الطائف إلى أن تمروا علينا إذا كنتم تقصدون مصر وإلا إذا شئتم أتيناكم على جناح الاستعجال واننا مقيمون عند تاج الملوك براحة وهناء وقد تشرفنا على أسوار المدينة لراية الفارسية ليعلم الجميع أنها تحت حمايتكم واننا نشكر بهروز الذى خلصنا بمساعدة تاج الملوك . ولما وصل هذا التحرير الى الملك ضاراب فرح غاية الفرح وكذلك فيلزور وبقية الفرسان ولا سيما فيروز شاه لأنه كان بمزيد كدر من أجله وللحال بعث الملك ضاراب بتحرير يأمرهما به أن يبقيا فى الطائف الى حين وصولها لأن فى عزمهما المسير الى مصر ولم يعقهم الا وصول مصفر شاه وكرمان شاه ولهذا أقام فرخوزاد وخورشيد شاه فى الطائف على حالتهما الأولى بين الكاس والطاس والراحة والسرور

وأما الشاه سرور فانه لا زال مجدا فى مسيره عدة أيام الى أن قرب من مصر وبعد امن مدينة الوليد فبعث اليه أخبار قدومه وانه آت بجيشه وفرسانه مع الأمير خطير سار الى ان وقف بين يدى الوليد فبلغه رسالة مولاه واعلمه أنه قرب من جهاته ويتحقق ما كان من الملك ضاراب وهل فى نيته أن يقصد مصر أم لا فلما علم بقدومه فرح غاية الفرح وأمر بيداندش الوزير أن ينهض الى

ملاقاته بجموع العساكر وأن يكون نزوله الى المدينة باحتفال عظيم فأجاب طلبه وأمر أن تخرج الجموع أفواجا ونادى المنادى فى المدينة أن الشاه سرور قد قدم وعزم الملك على الخروج فمن منكم كان يرغب فى ارضاء الملك فليخرج الى ملاقاة القادمين ولم يكن الا القليل حتى خرجت المدينة بأجمعها وكلهم بالملابس المزينة وبالأغانى المصرية وخرج الوليد وابنه ووزيره وسائر أمرائه وخرج الشاه حارث والشاه أسد لملاقاة أبيهما وبعد ساعات قليلة اجتمع القومان ببعضهما والتقى الوليد بالشاه سرور فترجلا وصافحا الأخاء وأمر الوليد ابنه الشاة صالح أن يقبل يد الشاه سرور ففعل دون أن يبدى كلمة أو يظهر مسرة وبعد ذلك تقدمت الاعيان وسلمت عليه وعلى طيفور وزيره الذى له موقع كبير عند الوليد لانه كان يعلم أنه السبب الوحيد فى ايصال عين الحياة اليه ولولاه لما خلصت من فيروز شاه فاظهر له مزيد الترحاب والاكرام وبعد ذلك تقدم خطير وحث التراب على رأسه وبكى أخاه ولطم وجهه وأظهر الاسف والكدر فتأثر الوليد من عمله وبكى على خاطر ووعد خطيرا بأخذ ثأره وطيب خاطره وانعم عليه وبعد ذلك كر الجميع راجعون والشاه سرور إلى جانب الوليد وطيفور الى جانب بيداندیش وكل واحد يتكلم مع رفيقه ويستفسر منه عن الحرب وما كان منها وكيف قدر الاعجام أن يسطوا عليهم ويتغلبوا على بلادهم الى أن دخلوا المدينة وتخللوا أسواقها ثم أتو دار الحكومة وأقاموا فيها لقبول التهانى كل ذلك النهار وفى المساء ذهب الشاه سرور مع وزيره الى قصر أعد لاقامتهما فدخلاه ونزعا ما عليهما من ثياب السفر وسدا رمقهما بالطعام الذى هيأته الخدم ومن ثم قال الشاه سرور الى وزيره طيفور انى مسرور غاية السرور من الوليد وحبه لنا الا انى غير مسرور من ابنه لانه لا يليق ان يكون زوجا لبنتى ومن الصعب أن تجيب الى طلبه لانها بعد أن شاهدت فيروز شاه وعلقت بحبه وعرفت مقدار شجاعته الوحيدة وفصاحته وجماله النادرى المثال لا يمكن أن توافق على الزواج بالشاه صالح لانه بليد الطباع أبكم جبان شنيع المنظر وقد نفر قلبي منه غاية النفور فاظهر تألمه من كلام سيده وقال له لا يليق بك الى هذا الحد أن تكون ضعيف الرأى والعزيمة قليل التدبير أهل نحن تحت خاطر بنتك فانت أبوها ووليها فمن رضيته أنت تجبر على مراضاته ومن التوفيق العجيب أن يكون ابن الوليد على هذه الصورة لان بعد أبيه لا يحسن التملك فتكون هى السيدة صاحبة النهى والامر ويكون إذ ذاك لنا أعظم نفوذ فى هذه البلاد على أنها لو تزوجت واخذت فيروز شاه فماذا ياترى يكون لنا من النفع غير أنها تذهب معه إلى بلاده ولا نعود نراها فيما بعد واما الآن فاننا نحن أصحاب مصر وحكامها والوليد مسن وقد يمكن أن يتنازل عن الملك فى حال

حياته فندبر نحن أمر ولده ولاريب مهما قلنا له يفعل حتى ولو سألناه أن يقرن بلاده ببلادنا لما امتنع ولا يعرف أن يمتنع وبدون شك يكون كاكرة فى يد بنتك تتلاعب فيه كيف شاءت أو أرادت فدخل كلامه هذا فى ذهن الشاه سرور ورآه عين الصواب وقال له انى كنت غافل عن هـــذا الأمر فبالحقيقة أن الشاه صالح أوفق من ابن الملك ضاراب الذى يرغب فى أن يقتنص بنتى اقتناص الطيور بالرغم عنى وعن رجال مملكتى .

ثم انهما باتا تلك الليلة وهما من الجهل فى فرح عظيم لايعلمان إلا الحالة الحاضرة الواقعين فيها وقد سرهما جدا معاملة الوليد لهما بالاكرام والتعظيم وقد اتفق أيضا أن لايوافقان الوليد على زفاف عين الحياة قبـل نهاية الحرب وقهر الملك ضاراب وقتل فيروزشاه والإفيكونان قد قدما بنتهما ضحية لشناعة ابن الوليد إلى أن يدفعا عداوة عدوهما ويقهراه . وفى الصباح نهضا من منامهما وخرجا إلى مجلس الوليد فوجـداه محتفاً بوزرائه ورجاله الأعيان وكلهم يفحصون عما إذا كان الايرانيون ياتون بلادهم أم لا فلما دخلا ترحبوا بهما واجلسوهما فى مكانهما وسألهما الوليد إذا كانا يؤكـدان مجىء الملك ضاراب إلى مصر أو تبين لهما انه سيعود إلى بلاده وإذ ذاك نهض الوزير طيفور وتكلم أمام الحضور فقال لاتخفى عليكم أن فيروزشاه ابن الملك ضاراب قد علق بحب عين الحيـاة على السماع فطرق بلادنا وحده لأجل هـذه الغايه وكاد يفوز بنوال مراده من جهة أبيها لأنه ساعده بحروبه وقهر له عدوه ورفع عنه اضرارا عظيمة إلا أنه لم يصبر على نفسه إلى أن يطلبها من أبيها أو يسأل أباه أن يخطبها له من أبيها كعادة أبناء الملوك بل تسلق السطوح وقصد الدخول إلى قصرها ولا نعلم ما كان فى نيته إلا أن الصدف لم تخدمه فمسكناه وقد أثر فينا عمله غاية التأثير وقصدنا الانتقام ولم نكن نعرفه إذ ذاك انه من سلاله ملكية بل كان يدعى انه مملوك اشتراه أحـد رجالنـا من بلاد اليونان ولمـا عرفناه أبقينا عليـه صيانة للشرف الملـكى ولم نرد أن نسفك دمه فى بلادنا ويا ليتنا كنا قتلناه لـكان سهل علينا من بعـده كل صعب ثم سلمناه إلى الزنوج أسيرا فتخلص منهم وقتل ملكهم واستأسرهم جميعا فاطاعوه طاعة عمياء وعبـدوه عباده الآلهة وجاء معه إلى بلادنا وكان أبوه قد قصدنا طمعاً بخلاص ولده وتزوجه من عين الحياة وهو وحيده وليس له سواه وبعد أن استظهر علينا وأخذ بلادنا لايقبـــل على نفسه أن يرجع بالخيبة ويتخلى عن ولده فيروزشاه ولاريب أن ولده سيصر على الاتيان إلى مصر ولا يرعوى عن عزمه ولا يترك غيره أن يصل إلى عين الحياة وسيصير فى أثرها أينما أخذت ويتتبعها أينما أبعدت وعما قليل ترونه وقد غشى بجيشه هـذه الديار وفى نيته أن يأخـذ عين الحياة ويحرمها للشاه صالح ومن

المقرر أنه ينتقم منه ومن أبيها ومن كل من يرغب فى ابعاده عنها ولذلك أرى من المقتضى أن نكون على أهبة القتال وأن لا نتهامل بأمر رجال ايران فانهم جميعا فرسان وأبطال ومافيهم إلا من يلقى الألف والألفين وحده إلا فيروزشاه فانه يخاطر بنفسه كثيرا وهو قادر أن يقهر جيشا كبيرا برمته والحق يقال أنه بطل هذا الزمان وسيد فرسانه فحملاته لا تدافع ولا ترد فاذا ضرب حصنا دكه أو جبلا أماله وقد ثبت لدى جميع من شاهد قتاله أنه لا يغلب وأن لا يمكن أن يأتى الزمان بمثله . وكان قصد طيفور بهذا الكلام أن يهيج غضب الوليد على فيروزشاه وينوى من كل نيته على هلاكه وأن يأخذ منه حذره فيستدعى بفرسان بلاده وأبطالها . فلما سمع هذا الكلام قال إذن لا بد من اتيان الملك ضاراب . قال نعم فانه سيخاطر بنفسه ويأتى إلى هذه البلاد وهو متكل على كثرة عساكره وفرسانه وبالأكثر على ولده وعلى فيلزور حامى بلاده الذى قتل خطيرا وأحرق قلب أخيه وأولاده عليه .

فقال الوليد انى أزمعت على أن أبعث بالكتب لعمالى وأمرهم أن يأتوا الينا بالرجال والأبطال حتى إذا جاء الملك ضاراب يرانا على استعداد له فنبدء بالقتال معه ونعيده على أعقابه مقهورا ذليلا بعد قتل فرسانه واحراق كبده على ولده الذى يجهد نفسه بزفه على بنت الشاه سرور وهى مخطوبة من ولدى وقد أنعم لى أباها بها . ثم انه أمر وزيره أن يبعث بالكتب إلى بر الصعيد وإلى الاسكندرية والقدس والشام وانطاكية وحلب وكل تلك النواحى بأجمعها ويطلب اليهم أن يسرعوا اليه بالعدد ويخبرهم بانه يستعد لقتال الملك ضاراب وابنه فيروزشاه إذ بلغه انه آت إلى بلاده وبعث بالكتب مع الرسل العيارين وأمرهم بالسرعة وان يعودوا اليه على عجل وتفرقوا فى جهات المملكة فسر طيفور عند نجاح مسعاه وهنأ الشاه سرور بقرب النجاح والظفر وشكروا الوليد على اهتمامه بهم ومدافعته عنهم واقاموا نحوا من اسبوع حتى استراحوا واطمانوا وقد صرفوا اوقاتهم بين افراح وولائم إلى ان كان بعد الأسبوع بيوم اجتمع الوليد بوزيره بيداندیش وقال له هاقد مضى اكثر من ثمانية ايام على قيام اليمنيين عندنا ونحن لم نبد حركة تتعلق بزواج ولدى ولاريب انه ينقلب من هواه على نيران الهجر والقلا وهو لا يعرف ماذا يفعل وليس له نصير ينصره غيرى واحب ان اسال الشاه سرور بحضور ولدى ان يهتم امر الزفاف فان انعم ووافق كان خيراً واقمنا ولائم الزفاف فى الحال وإن امتنع الان عن الاجابة فاساله ان يعدنى وعدا صادقا ويشهد عليه انه خطبها من ولدى وانه يزفها عليه عند رواق باله واضمحلال مخاوفه .

قال بيداندیش انى سائر فى الغد منه واطلب اليه ان يجب على سؤالنا واسال الله

أن يكون ما به الخير والصالح فسر الوليد من كلامه وصبر الى الصباح وهو يريد من كل قلبه إن امكن اجراء الزفاف بالسرعة الممكنة

وفى اليوم التالى جلس الوليد على كرسى عرشه واحتاط به جماعة الوزراء والاعيان والامراء واذا بالشاه سرور قد جاء وأخذ مكانه مع وزيره طيفور ودار بينهم الكلام بخصوص ما كان من أمر الملك ضاراب وماجرى لهم معه وانتقلوا إلى حديث طومار وكيف أن فيروزشاه قتله بضربة واحده نزلت عليه كالصاعقه وقد طال بينهم الحديث فى هذا المعنى وإذا بالوزير قد استصغى الجميع فاصغوا اليه ثم قال وقد التفت الى الشاه وقال إعلم أيها الملك المعظم والسيد المفخم صاحب البند والعلم أنه ما كان سبب مجيئك إلى بلادنا وقدومك علينا الا لتبعد بنتك عين الحياه عن من ابغضته ومارغبت فيه وهو فيروز شاه الفارسى ورغبة منك فينا وفى ازواج بنتك با بن ملكنا الوليد وحيث الآن قد راق لنا الوقت ولم نعد نرى من مانع يمنع ذلك أريد أن أسألك الانجاز بما رغبت فيه ووعدتنا باجرائه وما ذلك الا طمعا بأن يتصل نسبنا بنسبكم فتصبح يدا واحدة ونتساعد فى السراء والضراء لأن هكذا شرط الأنسباء ولا أظنك ترى عذرا نعتذر به وما أعلمه منك انك تتمنى ذلك من كل قلبك ولا توافق على تأخره فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام وقع عليه أشد من ضرب الحسام وارتاع لسماعه وعجز عن ان يجيب لأنه استحى من الوليد ومن الحضور وكان الشاه صالح حاضرا يسمع ويرى وهو لا يبدى اشارة ولا يظهر حركة بل كان مشغل بمسح ما يسيل من أنفه من المخاط بكمه الطويل وأطرق الى الأرض متفكرا فلما رأى طيفور ماحل بسيده من الحياء مع علمه أنه لا يمكن أن يسمح بزواج بنته الا بعد قتل فيروزشاه أجاب بيداندیش على الفور وقال له ان سيدى طالما رغب فى اتصال حبل النسب بينه وبينكم ولو كان فى فكره غير ذلك لما امتنع عن أن يجريه وهو فى بلاده وانما جل ما يرغبه الآن ويوافق عليه كل الموافقة أنه يعدكم بزواج بنته وكما وعدكم بالماضى انما هذا الوعد لا يمكن أن ينتهى الا بعد قتل عدوه والايقاع به وقد اقسم بذلك اليمين والحلف العظيم وهو محروق عليه ومن المقرر أن العروس لا يقام الا بالأفراح والولائم وابداء المسرات ونحوها فكيف يمكن لنا ولسيدى أن نفرح ونسر ونحن فى حالة قنوط ويأس نصبح فى خوف ونمسى بمثله ولا يفارقنا قط شخص فيروز شاه ولا نزال اذا نمنا نسمع صوته وهو ينادينا بالانتقام فضلا عن أن سيدى لا يود أن يسلم بنته الا لكم انما شرط عليكم قهر عدوه وارجاعه الى ملكه وعرشه واذ ذاك يكون للافراح محل وللولائم داع فيسر كل منا بصفاء وهناء . فقال الوليد

انى وعدتك ولا أزال أكرر وعدى أنى لا ارجع عن الحرب ولا انفك عن الفارسين الا بعد أن أهلك اكابرهم واذلهم مذلة لا يرتفع لهم بعدها رأس وانما اريد منكم أن تجيبوا بزواج الشاه صالح بعين الحياة واما بالوعد بذلك وأن يشهد أبوها عليه هؤلاء الحاضرين بانه انعم بها لابنى وخطبها منه ولا يمكن أن يرجع بوعده . فقال الشاه سرور انى مصر على وعدى لك فى السابق غير أنه لا اخفاك ان اولادى الآن اسراء فى قبضة الملك ضاراب فاذا بلغه زواج بنتى انتقم من اولادى بالعذاب وربما بالقتل ايضا فليس من الموافق ان أجيب على امر زواج انما اشهد على الله وهؤلاء الحاضرين انى لا ارجع بوعدى وانى بعد نهاية الحرب او بالحرى بعد قتل فيروزشاه ازف ابنتى بكل قبول ولم يعد اذ ذاك من مانع وعلى كل حال فانى انا وابنتى الآن فى يديك وتحت طاعتك فلو قدمت على اجبارنا رغما عنا واغتصابا لما كان فى وسعنا ان ندفع عن ذلك انما معاذ الله ان يفعل من كان مثلك مثال هذه الافعال ويجرى كل ما هو ممنوع دينيا

انتهى الجزء الثاني عشر ويليه الجزء الثالث عشر

الجزء الثالث عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

قال وفى الحال أشهد الشاه سرور عليه جميع الحاضرين وعاهد الوليد على خطبة إبنه من بنته وأن يكون الاثنين يداً واحدة وبعد قطع الرجاء من فيروزشاه وهلاكه يجرى زفاف عين الحياة باحتفال يليق بها وبه فارتاح لذلك بال الوليد وثبت عنده أنه سيزوج إبنه بعين الحياة وان المانع سيزول بهمته وهمة جيشه وكان يرى من نفسه أنه قادر على كبح عدوه والاضرار به لأن عساكره كثيرة وبلاده حارة ربما لا يقدر العدو أن يثبت فيها وأعظم شئ كان يريح له ضميره من هذا القبيل هو وجود عين الحياة عنده وفى يده وضمن قصره قائمة مع بنته ليلا ونهارا لا يمكن لأحد أن يصل اليها وقد أعهد إلى بنته أمر مرضاتها والاهتمام بها وتحببها بأخيها وان تشرح لها دائما عن عظم سلطانه ومقدرة جيوشه واتساع ملكها ولذلك كان الوليد مرتاح البال مطمئن الخاطر بعد ولده باتمام مقاصده والوصول إلى محبوبته التى يصرف ليله ونهاره بالنوح والتعداد من أجلها وهو لا يعرف كيف يجب أن يتصرف ليدنو منها ويقرب اليها وكلما ذهب إلى أخته وسألها أن تقربه من عين الحياة تقول له لا يمكن ذلك الآن لأنى أراها بحزن وهم وهى تنشد الأشعار الغرامية الفراقية وما ذلك الا كرها فيك ورغبة فى فيروزشاه ولا بد من أن يزيدها وجودك بغضا لك اذا فكرت أنها ابعدت من بلادها لاجلك فيرجع بالخيبة وقطع الرجاء. ودام على حاله وهو يعلل نفسه بين مواعيد أبيه وأخبار أخته

كنا قد تركنا عين الحياة عند طوران تخت بنت الوليد أقامت معها فى قصرها وقد صرفت طوران تخت جميع جهدها فى مراضاة عين الحياة وجلب مسرتها وعين الحياة تعلم ذلك وتميل اليها لانها شاهدت فيها من دلائل اللطافه والانسانية ما لم تجده فى غيرها من عائلتها وكانت طوران تخت بديعة فى صفاتها وجمالها وهى لا تنقص بكثير عن عين الحياة الا أنها كانت ضعيفة القلب عديمة الصبر قليلة الاهتمام بأمر العشق لم تعلق نفسها قط برجل ولا مالت إلى شاب. وعند ما كانت ترى عين الحياة باكية حزينة كانت تلومها وتقول لها يصعب على أن أراك ياعزيزتى باكية حزينة لاجل شاب بعيد عنك لا يمكن وصولك اليه ولا وصوله اليك وما فعلك هذا الا أشبه بأفعال المجانين مع انك من أحكم بنات هذا الزمان وأعقلهن وقد أعطاك الله من المحاسن ما ندر أن يوجد بغيرك من الشابات ولذلك كان لابد لك من أن تتيه

على كل انسان فمن تسهل لك واعجبك تتخذيه زوجا لك ومن العجب ان تسلم بنفسك الى واحد وتجلبي لقلبك العذاب الأليم ولتحرقي ولتحسري على من ليس فى يدك ولا تقدرين على أن تتزوجي به . فتنهدت عين الحياة عند سماعها كلامها من فؤاد قد جرحه الغرام وكوته نيران الأشواق وقالت لها لو كان قلبك كقلبي لما لمتني ولا عنفتني عن حب من أحبه أو بالحرى لو رأيته وشاهدت ما هو عليه من الحسن الباهر والقد الفاتك ونظرته وهو فوق جواده يطعن فى صدور الابطال ويفتك بها فتك الاسود لحققت أنه وحيد زمانه وانى أبيح اليك بوجودى لعلمى أنك محبة لى تأخذين على هذا مأخذ البساطة ولا بد أن الزمان يجرى عليك ما أجرى على واذ ذاك اسائلك ان تكلميني بهـــذا اللسان الذى تكلميني به الآن ولا يخفى على شيء من مزاياك الحسنة وميلك الى الحق والانصاف فاذا قدرت الايام وسمحت لك يوماً ما ان ترى فيروزشاه ورأيته فانصفي إذ ذاك بينه وبين أخيك وهل يليق بى أن أبدله بغيره فقالت لها ماذا يفيد حسنه وأبوك لا يرضاه ولا يقبل به وهل أنت إلا مطيعة لأبيك سامعة لاقواله مجبورة الى الانقياد اليه وكيف يمكنك المخالفة والعصيان وان ذلك لا يرضى الله تعالى . قالت انى لو كنت مصرة على عصيان ابى لما بقيت للان دون تزوج بفيروزشاه إنما اجل ما ارغبه أن يجبرأبى على زواجي فيجيب مرادى فاطلب فيروزشاه واهم شيء تأباه نفسى الاحنات بالوعد لأنى عاهدته عهداً ثابتا أن لا أخون له عهدا ولا أطلب سواه بديلا ولا أرتضى أن أكون زوجة لغيره حيا كان أوميتا وعاهدنى هو نفس هذا العهد وانى لو أخذت الى داخل جبال قاف لسار الى وازال الصعوبات التى تحول دونى ودونه وسوف ترينه وهو فوق كمينة يطعن فى رجال أبيك فيفرقها ذات اليمين وذات الشمال ويدك حصون المدينة وينتشلنى من بين يديك ويدى أبيك إنما أسأل الله أن يجعلك من نصيب رجال الفرس لنبقى مع بعضنا وتكونين قريبة منى أراك وترينى فى كل وقت فضحكت طوران تحت من كلامها وقالت تطلبين محالا فانك تضمنين الفوز للفرس مع أنهم سيلاقون منا وبالا ويشاهدون من رجالنا الموت الاحمر ولذلك أسالك ترك محبة فيروزشاه وان تتناسيها وتتناسيه ولا تعبئ به ولا بحبه أيضا فجرح قلبها من كلامها وتنهدت وانشدت :

وحق من لاسواهم عندى القسم	ومن بغير هواهم لست اتسم
ومن اموه بالذكرى لغيرهم	معرضا بسواهم والمراد هم
اهوى جحود الهوى لا بلى ادين به	وان اقر به التبريح والسقم
ما كل من صان اجلالا لمالكه	غرامه فى صفاء الود متهم
استودع الله قوما ما أفارقهم	الا وتدنبهم الافكار والحلم

ومن لكثرة تمثيلي اشخصهم | أظن فى كل يوم أنهم قدموا
أظنهم ما داروا بى وقد بعدوا | تالله لو علموا حالى بهم رحموا
ساروا وقد تركوا جسمى بلا رمق | عندى ليندبهم والقلب عندهم
يا غائبين وما غابت محاسنهم | ونازحين وأقصى بينهم أمم
نمتم ولم تحملوا بى فى رقادكم | ومع سهادى بكم مازلت أحتلم
وحق موثق عهد كنت أعهده | وصحبة خلت حقا أنها رحم
ما لذ لى العيش مذ غابت محاسنكم | ولا حلت بعد رؤياكم لى النعم
قد كان ليلى نهارا من ضيائكم | فاليوم ضوء نهارى بعدكم ظلم
لا ذنب لى يوجب الهجران عندكم | وهبه كان فأين العفو والكرم
أعطى الزمان نفيسا من وصالكم | فارتده وعراه بعده ندم
إلى من المشتكى ان عز قربكم | عما جنى الدهر وهو الخصم والحكم
قد كنت أقهر صرف الحادثات بكم | فاليوم أصبح صرف الدهر ينتقم
كم قد بكيت وقد سادت ركائبكم | فالدمع يسفح والأحشاء تضطرم
ما المدامع لا تطفى لظى كبدى | ويغرق الركب منها سيلها العرم
وقفت أظهر للعذال معذرة | عنكم وان صح عند الناس مازعموا
قالوا قضت عمرها صرعى بحبهم | والله يعلم انى مغرم بكم

فعلمت طوران تحت أنها لا تروى عن محبة فيروز شاه وأنها مغرمة به ولا يمكن أن تترك حبه إلا إذا جد من الحوادث ما غير قلبها وذلك سكتت عنها ذاك الوقت ولم ترد أن تكلمها بما يكدر شعائرها . وأما عين الحياة فكانت كما تقدم فى مزيد كدر وأعظم كدرها من ان يتفق أبادا والوليد ويعتمدان على قيام الزفاف وإجراء العرس وإجبارها على الطاعة مع ان خنجرها لا يزال عندها وقد وطدت عزمها ان تقتل نفسها إذا أجبرت إلى الانقياد والزفاف ولذلك كانت عديمة الصبر ضائقة العقل حرصا على حياتها وحياة فيروز شاه وهى تذم لزمان الذى لا يزال يحاربها ويتقلب بأعماله معها فيريها بعد الحلاوة صبرا ويغيرها من حال إلى حال ويحاربها بما يلقى عليها من الأحزان والمصائب فكانت تسر عندما تسمع بخبر مفرح من جهة من أحبته أو من جهة حبه لها إلا ان تلك المسرة لا تلبث ان تنقضى بما يجد من الحوادث المكدرة فتقلب إلى أكدار وغموم ولا زالت فى قلق واضطراب من جرى ما كان يخطر فى فكرها إلى أن بلغها من طوران تحت أمها لم يقبل ان يجرى الزفاف فى ذلك الوقت ولا قبل ان يسمح بها قبل ان تنقضى الحرب وتقهر الأعجام ويقتل فيروز شاه انما أشهد عليه بأنه خطبها من الشاه صالح وأنه لا يقبل

بغيره مطلقا وانه صار منذ ذلك الحين صهره . فوقع هذا الخبر على عين الحياة مسرا بهجا وقالت فى نفسها ان كان يبقونى إلى حين انقضاء الحرب فان تلك غايتى لانى أعلم أن الملك ضاراب سيغشى هذه البلاد وفيروز شاه سيوافينى بجيشه ويدافع جيوش الاعداء فيبددها إذا علم انى داخلها وهذا الذى أطلبه وظهرت على وجهها بعض الافراح وهدأ اضطرابها الظاهرى فلاحظت طوران تحت منها ذلك وقالت لها انى اعلم ان هذا الخبر يسرك ولذلك أسرعت به اليك ولا بد بعد انقضاء الحرب ان تجلوا لنا الحقيقة وحينئذ يمكنك إذذاك ان تتبعى الجهة الرابحة المنتصرة فسكتت عين الحياة ولم تجبها بشيء لعلمها انها مخلصة لها محبة لصالحها انما لا تكره ان تكون زوجة لاخيها وجل مشتهاها ان تقنعها لتميل إلى حب الشاه صالح أخيها وأقامت مطمأنة البال مرتاحة تنتظر ورود الاخبار من قبل جيش الملك ضاراب لتعلم ماجرى على قلب فيروز شاه بسبب غيابها وبعدها وهى فى كل يوم تظن انهم وافدون إلى مصرقال وكان عند الوليد عيار من أكبر عيارى ذاك الزمان زنديق محتال إذا قصد انتزاع الكحل من المقل انتزعة دون ان يترك صاحبها يشعر به وان عمد إلى إخراج الجنين من بطن امه دون ان تراه او تعلم به اسمه طارق العيار وبالحقيقة انه من طوارق ذاك الزمان دمياطى الأصل مصرى المربى قد شب على هذه الصفة حتى مهر بها وساد على سواه وصار له تلامذة وفروع وكان الوليد يركن اليه ويعتمد عليه . فذات يوم كان فى حضرة الوليد بين أعيانه إذ سمع الشاه سرور يتألم من قلب مقروح ويقول لوزيره طيقور آه من غدرات الزمان فانى مشتاق إلى أولادى الاسراء ولا سيما الشاه شجاع الذى هو الآن اسير فى جيش العجم مع الأمير قتيل وايضا احب ان اعرف ماذجرى على عيار بلادى فاننا فى حاجة كلية اليه لانه آفة كبرى وبلية عظمى أمين على مصالحنا محب لنا يسعى دائما فى خلاصنا فلو كان معنا الآن لكنا بعثناه إلى طريق اليمن يكشف لنا الاخبار وهل ان الملك ضاراب آت الينا أو رجع عنا الى بلاده وترك هذه الحرب وعلى كل حال فانى أرى لزوما لوجوده معنا وانى أرى بنفسى محاطة بالاكدار والأهوال والمخاوف والأوهام الناتجة عن فرقة الأولاد والوطن ومبارحة الملك والسلطة فجازى الله الأيام عنى شرا . فدنا منه طارق وقال لاتهتم ياسيدى الشاه فانى مرهون لامرك طائع لك وانى أعدك الآن بحضرة سيدى الوليد انى لابد ان آتيك بولدك الشاه شجاع والأسرى فى أول يوم تحل به الأعداء فى هذه النواحى وانى ان اخلفت بقولى لادعى بطارق العيار ويحرم على ان اخدم الوليد سيد مصر وعزها . فقال له الشاه سرور ان كان صحيحا ما تقول فانى أعدك أيضا بحضور سيدك بالانعام الزائد

والأموال الكثيرة ولا انسى لك هذا الجميل وفى تلك الساعة أيضا قال الوليد لطارق أريد منك ان تذهب على طريق اليمن تكشف لنا اخبار القوم لأنه مضى الآن أكثر من شهرين ونصف دون ان نعلم عنهم خبرا وربما لم يكن فى نيتهم ان يأتوا إلى بلادنا او فكروا فى حربنا وانى اريد ان اعرف الحقيقة لأن الجيوش اخذت ان تتجمع فى بلادنا ولا يمضى هذا الأسبوع إلا ويكون عندنا جيش عظيم كامل كبير من سائر نواحى بلادى لا ينقص عن الف الف واربعمائة الف فارس ماعدا جيوش اليمن التى ليست بأقل من نصف هذا العدد ومن الاصابة ان نعرف كى لا نبقى العساكر متجمعة تحت مشيئة الرحمان دون ان يكون لها نفع وتلتزم للمحاربة وإلا فما الفائده منها فقال طارق سمعا وطاعة وانى سأعود اليك بالخبر الصريح واعلمك مايكون من أمرهم .

ثم ان طارق اخذ مايحتاج اليه من ثياب السفر والأكل اللازم له فى طريقه وسافر عن مصر قاصدا اليمن على الطريق المستقيم وهو مسرع فى جريه يسير الليل والنهار إلى ان بعد عن القاهرة نحو عشرة ايام تمام وفى اليوم الحادى عشر اصبح فى تل عال مشرف على سهل وسيع فعول ان ينزل من التل ويستلم السهل وإذا به يرى الغبار مرتفع الى العنان والجيوش تزدحم متراكمة صفوفا صفوفا ومن فوقها الأعلام تخفق والرايات تلوح والأسلحة تلمع وتبرق بوقوع الأشعة عليها وهى قادمة الى جهته فصبر الى ان تبين المقدمة وإذا بها راية فارسية فعلم حق العلم ان هذا الجيش جيش الملك ضارلب وانه آت الى مصر فكر راجعا وهو من الفرح على جانب عظيم لأنه توفق الى قضاء المطلوب حسب مرغوبه وقد كان يشتهى وقوع الحرب بين الأعجام والمصريين واليمنيين لأن بذلك يربح الأرباح العظيمة ويروج سوق بضاعته ولازال فى رجوعه الى ان وقف بين يدى الوليد وهو فى مجلسه وقال له اعلم ياسيدى انى مابعدت نحو عشرة ايام عن هذه المدينة إلا ظهرت لى رايات الفرس تخفق فوق جيوشهم الكثيرة وهم يتدفقون آتون الينا كالبحور الزواخر وعددهم كثير لم اعرف آخرهم ولا يمضى خمسة ايام إلا ويكونون فى هذه الديار لأنى عجلت المسير حتى وصلت بعشرة ايام انما هم لا يمكن ان يصلوا بأقل من خمسة عشر يوما فلما سمع الوليد كلامه علم بأن الحرب قريبة ولذلك اصدر اوامره بأن تتهيأ العساكر للحرب والطعان وان تخرج خارج المدينة كلها وان تترتب بحسب فرقها ورتبها وان يستلم كل قائد قيادة جيش .

واما الشاه سرور فانه خفق قلبه عند سماعه هذا الكلام على غير ارادة منه وعلا وجوه اصفرار المخاوف الناجم عن الرعبه والجبن فشاهد منه طيفور ذلك ولحظ عليه

أنه فى اضطراب فعلم أن فيروزشاه قد زرع فى قلبه كثيرا من المخاوف والأوهام حتى لم يعد يقدر على الثبات وضبط نفسه عندما يخطر على باله . وتأكد أنه يخافه جدا ويرتعب منه ولذلك قال له على مسمع من الجميع هو ذا ياسيدى العدو قد جاء فى أثرك وفى نيته أن سيدى الوليد يتخلى عنك ولا يعلم أنه قد جمع له من الجيوش والفرسان مايكفى لابادته وإبادة جيشه وقتل فيروزشاه بأسبوع واحد أو بالحرى بيوم واحد فليكن قلبك ثابتا لأنك طالما طلبت وقوع هذه الحرب وتمنيتها لتتخلص من فيروزشاه وتزف بنتك على الشاه صالح ونعود بعد ذلك إلى بلادنا ونحن نردد الشكر لمن سيكون خلاصنا على يده والا لو لم يأتنا الملك ضاراب إلى هذه البلاد لبقيت بلادنا بيد العدو لأنه لا يعود يمكننا أن نرحل إلى تلك البلاد خوفا من أن يترقبنا هناك فاذا رآنا يفاجئنا وينتقم منا وأما الآن فسيلاقى شر عمله ويقع فى قبضة المصريين الذين لا بد من أنهم يمحون آثاره ويخربون دياره ويقطعون ذكره من بين الملوك فأظهر الشاه سرور على نفسه الجلد والقوى من قلب الضعف وقال لا بد لنا من انتشاب حرب طويلة تتحدث بها بعدنا أهل الأجيال القادمة وإنى أسأل الله أن يكون النصر والفوز لعساكرنا وأبطالنا

ثم إن الوليد أمر طارق أن يترقب مع عياريه الأعداء ويعلمهم بحال قدومهم إلى تلك الديار فأجابه إلى أمره وقعد بانتظار الأعجام ولم يكن إلا أيام قليلة حتى بانت طلائع الفرس وظهرت عن بعد راياتهم وأعلامهم وللحال أسرع طارق إلى الوليد فأخبره بقدوم أعدائه وقال له هو ذا قد جاءوا وعما قليل يعسكرون إلى شرقى المدينة وينصبون خيامهم وربما بالقرب من الشعاب . فقال الوليد إنى أحب أن أرى عن مقربة كيف انتظام الأعداء وترتيبهم وكيف يسيرون ومن المقدم منهم ومن المؤخر . فقال له طارق هيا إلى أعالى بعض الآكم فأقم عليها فترى ما أنت طالبه وتريد أن تعرفه وللوقت سار الوليد وسار معه طيفور والشاه سرور وبيدنديش الوزير وجماعة من الأعيان والفرسان وصعدوا ظهر أكمة وأقاموا عليها وقد أحدقوا بأنظارهم إلى البر وقد وقف طيفور أمام الوليد يشرح له عن حالة الفرس إلى أن تبينوهم وقد ظهر بالأول سيامك سياقبا وهو فى طليعة الجيش كأنه الأسد فوق جواده . فسأل الوليد عنه فقيل له خبره وماهو عليه عن الشجاعة . ثم ظهر من بعده مصفر شاه بمائة ألف فارس من فوارس طهران وقد رفعت فوق رأسه رايته المخصوصة به وإلى جانبه الأسد الرئبال والفارس المفضال من ساد على أقرانه . وسما بعلو المنزلة ورفعة المكانة بين أهل زمانه . بهزاد بن فيلزور . الليث الجسور . والبطل المشهور . فسأل عنه الوليد فلم يجبه اليه أحد . وقد قال له طيفور على ما أظن أنه من ملوك العجم أنسباء الملك ضاراب

لأنه لم يكن حين محاربتنا ويظهر أنه قد استنجد به ودعاه إلى معونته وإن صح حذري يكون صفرشاه أو كرمان شاه من أولاد عم الملك ضاراب فان كان صفرشاه يكون إلى جانبه بهزاد الطامة الكبرى والآفة العظمى الذي شاع صيت شجاعته في مشرق الأرض ومغربها . ثم نظر الوليد إلى جيش آخر مثله وهو جيش كرمان شاه ومعه بيلتا كالبو الجارح أو الاسد الكاسر . ثم تبين الوليد الجيش العظيم يتقدم تحت الراية الكبيرة الذهبية فقال على ما أظن أن هذه الراية راية الملك ضاراب وهذا الجيش جيشه . قال طيفور نعم هذا هو ملك القوم الذي اعتاد على التعجرف والبذخ وهو يفاخر في نفسه ويتعاظم ويظن بنفسه أنه في أعلى درجة فوق ملوك هذا الزمان ولاسيما قد زاد هذا التعاظم عند ما نظر إلى ولده فيروزشاه نظر من اعتقد أنه أول فارس يذكر في زمانه .

ثم بعد أن تقدم جيش الملك ضاراب نظر الوليد إلى ما بعده وإذا بجيش صغير منتشر في تلك الارض طوليا وكلهم يرفعون بأعمدتهم إلى الاعلى وهم طوال القامات سود الالوان وفي وسطهم صاحب هذه السيرة ومرهب الابطال باعماله الخطيرة ليث الفلاه من داست بساط المجد رجلاه . وتناولت من شامخ السعد بدور الاقبال يداه . فيروزشاه حبيب عين الحياة . وفوق رأسه رايتان . باهواء السعادة تخفقان . وإلى جانبه ميمون فسال الوليد طيفور عنه فأجابه وقد اعترته رجفة عصابية وتحركت منه دواعي بغضه له وقال له ياسيدي هذا الذي نحن هاربون من وجهه خائفون من حربه ونزاله لايفارقنا شخص هيبته هذا الذي أبعدنا عن بلادنا وشتتنا في أقطار الارض هذا الذي قتل طومار ويبروز وميمرة هذا من إذا ذكر اسمه بين جيوش اليمن تطايرت كتطاير الرماد من نفخات الارياح الشديدة هذا الذي أسير جيوش فارس بظل سيفه وتحتمي بهيبة اسمه وتسود بقائم همته وعلو اقدامه ووحدانية بسالته هذا الذي يزاحم الشاه صالح عين الحياة هذا فيروزشاه ابن الملك ضاراب من اختص به النصر وخدمته الشجاعة حتى اختصت به وحده . فلما سمع الوليد كلامه تعين عليه أن صفه بهذه الاوصاف وقال له لقد وصفته فوق ما هو وسوف ترى بعينيك ما يحل به وما يأتي من أمره وكيف يصبح أكلا للبوم والغربان تندبه أهله وفرسانه انما أسألك عن الرايتين اللتين فوقه بخلاف غيره . قال ان احدى تلك الرايتين هي فارسية نسبة له ولدولته والثانية راية الزوج الذين استولى عليهم واتخذهم لنفسه جيشا خاصا وهم رجال الملك هورنك وهذا قائدهم ميمون الذي عاق بحب فيروزشاه وجاء يخدمه في حروبه بخلوص نية وصفاء مودة . وجعل ينظر الوليد الى جيش بعد جيش والى راية بعد راية بحسب أقسامها وترتيبها وكل جيش يخبره عنه طيفور الى

أن نظر إلى مؤخرة الجيوش فوجد الراية الأخيرة وهي تخفق فوق رأس حامي الفرس وفارسها فيلزور البهلوان وهو مسن في العمر شيخ هرم فلما رآه سأل عنه فأجابه خاطر وقال يا سيدي إذا رمت أن تعرف من هذا فهو الذي أحرق قلبي وأشعل نار غضبي وابكاني وما رحمني هذا الذي قتل أخي خطيرا وأثار بقلبي عليه سعيرا فهو فيلزور حامي مؤخرة الأعداء وهو في هذا السن إلا أنه شديد الحيل قوي القوائم لا يوجد من يقدر أن يلقاه في الميدان من الكهول والشبان . فقال له الوليد لا بد لنا من هلاكه وأخذ الثأر منه لأني أعلم عظم الفجعة التي أفجعنا فيها بقتل أخيك فارس بلادي وحاميها . وبعد أن انتهت عساكر الأعجام من التقدم أتت مكانا رحيبا في شرقي المدينة بينها وبين جبل مرتفع هناك فضربت خيامها وسرحت أنعامها وقد نظرت إلى أمامها فشاهدت عساكر المصريين متجمعة وهي ضاربة خارج المدينة متهيئة التهيء الكامل منتظرة قدومهم ولذلك اختار الملك ضاراب مكانا لنزوله موافقا يتسلط به على المدينة وعلى جيوشها المتجمعة

وأما الوليد فانه بعد أن شاهد ما شاهد من عظم ترتيب الفرس أخذه العجب ونزل بمن معه من ظهر الأكمة وهو يقول للشاه سروراني متعجب غاية العجب من الايرانيين وعظمتهم ومع كل ذلك فاني لا أحسبهم على جانب من العقل لأن ملكهم قد طرق بلادي وقصد حربي ونزع عين الحياة من يدي بالرغم عني بهذا المقدار القليل من العساكر الذي لا يبلغ ربع جيشي فبأي طريقة يفكرون أنهم يقهرون ملك مصر ويكيدونه وينفذون غاياتهم فيه وما ذلك الا لكونهم يظنون أن كل بيضاء شحمة وكل سوداء فحمة وربما تصوروا أن رجال مصر كرجال اليمن لا يقدرون على الثبات أمامهم والدفاع عن أنفسهم مع أن في بلادي من الفرسان من يقدر على أن يقاوم جيشه برمته فتأثر طيفور من كلامه وعلم أن ذلك ازدراء بعساكرهم إلا أنه استعمل الخداع في كلامه فقال لا يخفاك يا سيدي أن الملك ضاراب يخاطر كثيرا ويرمي بنفسه إلى المهالك على غير تحسب وما ذلك إلا عن جهل منه ولا ريب في أنه يجهل عظم مقدرتك وقوة سلطانك وكثرة جيوشك ولو عرف ذلك من البداية لما طرق هذه البلاد لا أولا ولا آخرا فقبح الله الجهل الذي يقود الانسان إلى انقراضه وخراب بلاده غير أن الذي حمل الملك ضاراب على هذا التهور ركونه إلى أن بين جيشه فرسان لا تهاب الموت ولا يفوتها عن نوال الغرض فوت فهي نخبة رجال هذا الزمان فان شئت عددت لك إياهم على أنك رأيتهم واحدا واحدا قال انه مخطىء في توهمه وسوف تظهر له الحقيقة ما يكون من أمر فرسانه إذا نظرهم مأكلا لسيوف المصريين . قال نعم ولا بد في الغد أو ما بعده يظهر الأمر

وتعرف الفرسان قيمة بعضها ولا زالوا فى مسيرهم حتى دخلوا المدينة من جهة أخرى وإذ ذاك أصدر الوليد أوامره إلى عموم الجيش أن يكون مرافقا لسلاحه وأخرج المؤن والمهمات إلى خارج المدينة لتكون عند العساكر كونها لا تستغنى عنها وأكثر من جمع السلاح والخيول وكل ما يلزم لقيام الحرب كى لا يكون فى حاجة إلى شىء عند اشتعال نار المعامع واشتباك أرياح المعارك

قال وكان السبب فى وصول الملك ضاراب إلى تلك البلاد هو ما تقدم معنا إيراده فيما مضى وذلك اننا كنا قد تركنا الملك ضاراب فى تعزاء اليمن عند الشاه سليم مع جميع أبطاله وفرسانه وهم بانتظار مصفر شاه الذى كان قد بعث فاستدعاه إليه فخرج من بلاده طهران بمائة الف مقاتل ومعه فارس بلاده بهزاد الايرانى وسار آت اليه وبانتظار كرمانشاه أيضا الذى خرج مع بيلتا أخى بهزاد بمائة الف فارس وكلهم ساروا إلى ملكهم ضاراب حيث كان مقيما بسبب وصولهم اليه ليرحل بهم إلى مصر وكان فى هذه المدة فيروز شاه فى هم وكدر وهو فى كل صباح يخرج إلى البر وينظر إلى جهة بلاد الفرس أملا أن ينفذ عليهم الذين هم بانتظارهم لانه كان على مقالى الجمر بسبب هذا التأخير ويود أن يعرف ماذا جرى على عين الحياة بعد رحيلها وهل أن اباها أجبرها على زواجها بالشاه صالح أم لا على أنه كان محق الركون اليها وقلبه يظهر له ما هى عليه من الثبات فى الحب وأكثر خوفه كان من أنه إذا دعوها إلى الزفاف وتحققت أن لا رجاء لها بالخلاص من ابن الوليد وانهم سيدعونها اليه بالرغم عنها قتلت نفسها لا محالة بحيث تكون قاطعة الأمل منه لعلمها أنه بعيد عنها لا يقدر أن يصل اليها ليخلصها وعندما يخطر فى خاطره هذا الوهم كان يضرب برجليه إلى الارض من ضيقة صدره ويتمنى أن يكون ولو وحده فى مصر لينتشلها من بين أعدائه المتحكمين فيها وهذه الأفكار طالما تلاعبت فيه فضيعته عن الهدى وهو محصور فى نفسه لا يقدر أن يصل اليها ولا يمكنه أن يخالف أباه أو يسبقه إلى حرب المصريين وخطر له كثير المسير فاستأذن من أبيه ان يذهب أمامه فيثير الحرب ويبدء فيها إلى أن يدركه بقية الفرسان فمنعه أبوه وقال له ان مسير العساكر أقساما يسهل على المصريين قتالنا والفوز علينا لانهم يحاربوننا ونحن فرقا فرقا متفرقة وهم منضمون جميعهم إلى بعضهم وليس من الصواب أن نباشر الحرب إلا دفعة واحدة ولا ريب أن الله الذى حفظنا إلى هذا اليوم سيحفظنا فى مستقبل حياتنا ويصحبنا بالنصر ولا يأتيك بمكروه وانى مطمئن الخاطر من جهة عين الحياة لان وزيرى طيطلوس قد نظر الى ذلك بعين بصيرة فهو عاقل خبير بأمور الدهر وأحواله ولا سيما له من كنوز علمه معرفة بما يجد من الحوادث وقد قال انه لا يسمح الشاه سرور بنته أن

تتزوج باحد قط مازال يرهب جانبك ويخافك وهذا مقرر لأنه إذا سمح بزواج بنته لايعود للوليد صالح بالمخاطرة ليدافع عنه وعن بلاده ويفاديه بكل قوته ومملكته بحيث يكون قد قضى مصلحته منه وأما إذا منع بنته عن الشاه صالح يلتزم الوليد طمعا بمرضاة الشاه سرور أن يدافع عنه ويمانع عن بنته فلا يترك أحدا يصل اليها .

وهكذا كان فيروزشاه يسكت فلا يجيب أباه عند ما يبدى له رأيا أو يسأله أمرا لأنه كان يعتبره الآمر عليه والناهى به ويرى من فروض الانسانية وواجبات الطبيعة أن لا يقبل الا لما يطلبه اليه لأنه هو علة وجوده فى هذه الدنيا وهو الذى رباه وسهل له طرق الحياة فنشأ عزيزا مكرما فضلا عن أن الفروض الدينية تدعوه الى ذلك ولهذا كان يفضل الانقياد الى أبيه ويتحمل مرارة الصبر عن محبوبته . وبالاختصار فان حالته كانت من أصعب الحالات وأعظمها كدرا وتعاسة وعند حلول الليل كان يأتيه طيطلوس فيلازمه ويقيم عنده ولا يتركه أن ينفرد بنفسه الا دقائق قليلة خوفا عليه من ان يصاب بمرض لكثرة البكاء والنحيب بل كان يشغله بالنوادر والقصص ويسرد له من تواريخ العالم واخبارهم ما يدهش به افكاره لعلمه انه يميل الى معرفة التاريخ ويرغب فى ان يعرف حوادث من تقدمه من الملوك والفرسان الذين اشتهر اسمهم فى كل مكان وسادوا على اهل زمانهم ورجال عصرهم وكان هذا الذى يزرع فيه حب التقدم من جهة والمخاطرة إلى ركوب المعالى كما كان من جهة ثانية ولاق به حبه لعين الحياة فى وهد العذاب وهو يراه قلبه عذبا فيتحمل أصعب الصعوبات بالصبر الجميل دون أن يتضجر أو يبدى أدنى كراهة

وبعد أن مضى على الملك ضاراب أكثر من شهر ونصف فى بلاد اليمن أقبل عليه مصفر شاه ابن عمه وبحال وصوله إلى المدينة كان فيروز شاه خارجها مع طيطلوس وبعض جماعة من رجاله ولما تبينت له أعلامه فرح غاية الفرح وسار بجواده إلى أن التقى به ولما عرفه مصفر شاه صاح صياح الفرح ونزل عن جواده وفعل مثله فيروز شاه وصافحا بعضهم مصافحة الاحباب الغياب ودنا أيضا بهزاد فسلم على فيروزشاه وطيطلوس وأتوا جميعهم إلى المدينة فالتقاهم الملك ضاراب والشاه سليم وسلموا على بعضهم البعض وقد عينوا لهم مكانا يقيمون فيه إلى حين وصول كرمان شاه ورجاله واجتمع بهزاد أبيه فقبل يديه وبكى على ما أصابه وقال له كفى يا أبي ان تهين نفسك إلى مبارزة الفرسان فان أولادك قادرون على ان يرفعوا عنك أثقال الممالك ويحمونها بهيبتك وبعيد صيتك . قد لعنت الساعة التى كنت بها غائبا عن معسكر الفرس حين تجاسر طومار ان يأسرك ويمد اليك يدا وانى الآن قد حضرت بين يديك فارجوك التنازل عن الحرب وان ترتاح فى محلك . فقبله فيلزور بدمعة

التشفق والحنو وقال له لا يجب ذلك ياولدى فى مثل هذه الظروف فان الملك ضاراب يحتاج إلى كل الاحتياج والجيش لا يرغب إلا أن أكون فيه على انى اعهد فيك الكفاءة فأنت فخر اخوتك وزينتهم وبك يزداد اسمى رفعة وفخرا . وكان فلزور يعلم ان بهزاد أشجع من جميعهم بنية وأقدرهم على الايقاع بالأعداء والثبات بالحرب ولذلك كان يحب أن يكون خليفته فى منصبه من بعـــده وقد شاهده عند إجراء الامتحان بين الفرسان فلم ير من هو أخف منه فى الميدان ولا أسبق عند وقوع الضرب والطعان حتى كان يزينه بميزان واحد هو فيروزشاه وعلى هذا كان يسأل دائما الملك ضاراب ان يعهد اليه بهلوانية بلاده من بعده وكان الملك ضاراب يحبه أيضا المحبة الأبوية ويسره ما يراه منه من البسالة والاقدام وقوة الجنان والفتك بالفرسان فى حومة الميدان .

وما مضى على ذلك إلا أيام قليلة حتى أقبل كرمان شاه برجاله وفرسانه فخرجوا اليه وسلموا عليه وترحبوا به وقد فرح بقدومه فيروز شاه غاية الفرح وثبت عنده انهم بعد يوم أو يومين يسيرون إلى بلاد مصر وهناك يعرف حق المعرفة ماذا جرى على عين الحياة . وأقام كرمان شاه فى المدينة إلى ثالث الايام وفى اليوم الثانى ضرب الملك ضاراب ديوانا وجمع اليه جميع الفرسان بحضور الشاه سليم وقال لهم أخبركم الآن انى قد عزمت فى صباح الغد على المسير ومبارحة هذه الديار ولذلك اريد ان آمركم بان تبكروا إلى المسير وكل منكم بأمر جيشه أن يكون مستعدا للسفر وخذوا معكم من المؤن والذخائر ما يكفى لأكثر من سنة واصحبوا لديكم الخيول الجنائب وأكثروا من قرب الماء وامشوا بانتظام وترتيب وناموا فى هذه الليلة وانتم على هذه النية . ثم التفت إلى سليم وقال انى ابارحك فى الغد وانا على يقين من خلوص حبك لدولتنا وارتباطك معنا واتحادك بالشعائر والانسانية فى هذه الحرب التى نحن سائرون اليها ولا يبرح عن بالك اننا فى حاجة إلى إمداداتك إذا احتيج الأمر اليها فقال له انى لا أزال مشعر بواجباتى لنحوكم ولذلك ترونى فى كل دقيقة اميل الى نجاحكم وتوفيقكم وستجلو لكم الايام عن الحقيقة فتعلمون صدق ما اقوله وفوق ذلك ومن ثم انفصلوا ذلك الوقت وبات الجميع فى حالة استعدادية ولما كان الصباح هبوا من مراقدهم إلى ظهور خيولهم فاعتلوها بعد ان تقلدوا بأسلحتهم ورفعت الأحمال والمؤن على ظهور الجمال وانتشرت الاعلام والبنود فوق الأمراء والفرسان وخرجت العساكر أفواجا أفواجا من ابواب المدينة وفى الوسط الملك ضاراب ومن حوله عموم ابطاله وفرسانه وخرج الشاه سليم لوداعهم فسار معهم مسافة أكثر من ساعتين ثم ودعهم وودعوه ورجع عنهم مظهرا تأسفا من بعدهم وساروا هم وقد تبطنوا

البراری والقفار وفیروز شاه مسرور بهذا المسیر وهو یعد نفسه بخلاص حبیبته من أیدی المصریین قریبا وقد تذکر وجودها عندهم ورغبة الشاه صالح فیها واهتمام أبیه بأن یزوجه بها ویزفه علیها فزأر کما تزأر الاسود وجاش الشعر فی خاطره فباح بما استکن فی ضمائره فأنشد

عین الحیاة أبشری فاللیث وافاك … ماضی العزیمة کی یغتال أعداك
سأفلق الجیش فی ضرب القنا فتری … ما أفعل الیوم فی الاعداء عیناك
أفرق القوم لا شیء یجمعهم … إلا اللحود وهذا فعل مضناك
قد أسقم الحب جسمی فارتدیت به … ثوب اصطبار وعینی العمر ترعاك
حاشای من أن أخون العهد مرتضیا … بالبعد أو أن تریدی الهجر حاشاك
أنا وأنت علی عهد الوداد فلا … حییت ان کنت طول العمر أنساك
لا کان غیری یا عین الحیاة فتی … بین الخلائق تهویه ویهواك
أنا ابن ضاراب الذی ساد الوری نسبا … وشاد بیت العلا من فوق أفلاك
سلی أباك وقد ولت عساکره … منی تلطم راحات بأحناك
وها جیوشی بهذا الیوم سائرة … تبید من منعوا عنی محیاك
وتحت منی جواد قد وجدت به … نیل السعادة أن أسعی لالقاك
وفی یدی صارم ان لاح ساطعه … بدا کبرق تبدی من ثنایاك
یشتد أزری إذا تحت الغبار بدا … سناك أو لاح فی الافکار ذکراك
عما قلیل ترینی کالبزاة علی … جیش العداة فأرمیهم بأشراکی
ویح الاعادی إذا أبلیت جمعهم … بصارم فی صدور القوم فتاك
لا أغمد السیف إلا فی رقابهم … أو أن تدوس رؤوس الملك نعلاك
أخفوك بعد شروق الوجه عن نظری … لا کان بالناس من یا بدر أخفاك
ان کان فی مصر شمس منك ساطعة … فألف شمس بقلبی من مزایاك
عین الحیاة أهل بعد البعاد حیا … ة ترتجی بالوری للمغرم الباکی
لولا رجائی بعهد منك أعهده … قدیم عهد لما أخرت ملقاك
إیاك من أن تطیعی المبغضین علی … کیدی فلا کانت لاعداء ایاك
بل فاذکری یوم کان القصر یجمعنا … وطیب لفظك یطفی لوعة الشاکی
أجری وحولی صنادید غطارفة … أسود حرب کماة عند إعراك

وکان فیروز شاه ینشد وهو سائر بین الفرسان کأنه القمر بین الکواکب وقد باح بسره علنا بین الجمیع وسمع انشاده کل منهم وقد رق له الکل ولاسیما أبوه فانه سر منه لمباهاته بشجاعته وجیشه وتوعده الاعداء بالویل والحرب وافتخاره بنسبه

واحتماله شدة المكاره إلا انه انفطر قلبه عند سماعه شكراه وتعداده لغدرات الزمان وأفعال الاعداء اللئام به وكيف انهم ابعدوا عنه جبيبته التى كان تواعدوإياها على الحب والوفاء وعدم الخيانة وعول فى نفسه انه لا يرجع عن حرب عدوه ولا ينفك عن قتاله إلا بتزويج ابنه بعين الحياة ولو كلفه ذلك إلى هلاك نفسه وجيشه معا أو ألزمه ان يلحق بعدوه إلى ماوراء الشمس أو إلى ماتحت الأرض وكان إلى جانب فيروز شاه بهزاد بن فيلزور وهو على جواده يسير مسير الأسد فى الادغال ونفسه تتوق إلى افتراس فريسته وكان يرغب فى ان يقاتل بين يدى فيروز شاه ليريه حربه وقتاله ويعرف عظم منزلته أثناء دوران دولاب القتال وتحرك جيشه إلى نظم القريض وتوعده الأعداء فأنشد وقال :

نعم أبى فيلزور الفارس البطل	مردى الكماة هزبر ماله مثل
قد جئت شبلا عنيد الرأى لا أسد	يلوى عنانى ولا الاسياف والاسل
مصلب العزم كسار الرؤوس إذا	ما النقع يوما به الابطال تكتحل
أكر بالقوم كالدولاب مستويا	فوق الرقاب وطل الدم ينهمل
أجود الطعن فى الأكباد عن شغف	إلى الطراد وجمر الروع يشتعل
ويل الوليد إذا ما رحت أطلبه	بهمة قط لم يلحق بها كال
وويل مصر ومن فيها إذا نظروا	لهيب ضرب به الارواح تنتقل
أو شاهدوا من لظا سيفى المنية لا	منها مفر ولا يثنينى العمل
سأخدم الدهر فيروزا وأبذل فى	مرضاته همة من دونها زحل

ولما انتهى بهزاد من إنشاده طرب له الملك ضاراب وأبوه وفيروز شاه وسروا به وشكروه على بسالته وإقدامه وساروا جميعا سيرا غير مرتب إلى أن قربوا من لدن الطائف وهى المدينة التى فيها فرخوزاد وخورشيد شاه ولاحت لهم عن بعد أعلام الفرس تخفق على أسوارها فسر بذلك الملك ضاراب وأرسل خبرا إلى فرخوزاد يخبره بقدومهم وكان إذ ذاك مع خورشيد شاه عند تاج الملوك يتعاطيان الخمور ويتناشدان الاشعار وقد صرفا وقتا من الزمان براحة وهناء لا يكدر صافى عيشهما مكدر ولا يمنع هناءهما مانع . فلما بلغهما قدوم الملك ضاراب نهضا بأعظم سرعة وهما لا يصدقان بذلك وقد نالهما من الفرح ما لا مزيد عليه وخرجا برجال المدينة وأعيانها إلى ملاقاته حتى وقفوا بين يديه وسلموا عليه فسلم عليهم وشكرهم على طاعتهم وانقيادهم وهنأ فرخوزاد وابن عمته بالخلاص بعد ذلك الأسر واستعاد منهما الحديث عما كان من سبب أسرهما فحكيا له السبب واجتمع بهزاد بأخيه فسلم عليه وصافحه وهنأه بالسلامة وكذلك فيرز شاه فانه أظهر مزيد فرحه بملقاه وشكر الله على خلاصه وقد

سلم عليهما جميع فرسان الفرس ثم رجعوا جميعا الى المدينة وهم على ما تقدم من الهناء والمسرة ولما دخل الملك ضاراب وبقية الفرسان والوزراء قصر تاج الملوك ترحبت بهم غاية الترحاب وقدمت لهم الشراب ورحبت لهم المآكل وهى على جانب عظيم من الفرح لتقربها منه ووقوفها بين يديه فشكرها على معروفها واثنى عليها مزيد الثناء ووعدها بكل جميل وخير وانه سيزفها على خورشيد شاه عند رجوعه من حرب المصريين وعند اتمام غرض ولده وبات الملك ومن معه تلك الليلة فى ذلك القصر وفى صباح اليوم الثانى نهض من فراشه وامر فرخوزاد وخورشيد شاه ان يركبا ويسيرا مع الجيش فاجابا بالسمع والطاعة وكذلك بهروز فانه اجتمع بسيده فيروزشاه وقبل يديه فشكره على حسن مساعيه وعاد الى ملازمته منذ ذلك الحين كما كان فى الاول ولم يتضح نور النهار غاية الوضوح إلا كانت عساكر إيران قد تحركت من ذلك المكان وهو آخر حدود اليمن وسارت بترتيب وانتظام كل جيش تحت امرة قائده ورفعت الرايات بحسب ترتيبها كل راية فوق فارس مخصوصة به وسارت الجيوش فى طريق مصر إلى أن دخلت بالبلاد التى لها تعلق بمصر فكانت تمر دون التعرض إلى احد او تقصد أذى أحد بل كانت تسير متجنبة عن العمران ولا زالت فى هـــذا التسيار الى أن قربت من مصر فعرجت الى جهة الشرق منها واختارت لها مقاما نزلت فيه كما تقدم معنا الكلام وقد شاهد وصولها الوليد وجماعة فرسانه والشاه سرور وطيفور وقد عادوا إلى المدينة

قال وشاع خبر وصول الايرانيين إلى مصر وانتشر بين الخاص والعام حتى انتهى إلى عين الحياة فصفقت من الفرح واتسع صدرها وانشرح ولم تخف مسرتها عن طوران تخت بل قالت لها اما قلت لك سابقا ان من احبته نفسى صادق الوفاء كريم العهد فها قد جاء بطالبي يجر من خلفه جيوش أبيه برمتها فكيف لا احفظ له عهدا وارعى له زمانا وهو يدعنى اينما سار وبلاقى نفسه فى حفر المهالك لاجلى . قالت هـذا دأب كل المحبين كيف لا تنظرين الى حالتنا وقد جمعنا كل هـــذه الجنود لاجلك لندافع عنك من يطالبك ونحفظك لاخى قالت ليس ذلك من أخيك وإلا لو كان كما يزعم وكان فيه الكفاءة لان يكون محبوبا لسبق الجميع إلى ورمى بنفسه بين مشتبك السيوف ودافع عنى هجمات الزنوج الذى راموا أيضا الحصول على والزواج بى انما جبنه منعه عن أن يفادى بنفسه فى مثـــل هكذا أخطار وضعف عقله عن ايجاد وسيلة توصله الى غايته رمته بسهام الجنون فتم جنونه ولا ريب فى أن جنونه بحبه لى وتعلق أمله بالوصول الى هو اعظم من جنونه الاخير الذى رماه باليأس والقنوط . وعما قليل تنظرين إلى أفعال فيروزشاه فتعذريننى على حبى له ومتى رأيت

جماله وكمال خصاله وحسن آدابه تنصفينى ولا تعودين فتلومينى على تهورى فى عشقه ولا بد من أنه سيزورنى وانا عندك فى هذا القصر لأن له زمان مديد لم يرنى وكان يعد نفسه بزواجى وهو فى تعزاء اليمن ولذلك كان يصبر نفسه على احتمال صعوبة الفراق . فتألمت طوران تحت من كلامها إنما لم ترد ان تظهر لها ما لحق بها لدى ذمها لأخيها بل أجابتها بكل بشاشة ولطف وقالت لها اتظنين الى هذا الحد ان فيروزشاه يأتى هذا القصر ويخاطر بنفسه لأجلك وهل صور لك حبك الأعمى بانه إذا حركه جنونه إلى ذلك وقصد الدخول الى هذا القصر يقدر أن يخترق عساكر ابى واسواق المدينة دون ان يشعر به احد مع ان عيارى ابى منتشرون فى كل المدينة وضواحيها وبين الجيش والخفر قائم فى كل صوب وعلى كل باب قالت سوف تريك الأيام ماقلته لك فتعلمين أن من أحبه ليس هو من الناس بل ذات قدرة تفوق أعمال البشر ولديه من العيارين ما يمرون به من أضيق الثقوب وبعد ذلك طلبت عين الحياة من طوران تحت أن تأتيها بصفرة المدام وتأخذ معها على الحظ والانبساط منذ ذلك الحين فأجابتها اليه وهى تظهر لها كل لطف وظرف ولا تريد أن تكسر لها خاطر وقالت فى نفسها ان كان حبها الفيروزشاه الآن يحملها على الفرح والمسرة فلابد أن ينقلب ذلك إلى قطع الرجاء وخيبة الأمل عندما يصبح قتيلا وإذذاك يضعف هذا الحب ويضمحل بالتتابع شيئا فشيئا ويزول بزواله وكانت تفكر أيضا أنه ربما فاز الاعجام على أبيها واحتاج الأمر إلى التوسط عند فيروزشاه والملك ضاراب فتتخذ عين الحياة وسيلة لذلك وكان هذا عن تعقل منها وحكمة بنظرها إلى المستقبل وما ربما يكون منه وقامتا على أطيب عيشة وأهنأها

وفى اليوم الذى وصلت فيه عساكر إيران وضربت أطنابها لاح لطارق العيار أن يفى بوعده للشاه سرور ويخلص له ولده وعيار بلاده هلال والأمير قتيل وقال فى نفسه ان هذه الليلة لابد أن ينام القوم من أول الليل لأنهم تعبانون من مقاساة الأسفار ومعاناة صعوبات الطرق التى سلكوها أثناء مسيرهم وسفرهم الطويل فلا ينبغى أن أضيع هذه الفرصة وأخسر اكرام الشاه سرور وأحرم نفسى من المال العزيز الذى وعدنى به إذا أتممت له وعده ولا سيما انى أشهدت على نفسى ذلك وأكبر غاية لى فى هذا المسعى أن أسطو على جيش إيران وانتشل من بينهم أسراهم فألبسهم ثوبا من الذل والعار وألقى الخوف والوهم فى قلوب عياريهم وبعد أن لاحت له كل هذه التخيلات وطد نفسه على المسير وغير ملابسه وسار بصفة فقير شحاذ ودخل فيما بين الأعداء وبدأ يطوف من جهة إلى أخرى يمتحن مراكزهم ومواقفهم إلى أن عرف المكان الذى فيه الأسرى ونظر من عليهم من الحراس ولذلك بعد عن ذلك المضرب

بواقام عند جماعة الفقراء وهو يخدم فى المعسكر الى ان مضى جانب من الليل وترتب الخفر على العسكر من جهة المدينة خوفا من مفاجأة العدو لهم فى الليل ونام الباقون اناسا بعد اناس حتى سكنت الغوغاء وهدأت الاصوات فتيقن أن الجميع قد ناموا فنهض من مرقده وانسحب الى جهة المكان الذى فيه الشاه شجاع فوجد عند باب المضرب حارس واحد يحرس والباقون نيام الى جانبه فلم يتحرش لهم ولا ترك الحارس يراه بل جاء من خلف المضرب وتمطى من الوتد بكل قوته فاقتلعه من الارض ورفعه الى جانب ثم رفع طرف المضرب وانسل الى الداخل فوجد الاسرى مستيقظين فلما نظره هلال قال له أحسنت يا طارق فاننا الآن بانتظارك فعجب طارق من كلامه من أين عرفه الا انه لم يرد أن يطيل الكلام معه فى ذلك المكان بل اخرج المبرد من حرندانه وقطع به القيود بسرعة عجيبة وبخفة لم يسبق لها نظير واخذ السكين أيضا فقطع بها الحبال وأشار اليهم يتبعوه من المكان الذى دخل منه فأجابوه وساروا من خلفه حتى صاروا خارج المضرب وعند ذلك أخذ الوتد الذى اقتلعه فربط به الحبل وأنزله فى مكانه وشده برجله حتى لم يعد يتحرك وخرجوا جميعا من ظهر جيوش الفرس وانسحبوا من بين الخفر واحدا بعد واحد وهم يذبذبون على الأرض دون أن يراهم وأوسعوا فى البر وجاؤا من طريق بعيد إلى أن وصلوا إلى معسكر المصريين فدخلوه آمنين وقد عرفهم طارق بنفسه وسأل هلالا وقال له حينما فككت قيودك قلت لى احسنت يا طارق فمن اين يا ترى عرفتنى مع انى لم اركقبل الآن ولا رأيتنى ولا عرف أحدنا الآخر . قال صدقت فى ذلك غير انى كنت أسمع عنك بأنك من آفات العيارين قد أتقنت هذه المهنة فتخرجت فيها حتى إذا ذكر عيارو الممالك والملوك كنت تذكر فى أولهم ولذلك قلت لسيدى الشاه شجاع والامير قتيل انه فى هذه الليلة لا بد لطارق العيار أن يزور الأعداء ليلقى بهم أثرا وليس أهون عليه وأنكى على الفرس من أن يخلصنا ويذهب بنا إلى قومنا ولذلك لا ينبغى أن ننام حتى متى جاء يرانا بتيقظ وانتباه فلا نحوجه الى مزيد تعب اختشاء من ان يسمعه الخفر أو يدرى به أحد لأننا إذا رأيناك ونحن على غير انتباه نلتبس فى أمرك ويحتاج الأمر إلى الاستفسار وقد جرى ما كنت أظنه وأرى من نفسى أن لا بد من وقوعه . قال خيرا فعلتم ثم قدم لهم الأكل والشراب واكرمهم مزيد الاكرام وقال لهم يجب ان تبقوا عندى هذه الليلة إلى حين الصباح كى اقدمكم للشاه سرور وانال منه المجازاة والمكافاة التى وعدنى بها . فاجابوه إلى سؤاله وناموا عنده تلك الليلة فرحين بخلاصهم ونجاتهم .

وفى الصباح نهض الوليد من منامه وقام فى مجلسه وتوارد عليه رجاله واعيانه

ومن بعد ذلك جاء الشاه سرور ووزيره طيفور وأخذ كل مركزه فقال له الوليد ان الأعداء لم ينووا القتال فى هذا اليوم ولابد أنهم أخروا ذلك لما بعد المكاتبة ليعرضوا علينا مطالبهم واقتراحاتهم وعلى ما أرجح أنهم يطلبون عين الحياة منا قال طيفور ان هذا لا بد منه وهو من خصائص الملك ضاراب أن يضع للحرب حدا وأن يبدأ بالمكاتبات مقترحا شروطا ومدعيا رغبته فى الصلح والسلام . على أنى أخبرك أمرا واحدا قد استحسنته من الأعجام فقط وهو أنهم إذا كان فى قصدهم انتشار الحرب يبدأون بدق طبول القتال من بزوغ الصباح ليعلم الخصم وينتبه اليهم . قال الوليد إنى كنت أحب أن أعرف ماذا جرى فى ليلة أمس بين الأعداء وبماذا يفكرون ولا بد لطارق العيار من أن يكون قد دخل يتجسس أحوالهم لأنى منذ الأمس لم أره فانتبه الشاه سرور إلى كلامه وخطر فى فكره وعد طارق له وقوله بأنى فى أول يوم من وصول الفرس إلى هذه الديار لا بد من خلاص ابنك وعيارك وبينما هو على مثل هذا الفكر وإذا بطارق العيار قد دخل إلى القصر ومن خلفه الشاه شجاع والأمير قتيل وهلال العيار وقد دنوا من الوليد وقبلوا يديه . فقال طارق للشاه سرور إنى وعدتك وأنجزت بوعدى فها ولدك قد خلصته لك بالأمس من جيش أعدائك وجئتك به مع عيارك الذى أنت فى حاجة اليه ولا أقبل أن يقال عنى بأنى قاصر عن القيام بوعدى وما تركت الليل أن ينقضى إلا وهم نيام عندى ففرح به الشاه سرور وقال له وإنى أفيك وعدى وأزيدك شكرا لك ولاهتمامك ولا ريب أن من كان مثلك يعظم ويكرم وقد أصاب سيدك الوليد حيث قدمك على سواك من عياريه . ثم ان الشاه سرور أنعم عليه بالأموال الكثيرة وأكرمه مزيد الاكرام ومدح الوليد منه ومن عمله وقال له اخبرنى كيف تسهل لك أن تخلص هؤلاء الأسراء فى وقت واحد وأنت لا تعرف الجيش ولا تعلم مكان سجنهما . قال إنى دخلت قبل أول الليل وأنا بصفة شحاذ حتى عرفت مقرهم وفى أى مضرب هم مسجنون . وحكى له كل ماتوقع له . وقال له فى آخر كلامه اعلم ياسيدى أن الأعداء على غير اهتمام بنا وربما ظنوا بنا العجز والضعف لأنهم بأفراح ومسرة ومامنهم إلا من يغنى ويخمر وليس عندبالهم أمرولا يهمهم هم وقد نسوا مركزهم الصعب فانهم ببلاد مصر وأن خصمهم يفوقهم أضعافا عددا وعدا . قال لا بد أن تكشف الحقيقة للعيان ادعهم بغيهم يخبطون إلا أنى أريد منك أن لا تتهامل بامر الأعداء وأن تاتنى منهم بالأخبار فى كل يوم بحيث نعرف دائما ما يحد بينهم ومنهم أيضا . قال سمعا وطاعة وأنت تعلم صدق خدمتى فسوف ترى ما يسرك وأريك كلما تعهده فى .

فهذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من الملك ضاراب فانه جلس فى صدر

مجلسه فى اليوم التالى لوصوله ودعا بأن تجتمع اليه القواد والفرسان ليعقد مجلسا حربيا يستطلع به على أفكار الجميع فاخذوا يأتون واحدا بعد واحد ولما انتهوا أو كادوا ينتهون جاء شبرنك العيار ودخل على الملك وقال ياسيدى انى رأيت الخفراء القائمين على الشاه شجاع بحيرة وارتباك فسألتهم ماالخبر فقالوا لى انهم أصبحوا فلم يروا فى المضرب أحدا ولا رأوا فيه منفذا مع أنهم طول الليل قيام فى مراكزهم لم يغفلوا قط عن الحراسة دقيقة واحدة وقد فتشوا فلم يروا أحدا وعلى ما أظن أن الشاه شجاع والأمير قتيل وهلال العيار قد تخلصوا وساروا إلى جيشهم ولا ريب أن الذى خلصهم هو طارق العيار لأنى سمعت أنه خداع محتال لا يغفل عن شئ ويجب أن يحذر منه فهو كثير المكر والاحتيال وأبواب العيارة عنده واسعة جدا . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام وقع عليه أشد من ضرب الحسام وقال أكان من الأعداء أن يسطوا علينا عياروهم وأنتم فى غفلة عنهم كيف قدر هذا العيار أن يصل إلى خلاصهم والخفر واقف اكان من الجن الطيارة أم من العفاريت السيارة ان هذا من أعجب العجائب فقال بهروز لا ريب فى أنه اقتلع وتد المضرب وبعد خروجه أعاده إلى أصله . فقال طيطلوس انه من الواجب عليكم أن تنتبهوا من عيارى مصر وتحذروا من أن يغدروا بكم ولا خفاكم أنكم اذا أردتم أن تعدوا عيارى هذه البلاد تجدون ان كل أهلها من العيارين الماهرين

ثم ان الملك بعد ذلك قال انى ما دعوتكم الا للتدبير فى أمر الحرب واستشيركم فى هل أبدأ بالحرب أو أكاتب الأعداء فقال طيطلوس ان الحرب لا بد منها انما يجب الآن فى البداية أن تكتب إلى الوليد وتطلب اليه أن يسلمك الشاه سرور وطيفور وعين الحياة فنعود عنه ولا نقيم عليه حربا ولا بد أنه يمتنع عن الاجابة فيكون هذا كناية عن اشهار حرب اذ تكون بداية الشر منه لأنه حمى عدونا عنده ورغب فى أن ينزع من ولدك من أحبها وأحبته ليزفها على ولده وما ذاك الا من أسباب التعدى والافتراء فوافق الجميع على هذا الراى وامر الملك فى الحال طيطلوس ان يكتب كتابا ويدفعه إلى شبرنك ليوصله إلى الوليد ويأتى منه بالجواب فاخذ قرطاسا ودواة وكتب :

بسم الله الذى اوصلنا إلى مصر بخير ونعمة وأبعد عنا كل مصيبة ونقمة

من الملك ضاراب ملك بلاد فارس بأجمعها وسلطان سلاطين العجم العادل المنصف إلى الوليد حاكم مصر وما يليها الظالم المسرف . اما بعد فاعلم ايها الملك الذى نحن الآن فى ارضه وبلاده انك قد تعديت على حقوقنا ووجهت بعملك اسباب العداوة الينا . وذلك لا خفاك ان ولدى فيروزشاه احب بنت الشاه سرور على مجرد

رؤياه لها فى الحلم وهذا من عجائب الصدف وغرائب الأيام لأن الله كتب له نصيباً عليها فدس بقلبه دسم هواها وهو خال من كل حب وكان إذ ذاك أول إدراكه فقصد بلاد أبيها وفيما هو فى طريقه صادف بعض القرصان وقد قصدوا التعدى على مراكب بنته فخلصها منها وجاء إلى القلعة الجيسلة وهى من أعظم قلاع اليمن كان فيها اثنين عاصيين وهما قاطر وقطير وقد اهلكا قسما كبيرا من عساكر الشاه سرور دون أن يقدر أن يكبحهما أو يستأسرهما فسكهما وقادهما أمامه بعد أن حاربهما وأرجع القلعة إلى صاحبها أى اليه ثم جاء تعزاء اليمن فوجد عساكر الشاه روز وعساكر الزنوج متجمعة حول المدينة وقد ضايق الجيوش المدينة واهلكوا منها قسما كبيرا وعزموا على أن يدخلوا اليها وليس فى اليمن من قدر أن يقف أمامهم فلما رأى ذلك ولدى استغنم هذه الفرصة ليرى عمله إلى الشاه سرور فنازل بيروز وميسرة فقتلهما وبدد جيوشهما واجلى العساكر عن المدينة فترحب به الشاه واحبه فى أول الأمر ثم ظهر حادث فى قصره وهو أن إنسانا قتل عبدا كان يفعل الفحشاء مع جارية على السطح انتج ذلك كدره وجمع العساكر حول القصر ووجه من ذلك الحين عداوته نحو ابنى وقد نسى كل مافعله معه من الجميل والمعروف الذى تقدم ذكره فمسكه مع رفيقه فرخوزاد وسلمهما إلى عدوهما هورنك الذى قتلا ولده ليخلصا بنته منه إذ ليس من العدل أن تكون زوجة لذاك الهمج البربرى كما خلصاها من السبى والانهتاك عند مهاجمة الشاه روز الذى كان قد صمم كل النية أن يأخذها سبية دون عقد نكاح والله قد اوجعهما سالمين وكان جل مارغبه ابنى من هذا الخائن أن يكافئه على جميله معه بزفاف بنته عين الحياة فامتنع وفضل خراب الديار والتغرب عن الأوطان والعذاب من مكان إلى مكان عن أن يصاهر ابنى فيروزشاه وقد عرف كل انسان انه أجمل منها وجها وأشرف نسبا وقد كملت مزاياه وانتشر صيت شجاعته بين ملوك الأرض وأعينهم وشاهد الشاه سرور شجاعته بعينه حتى أصبح إذا ذكر اسمه عنده يرتجف ويخاف . ولهذا أسألك الآن إذا كنت منصفا وترغب فى أن تحقن دماء العبد فسلمنا هذا الخائن لنصالحه ونعيده إلى بلاده فسلمنا أيضا طيفور جرثومة هذا الشر لننتقم منه ونهلكه ونأخذ عين الحياة ونرجع عنك مكتفين بهذا الذى أتينا بطلبه وتكون أنت قد نظرت نظر العقلاء وحكمت بالعدل حيث قد علمت أن لولدى الحق الأكبر بعين الحياة إذ كان علة صونها وصون بلاد أبيها وتكون أيضا قد أبطلت حربا رديئة العواقب ربما قتل فيها أكثر جيشى وجيشك ظلما لأن لادخل لهما والامر متوقف على ذلك وكرر عليك السؤال بان لا تخدع بتدلسات طيفور ولا تسمع إلى كلامه فهو خادع ماكر ولاخفاك أن الذى يمكر بغيرك يمكر بك فرداءة الطوية لا تحرمه

على صاحبها أمرا ولاتحمله على مسالمة الغير وإن كان له عظيم صالح فيك إلا أن هذا الصالح لايلبث أن يزول فيرجع إلى الخبث والخيانة . ولابد أن تكون قد شاهدت بعينيك عظم سلطانى وكثرة فرسانى الأشداء وقد فاقوا بعددهم العسكر فانظر نظر الحكيم العاقل وافعل فعل المنصف العادل ولاترمى بنفسك إلى قتالنا فتجلب لنفسك ولبلادك الخراب والويل والدمار وإياك من الممانعة فتندم حيث لايعود ينفع الندم إذا زلت القدم والسلام ختام .

ثم ختم التحرير وعنونه باسم الوليد ودفعه إلى شبرنك العيار وأوصاه أن يدفعه إلى الوليد ويأتى منه بالجواب وينظر بكل دقة إلى نخبة فرسانه ويعى إلى مايقوله الشاه سرور وطيفور وإلى كل مايدور بينهم من الكلام فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ التحرير وانطلق إلى أن وقف أمام الوليد ودفعه اليه فدفعه إلى وزيره بيدانديش ليقرأه وكان فى ذاك الوقت قد تجمعت عموم الأمراء والأعيان يتباحثون بأمر القتال . فقرأه الوزير إلى آخره حرفا بحرف الى ان انتهى منه وقد وقعت الخجلة على الشاه سرور وانعجم لسانه على الكلام ووقع الرعب فى ركابه من عظم ماهو واقع من الخوف فى قلبه وأما طيفور فانه كاد ينشق حنقا وقال على الفور ان الملك ضاراب دخل باب الكذب وقصد أن يغش سيدى الوليد بأن الشاة سرور خان وعد ابنه فيروزشاه مع انه جاء بلادنا كلص ومحتال ولذلك صار من العيب الكبير أن نزوجه بنت مثل عين الحياة التى رغب فيها أكبر ملوك هذا الزمان كابن سيدى الوليد حاكم مصر وقاهر الأعداء وقد حدثه جهله أن يطلب تسليمى وتسليم عين الحياه وما أراد بذلك الا القاء العار على مصر ورجالها ليقال انهم قد خافوا منه فأجابوا طلبه وليقال أيضا ان الوليد قليل المروءة والذمام لم يحمى نزلاءه من أعدائه ولادافع عنهم بل سلمهم الى اخصامهم ونكث عهده معهم ويرغب فى ان يخسر عين الحياة صالحا ويدفعها الى ابنه بارادة الوليد وفوق كل ذلك قد يتهدد رجال مصر بجنوده وفرسانه وقد اعمى الله بصيرته عن ان يرى هذه الجيوش المتجمعة وفرسانها المتعددة وابطالها المتهيئة وينسب لنفسه العدل ويحذر سيدى الوليد من الظلم والتعدى مع انه هو المتعدى لأن ابا البنت ووليها خطبها بارادته الى الشاه صالح وهو فى بلاده وجاء بها ركبه يزفها عليه وما كان ذلك منه بالرغم او بالقهر ولما جاء الى هذه الغاية تبعه هو لينزع منه بنته فأين يا ترى الظلم والغدر والخيانة والتعدى . وكان طيفور قادرا بتركيب الكلام وسرد الجمل بعبارات مترادفة بما يحرك السامع الى التأثر والتصديق ممن يتفنون بالكلام ويقلبه من جنب الى آخر فزاد كلامه فى حنق الوليد وقال انى أعرف كل ماذكرته ولابد لى من ان اهدم عز هذا الملك وأذل سلطانه واعدمه

ولده المفتخر به واجعل هذه البلاد مدافن لجيشه فلا ينجو أحد منه لأنه متعظم متعجرف لا يقدر نفسه حق قدرها ولا يراعى حرمة الملوك وسلطانهم أينكر انى أسلمه عين الحياة وقد نويت على أن أبذل أموالى ورجالى فى سبيل الدفاع لأنها صارت من حريم ابنى ومن نساء عائلتى الخاصة ثم أمر بيداند يش الوزير أن يكتب كتابا إلى الملك ضاراب يتهدده به ويأمره أن يرحل من بلاده والا لقى شر مصيبة وأكبر تهلكة فأجاب الوزير بالسمع والطاعة وأخذ وكتب :

بسم الله الذى علم الانسان طرق العدل والوفاء وحذره من التعدى والافتراء من الوليد حاكم مصر والصعيد والاسكندرية وبر الشام وحلب وما حوالها . إلى الملك ضاراب ملك بلاد فارس وسلطان العجم وسيدها .

وصلتنى مذكرتكم الحاوية من الوعد والوعيد والمباهاة والتهديد ما لا أظن أنه يصدر عن ملك يدعى العقل والحكمة نظيركم ولذلك قد أثرت فينا غاية التأثير وكدرتنا مزيد الكدر ومما زادنا عجبا طلبكم الينا أن نسلمكم طيفور والشاه سرور كأنكم تظنون بنا العجز والضعف أو قلة المروءة والوفاء وعدم مراعاة النزيل مع علمكم حق العلم أننا نحن الذين دعوناهما الينا طمعا فى أن نجركم إلى هذه الديار ونريكم من حربنا خلاف ما تعهدون والأعجب من هذا جميعه طلبكم بأن تأخذوا عين الحياة فترحلون بها من هذه البلاد وتكفونا مؤونة حربكم والحق يقال أنه صعب عليكم جدا أن تروا بعد تلك الدرة اليتيمة وأقرب عليكم من أن تشاهدوا بلاد مصر وجميع نواحيها قاعا صفصفا من أن ترونى أسمح بها أو أسلمها لسواى أو أراها ضجيعة لغير ولدى صالح ولهذا صار من الجنون أن تفكروا بها أو تطمعوا بخروجها من يدى وكيف يخطر لكم أن تأخذوها بالرغم عن أبيها وتدعو الحق بها وأبوها يفضل الموت على أن يسلمها اليكم ومع ذلك تطلبون الانصاف منا وتعدون مآثر ولدكم وحسناته مع الشاه سرور على أن المذكور لم يدعه إلى معونته بل أوجده هواه فى بلاده ودعته دواعى الفضول إلى أن يخاطر بنفسه لأجل غرامه ولما كنت أعلم أن الشاه المذكور لا يرغب فى أن يزوج بنته بابنى امتنعت أن أجره اليه لعلمى أن كل نفس أحق بالمحاماة عن صوالحها وأما الآن وقد خطب بنته من ابنى وسمح له بها فصارت من نساء قصرى ومن أعز الناس عندى وهل من العدل أن يسلم الرجل الحكيم الخبير كنته لأعدائها عن رضا وقبول برعايه من أنذركم الآن بانى جمعت لكم جيوشا وفرسانا بعدد رمال البحار ولا بد من أن تروا من أنفسكم صعوبة مركزكم وتهوركم إلى المخاطرة بدخولكم بلادى واختراقكم فيها فاستعدوا فى صباح الغد إلى قتالى وتهيئوا إلى نزال أبطالى ولا تظنوا أنى أغدر بكم أو آخذكم على غفلة إلا إذا كنتم تعدونى عن صفاء نية وتتعهدون لى بانكم ترحلون من

بلادى وتتنازلون عن مطالبكم وترجعون إلى الشاه سرور بلاده وتحصلون على رضائه عنكم وعفوه عن زلاتكم وما أوصلتم اليه من الشر والأذى وإذذاك ترونى لكم صديقا صادقا مخلصا أتنازل لكم عن طيبة خاطر وأقبلكم كضيوف فى بلادى قد جئتم لتحضروا زفاف ولدى على عين الحياة وأما ابنكم فليختر له زوجة من بناتنا فلا نمنعها عنه إكراما لكم ومجابرة له وهذا جل ما أخبركم به وأعرضه عليكم فاختاروا لنفسكم إحدى الحالين إما القتال إذا أصررتم على عزمكم وطمعتم بعين الحياة وإما السلام إذا تركتموها انا وتناسيتموها وعاهدتمونا على الرجوع إلى بلادكم بعد أن تاخذوا لانفسكم الراحة ماشئتم من الأيام والسلام .

وبعد أن انتهى من كتابة التحرير بعثه إلى الملك ضاراب مع عياره شبرنك فاخذه وسار وقد فرح طيفور والشاه سرور بهذا التهديد وما أبداه الوليد واطمانت خواطرهما وأملا بالنجاح والفوز وقرب العود إلى الديار وباقل من ساعة وصل الكتاب إلى الملك ضاراب فاخذه من شبرنك وكان بانتظاره ودفعه الى طيطلوس وقال له اقرأه على رؤوس الأشهاد وكان لا يزال الجميع فى مجلسه فاخذ التحرير وقرأه ففهم الجميع معناه وما منهم إلا من تكدر خاطره وحركته مروءته إلى سرعة القتال وصاحوا باجمعهم إننا لا نقبل صلحا ولا نترك عين الحياة ولو ذهبت نفوسنا وأجسامنا فى سبيل الحصول عليها واستخلاصها من هذا المكابر وأما فيروزشاه فلدى سماعه ما كان من كلام الوليد تحركت الغيرة فى قلبه وفار الغضب فى دماغه وكاد يختنق من الغيظ الذى لحق به وكاد لولا هيبة أبيه أن يركب الكمين ويقتحم جيوش مصر ولا يرجع إلا بحبيبته عين الحياة ورأى الجميع منه حالته فخافوا عليه ولذلك قال الملك إننا فى الصباح سنبادر إلى افتتاح الحرب ونرى الوليد من منا الرابح ومن الخاسر إنما أريد منك يا طيطلوس أن تذهب إلى صيوانك وتأتينا بما يظهر لك فى تنجيمك عن هذه الحرب وفصل لنا عواقبها لنكون على بصيرة من حالنا ونعرف كيف نحارب ونقاتل قال سمعا وطاعة ثم حكى شبرنك للملك ضاراب ما سمعه من طيفور والوليد فلعنه وقال إذا ساعدنى الزمان ورماه بيدى لا بد من قتله وقتل الشاه سرور وقد أقسمت وأقسم وأحتم أن لا بد من قتلهما ولو مهما كان وجرى وأما فيروزشاه فدعا اليه شبرنك وقال له هل وصل اليك خبر عن عين الحياة أو عرفت عنها شيئا قال نعم استفسرت من بعض خدم الوليد أنها مقيمة فى قصر طوران تحت بنت الوليد على أطيب ما يكون من الصحة وعرفت أن الشاه سرور لم يقبل أن يزف بنته على الشاه صالح بل اعتذر بانه صدر منه قسم أنه لا يزفها إلا بعد قتل فيروزشاه ولذلك قد اتفق الجميع فى مصر على قتلك وانك متى

وقعت فى يده لا يبقى عليك لأن هذه الحرب لا تنتهى إلا بك ولا يضعف جيشنا الا بهلاكك ولا تجيب عين الحياة الشاه صالح الا اذا قطعت رجاءها منك . فزاد غضب فيروزشاه وتمنى أن يكون واصلا الى الشاه سرور لينزل به الى القبور ويفعل مثله بطيفور وندم غاية الندم كيف كان يراعيهما ولم يقصد هلاكهما ولو قصد ذلك لوصل اليه وهما فى جيوشهما عند تعزاء اليمن انما كان جل ما يرغبه أن لا يفجع عين الحياة بابيها ولا يضع لها سببا أى يكون علة كبرى لبكاها ونوحها . ثم ارفض القوم فى ذلك النهار على أمل أن يعودوا فى المساء الى عقد المجلس لينظروا فى كلام طيطلوس وما يأتيهم به

قال وقد تقدم معنا أن الوزير طيطلوس كان من حكماء ذلك الزمان وعقلائه قد حنكته الأيام وقلبته أيادى الاختبار وكان عالما فيلسوفا ومنجما وله أكبر معرفة بالتنجيم ينظر إلى عواقب الأمور من حيث صحتها . فذهب بعد أن أعهد الملك ضاراب بأن يختبر أحوال هذه الحرب وما يكون منها قبل وقوعها ودخل صيوانه وأخذ فى البحث والتدقيق عن تركيب الأنجم وما تنتج وأحضر الرمل فضرب به أشكالا على الطريقة المعروفة عند أرباب هذا الفن فتبين له بعد حقائق أنتجتها بنات أفكاره وعلمه وصرف كل بقية ذلك اليوم إلى المساء وبعد العشاء أتى صيوان الملك فوجده محتفاً بالأعيان والأبطال كمصفرشاه وكرمانشاه وفيروزشاه وبهزاد وفيلزور وبيلتا وفرخوزاد وبقية الوزراء والقواد وكلهم ينتظرون قدومه فدخل وحياهم فوقفوا إجلالا له وإكراما لمقامه . ثم جلس على كرسيه إلى يمين الملك فصغى القوم إلى استماع حديثه وقال له الملك عجل فماذا جئت وماذا تبين لك قال وقد أظهرت لى العناية الالهية من غامض الأسرار ما يجد علينا وأخفت عنى ما يجب معرفته إذ ليس من وظيفة الانسان المخلوق الضعيف أن يعرف ما يقصده الله بل أعطيت معرفة الاستقبال اليه تعالى وانما تبينته والله أعلم أن نهاية هذه الحرب تكون حسنة العقبى علينا وخيمتها على المصريين والشاه سرور وإنما ذلك بعد صعوبات كلية وعذابات وأهوال لا بد منها تلقيناها تحت أثقال صعبة الحمل وجل ما قدرت أن أعرفه وكدرنى جدا هو أنه ظهر لى أثناء تنجيمى أنه سيقتل من بين عساكرنا بطل مقدم كبير الشأن رفيع المقام عالى الهمة يضطرب له الجيش وتهتز له الأبطال وتتأثر لموته عواصم العجم ومدنها ويحزن كل من عرفه أو سمع بصيته فاستدعا هذا القول انتباه الجميع وقال له الملك ضاراب وقد خفق قلبه وشعلت به نيران الخوف على ولده وقال له أهل تقدر أن تعرف من يكون هذا الذى يفقد من بيننا ويقتل بيد الأعداء قال إن معرفة اسمه من خصائص الله سبحانه وتعالى لأنه كما تقدم منع عن الانسان أن

يعرف كل أسراره إنما سمح له بعقل ينظر إلى العواقب ببصيرة وأن يفهم من طلائع الأمور بعض ما يمكنه عقله القاصر الضعيف أن يدركه .

وللحال نزل الملك عن كرسيه إلى الأرض حزينا كئيبا وأخذت السكتة جميع السامعين وما منهم إلا من وقعت عليه الحملة وانشغل باله وكان بعضهم يظن أن هذا الرجل العظيم الذى سيقتل هو الملك ضاراب والبعض كان يفكر أنه فيروزشاه والأكثر قد ظنوا أنه فيروزشاه لأن الملك ضاراب لايباشر حربا إلا بعد قطع اليأس والدفاع عن نفسه ورأيته وأما فيروزشاه فانه يخاطر بنفسه كل المخاطرة ولذلك نهض فيلزور واقفا ودنا من الملك وقال له لا يجب يا سيدى أن ترتاح لمثل هذا الخبر فان الحرب نار تحرق من تصل اليه ولاينجو منها إلا من طال عمره وكتب الله له السلامة ولا يفقد منا إلا الذى انتهى عمره ودنا أجله ولا من مكدر يكدرنا إلا أن لايصاب بر أسنا وها نحن آمنون منه إذ أنك لاتدخل الحرب ولاتتنازل لقتال الفرسان ومعاذ الله أن نحتاج إلى قتالك ما زال بين يديك ألف من الفرسان والأبطال يدفعون عنك الويلات ويحملون الأثقال ولا أظن أنك تخرق ناموس المملكة وتخرج من تحت الأعلام فتقاتل للدفاع عنها . فنهض الملك رأسه وقال إنى لم أكن فى خوف على نفسى فانى لا أبخل بحياتى ان كنت أقدمها فدية عن جيشى ووطنى لا سيما وإنى قد اكتفيت من العمر ولم أعد فى حاجة إلى لذاتها إنما جل خوفى على شبان فرسانى ولاسيما على ولدى فيروزشاه لأن إشارات طيطلوس تعنى وتدل عليه فهو الذى يضطرب الشرق والغرب لخبر مصرعه ويهم جميع مدن فارس أمره فهو ولى عهدهم وقد ينتظرون به اقبالا وسعادة للمملكة والبلاد فقال فيلزور انى أسأل سيدى ابنك أن لا يباشر حربا وأن يتنحى الى ناحية عن الحرب ويقيم كمتفرج مع فرخوزاد وبذلك يكون بالى قد ارتاح نوعا واطمأن خاطرى وأطلب من الله تعالى أن لايحوجنا اليه ولا الى مساعدته وفى الحال رمى فيروزشاه بنفسه على يدى أبيه يقبلهما وقال له لا تدع يا أبى الخوف يتسلط عليك فلا خوف على قط ولا تحرمنى من أن أشفى فؤادى من أعدائى ولاتمنعنى من أن أقاتل أمام جيشى فأحرزه النصر والفوز وكيف يطاوعنى قلبى او تساعدنى حاستى أن أرى نيران الحرب تشتعل دون أن أكون من وقاديها ، دون أن أحرق فيها فرسان القوم وأبطالهم فقال له أبوه عبثا ترجو يا ولدى فانى لا أسمح لك قط أن تدخل الآن معنا الحرب أو تقاتل بين جيوشنا وأطلب اليك أن تنزل شيبتى بحزن الى القبر فان فى فرساننا الكفاءة على القوم بالقتال وان كان خوفك على جيشك فاعهد بحمايته الى بهزاد

وأكرر عليك بطلبي وأزيدك من الرضى والبركة ولا أريد منك أن تعصى لى أمرا أو تخالف لى قولا فأثر كلامه فى قلب فيروزشاه فبكى بالرغم عنه إلا أنه أجاب بالطاعة وقال له معاذ الله أن لا أسرع إلى الانقياد اليك وإلى طلبك وإنى أعدك بحضور هؤلاء الفرسان أن لا أباشر الحرب من تلقاء نفسى دون أن تدعونى اليه وإنى أتحمل الآن ثقل هذا المنع بقبول وأفخر بنفوذ أمرك فى ليتعلم جميع الفرسان وجوب الطاعة إلى الآباء إنما ليكن مؤكدا عندك وعند عموم رجال فارس إنى حزين إذا لم أمكن سبقى من دماء الأعداء الذين يسرهم هذا المنع ويفرحون بسببه إذ أنهم يتخلصون من الكسر بسرعة ويثبتون أمامكم ثباتا لا علم لنهايته . ثم التفت إلى جهة بهزاد وقال له ها إنى أتجنب الحرب إلى حين صدور أمر أبى إلى إنما أعهد اليك أن تكون أنت بهزاد وفيروزشاه بوقت واحد وأن تقاتل قتال الاثنين فنادى تارة باسمك وتارة باسمى ولا تقصر فى الطعان وإياك أن تثبت فى جهة بل قلب الجيش يمينا وشمالا كى يشعر جميع الفرسان والعساكر بقرب وصولك منهم ودنوك اليهم فتشتد بك قلوب قومنا وتضعف عزائم أعدائنا . فقال بهزاد سوف ترى منى مايسرك ويرضيك وتعلم أنك لست بغائب عن الجيش بل تقاتل فيه . وبعد ذلك ارفض المجلس وتفرق القوم كل إلى صيوانه . وذهب فيروزشاه وهو فى غضب لا مزيد عليه وحزن ليس بعده حزن وكان يخطر له أن عين الحياة إذا عرفت بتخليه عن الحرب ماذا يا ترى تقول عنه مع أنها تنتظر منه نصراً مجيدا وتطلب خلاصها على يديه وأن يكون له الذكر الأول بين الجيوش المتقاتلة ومن وجه آخر كان يتكدر عندما يتذكر أنه ربما لحق ضرر بأبيه أو ربما كسرت عساكره وتفرقت فيكون امتناعه عن القتال شراوويلا وصرف تلك الليلة دون أن يأخذه نوم أو يطيب له خاطر وأخيرا قال فى نفسه ان كل هذه الأمور التى تقلقنى لاتحسب شيئا فى جنب طاعته لأبيه وأنه لا فضل له أن يتعدى إلى أبيه ولو خسر عين الحياة وخسر كل اعتبار العالم ومجده حتى ولو خسر نفسه أيضاً .

وقبل صباح اليوم التالى سمعت طبول الايرانيين الحرب فاهتزت منها تلك الجبال والوديان واضطرب من كان داخل المدينة واستيقظوا من نومهم ولا سيما عين الحياة فانها سمعت أصوات الطبول فعلمت أنها طبول الملك ضاربة فانتعش قلبها وقامت قبل طلوع النهار ودخلت غرفة طوران تحت فأيقظتها وقالت لها هيا بنا إلى غرفة الشراب ففى مثل هذا الوقت يطيب الخمر وذلك على طبول الاحباب ولا خفاك أن الخيل تشرب بالصفير كما يقال . فقالت لها اطلبين منى أن أسر لسرورك بطبول الأعداء قالت إنى أسر لما فى ضميرى فسرى أنت بما شئت إنما تجلسى معى واشربى

وعاطيى فان الاصطباح يحلو لى مثل هذا اليوم وياليتنى كنت قريبة من ساحة القتال أرى بطل الفرس وهو يصول على فرسان أبيك فيطردها بين يديه كما يطرد الليث الأروع أضعف الخراف فقالت لها انى أجيبك إلى سؤالك حبا بشخصك وإكراما لك لا رغبة فى أن اسمع أصوات أعداء أبى بسرور وأطرب بهم إلى الشرب وصف بواطى المدام

وعند شروق شمس النهار نهضت عموم العساكر فركبت خيولها بعد أن تقلدت بعددها ونصولها واصطفت ذات اليمين وذات الشمال . وتقدمت بترتيب إلى أطراف المحال وقام كل أمير وقائد على تنظيم عساكره وخطب عليهم وحرصهم على الدفاع والثبات فى القتال وركب فى وسط الايرانيين الملك ضاراب كأنه فرخ العقاب وعلا فوق رأسه علمه الكبير وضربت أمامه البوقات والدفوف ورعدت طبول الحرب بين أنواع الآلات الموسقية تستدعى القوم لترقص بسلاحها على نغماتها وتمايل بشوق إلى خطف الأرواح فوق صهواتها وكذلك خرج الوليد من المدينة إلى ما بين الصفوف واعتلى فوق جواده وركب فى وسط عسكره وانتشرت رايته فوقه وضربت طبوله ترعد بعظم أصواتها حتى كان يخيل للرائى والسامع ان القيامة أخذت فى أن تقوم أو أن الملائكة السبع قد سكبت بجاماتها على الأرض بأمر الجالس على العرش كما هو مكتوب فى سفر الرؤيا فحدثت أصوات ورعود وبروق كل هذا يجرى من العساكر وهى فى تأهب واستعداد فذاك غاد وذاك رائح وذاك يشهر سيفه وذاك يرفع عمده يتفقد سرجه وذاك مستو فى سرجه ينتظر بتحرق الهجوم وإيقاع القتال وفيروزشاه واقف على قدم بالقرب من فرخوزاد وهو يذرف دمع التأسف على بعده عن تلك الحالة لأنه نهض فى الصباح فتقلد سيفه وركب جواده وغير ملابسه حتى لم يعد معروفا وإذا بفرخوزاد قد جاء اليه وقد فعل كفعله لأن الملك أذنه أن يبقى معه ولا يفارقه فسار أثناهما إلى أن اختار تلك الأكمة وهى قريبة من موقع القتال دون أن يعلم بهما أحد وأقاما متفرجين ينظران ولا ينظران ولما رأى فرخوزاد بكاء فيروز شاه قال له لا تحزن يا سيدى على عدم دخولك الحرب فى هذا اليوم فان فى الجيش فرسان وأبطال لا يخاف مثلهم الزمان ولا أظنهم يغلبون ولا بد من انتصارهم على الأعداء ومن الواجب أن لا تحزن أباك فانه هكذا أراد . قال لولا خوفى من الخروج عن طاعة أبى وأن يقال بين الجيش انى خالفت له أمراً لما صبرت دقيقة عن أن أخوض بنفسى هذا القتال بل كنت ترانى بين جيش المصريين أنزل به الويلات والضربات ولا شك أن هذه الحرب لا بد من أن تحتاج إلى كما انى أحتاج اليها لتعجيل مدتها لأنى أخاف من التطويل فيضيق صدر عين الحياة وهى لا بد الآن أن تكون

منتظرة قدومى اليها لأرفعها من بين القوم فى كل صباح ومساء أو ربما تكون منتظرة أن تسمع ماذا أفعل فى جيش مصر فاذا بلغها أنى لم أكن بالجيش تحزن وتتكدر أو ربما يبلغها أنى تنحيت عن القتال فتخاف من أن تكون قد تغيرت أطوارى فجنبت وخفت الأعداء مع أنها تعلم أنى لا أقدر العواقب وأنى أرمى بنفسى دائما بين مشتبك القنا ولا فرق عندى كثرة الفرسان أو قلتها فكيف يسعنى أن أصبر عن أن أروى سيفى من دماء أعدائها الخبثاء الذين حالوا بينى وبينها فجعل فرخوزاد يلاهيه بالكلام ويطمنه بأنه سيعود إلى الحرب بأمر أبيه إذا نظر أن الجيش فى تأخير :

وفى تلك الساعة هزت العساكر بيارقها وهجمت هجمات الفهود وقومت أسلحتها وزئرت زئير الأسود . ونادت بالحرب والقتال . وصافحت بعضها مصافحة الوبال وقبلت الخدود بأفواه النصال وطأطأة الرؤوس لأقدام الأعمدة الطوال واستراحت الأرواح مروحة بارياح الأهوال ودامت الادمية كالديم تسال . ودارت بدوره دوائر الدمار على الأبطال . وطال طالب الطعان واستطال . وخير مخبر الفخر فاختار أخبار الخير فى المجال . فطال ومال وجال وصال . واكتال كواسر الكبر بأكبر مكيال . واقتحم يحمحم أسود الدحال . وكر يكسر بكره الكتاف بلا كلال . وهم بهمهم همهمة الفهود فى الأدغال . ليصطاد صيده بصرامة صارمه الفصال وجد وأجهد جهده بتعجيل الآجال وعلى مثل هذه الحال دار دولاب الأشعال وكثر القيل والقال وبان الصحيح من المحال وزادت نار الوغا فى الاشتعال فاستئصلت الأرواح من الصدور أى استئصال واحرقت بسعير هامهج الرجال فددتهم على بساط الرمال وابعدتهم عن هذه الدنيا وهى دنيا الزوال وأما بهزاد الفارس الريبال فانه حارب دون كل ولا ملال ولا أخذه فتور ولا انحلال بل كلما اشتدت نار الروع زال فى الحرب وصال ومال . واشتدت به العزائم والأوصال حتى أرعب القوم بقتاله وحير بعجيب فعاله ولم يكن يهدأ فى مكان أو يأخذه هدؤ أو توان أو يتمكن احد من أن يصل اليه أو يقدر فارس أن يقف بين يديه حتى توهمه كل من رآه انه لاشك فيروز شاه ولذلك كانت تفر الأعداء من أمامه . طالبة الخلاص من منايا حسامه . وقد شاهدت العجم أعماله . ومدحت حربه وقتاله . واشتدت أعصابها به ورجحت النصر عند مشاهدة حربه وما تناصف النهار إلا وكان خرق عساكر المصريين عده مرار وقسمها إلى فرق واقسام . فضيع ما كانت عليه من الترتيب والانتظام وقد سال عليه من الدماء ما غير حاله فلم تعد تعرفه الأصحاب ولا الأعداء ولولا مناداته باسم فيروز شاه . واكثاره من افتخاره ونداه لما ميزته أبطال العجم من بين تلك الامم ومن بعد نصف النهار عاد يغطس بين

المصريين وجعل يضرب فيهم بعزم وقد اشتبكت من حوله الفرسان ومالت اليه من كل مكان قاصدة له الهلاك والقلعان حتى اختفى عن العيان وغاص بين الأبطال والشجعان وهو مسرور فرحان بتكسير الرؤوس وإخماد النفوس . لأنه ماضرب ضربة رخابت ولا طعن طعنة إلا وصابت . وكلما قربت أن تدنو منه الرجال . صاح فيها ومال عليها بالصارم الفصال فتنفر من بين يديه كالجمال ثم يصبر عليها أن تدود ناعمة البال فيرجع إلى تفريقها على تلك الحال وبينما هو باشد نزال يقاتل ويصادم ويدافع ويهاجم لاحت منه التفاتة إلى الأكمة التى عليها فيروز شاه وفرخوزاد الم يعرفهما وظن أنهما من الأعداء فحدثته نفسه بان يسرع اليهما ويعدمهما الحياة ولذلك صاح فى من أمامه من أبطال الكفاح ومال فيهم يضرب الصارم الذباح حتى فتحوا له طريقا ففرقهم وخرج من عن يمينهم وهو مغموس بالدم من رأسه إلى قدمه لم يبن منه إلا الإنسان عينيه وقبل ان يقرب منهما نظر اليه فيروزشاه وقال لفرخوزاد إنى أعجب من هذا الفارس فانه يقصدنا وقد يظهر لى أنه من جهة الأعداء وهو يروم أن يوصل شره الينا ولاريب فى أنه مبعوث لقتالنا فانزل اليه وارجعه بالخيبة أو اقتله واعدمه الحياة ولا تدعنى أن أقاتله فاخرق وصية أبى قال سمعا وطاعة وفى الحال أشهر فرخوزاد سيفه وتقدم نحوه فوجده آت على نية القتال فصبر إلى ان وصل فرفع يده بسيفه وضربه به وقد ظن انها تكون القاضية عليه فضيعها بهزاد بمعرفته ولم يردان يطيل معه القتال بل تناول مضارب سيفه بدرقته فى يده الشمال وارسل يده اليمين إلى جلباب درعه فاقتلعه من بحر سرجه وهو كالعصفور فى يده ثم رمى بنفسه إلى الأرض فكاد يدخل بعضه ببعض وعزم على ان يتناول السيف ويضربه به وإذا بفيروزشاه قد اخذته السرعة واشتد به الغضب وتعجب من عظم مقدرة ذلك الفارس الذى فعل بأخيه فرخوزاد مافعل مع انه من الأبطال الأشداء ولم ياخذه صبر من الانتظار له وتخليصه من يده قبل ان يعجل عليه لذلك اطلق عنان الكمين فخرج من تحته كالسهم الطيار وقبل ان يصل سيف بهزاد إلى فرخوزاد صاح فيروزشاه صيحات الغضب وقال ويلك ايها الجسور اربع يدك فقد جاءك فيروزشاه بن الملك ضاراب فارتعب بهزاد عند سماعه هذا الكلام ورفع بيده الحسام وهو محير وارجعه عن اخيه ونظر إلى فيروز شاه فوجده قد احمر وازرق وخرجت الزبد على اشداقه وتدحرجت عيناه وظهرت عليه علائم الغضب والانتقام فخاف من أن يوصل اليه شرا فقال له ارفق يا سيدى فانا بهزاد لا بل فيروز شاه وقد ظننتكما من الأعداء ولم يكن فى عهدى انكما تكونان فى هذا المكان وانتما بغير ملابسكما المعتادة فلما سمع

فيروز شاه كلامه وتحقق انه بهزاد دنا منه وقبله وقال له لم يكن فى عهدى بين جموع الأعداء من يقدر أن يفعل مثل هذه الفعال أو يلتى فرخوزاد فى قتال إلا ان كان أنت يابهزاد قال لم أكن من الأعداء ياسيدى إنما خرجت من بينهم وقد فرقتهم فى هذا النهار عدة مرات وغاب الأخ عن أخيه ولم يعد يعرف القائد أى فرقة يقود ولا بأى جهة هو ولولم يكن بين رجال مصر فرسان وأبطال لما ثبتوا كل هذا الثبات إنما الكثرة تثبت أمام الشجاعة إذا لم أقل انها تتغلب عليها والآن فانى لاأحب انأطيل المقام فى هذا المكان فليس هو مقام مقال ثم نزل إلى أخيه فرفعه وكان قد تأثر ورض جسمه من عظم الضربة وتكدر من أخيه وظنه قصد بذلك ان يظهر له شجاعته وبسالته ليعلمه انه أبسل منه فأخفى ذلك فى قلبه وشكره على بسالته فاعتذر اليه بهزاد وقبله ثم ركبه جواده وعاد إلى ساحة القتال وفيروزشاه مسرور بعمله فرح بقتاله فنظره قد عاد من المكان الذى خرج منه فصاح واقتحم معركة الكفاح وعاد إلى عمله الأول من الصول والجول الى ان مالت الشمس إلى الغروب واحتجبت عن الأبصار وإذ ذاك دقت طبول الانفصال تشير إلى الفرسان والأبطال ان ترجع عن الحرب والقتال وكانت نار الحرب عظيمة الاشتعال . وهى فى تسعر والتهاب واشتداد مصائب وصعاب فلم تقبل عساكر إيران ان ترجع عن الطعان والضراب . بل ثبتت فى مراكزها ودامت فى أعمالها لأنها كانت فرحة باعمال بهزاد مسرورة القلب والفؤاد ولما رأت رجال مصر ان الأعجام يرغبون فى اتصال الحرب والصدام تحت اعتكار الظلام التزمت ان تجاريها على أعمالها وان لاترجع من أمامها فتتبعها إلى خيامها وعلى هذه الحال اتصلت نار الوغى من النهار إلى الليل وجلبت على القوم مصائب الاكدار والويل ورجع عن ساحة الميدان كل ذليل جبان ونزل مهان . وقصد الاختفاء فى الظلام عن العيان . ليكتفى مؤونة الضراب والطعان . ويصون نفسه من المذلة والهوان . والهلاك والقلعان . وثبتت الصناديد الشجعان . ترجو لنفسها الفخر وعلو الشان . فلله در بهزاد الصارم اليمان وما فعل فى ذلك الليل الكثير الهوان ودر فيلزور البهلوان فانه سطا على الأعداء بقوة قلب وجنان وأجرى الدماء كالغدران . ومثل ذلك فعل مصفر شاه وكرمان شاه الأسدان . وقد عجزت عن ان تفعل كأفعالها الجان أو عماريت سليمان . وأما بيلتا فلم يأخذه هدو ولا توان . بل جال بين المصريين أى جولان . وفعل فيهم فعلا يذكر إلى آخر الزمان كأنه عنترة عبس وعدنان وكانت الحرب ترسل من جوف جهنمها ألسنة من النيران فتلتهم الرجال وتخرج الارواح من الابدان . وتدفق الدماء من الاوداج بعد الاحتفال . فتسيل فى أقنية الأرض كمسيل الغدران . وكان الليل قد بعث باشتداد

نوره على ذلك المكان وغاب عنهم من الحنق نور بدره وما بان وتفرق عن بعضهما لكثرة تجمع المتقاتلين الفرقدان ومالت من ثقل عيار صعوبة الوغى كفة الميزان . وأدبر اليهم بظهره إعراضا عن قباحة تلك المناظر الدبران . وبعث اليهم زحل بأكوام النحس أى بعثان واختار سعد ذابح وسعد بلع وبقية السعود الاختفاء وعدم البيان . إذ لم يكن لها عند أولئك القتلة مقام ولا امتنان . واستوى المشترى وأظهر ماله من العظمة وقوة السلطان . وأسل سهام غضبه فالبست الارض ثياب الارجوان واعترى الزهرة الخمول والذبول لجفاف الوجوه الحسان . ورش عليهم الدلو من ماء غضب المريخ باشكال وألوان وقد حنق على القوم من عظم ماجرى وما كان ووقفت الكرة مضطربة على الدوران وأمرت الصبح أن يعجل بالاتيان فلم يجب بل تظاهر بالاعراض والنسيان . ولم يقبل أن يرى مايفعله المتقاتلان إذ لم يكن يسمع إلا البكاء وصرير الاسنان واحتدم الافئدة بالغيظ والغليان وامتلأت من جثث القتلى تلك البرارى والقيعان وحامت فوق الرؤوس كواسر العقبان وكان يظهر للقوم أن يوم الحشر قد آن وجاءت الساعة وآن الأوان وقام ميخائيل وجبرائيل وإسرافيل وعزرائيل يقدمون النفوس للحسبان . قال وكان الليل ليل حالك . كثرت فيه المصائب والمهالك ولم يعد يعرف الصديق من الصاحب ولا الاعداء من الأقارب . بل كانت الاصوات . تظهر العلامات . فيعرف الرجل الاخصام . معرفه الظن والايهام . وكثيرا ما قتل المصرى مصريا واليمنى يمنيا . والايرانى إيرانيا والشامى شاميا . وامتزج الجميع وأى امتزاج . وعالجوا انفسهم بالصبر من داء البلايا فلم ينجع العلاج .

هذا وبينما كانت الحرب قائمة بقيامها المتقدم ذكرها كان فيروز شاه قد انحدر عن الاكمة وهو فى ضيق صدر ووقف بالقرب من أبيه وهو يزأر زئير الاسود ويلطم على الخدود ويتحرق ويعض على أسنانه من ألم الامتناع عن الحرب وهو تارة ينظر إلى نار تلك المعمعة المتسعرة بزناد فرسانه وطورا يصيح بدون وعى كأنه ضمن القتال يقاتل ويناضل ويطعن فى صدور الفرسان فأدرك أبوه منه ذلك وعرف انه إذا بقى بعيدا عن الحرب يخسر عقله ويختل فلزم أن يعهد بأمره إلى طيطلوس فى الغد فاما أن يمنعه عن القتال بحكمته وإما أن يعود فيأذن له فيقاتل مع الفرسان وقد تحقق عند كل من رآه أنه لا يرتوى إلا بالقتال وشرب دماء الابطال والخوض تحت الغبار المتسردق فوق الرؤوس .

قال وما جاء صباح اليوم التالى وفى المتحاربين بقية رمق من عظم ما نالهم من هول ذلك الليل الكثير المصائب والاخطار والمملوء بالاحتفال والويلات ولذلك

شعروا بضرورة احتياجهم الى الراحة والعود الى الخيام وترك الحرب والقتال فضربت طبول الانفصال واخذ العسكر بالرجوع وهم فى فرح لا يوصف وقد فرشت فسحات تلك الأرض من جثث الرجال المقتولة والخيل المائتة وقد تقدم أن فيلزور قاتل فى تلك الليلة قتالا لم يسبق له أن قاتل مثله فقد أشفى الغليل وبدد جموع الأعداء وأهلك منهم جانبا عظيما حتى كادت تكل يداه وفى الصباح سمع نفير الملك ضاراب يأمر بجمع العساكر وأن تعود عن الحرب فعاد مسرورا بما فعل فى النهار الماضى والليل الذى أعقبه وقد افتخر بنفسه فانشد .

يجدد الدهر فى عزمى وفى هممى	ويرفع السيف فى شانى وفى عظمى
أنا أنا فيلزور الفرس ان رفعت	سرادق النقع أجلتها يدا هرمى
ولى فؤاد وان خط المشيب على	رأسى سطورا يرى العلياء بالهمم
ارعبت جيش العدا من بعد أمنهم	وراح يرجف منى حامل العلم
أنزلت بينهم الويلات فاندثروا	وشدت للفرس بيتا غير منهدم
فخرت بالسيف حيث المجد كان به	والفخر للسيف ليس الفخر للقلم
وما برحت بطول العمر افتك فى الا	عدا بصمصامة من صنعة العجم
وكم هوى من هوا عزمى غطارفة	تقبل النعل قبل الرجل والقدم
وكم ذلك مليكا لى وكم بطلا	اقمته صاغرا قد قاد فى لحمى
حتى غدت ترجف الأبطال ان ذكروا	اسمى ويرهب شخصى سائر الامم

وكان فيلزور ينشد أثناء عودته وهو آمن طوارق الدهر وحدثانه يفخر باعماله وما أعطاه الله من القوة والبطش وإذا بخورشيد شاه يناديه عن مقربة منه بصوت الرعشة والاضطراب ويقول له احذر لنفسك يا فارس بلاد فارس فقد غدرت بك أيدى اللئام فالتفت بسرعة إلى ورائه وإذا بسيف خطير يهوى كالقضاء المنزل فلم يتمكن من التحذر منه قبل أن أصاب رأسه فشجه ووقع على كتفه فاز الهافغاب وعيه ومال عن جواده إلى الارض يخبط بدماه . وكان السبب فى ذلك أن خطيرا كان لا يزال محروق الفؤاد على أخيه خاطر وهو يترصد الفرص ليأخذ لنفسه بالثأر ويقتل فارسا عوضا عن أخيه أما فيروز شاه وأما قاتله أو احد أولاده فلم يتمكن إلى ان كانت تلك الليلة فقال فى نفسه ان هذا الليل ستار ولا بد لى من أن آخذ لنفسى بالثـــار فقصد جهة بهزاد وكان قد شاهده ونظر منه الأهوال فحاول القرب اليه فلم يقدر لأنه كان يدور كاللولب وينتقل من جهة إلى أخرى وهو يصيح وينادى ويكردس الابطال فوق بعضها وتجفل من يديه الفرسان وكلما تجاول وإياه يرى نفسه مغلوبا معه فيفر من أمامه ويستره الليل فيلتقى بهزاد بغيره وهو غير حاسب له حساب حتى احترق قلبه

وتألم من عجزه عنه وعول على الغدر به على غير انتباه منه فترقب ذلك إلا انه وجده متحذرا لنفسه لا يغفل عن أن يدور بجواده من الامام إلى الورا.فى كل دقيقة وثانية ودام كذلك إلى أن اختفى عنه بهزاد بدخوله فى عباب ذلك الجيش الكثيب الذى كان يفعل فيه كما تفعل النار الشديدة الالتهاب فى القش اليابس فمال إلى غير جهة وهو يحاول أن يرى من ياخذ منه بثأره فلم يتوفق إلى ذاك إلى أن قرب الفجر فسمع صوت فيلزور يطعن فى الأبطال ففرح بذلك ودنا منه ولم يجسر أن يقاتله لعلمه أنه ليس من رجاله فدار من حواليه ينتظر اغتنام الفرصة لقضاء غرضه إلى أن ضربت طبول الانفصال واخذ المتحاربان فى الرجوع ورجع فيلزور وهو آمن من العدو إذ شاهد أن الاعداء قد عادوا نحو خيامهم ولم يخطر له أن خطيرا يترصده وأنه رأى رجوعه فسار فى أثره بسرعة كلية وانقض عليه بعد فراغه من إنشاده وضربه بالسيف فاصابه وكان خورشيد شاه كما تقدم نظره حين رفع يده بالحسام فلم يتمكن من ان يدركه فصاح فى فيلزور على رجاء ان يميل عن الضربة غير ان فراغ أجله عجل بالاصابة قبل ذلك ولما نظر خطير أنه تمكن من عدوه أطلق لفرسه العنان وكر راجعا حتى اختلط بين قومه وادرك رجال جيشه واختفى بينهم وإذ ذاك علت الضجات ودنا من فيلزور فوجده يختبط بدمه فرفعه إلى صدره وقد احتاطت به رجال العجم من كل ناح فنظر اليهم نظر المودع وقال لهم عند شعوره بارتياح الموت اهدوا ودا عى إلى الملك ضاراب وإلى ولده فيروزشاه وأخبروهما أن يعاملا أولادى كما كانا يعاملانى وقولوا لولدى بهزاد انى عهدت اليه بأخذ الثأر من خطير الغدار . ثم أغرب عينيه واسلم الروح فرمت الرجال بقباتها إلى الأرض وحثت الترب على رؤوسها ومزقت ثيابها ونتفت لحاها واكثرت من بكائها وعويلها وصراخها وتنالت خبر موته الرجال حتى انتهت إلى الملك ضاراب فصاح من شدة التأثر والألم وتأسف على قتله وحزن مزيد الحزن وكذلك طيطلوس وفرخوزاد وفيروز شاه وما منهم إلا من ناح نوح الثكلى وبكا بكاء النادبات وقد تفطرت المرائر وشقت الكبود وامر الملك ان تحمل جثته إلى صيوانه ففعلوا واتوا بها مرفوعة على اعناق الأمراء والقواد والصراخ قائم من ورائها ومن امامها كان بيلتا أيضا يندب ويصيح من فؤاد محروق وابتاه . احرقة كبداه قد أحرمتنا لذيذ الهناء وأذقتنا لوعة العزاء فلا كان من اوصل اليك الأذى واوقع فيك غدرا وعدوانا فقد نفذت فيك سهام العدا ونحن بعيدون عنك لم نر خيانة الغادر الناكث . قال وبينما كان القوم يزدحمون افواجا افواجاوهم مابين باك ونائح ومكشوف الرأس وممزق اللباس وإذا ببهزاد قد اقبل وهو يخب بجواده كأنه السهم الطيار ففتح له طريق فدخل بجواده وعمده فى يده مرفوع

قال وكان بهزاد فى أطراف الجيش يطاعن ويقاتل وما انفك عمن كانوا أمامه إلى أن أدخلهم الخيام وعاد وهو فرح بالنصر الذى أحرزه والفخر الذى ناله بقوائم سيفه وما تقدم إلا القليل حتى سمع أصوات رجال إيران تصيح وتنادى وتندب وتبكى عن بعد أكثر من ربع ساعة ورأى الذين أمامه فى اضطراب وانشغال فخفق قلبه هلعا ودنا من بعض الفرسان فسأله عن السبب فلم يجسر أن يجيبه بل نظر إليه نظرة اليأس ورفع صوته بالبكاء والتعداد فضاق صدر بهزاد وسأل الآخر ففعل كالأول فقامت عيناه فى أم رأسه واحمر وجهه من صعود الدم اليه حتى كاد يختنق وصاح فيمن أمامه بصوت كالرعد القاصف وقال له ويلك اخبرنى ما سبب هذا الاضطراب وهذا النوح ولا تخش غائلة فما أنا ممن يؤخذ بضربات المصائب ولا تضعف همته النائبات فبكى وحث التراب على رأسه وقال له اعلم يا سيدى ان الأعداء قد غدروا بنا وأوقعوا بسيدنا وأصابوا بسهام خياناتهم مقتل حامينا وفارسنا قد قتل أبوك سيد فرسان إيران واستاذها خليفة جدك صاحب السلاح البهلوانية وفارس الأقطار الايرانية . فلما سمع هذا الكلام وقع فى قلبه أشد من وقوع السهام إلا انه أخفى كدره ولم يصدر من عينيه دمعة بل سار بجواده كما تقدم حتى انتهى إلى مكان المأتم فشاهد العزاء قائم الأركان والجميع يلطمون وينوحون حول أبيه ولما رأوه بعدوا له وقد ظنوا أنه يرمى بنفسه على أبيه أو يحول عن جواده ليبكى عليه فلم يفعل بل وقف مطرقا اليه وقد وضع برأسه على عمده والقاه إلى الأرض وبقى مطرقا نحوا من عشرة دقائق والكل ينظرون اليه وقد تعجبوا من عمله ولاسيما اخوته والملك ضاراب وقد تركوا البكاء منتظرين نهاية عمله وإذا به قد رفع رأسه وقال قد وقع القدر فلا مرد انما أريد أن أسأل من كان حاضرا عند قتل أبى فاجابه خورشيد شاه وحكى له كل ما شاهده فتنهد من فؤاد محروق ثم التفت إلى الملك ضاراب وقال له وعلى م عولت الآن وماذا فكرت أن تجرى بجثة أبى قال ان حرقتنا عليه عظيمة فما قد تمت تنبيهات طيطلوس فبالحقيقة انه ركن عظيم وعمود ثقيل وكان فى نيتى أن تحمل جثة أبيك إلى إيران لو كانت البلاد قريبة غير أنه يلزمنا الصبر لاننا بين أعداء يسرهم مصابنا ويفرحهم بكانا كما يبكيهم هنانا ويكدرهم فرحنا ولذلك عزمت على أن تدفن جثة أبيك الآن وفى الغد نعود إلى القتال ونأخذ له بالثأر وننتقم من عدوه خطير الذى غدر به . فقال انى أسألك بما لأبى عندك من الحب وما كان له من المراعاة أن لا تدفنه قبل أن آخذ له بالثأر ثم مال بوجهه إلى عموم الفرسان والأمراء وقال انى التمس منكم أن لا أحد منكم يبكى ابى قبل أن تروني قد بكيته فما نحن بنساء ولا يليق بنا أن نبكى قتيلنا والأعداء يفرحون لموته فلا نقيم

البكاء بيننا ما لم نقيم البكاء على خطير الذى غدر به لكزجواده فخرج من تحته كالبرق فى السرعة وقد رفع عمده بيده ولعب به بالهواء وهو مشعل بالغضب والحنق حتى وصل إلى خيام الأعداء وأقام الضرب فى فرسان مصر وعسكرها وهو ينادى ويلكم أبناء الحرام وأولاد اللئام أسرعوا إلى حاكمكم ودعوه أن يأمر خطير أن ينزل إلى لآخذ بثار أبى وإلا رجعنا معكم إلى الحرب والطعان وانزلنا بكم الذل والهوان وأذقنا كم الموت الذى لا يفوتكم منه فوت فجفلت من يديه الفرسان وقد خانته كل الخوف وأسرع أكثرهم إلى حضرة الوليد يعلمونه بطلب بهزاد وانهم شاهدوا الأعداء يتحركون إلى العود إلى القتال وفى نيتهم تجديده إلى حين استيفاء الثأر من خطير

قال وكان الوليد قد رجع من مركزه إلى صيوانه وهو مكدر من فعل الأعجام لأنه كان يظن أنهم لا يثبتون أمام رجاله أكثر من يوم دون أن يلحق بهم التعب ويعتريهم الملل وتأخذ قوتهم فى الاضمحلال فلما رأى ما رأى فى ذلك اليوم ونظر فى المساء أنهم لم يوافقوا على ترك الحرب بل أجهدوا أنفسهم فيها وابلوا رجاله بالويل حتى كادت قوته تضعف لولا كثرة جموعه وكان أكثر المقتولين من المصريين ومن اليمنيين قال لوزيره بيدانديش انى كنت أنظر إلى الشاه سرور بازراء وانسب اليه الجبن وضعف القلب إلى أن شاهدت أعمال الفرس فاذا هم بالحقيقة رجال الحرب واسود الطعن والضرب وآفات القضاء وويلات البلاء فانظر إلى فعلهم فى يوم أمس وليله فقد أفجعونا بكثير من أبطالنا وعمد بلادنا فاذا دام علينا الأمر هذا المنوال عشرة أيام يعترينا الانقراض وتتفرق عساكرنا وأبطالنا ويقع بنا الخسران وأى خسران فقال له الوزير لقد عرفت كل ما عرفته والحق أولى أن يقال بأن رجال فارس وفرسانهم من أشد رجال هذا العالم وأبسلهم فقد قاتلوا قتالا لم أر ولا سمعت بمثله قط وما كان يحكيه لنا طيفور عن فعلهم طومار والزنوج قد رايته بالعيان.

وبينما هما على مثل ذلك الشان وإذا بالأمير خطير قد أدركهما وهو من الفرح والسرور على جانب عظيم وكان الوليد قد وصل إلى صيوانه فدخله وجلس . وجلس من كان معه وجلس الشاه سرور وطيفور وإذا بخطير قد دنا من الوليد وقبل يديه وقال له يهنأك يا سيدى كبح أعدائك والايقاع بهم فقد قلعت من بينهم درسا متينا وقتلت منهم فارسا خطيرا وقد خدمتنى السعادة ورمتنى إلى أعلى متون الحظ والفرح لأنى أخذت بثأرى من عدوى الذى قتل أخى خاطرا وأحرق قلبى وقلب أولاده عليه . فقال له الوليد ماذا أهل قتلت فيلزور قال نعم قتلته بصارمى هذا الذى لا يزال ينقط من دمه وقد مال إلى الأرض جديلا مفارقا دنياه وهو يفاخر ويباهى بفتكه فينا ولو لم نرجع عن القتال لقتلت منهم مقتلة عظيمة لأنى لم أكن موجها باهتمامى إلى عامة

العساكر بل كنت أقصد الفرسان والأمراء حتى التقيت بفيلزور فأنزلت عليه قضاء الله المقدور وما ذلك إلا لعلمي أن الجيش لا يثبت الا برؤسائه وفي الغد إن شاء الله لابد من قتل بهزاد وفيروزشاه أو الاثنين معا ومتى قتلا مالت جيوش فارس وأدبرت عن هذه البلاد وهي خاسرة حاسرة ففرح الوليد بكلامه وشكره عليه وأمر له في الحال أن يلبس حلة مزركشة من الديباج الفاخر وأن يزاد له في معينه وأما الشاه سرور فانه شعر من نفسه بالنجاح والتفت إلى طيفور وقال له هوذا قد هد ركن عظيم من أركان الفرس ولا بد أنه يضعف لموته جيش فارس سيما بعد أن يقتل فيروزشاه وقد تعهد خطير بقتله في الغد وهو قادر على ما يقول قال انه عاجز عن قتل فيروزشاه إلا أني أعرف أن السعادة اذا خدمت انسانا ساعدته على نوال غاياته فاذا قصد ازالة الجبال أزالها وعندي أن نحوس الفرس ستقبل عليهم ومن المقرر أنهم قد استخدموا السعادة أعواما وقد انقضت مدتها فلابد من ابدالها بعكسها وقد يرجع أن خطيرا يقتل فيروزشاه ويعدمه الحياة وليس على الله من أمر عسير ثم التفت طيفور الى خطير وقال له قد وجب لك علينا الاكرام الزائد واننا نرجوك أن لا تنسى هذا الوعد الذي وعدت به سيدك واني أشهد على هؤلاء الجماعة وسيدي الوليد أنك ان قتلت فيروزشاه وبهزاد دفعت اليك بأموالي وتركت سيدي الوليد أن يبعث اليك بخزائنه مملوءة من الذهب ولا تخاف من هذا الأمر ومن مبارزة هذين الفارسين فاذا كان قد قضى الله لهما أمرا منكرا سخر النملة من وجه الأرض فتؤذيهما وتميتهما وكم من حادثات تفعل أصغر الحشرات وأحقرها فكم بالحري وأنت من فرسان مصر الأشداء وأمرائها المقدمين وليس من يقدر بين عموم رجال الأعجام يقدر أن يلقاك الان كان هذان الفارسان والثالث قد قتلته والذي عانك على قتله هو قادر أن يعينك على الاثنين المذكورين فحرك هذا الكلام شجاعة خطير وقال سوف تنظرون مني ما يسركم ويرضيكم وقد طمع بالمال الذي وعده به طيفور ووطد عزمه على أن يفعل بهما كما فعل بفيلزور فيستغنم الفرصة ويغدرهم وأقام مسرورا بالخلعة التي وصلت اليه ويمدح الوليد له لانه أبدل له حزنه بمسرة .

قال وبينما الوليد في مجلسه وهو مع بطانته والذين داخل صيوانه في فرح يصفون شجاعة خطير وهو يفاخر بنفسه وإذا بالصيحات قد قامت من كل ناحية واضطربت جموع المصريين وأسرعوا يركضون إلى الوليد وهم في خوف ورعب فسأل ما الخبر وما السبب الموجب لذلك الاضطراب فدخلوا اليه أحد الفرسان فقال له اعلم يا سيدي أننا بينما كنا قد حولنا عن خيولنا وفككنا لها لجمها ودخلنا الخيام نرتاح من التعب الذي ألم بنا من جرى الحرب التي أقمنا بها نحوا من ٢٤ ساعة وإذا ببهزاد

الفارسى ابن فيلزور المقتول قد هجم على الخيام وأخذ فى أن يقتل فى فرساننا وهو ينادى أسرعوا إلى حاكمكم الوليد واسألوه أن يبعث إلى بقاتل أبى فاما أن يقتلنى ويقرنى اليه واما ان أقتله وأعدمه الحياة وآخذ بثأرى منه فى نفس هذا الصباح وقد آليت على نفسى أن لا أنزل عن جوادى ولا أنزع عدتى ولا أدفن أبى الا بعد أن أقاتله ويكون الفاصل بيننا هذا الوقت لا غير وإذا أبى وامتنع عن أن يلقانى فى الميدان سرت اليه إلى وسط ديوان الوليد وقتلته هناك وفعلت بجميع من فيه مثله وأعدت الحرب هذا النهار وهذا الليل ولا أترك راحة لمرتاح ثم نظرنا يا سيدى إلى جهة الايرانيين فوجدنا عساكرهم على أهبة الاستعداد وخيلهم ما برحت مسرجة ملجمة وعددهم لا تزال عليهم فاضطرب عسكرنا لذلك وخاف الكبسة وحملة الأعداء ونحن على غير استعداد إذا امتنع خطير عن مناضلة ومقاتلة بهزاد . وكان هذا الفارس يتكلم وخطير يخفق قلبه من الخوف لانه شاهد قتاله وعرف عظم بسالته فخالطه حزن عظيم ولم يعد يعرف بماذا يجيب أو ماذا يكون منه وقد سال العرق باردا على جبينه وحدثته نفسه بقرب أجله وبينما هو على مثل ذلك وإذا بأحد الفرسان الموجودين قد وقف وسأل الوليد أن يسمح له فى أن ينزل إلى بهزاد ويعدمه الحياة ويلحقه بأبيه وكان هذا الفارس من بلاد الغرب واسمه نصر المغربى وكان من الطماعين الحاسدين وقد شاهد الوليد انعم على خطير وسمع طيفور يعده بالانعام والاكرام فحسدة على تلك النعمة وحدثته نفسه أن يبارز بهزاد فيقتله ويكسب فخرا فوق الفخر الذى ناله خطير . فلما سمع الوليد كلامه قال له سر اليه واقض أجله ولك منى كل ما تطلبه وفوق ذلك أنى أنعم عليك بزواج بنتى وأجعلك بهلوان تختى وأقدمك على كل فرسان بلادى فسر عند سماعه هذا الكلام وتكدر منه خطير لانه خاف أن يقتله فيرتفع مقامه عليه الا انه تركه يفعل غايته حرصا على حياته من الهلاك وفى الحال خرج نصر المغربى فركب جواده واعتد بعدته وسار إلى ناحية بهزاد حتى قرب منه فوجده يضرب بعمده الخام فيطيرها إلى الجو الاعلى فتقع على رؤس الفرسان فتهرسها وتذهب بأرواح أصحابها إلى الهلاك ويصيب بضرباته الرجال فيمددها على بساط الرمال فلما رآه نصر على هذه الحالة صاح وقال له ارجع إلى عملك والقانى فى ساحة الضراد لاذيقك من الموت أمره فقد بعثنى سيدى الوليد اليك لاخطف روحك من جسمك فضحك منه بهزاد وقال له من أنت ومن تدعى من الفرسان وأين الامير خطير ولما لم يبرز إلى الميدان . قال أنا الامير نصر المغربى من بلاد الغرب وقد جئت نصرة للوليد لاقاتل بين يديه وأنتقم له من أعدائه وكان يفكر الامير خطير أن يبرز اليك ويلحقك بأبيك فمنعته من ذلك وأخذت العهدة على نفسى أنى أجعلك عبرة

لقومك وأحرمك من لذات هذه الدنيا وبينما كان الأمير نصر يتكلم ويتهدد بهزاد كان بهزاد يتحرق ويتألم وقد ضاق صدره وعيل صبره فصاح به وقال له ويلك خذ لنفسك الحذر واثبت فى مراقفك فليس الآن وقت مباهاة وبأسرع من لمح البصر التحم الاثنان وجالا فى ساحة المجال واختلف بينهم الضراب والطعان والمراوغة والجولان . مقدار ربع ساعة من الزمان . وبعد ذلك ضايق بهزاد خصمه ولاصقه وصاح فيه فخبله وطعنه بالعمد على صدره فألقاه إلى الأرض قتيلا وانخطفت روحه من عظم الضربة فتركه إلى الأرض ولم يعبأ به وصاح فيمن حوله ويلكم أبناء اللئام اذهبوا إلى الوليد وقولوا له أن يرسل خطيرا وإلا سرت اليه فى صيوانه وقتلته فيه وخرقت حرمة السيادة ولا أعود بعد أبق على أحد منكم ثم لاح بعمده وأقام الضرب فى الخيام والرجال فجفلوا من بين يديه وتطايروا إلى الوليد ونعوا له نصرا المغربى وقالوا له إنه لا يزال على حاله وهو يتهدد ويفضح فينا ويذم حاكمنا ولم يعد لنا قدرة على ملاقاته فاما أن تضرب طبول الحرب فتعود الرجال إلى القتال وامادع خطيراً يبرز اليه ويخطف لنا روحه ويقصف عمره ويرد كيده فى نحره فغضب الوليد عند سماعه كلامهم وقد حزن على الأمير نصر حزنا شديدا والتفت الى الأمير خطير فوجده مطرقا الى الأرض ينتظر جواب الوليد فقال له قم الى هذا المكابر واعدمه نفسه لانك قتلت الحية وأبقيت رأسها واذا وفقك الله الى ذلك كان من حسن حظك ونجاحك فقام خطير فى الحال وهو يعلم من نفسه أنه ذاهب الى الموت وقد هونت عليه منيته ملاقاة بهزاد وخرج الى خارج الصيوان وركب جواده وسار الى أن وصل أمام بهزاد وهو على تلك الحالة يرغى ويزبد ويبرق ويرعد فصدمه وصاح فيه فالتقاه بهزاد وهو فى فرح يوصف لانه أمل بنوال مراده وأخذ ثأره من قاتل أبيه وأخذ معه فى الكر والفر والقرب والبعد .

قال وكان فيروزشاه قد خاف من أن يغدر أحد ببهزاد فاستأذن من أبيه أن يركب مع بعض الفرسان ويقف بالمرصاد حرصا على حياته فقال أبوه انى كنت أخاف أن تكون أنت المقصود بكلام طيطلوس فأصاب التنجيم سواك ومضى الخطر الذى كنا نخشاه فافعل الآن ما بدالك وليفعل الله ما كان مقدورا وركب فرحوزد ومصفرشاه وكرمان شاه وبيلتا وسيامك سياقبا وبهمنزارة وبهمنزار قنا وجميع الابطال وفى مقدمتهم فيروزشاه تحسبا من نكبات العدو وغدره وتحدرت رجال مصر انفسها وهى كارهة الرجوع الى القتال وعالمة أن القصد خطيرا وأنه ليس من لنية أن يصاب غيره الا اذا قتل بهزاد . ولا زالت الحرب متقدة بين الاثنين ونيرانها تتقد بحطب البين وهما فى أشد طعان وضراب وحرب محلب للهلاك والعذاب

مقدار ساعة أو أكثر وإذ ذاك وقع التعب فى الأمير خطير وضعفت يداه ورأى الموت نصب عينيه ولم ير له طريقا للخلاص والهرب ولا وجد له بابا يسلم به نفسه الى خصمه لانه عرف انه ان سلم نفسه أسيراً يقتله لا محالة ليأخذ منه ثاره وعلم بهزاد بارتكابه واضطرابه وقد تذكر فعله بأبيه وغدره به فهاج كما تهيج فحول الجمال وخرج الزبد على اشداقه وقام فى عزم ركابه وقد رفع السيف بيده وصاح صيحة ادوت لها تلك البرارى والقيعان ونزل بالسيف على خطير فوقع على ام رأسه فتطاير الشرار والتهب من حرى تصادمه على الخوذة ثم سقط السيف جالسا على مرفقه فنزل يهوى فى جسمه واندفقت انابيب الدماء منه فابقى السيف فى بدنه ولم يرفعه خوفاً من أن يقع إلى الأرض ولذلك اسرع فمسكه بيده ورفعه عن جواده وكر راجعا حتى انتهى الى مكان العزاء حيث ملقى ابوه فرماه الى جانبه وقد اضطربت فرسان مصر لقتل خطير وبلغ الخبر الوليد فبكى وناح عليه ووقعت الحملة على طيفور والشاه سرور لانهما كانا يؤملان نجاحاً على يده وقد ظننا انه يوفق الى ما وعد ولذلك صارا يلومان الزمان ويشكيان من فعل الأيام ونكباتها وسال الوليد عن جثة خطير فقالوا له أخذها بهزاد فزاد حزنه لانه لم يقدر ان يحتفل بدفنه ولم يرى سبيلا يكافئه به بعد مماته إلا ترقية اولاده وكان لخطير ولد اسمه خطار فدعا اليه وهو فى بكاء ونواح على ما أصاب ابيه فالبسه خلعة فاخرة وشده فارسا على جيش من جيوشه وعزاه بابيه ورتب له المرتبات وعين له العلوفات وامره ان يحضر الى ديوانه فى كل صباح اكراماً لأبيه ولعمله فقبل خطار يده وشكره على جميله . معروفه معه وقيامه فى منصب ابيه

واما بهزاد فانه بعد ان رمى بخطير إلى الارض أخذ سيفه بيده وأمر اخوته أن تقطعه بسيوفها ففعلوا حتى لم يعد يظهر له رسم وامحى أثره واشفى كل منهم فؤاده من قاتل أبيهم وإذ ذاك قال بهزاد لأخوته وللفرسان الآن يصح البكاء فابكوا ونوحوا وأندبوا مهما قدرتم فان من كان كانى لا يجب أن يبكى قبل أخذ ثاره ثم رفع صوته بالبكاء ورمى بنفسه على ابيه يقبل يديه وينوح عليه وقد مزق ثيابه وكشف رأسه وحث التراب عليه وفعلت أخوته كفعله ودارت عموم الفرسان من حواليه وكلهم فى صياح وبكاء وقد أشهروا سيوفهم بايديهم وأخذوا يدورون ويندبون ويبكون ثم وقف بهزاد وهو على تلك الحالة باكى العين حزين القلب كئيبه واشار يرثى أباه

تبكى الكماة عليه والدموع دما ... باعين لقيت يوم العزاء عمى
دعاه داعى المنايا فاستجاب وما ... أعاقه عائق لما اليه ومى
تحرك الكون من هذا المصاب على ... محاور الحزن واهتز العلا لما
افلزور أبى انى ساسذكركم ... ما دامت الخيل تحتى تعلك اللجما

مادامت الخيل يوم الروع مطلقة نحو الأعادى وسيفى يلفظ النقما
افيلزور أبى هل عودة لكم فتنظرون العدا قسمتهم قسما
وتنظرون خطيراً والصوارم قد محته والجسم منه ذاب وانعدما
لا أغفل الدهر عن كيد العداة ولا أسالم القوم حتى يصبحوا رمما
سامسك الشرق فى يوم الوغى وعلى زندى مخرق أيدا تسيل دما
ويمسك الغرب فيروز وفى يده مهند لو رآه الطود لانهدما
تثيرها نار حرب كلما ازدحمت خيولنا تحتها زدنا لها الضرما
نفرق الجيش حتى النصف بجمعنا أو ان يزيد وندرى فيهم العدما
خيولنا إذ علمت للنيرين غدت عليهما وغدونا نعتلى النجما
أبى تركت لنا الاحزان نخزنها مدى الزمان وان علمتنا الهمما
من كان مثلك يبكى المجد مصرعه ويلثم العز من أحزانه القدما

ولما انتهى بهزاد من انشاده عاد فرمى بنفسه على أبيه وزاد فى بكائه وانتحابه حتى أبكى كل من كان حاضرا من الكبير إلى الصغير وتقدم اليه فيروزشاه فرفعه وعزاه على فقد أبيه ثم تقدم أخوه بيلتا وعدده ورثاه وناح على فقده وصرف ذلك النهار وتلك الليلة ورجال فارس فى بكاء وعويل وقد وضعت جثة فيلزور فى صيوانه وسكبت عليه الروائح العطرية ورفعت فوقها الأزهار الزكية وأخذت عموم عساكر ايران تاتى اليه وتبكى عنده وتقبل يديه وتندبه كل فيئة بفيئتها وكل فرقة بفرقتها وكان ذلك المشهد المحزن من أصعب المشاهد وفى صباح اليوم الثانى دنا بهزاد وقبل يدى الملك ضاراب ودعا له بدوام العز والبقاء وقال له انى التمس منك ياسيدى ان تأمر بأن تحنط جثة أبى وترسل إلى تعزاه اليمن ومنها إلى ايران ليدفن فى مقبرة أبيه وأجداده وينضم إلى من سبقه من عائلتنا لانه إذا دفن فى هذه الارض اندثر ذكره وضاعت حسناته وهذا ما لا ترضاه عدالتكم وحبكم لانه خدم دولتكم منذ أكثر من خمسين سنة وكان أوكم يعزه ويعهد اليه بحماية البلاد كما تعهدت أنه عظمتكم ولا خفاكم ان عموم فرساننا تتذكر أنها نشأته وأنه علمها طرق الحرب والقتال وخرجها ابطالا ذطارفة فكيف ينكر فضله . فلما سمع الملك ضاراب كلامه رآه عين الصواب وقال لقد أجبتك إلى طلبك وانى ممن يحب أن يجاب لأبيك تمثال يزار ويكرم وقد تسألنى ذمتى الى ذلك وتدعونى واجبات حى اليـــه ثم التفت إلى طيطلوس وأمره أن يعتنى بتحنيطه وأن يكفنه بالحرير والصندل وأن يرسله مع مائة فارس إلى ايران ليدفن فى مقبرة أجداده وعند عودهم إلى الديار يعتنون باقامة تمثال له فأجاب طيطلوس وأخذ جثة فيلزور وفعل ما أمره الملك ضاراب وبعث بها

إلى إيران محفوظة فى صندوق من الرصاص مصفحا من دائره وأمر أن يعتنى به فى الطريق ولا تهان الجثة

قال وبعد ذلك تقدم فيروزشاه إلى ابيه وقبل يديه وقال له انى أسالك يا أبى ان تاذن لى أن أدخل هذه الحرب فان صبرى قد فرغ وأخاف من أن تصطاد الفرسان واحداً بعد واحد وأن تطول الحرب بيننا وبين المصريين وأنا واقف انظر واتحسر وقلبي يحترق ثم بكى بدمعة سخية وأظهر لأبيه انه إذا منعه عن القتال يعتل جسمه ويمرض من عظم ما يلحق به فكدر هذا الامر أباه وشفق على حالته وقال لطيطلوس أترى أيها الوزير العاقل الخبير أن من الحكمة والاصابة ان اسمح لابنى بالمحاربة وهل من خطر عليه بعد . فقال الوزير ان ما كنا نخشاه قد مضى وانقضى فان الرجل العظيم الذى كان ظهر لى أنه سيفقد من جيشنا قد فقد وأحرمتنا الاقدار من مساعدته والنفع به ولم يعد من خطر على سيدى فيروزشاه ولا سيما أن هذه الحرب تحتاج اليه ولا نصر لنا إلا به لأن نجم الاقبال معقود على جبينه وهو يقاتل بهمة تفوق كل همة لأن قتاله للدفاع عن عين الحياة ومحو اثار الاعداء واستخلاصها منهم وليس لأحد صالح كصالحه . وإذ ذاك قبل الملك ولده وقال له انى أذنت لك أن تقاتل يا ولدى واسأل العناية الالهية أن تحفظك وتساعدك وان لا توقع بك ضررا وقد سلمتك ليد الحق سبحانه وتعالى فهو لايقبل أن يفجعنى فيك لعامه بأنك وحيد لى ولبلاد فارس بأجمعها . فما صدق أن سمع هذا الكلام حتى امتلأ قلبه من الفرح والسرور ورمى بنفسه على صدر أبيه يقبل يديه ويذرف دموع الحب والطاعة

وكانت عين الحياة كل هذه المدة عند طوران تخت وهى فى حاله مائلة لى المسرة لانها علمت أن حبيبها على مقربة منها بين الجيش يقاتل لأجلها وكانت ضامنة النصر للاعجام مؤكدة انهم سيقهرون أعداءهم ولا يتركونها ولم يكن لها شىء تهتم به إلا أنها كانت تخاف من ان يلحق ضرر بأبيها أو ان تؤخذ سبية وتلتزم أن تتزوج على هذه الحاله وذات يوم بينما كانت الحرب قائمة بين المصريين والايرانيين جلست طوران تخت وعين الحياة على سفرة المدام ينتظران وصول خبر اليهما عن ذلك النهار وقد دار بينهما الحديث بهذا الشأن فقالت طوران تخت لا بد أن تصل الينا الاخبار فى هذا اليوم فاما أن تكون مكدرة لك واما أن تكون مفرحة قالت انى أعرف حق المعرفة ان فيروزشاه سيحرز النصر على ابيك فهو يقاتل لاجلى وقتاله لا تحتمل ثقله الجبال وصناديد الابطال إنما لاشىء يكدرنى إلا إذا لم يفه تفاق بين أبى وابيه وهذا الفكر الوحيد الذى يشغلنى وهو موضوع افكارى واهتمامى . قالت

إذا كانت غايتك الزواج بفيروزشاه والقرب منه وهو كما تزعمين قادر على استخلاصك والحصول عليك فماذا يهمك إذا اتفق مع ابيك او لم يتفق . قالت نعم انى اعرف انه سيصل الى وقلبي يحدثني ان ابي يهرب بي او يهرب وحده إذا وقع بعض التأخير واعترى عساكركم التفريق فاذا هرب ابي بي تكون المصيبة عظيمة لأن الملك ضاراب يلتزم ان يتبعه اينما سار برجاله وفرسانه وان ابقاني فتستولى على الفرس ويأخذني فيروزشاه من وسط المدينة عند فتحها ويكون اخذه لى كسبية نعم انه لا يرضى لى بذلك وكما ان هذا الفكر الذي يشغلني هو يشغله ايضا إنما للضرورة احكام فبعد حصوله على لايهمه ان يتأثر ابى انما يكون الكدر واقع على بحيث يقال بين العالم قاطبة انى تزوجت بفيروزشاه على غير الطرق المتفق عليها بين ملوك هذا الوقت — ولا ريب انه لو كان ابى من الذين ينظرون فى صالح نفسه ويرى الحقائق من حيث هي لما سمح بزواجي بغير فيروزشاه وكان باجابته على طلبه يكتسب طاعته ويجرى احتفالي زفاف لا اظن يجرى مثله لاحدى بنات ملوك الأرض قبل وبعد . فقالت طوران تخت ان الاحتفالات تزول وتنقضي بوقت قريب مهما كانت عظيمة وكلام العالم مهما كان لا يكون اعظم مما ان يقال بأنك تخالفين اباك حبا بابن ملك الفرس وان هذه الحروب العظيمة كلها بسببك وقد سحبتها من خلفك فاهلكت الوفا ومئات الوف من الناس وجل الغاية ان يكون فيروزشاه ضجيعك وهذه غايتك ومتى حصلت عليها فلا يعود يهمك شيء غيرها . وكان كلام طوران تخت الأخير ضحك وتهكم صادرين عن مزح ولعب . فاجابتها انك تجهلين حتى الان حقيقة الحب والعشق الفاضح ولا يزال قلبك خاليا منه انما قلت لك ولا ازال اقول ان الدهر لا يسلم معك بهذه العزلة عن العشق لاسيما وانك جميلة الوجه . وزمان شبوبيتك آخذ فى النمو والاتساع وريعان صباك سيرميك بحالة أعظم من الحالة التي انا فيها الآن . وتعلمين انى جررت خلفي هذه الحرب واهلكت بسببي كثيرا من الناس فتبعة هذه الحالة واقعة على طيفور وزيرابي اكثر مما هي واقعة علي وان كانت الغاية كما تعلمين الحصول على من أحب إلا انه من الواجب ان لاتنقص هذه الغاية شيئا من الشرف والناموس كما انى ارجوهما ولا ازال ارجوهما فاجابت طوران تخت انك تتوهمين انى سأقع بحب والاستر الشاب الذى تميل اليه النفس انما هذا الوهم لاريب انه خطأ من كانت مثلك مقودة من العشق القاتل وتحبين ان تدفعي لومى عنك وان لاتعترفين بحظك وانك لا تحكمين إلى الان سلـ[illegible] واخبرك الان ان لى ابن عم اسمه الامير زبان وقد طلبنى من ابى ورغب فى زواجى فرفضت طلبه وقلت لابى انى غير راغبة الان فى الزواج وربما فيما بعد ايضا واحب ان ابقى عنده فى بيته وتحت حمايته وهذا خير لى من ان اكون ملكة يدعيه على انه لو كان

ورغبة بما تزعمين لكنت اجبت وقبلت بزواج ابن عمى وهواحق من جميع الناس بى
وقد كرر طلبه هذا مرارا دون حصولة على جواب موافق قالت ان الحب لا يتأتى عن
رغبة الفتاة فى القران انما يقع بداعى وحدانية الصفات فى المحبوب بالرغم عن الحاب
فلو كان ابن عمك ممن يحب لوقع فى قلبك موقع الاستحسان وعشقته بالرغم عنك
وأجبته الى طلبه مع انى رفضت طلب كثيرين من الذين طلبوا القرانى ولم يكن بينهم
من هو كفيروزشاه اجمل اهل الأرض وجها وابهاهم منظرا واشدهم بأسا واحسنهم
اخلاقا وآدابا وحكمة وقد خصص الله رجال الفرس بهذه الأخلاق الحسنة فكل مافيهم
جميل ومحبوب ولاسيما الأمراء ورجال العائلة الملكية ومتى رأيت احدا منهم عذرتنى

ودامتا على مثل هذا الحديث الى ان انقضى ذلك النهار وجاء الليل دون ان يصل
اليهما خبر عن نتيجة حرب ذلك النهار وكانتا لا تزالان تسمعان اصوات المتحاربين
وغوغاء الحرب قائمة وصليل السيوف ورعيد الأعمدة وصهيل الخيول والصياح من
كل ناح . فقالت عين الحياة ووجهها يطفح بالمسرة والابتهاج الا رأيت ياطوران تخت
كيف ان الحرب لا تزال الى الآن وقداختلط الليل بالنهار واتصلت نار الوغى وماذلك
الا من عمل مسعرها ومثيرها وهو فيروزشاه ولا ريب فى انه عند المساء لم يقبل فى
ان يرجع عن ساحة القتال بل دام فى عمله لأنه شديد الميل والقوى لا يأخذه تعب
ولا ملال لاسيما وهو يرغب فى تعجيل الوقت والسرعة للوصول إلى هذا القصر ويجهد
نفسه فى إزالة الموانع المانعة من وصوله . قالت طوران تخت إن من كان عاشقا
كفيروزشاه لا يبعد أن يخاطر بنفسه ويرمى بها فى نار مثل نار هذه الحرب إنما هذه
المخاطرة ربما كانت وخيمة العقبى وقد صدق من قال إن الشجاعة والعقل لا يجتمعان
بانسان فلو كان فيروزشاه كما تزعمين عاقلا لاختار نوال مراده بالصبر ولا خاطر بنفسه
بين أسنة الرماح ومضارب السيوف فقالت عين الحياة إن الشجاعة والعقل لا يجتمعان
فى غير فيروزشاه وأما فيه فقد اجتمعا ولذلك حسب من أفراد هذا العصر ولولم يكن
يعلم من نفسه بأنه قادر على الثبات ورفع الاخطار مهما كانت صعبة لما أقام على إزالتها
إنما عقله وحكمته جعلاه أن يسلك سبيلا يقدر أن يسلكها ويتم غايته وهو طيب النفس
كريما كامل الفكرة حكيمها .

ونامتا تلك الليلة وكل منهما ترغب أن تعرف ماذا جرى على قومها ومن به
اهتمامها وكانت أشدهما رغبة فى الاطلاع على الحقيقة عين الحياة وقد ترجح فى
ذهنها أن فيروزشاه سيكون له المقام الأول فى هذه الحرب وسيلقى مزيد الرعبة
والخوف فى قلب الوليد فيحسب له كبير حساب وصبرت إلى أن أشرقت شمس نهار

اليوم التالى ومضى منه قسم قليل فخرجت من غرفتها بعد أن غسلت وجهها ولبست ثيابها وأتت غرفة طوران تخت وكانت قد وجهت باذانها إلى جهة ساحة القتال فلم تعد تسمع ما كانت تسمعه فى الليل فعلمت أن القتال قد انتهى وان الفريقين قد رجعا إلى الخيام للراحة ودخلت على طوران تخت فوجدتها قد نهضت من نومها وجلست فى غرفتها لحيتها وجلست الى قربها وقالت لها بلغك خبر عن واقعة الامس . قالت كلا ولذلك تريننى مضطربة الافكار وقد خطر لى أن أبعث بأحد خدمى إلى أبى استخبر منه عما كان وعما جرى بينه وبين أخصامه ثم دعت بخادم من خدم قصرها وأمرته ان يسير إلى أبيها ويقول له ان بنته فى قلق واضطراب من جرى حربه بالامس مع الاعداء وانه لم يبعث لها بخبر صريح وانها تروم منه فى كل يوم أن يرسل اليها بالاخبار ليطمئن بالها فسار الخادم إلى أبيها وكان اذ ذاك بهزاد يحارب خطيرا فوقف الخادم امام الوليد وبلغه رسالة بنته وقال له انها فى الامس لم تنم ولا أخذتها راحة ماوهى مضطربة الفكر من عظم القلق فترجوك أن تديم اتصال الاخبار اليها فى كل صباح ومساء بحيث تكون مرتاحة الفكر لاجلك . قال أصابت فى طلبها هذا فانى اعرف منها ميلها الى نجاحى ورغبتها فى الوقوف على أخبارى وكنت فكرت فى ان ابعث اليها بتفصيل الاخبار الا ان الظروف لم تساعدنى الآن لان الحرب استقامت بيننا وبين الاعداء نحوا من اربع وعشرين ساعة اى النهار والليل بطولها حتى اذقونا مر عذاب القتال لم يكن فى ظنى ان يكون من الايرانيين ما كان ولا يقدرون على الثبات بهذا القدر فاننا مع كثرتنا كنا لا نقتل واحدا منهم الا بعد ان يقتل خمسة منا لا سيما وان فرسانهم كثيرون وكلهم ابطال ومغاوير واكثر من ربع المقتولين هلك بسيف بهزاد وفيروز شاه وما رجعنا عن الحرب وفينا بقية رمق من التعب والضجر الا اننا اثناء رجوعنا اتانى خطير واخبرنى بقتله لفيروز حامى بلاد فارس ورئيس مقدميها واستاذ فرسانها فسرنى هذا الخبر جدا وفرحت به وفى نفس الساعة حمل على اطراف حرسى بهزاد وطلب اخراج خطير اليه ليأخذ منه بثاره فبعث اليه بنصر المغربى فقتله ثم خرج اليه خطير والآن هو فى قتاله والامل انه يعدمه الحياة ويتبعه بابيه وبينما كان الوليد يخبر الخادم باخبار الحرب ليوصلها الى بنته واذا بالفرسان قد دخلت عليه واخبرته بقتل خطير فغضب وكان منه ما كان وقد سمع الخادم كل ما وقع فرجع الى مولاته واخبرها بما سمعه ورآه وقال لها ان اباك بمزيد كدر واضطراب وقد خاف انه اذا دامت الحرب على هذا المنوال عدة أيام يفقد عسكره كله ويتأخر حاله وتخرج عين الحياة من يده ويخسر بلاده وانه يرجو من الله أن يرجع بطالع السعد اليهم ويسألونه تغير الحال بغيرها فلما سمعت طوران تخت

هذا الكلام خفق قلبها وأطرقت إلى الأرض مفكرة نحوا من ربع ساعة ثم نظرت إلى عين الحياة فوجدتها تنظر اليها وعلائم المسرة ظاهرة على وجهها وأمواج الفرح تتقلب على صفحاته فتكدرت من ذلك إلا انها عذرتها عليه وقالت فى نفسها لا شك فى أنها تسر لكدرنا وتتكدر لسرورنا وهى بانتظار نجاح الأعداء علينا وليس من الواجب أن أظهر لها كدرى فانها وان كانت ميالة إلى أخصامنا إلا أنها ضيفة عندنا وانها من جنس النساء اللاتى يتغيرون بتغير الأحوال فلو كان النجاح لنا لكانت تتكدر إنما ربما لا يلبث كدرها أن يزول بزوال رجاءها . ثم قالت طوران تخت للخادم هل قتل خطير وقاتله بهزاد وهل هو من رجاله . قال نعم ياسيدتى وقد سألت عن ذلك بعض الفرسان فاخبرنى أن بهزاد يعادل فيروز شاه فى ساحة المجال وهو بهلوان تخت مصفر شاه حاكم طهران وملكها ابن عم الملك ضاراب وقد أحكى لى عنه قصصا وأخبارا تستحق أن تذكر لأن لولاه ولولا فيروز شاه وفيلزور الذى قتل لما ثبت الايرانيين ساعة واحدة . وبعد ذلك صرفت الخادم ونظرت إلى عين الحياة وقالت لها اعلمى ياعزيزتى ان الدهر يخدمك وها الأخبار التى أنت بانتظارها قد ابتدأت فى أن تفد عليك وانى لا أكره لك المسرة والفرح انما لا أرغب فى تأخير أبى وكسر جيوشه ومع كل ذلك فان الله يفعل بعبيده ما يشاء فالنصر والكسر بيده وليس هو بيدى ولا بيدك فعلينا نحن أن نبقى على حالنا إلى أن تنتهى الحرب وليفعل الله ما يشاء . وكانت تحب أن لا تكسر بخاطر عين الحياة فقالت لها عين الحياة وقد سرت من كلامها ومن حسن مزاياها انه من حقك أن تتكدرى إذا بلغتك مثل هذه الأخبار غير انى لا انكر جميلك معى ومعروفك بالتفاتك إلى وان ضميرى ينبئنى إلى شىء واحد وهو أنك لا تبقين فى بلاد مصر وانك لا بد أن تقترنى باحد رجال العائلة الملكية الفارسية لتكونى دائما قربى ونكون مع بعضنا فى كل دقيقة وثانية وقد طلبت من الله هذا الطلب مرارا ولا ريب فى انه يجيب طلبى ويتمم لى رغائبى فضحكت منها وقالت لها تطلبين محالا كيف تطيع نفسى أن نتزوج باعداء أبى ومن لا رغبة لى فيهم . قالت متى نظرت أحدهم فبعد ذلك امتنعى واحكى ما أنت حاكيته فالعشق أوله نظرة وكانت طوران تخت مع ما هى عليه من صلابة الرأى لا تكره أن ترى أمراء الفرس لتعلم صدق كلام عين الحياة وقد بذرت لها فى قلبها بذور الوساوس والافتكار وجل ما كان قد بدأ أن يخالط عقلها وميلها ما تحققته من شجاعتهم وبسالتهم وبالطبع أن عقول النساء ميالة للشجاعة ولا سيما فى زمان مثل ذلك الزمان كانت ترى كل بنت ملك أو أمير أن من الضرورة أن تكون زوجة لرجل ذى بسالة واقدام تفتخر به عند غيرها من البنات ويحميها من أعدائها ومن غارات

الطاعين ولذلك كن كثيرا ما يتعلمن الحرب ويقاتلن رغبة فى الشجعان ولم تكن طوران تخت قد تعلمت شيئا من فنون الحرب بل كانت من الجبن على جانب عظيم خلافا لعين الحياة فانها كانت تحسن القتال وقد تعلمته من اخوتها وامتازت به وهى متينة العزم قوية القلب وأعظم منها كانت أنوش بنت الشاه سليم صاحب المدينة السليمية خطيبة فرخو زاد لأنها كانت تلبس ملابس الأبطال وتقاتل بكل أنواع الحرب وفنونه وتنازل أشد الأبطال بسالة واقداما وكثيرا ما تقود وراءها وتحارب به الأعداء وكان يركن لها أبوها كل الركون كما تقدم معنا وسوف يأتى ذكرها فى هذه الحرب وما تجرى فيها هذا وأقامت عين الحياة وصاحبتها فى القصر وهما على سفر المدام والطعام وقد علقت كل أملها بقرب وصول فيروز شاه منها ولذلك كانت كيف مالت تلفظ باسمه وكلما شربت كاس خمر تنشد شعرا يبرهن عن عظم شوقها وحبها له وثباتها على ما تواعدا عليه وتلك تسمع منها ذلك ولا تمنعها عنه ولا تلومها عليه

قال وفى صباح اليوم الثالث من الواقعة الأولى استأذن فيروز شاه أباه بان تضرب طبول الحرب تنبها للقوم ولهم وانه فى ذلك النهار سيكون قتال فاجابه وضربت الطبول فاستيقظ لها المصريون وعلموا أن الفارسين يطلبون القتال فأجابوهم بالمثل وخرجت العساكر تتقد خيلها وسلاحها وما تحتاج اليه أثناء القتال وسار كل قائد إلى فرقته يدبر أمرها إلى أن أشرقت الشمس فاعتلت الخيول وتقلدت النصول ورفعت الاعلام وتقدمت الفرسان طالبة القتال من كل جهة وصوب وتقدم فيروزشاه وهو راكب على جواده الكمين كانه البرج الحصين ومن عن يمينه ميمون ورجال الزنوج وهم يفخرون بقائدهم وقد أملوا ذلك اليوم نصرا مجيدا لهم لأنهم يعلمون أن به يرتفع رأس الجيش وتباهى عموم عساكر فارس وفى الحال هزت عساكر المصريين بيارقها وحملت فقابلتها عساكر ايران بالمثل وحمل فى المقدمة فيروز شاه وهو كأنه الأسد الكاسر أو النمر الجارح وحمل بهزاد ليث الطراد مع صفر شاه وعساكر طهران العجم وحمل كرمان شاه ومعه بيلتا ليث الفلاه وكذلك فرخو زاد حمل بعساكر أبيه وهو يهدر كفحول الجمال فى شهر شباط وحمل بهمزار قبا وسيامك سيقبا وبهمزار قلى وشبرين الشبلى الطلقانى ومرادخت اطهرستانى وكل فارس وبطل وبأقل من ساعة اختلطت ببعضها تلك الأمم. وأظهرت ما عندها من الهمم. وسلمت بانفسها الى سلطان العدم وهم الشجاع وتقدم. وتأخر الجبان وانهزم. وكانت الحرب حربية بسوسية. مملوءة من الضغائن المنذرة بالبلية. وقد ارتفع غبارها. وثار شرارها. وزاد سعيرها واتقدت نارها وغنت سيوف فرسانها وأبطالها ورقصت خيول ساداتها

ورجالها . فساعد الله بهزاد وما فعل فى ذلك اليوم الكثير السواد . فانه أطفى احتراق الفؤاد .

وتذكر أباه وما جرى عليه من الأعداء الأوغاد . فصال صولة الآساد وشك بقوائم عمده الأكباد . واستخرج الأرواح من الاجساد وأجرى الدماء كالأنهار من الأوراد وأما فيروزشاه فلا نقدر على الاتيان بوصف ما فعله وما أجراه فانه سطا سطوة جبار عنيد وأهلك كل فارس صنديد وبطل مجيد حتى أبطل ذكر عنترة الفرسان بما أجراه من الحرب والطعان وضيع صيت الملك سيف ابن ذى يزن بما أنزل على أعدائه من البلايا والمحن ومحى أفعال المهلهل بن ربيعة بما أوقع على المصريين من الويلات العظيمة فلو وجد فى تلك الحرب حمزة العرب لما رأى إلى التباهى بنفسه من سبب ولو شاهد حر قتاله البراق لأرعد مخافة من الهلاك والمحاق أو لو كان فى ذلك اليوم ضمر الجبار لاختار أن يكون من رجاله طمعا بالمجد والافتخار أو لو نظر الملك الظاهر إلى قتاله وجولانه لقال انه وحيد أطال الزمان وفرسانه ولو التقاه فى ذلك اليوم هانى بن مسعود لذل بين يديه وهو مقهور ومكمود أو لو نازله عمر بن ود لما قدر أن يقف بين يديه ساعة الفرد أو أبصره ذو الخمار لخدم فى ركابه وتمنى أن يكون طول عمره بين يدى جنابه كيف لا وهو الذى ألبس أهالى مصر ثوب الاذلال وفعل فيهم أيشم الافعال وأوقع عليهم البلايا والاهوال وأذاقهم حربا لم يسمع بمثلها منذ أجيال فما ضرب ضربة إلا وأهلكت ثلاثة أو أربعة ولا صاح صيحة إلا وفعلت فى أعداه أفعال الصاعقة أو الزوبعة وكان ينادى ويقول فى نداه أنا فيروزشاه حبيب عين الحياة وهو ينتقل من مكان إلى مكان بأسرع من وقع العيان حتى توهم القوم أن كل الايرانيين فوازير شاهات فكانوا يطلبون سرعة انقراض النهار ليرجعوا عن الحرب والطعان فصبروا على ذلك البلاء العظيم وأقاموا تحت ثقل ذلك الخطب الجسيم إلى أن انقضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فضربت طبول الانفصال ورجع القوم عن الحرب والقتال وعاد فيروزشاه وعادت من خلفه الفرسان والابطال وكان الملك ضاراب قد أنذرهم أن يرجعوا فى المساء وأن لا يقاتلوا فى الظلام خوفا من أن يفقد أحد منهم تحت الاعتكار ورجع المصريون من ساحة الحرب وهم يشكون عظم هول ذلك النهار وقد تكدر الوليد والشاه سرور وطيفور لما رأوا كثرة النقص فى عساكرهم وكثرة الجراريح ولم يكن واحد منهم يقدر أن يتكلم بكلمة وذهب كل إلى صيوانه بيأس وكدر بخلاف الملك ضاراب فانه التقى بابنه فيروزشاه وقبله بين عينيه وشكره على فعله ومدح سائر الفرسان لانه كان يراهم وهم فى وسط المعارك يطردون الأعداء بين أيديهم

ويسدون عليهم فالتقاهم بمزيد الفرح وقد ترجح له وجه النصر وبانت له علائم الفوز وكان أكبر فرحه من ولده وفعله وبهزاد وعمله .

وباتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وفى الصباح جردوا البيض الصفاح وركبوا خيولهم واعتقلوا بنصولهم وتقدموا للقتال . ودار بينهم دائر المصائب والاهوال وتقاتلوا قتالا شديدا وتناضلوا نضالا مجيدا لأن المصريين كانوا يفضلون الموت على الهرب ولذلك كانوا يثبتون فى القتال ويقدمون نفوسهم ضحايا لسيوف الفرس وما انقضى ذلك النهار حتى كان قتل منهم مقتلة عظيمة ورجعوا رجوع الخيبة وباتوا تلك الليلة فى هم ونكد وفى اليوم التالى نهضوا من مراقدهم وعادوا إلى الحرب وأشعلوا نار الوغى واستلم كل فارس جهة من الجهات حتى قامت القيامة واضطربت الأعلام واهتزت الارض ومالت الجبال وأظهرت الفرس مزيد اهتمامها وأبدى المصريون كامل شجاعتهم ودامت الحرب إلى الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت العساكر ورجع فيروزشاه وهو مغموس من دماء الابطال لأنه فعل فى ذلك اليوم أعظم مما كان قد فعل فى الأول وذلك إذ أخذه من التطويل الضجر والملل وما رجع عن الحرب إلا بعد أن حشك الأعداء فى خيامهم وأنزل عليهم قضاء الله ومصائب الايام فترحب الملك ضاراب بولده كعادته وقبله بين عينيه واجتمعت من حوله الابطال والفرسان فوقف فيروزشاه بينهم وقال بفصيح لسانه اعلموا أيها القوم الذين خصكم الله بالشجاعة والاقدام وفضلكم على سواكم من الانام أننا ما قدمنا على هذه الحرب إلا ونحن متكلون عليه تعالى ولذلك نراه يأخذ بيدنا ويساعدنا على أعدائنا ويقدم الينا كلما نحبه ويبعد عنا كلما نكرهه ومن منته تعالى لم نر فى قتالنا تأخيرا مع المصريين بل نجاحا وتوفيقا وأنه بحوله تعالى لا يمضى علينا خمسة أيام إلا وندخل المدينة وننال غايتنا منها ولذلك أسألكم أن تداوموا على اهتمامكم وأن تشكروا الله فى كل آن فهو الرحيم الديان ينصر خائفيه ويقهر كافريه وما قصدى الآن إلا أن أشكركم على بسالتكم وأن أسألكم أن تعضدونى لندخل المدينة رغما فى هذين اليومين فاذا وافقتمونى عليه وساعدتمونى اليه أدمنا الحرب فى الأعداء إلى أن تتأخروا فنطاردها مطاردة أسود الدحال إلى أن نفوتهم الخيام وتتأثرها إلى أن تدخل المدينة ونحن فى ظهورها ولا نمكنها من قفل الأبواب والمحاصرة وانى أوجه بكلامى الآن أخيرا إلى عيارى بلادنا أن يكونوا على انتباه ويقظة لأن الاعداء متى رأوا الغفلة يلجئون إلى السرقة فيسطوا عيارهم علينا ويحرموننا من لذة هذا النصر العظيم وفى الغد لا نذهب إلى الحرب بل يكون يوم راحة فأجابوه من فرد شفة ولسان أنهم يفعلون كفعله وأنه يكون والدهم فى القتال أما فيروز شاه قد سر منه أبوه كل المسرة وعلم أن ولده لا يغلب ولا يهان .

وأما الوليد فانه عاد ذلك اليوم فى مزيد كدر وجمع اليه فرسانه وأبطاله وعاد الشاه سرور وطيفور وعقد مجلسا حافلا وقال لهم قد نظرتم بأعينكم ما حل بنا فى هذين اليومين وهذا مما لم يكن لنا فى بال ولا تصورناه قبل الوقوع فيه وهل يخطر فى فكر إنسان أن خمسمائة الف فارس تفعل بألفى الف فارس هذه الفعال ونحن كنا نظن أننا نهلكهم ونبيدهم إما بالمطاولة وإما بالقتال فوجدناهم أنهم لا يصبرون عن القتال وأنهم أشداء فيه لا يغلبون ولا يقهرون ولذلك دعوتكم الآن لأستشيركم فماذا نفعل ولا خفاكم أن العساكر ترد علينا فى كل صباح والنجدات متواصلة الينا فى كل آن إنما عرفت بالاختبار أن لا فرق عند فرسان إيران إن كثرت الرجال أو قلت ولاسيما عند فيروز شاه وقد شاهدت من قتاله أنه لا نظير له فى هذا الزمان فماذا تقولون وبماذا تشيرون فقال طيفور لقد أصبت ياسيدى بما أشرت ولا اخفاك أنه ما دام فى عساكر الأعداء فيروز شاه فلا تقدر عساكر الدنيا برمتها لو تجمعت إلى بعضها أن تتغلب على جيشه مهما كان قليلا فمن الاصابة أن تتخذوا طريقة تبعده عن جوش فارس وإن أمكن أن نبعد معه بهزاد ولذلك يهون الأمر وتتغلب على الاعداء وإلا مادام بهزاد وفيروز شاه فلا سبيل إلى النجاح والظفر وكان طارق العيار حاضرا فى ذلك المكان فقال فى نفسه لقد صدق طيفور وليس من وسيلة للوصول إلى فيروزشاه إلا بى وهذا الوقت وقت إظهار فضلى واكتساب المال والانعام ولذلك دنا من الوليد وقال له ياسيدى إن كان جل غايتكم أسر فيروزشاه فانى أعدكم وعدا صادقا وأشهد على هذه الابطال والفرسان انى أجيب لكم فيروزشاه فى هذه الليلة ولا أدع الصباح يبزغ إلا وهو أسير عندكم وبذلك يهون علينا أمر قومه فقال له الوليد إذا فعلت ذلك ياطارق سمحت لك بالمال الكثير وجعلتك من أحب الناس لدى فقال له طيفور ان ذلك صعب عليك ياطارق لان فيروزشاه محفوظ عند منامه ببهروز العيار بن الغول فهو لا ينام ولا يهدأ بل يقيم لحظة داخل الصيوان وأخرى يطوف حول مضرب سيده من جهة إلى ثانية فقال طارق انى لا أحسب حسابا لبهروز ولا لغيره مهما كان مستيقظا ولا بد لى من أن أسطو عليه وآخذ سيده من بين يديه . فقال له الشاه سرور إذا أنفذت ما وعدت به فلك عندى كلما تطلبه وأغمرك بالاموال الى ان ترضى فوعدهم بكل جميل وخرج من الصيوان مسرورا بهذه المواعيد متكلا على نفسه كل الاتكال وهو لا يعرف فيروز شاه حق المعرفة وقد شاهده فى القتال فلم يتحققه حق التحقيق وكان قد استوصفه من طيفور فوصفه له كل الوصف فغير ثيابه وقصد جيش الاعداء وتخلل بينهم وسار من مكان إلى ثان حتى انتهى الى صيوان الملك ضاراب فوجد الفرسان والامراء عنده فوقعت عينه وهو من

الخارج على مصفر شاه وكان كما تقدم جميل الوجه مهاب كأنه فيروزشاه بالتمام فتوهم
انه هو نفسه فجعل ينظر اليه ويتأمل فيه وقد طابقت اوصافه الاوصاف الثابتة فى ضميره
ولم يبق عنده من ريبة انه فيروز شاه وبقى لا ينظر الى غيره خوفا من ان يضيع عنه
الى سواه ولازال صابرا الى ان مضت السهرة وقرب نصف الليل وجعلت تنصرف
الفرسان من حضرة الملك ضاراب كل الى صيوانه وهو واقف فى مكانه الى ان نهض
مصفر شاه فاستأذن فى الخروج والانصراف فاذن له الملك ضاراب فخرج وخرج
بين يديه عياره الاشوب فزادذلك تحقيقا فى ذهن طارق وقال هـذا لاشك فى انه فيروزشاه
والذى بين يديه هو بهروز بن الغول عياره الذى قيل لى انه لا يفارقه ولا يبعـد عنه
فسار من خلفهما يترقبهما وهو أسرع من الثعلب فى الحيلة حتى انتهى مصفر شاه إلى
صيوانه فدخله ودخل الاشوب من بعده فصبر أكثر من ساعة ثم جاء إلى قرب الباب
فوجد عنده حركة فقال فى نفسه لا ريب أن بهروز لا يزال مستيقظا كما قيل لى عنه
فجاء من ظهر الصيوان واخترق فيه خرقا ونظر بعين وصواص إلى الداخل فلم ير أحدا
بل نظر إلى مصفر شاه نائما فى فراشه فاسرع إلى الوتد ففك منه الحبل ورفعه ثم أخذ
قطعة من البنج فاحرقها شيئا فشيئا إلى الداخل وصبر إلى أن أكلتها النار وامتلأ الصيوان
من دخانها وتأكد أن البنج قد فعل فيمن داخل الصيوان فرفع ذيله ودخل بعد أن
وضع فى أنفه شيئا من ضد البنج ولما صار ضمن الصيوان نظر إلى مصفرشاه فوجده
غارق فى منامه وقد فعل فيه البنج كل الفعل كما فعل بالاشوب عياره فدنا منه وأخرج
من وسطه فربطه وشد كتافه ثم رفعه على أكتافه وسار به من المضرب وانسل من
جهة إلى جهة وكلما لاح له عن بعد شخص مال عنه وتحذر منه ولازال إلى أن خرج عن
المضارب والخيام وجاء معسكر المصريين فاحتله وسار إلى مضربه فوضع فيه مصفرشاه
وقد أعطاه شيئا من ضد البنج فاستيقظ كالسكران ونظر إلى نفسه فوجد حاله موثقا وفوق
رأسه طارق فعلم أنه أسر بالحيلة وأن طارق العيار سطا عليه . فقال له من أنت ولأى سبب
فعلت معى هذا وأين أنا الآن . قال أنت الآن فى معسكر مصر فى بيت طارق العيار
الذى أخذك من نصف صيوانك من أمام عينى عيارك بهروز وهو لا يقدر ولا قدر
أن يحميك منى ويمنعك عنى ولا بد أنى سأصير غنيا إذا قدمتك فى الصباح إلى
سيدى الوابد لانه وعدنى إن أتيته بك أغنانى وأثرانى ومثل ذلك تعهد لى الشاه سرور
والحمد لله قد توفقت إلى نوال المراد وأتيت بك بالرغم عن انتباه وتيقظ بهروز .
فلما سمع مصفر شاه كلامه ثبت عنده أنه غلطان وأنه قصد فيروزشاه فجاء به ولذلك
لم يرد ان يرجعه عن غلطه بل قال له إن كنت ترجعنى يا طارق تركت أنى ان

يغزر لك العطاء ويجعلك من أكبر عياري بلاده . قال محالا ترجو وما كان طارق ليقول شيئا ويرجع عنه وأى شيء أحب على رجال مصر بأجمعها من ان يروا فيروزشاه بأيديهم وبذلك يتخلصون من نار حرب دائرة بها الدوائر عليهم ولولاك لفاز رجالنا على رجالكم وأنزلوا بهم الويلات والعبر فسكت مصفرشاه ولم يبدخطابا ونام طارق إلى حين الصباح فاستيقظ من نومه وهو بمزيد فرح لا يوصف وخرج من الصيوان وجاء إلى صيوان الوليد وصبر ريثما اجتمع عنده الوزراء والأعيان والأمراء والقواد وجاء الشاه سرور ووزيره طيفور وأخذوا يفكرون كيف أن الأعداء لم يخرجوا إلى الحرب ذلك النهار وكيف لم يضربوا طبولهم كجاري عادتهم للحرب والقتال . فأجاب طيفور وقال لاريب انذلك بسبب حادث جديد أو أنهم طلبوا لأنفسهم الراحة فى هذا اليوم لأنهم فى حاجة اليها كما أننا أيضاً نحن فى حاجة اليها يوماً بل يومين بل عدة ايام . وإذ ذاك دخل طارق مسرور فرحان ودنا من الوليد فقبل يديه وقال له قد توفق عبدك ياسيدى إلى نوال المطلوب فقد أسرت لك فيروزشاه وجئت به وهو موثوق الأيدى وها هو الآن فى صيوانى وإنى أنتظر أمرك لآتيك به فلما سمع الوليد هذا الخبر طفح قلبه بالمسرة وأمل الفوز والنجاح وقال اصحيح ما تقول ياطارق قال إذا امر سيدى اتيت به فيراه بعينه ومثل ذلك فعل الشاه سرور فانه كاد يطير من الفرح وقال ان صح قول طارق فقد زالت العوائق وحصلنا على النصر المرغوب وكدنا الأعجام وهملناهم مرادنا اماطيفور فقال انى لااصدق ذلك ولو نظرته عيانا فذلك بعيد عن طارق ان يقدر عليه ويتأتى له ان يسطو على فيروزشاه وهو تحت حراسة بهروز العيار شيطان العيارين وعفريتهم . فقال طارق كيف لاتصدق وهو فى يدى وداخل بيتى وهذه الساعة تراه بعينك . فقال الوليد آتنا به على عجل واستهدف لوقوع عطايانا وإنعاماتنا فخرج طارق وبقى طيفور والشاه سرور وجميع الحضور فى ارتباك وقد تأكد الجميع اسر فيروزشاه الا طيفور فانه بقى فى ريبة وانحنى ظهره مادا برأسه وموجها بانتظاره الى جهة الباب وهو ينتظر ان يرى طارق العيار ومعه اسيره ليرى من هو وهل حقيق مايزعمه وما استقام الا القليل حتى نظر الى طارق وقد جاء يقوده مصفرشاه فعلم انه ليس بفيروزشاه فاستوى جالسا وهز براسه ومال بانظاره وقال للوليد ان اسيرك ليس بفيروزشاه وقد يبعد على من كان مثل طارق العيار ان يصل اليه وكان طارق قد دخل وسمع ماقاله طيفور فارتبك فى سره وعرف من نفسه انه اخطأ وقال على ماأظن ياسيدى انه فيروزشاه وهو لم يقل لى انه ليس بفيروزشاه قال انى اعرف ذاك حق المعرفة نعم ان هذا اشبه الناس به انما ليس هو فزاد كدر طارق واحترق قلبه واشتاق ان يعرف من يكون اسيره ثم ان

الوليد سأل مصفر شاه عن نفسه وقال له من أنت من أمراء فارس فقد ظن أنك ابن ملكهم حتى أتى بك أسيرا لأن غايتنا فيروزشاه . قال ياسيدى إن ذلك ليس فى وسع أعظم عيارى هذه الأيام فلا يمكن أن يصل اليه أحد ما دام عنده بهروز بن الغول سيد العيارين وهو متيقظ عليه كل التيقظ وهل بلغ من قدر طارق عيارك أن يصل اليه أو غيره من عيارى هذه البلاد فلا تطمعن فى المحال فزاد كلامه هذا فى كدر طارق وتمنى أنه لا كان خلق كيف أنه طرق جيش الأعداء ورجع بغير ماوعد وقال فى نفسه إذا سمحت لى الايام لابد لى من أن آتى بفيروزشاه على رغم أنف بهروز . ثم ان الوليد استعاد من مصفر شاه عن اسمه ومن يكون فقال له أنا سليل المجد والفخر أنا ابن عم الملك ضاراب صاحب طهران العجم فلا تأسفون على فوات فيروزشاه فان أسيركم هو من رجال فارس العظام فيقتضى مراعاه جانب للملك وشرفه ولو كنت فى حرب أو طعان لما قدر أحد منكم أن يصل إلى أو لو كنت مستيقظا لما وصلت اليكم وما أسرتمونى إلا سرقة وما ذلك إلا فعل العاجزين الضعفاء فقال له الوليد كيف كان الحال فأنت أسيرنا الآن وانى لا أرغب فى إهانتك وسأرسلك إلى سجن قصر الاحكام تقيم فيه الى أن نحتاج اليك وننظر ماذا يكون لنا معك فيما بعد ومن ثم أنعم موليدعلى طارق وقال له لا أضيع الله تعبا ولا ريب فى أنك إن أخطأت هذه المرة لا تخطىء فى غيرها على ان الذى أتيت به ليس هو دون المطلوب وكذلك الشاه سرور أنعم عليه ترغيبا له فى ان يقصد الاعداء مرة ثانية ويأتى بمن يرغبون فى أسره ثم ان الوليد دعا بأحد اتباعه وقال له سر إلى بنتى واخبرها بأننا اسرنا احد فرسان العجم وملوكها وهو ابن عم الملك ضاراب وحاكم طهران وسأبعثه إلى قصرى يقيم فيه عند السجان محفوظا إلى حين نهاية الحرب وقد اسره لنا طارق العيار لأنه لما رأينا الفناء قد أخذ يأكل من جيشنا وقد تأخرنا غاية التأخر وضعفت قوتنا ضعفا عظيما من فعل فيروزشاه بن الملك ضاراب ضربت مجلسا وسألت الجمع عن ابداء رأيهم فما منهم إلا من قال ألا نجاح لنا مادام فيروزشاه بين جيوشه لأنه عند القتال لا يظهر بصفة إنسان بل بصفة عفريت أو مارد يحيق الجيش فى جولاته وهو يجندل الابطال ويطعن فى صدور الرجال وكان إذ ذاك طارق العيار حاضرا فتعهد لنا بأنه يسطو على الاعداء وهم فى غفلة منه ويأتينا بفيروز شاه وسار على هذه النية إلا أنه كان لا يعرفه حق المعرفة فضاع عنه وجاءنا بمصفر شاه وهو يظنه نفس ابن الملك ضاراب وها هو مرسل إلى السجن فترينه مار من تحت قصرك فدعى عين الحياة تنظر اليه واخبريها أنه فى الغد أو بعده يكون فيروزشاه أسيرا فى المدينة فترى بعينها الذل والاهانة التى تلحق به وبعد أن بعث لبنته بهذ

الخبر أرسل مصفرشاه مع عشرة من الفرسان وأمرهم أن يطوفوا به فى المدينة ويمروا به من تحت قصر طوران تخت ثم يسلموه الى السجان ويوصوه بالمحافظة عليه والتيقظ منه فأخذه الرجال ودخلوا يطوفون به من مكان الى مكان والناس تتجمع أفواجا أفواجا كبارا وصغارا من حوله . وهو يكاد ينشق من عظم الاهانة التى لحقت به ولازالوا على هذا التطواف الى ان دنوا من قصر بنت ملكهم .

وكانت فى ذلك الوقت عين الحياة فى غرفتها وطوران تخت فى غرفتها وكل واحدة تميل إلى أن تعرف شيئا عن أحوال القتال وبينما هما على مثل ذلك دخل مبعوث الوليد على طوران تخت وبلغها رسالة أبيها حرفا بحرف دون زيادة ولا نقصان وقال لها فى آخر كلامه أن مصفرشاه يطاف به الآن فى المدينة وعما قليل يمرون به من هنا فسرها ذلك وقالت فى نفسها لابد لى من أن أرى هذا الايرانى لأعلم صدق ما تقوله عين الحياة إن كان صحيحا على أنى لا أظن ذلك إلا مبالغة منها وما رجال الفرس إلا كبقية الرجال إنما عين المحبة غشاشة ترى بغير الحقيقة فترفع الحبيب على سواه مهما كان قبيحا سيء الخلق وفيما هى على مثل ذلك أتاها الخادم وأخبرها بمرور الأسير من تحت قصرها فقامت تميل كأنها غصن بان حركته الريح وأتت إلى النافذة وألقت بنظرها إلى الأسفل وجعلت تتأمل فى مصفرشاه فرفع رأسه إلى فوق ونظر اليها وقد عجب من حسنها وبهاها النادرى المثال كما شغلت هى بشاغل حبه الناتج عن جمال وجهه الفاتك الفاضح ولازالت تنظر اليه حتى غاب عنها وبعد به القوم يقصدون السجن فنمت فى قلبها نوامى الغرام وجعل فؤادها يخفق فوضعت يدها عليه فشعرت منه بدقات عشقية قلبتها بالرغم عنها على صفحاته اللذيذة وأخذت تردد فى عقلها كلام عين الحياة وأن الحب أوله نظرة وأنها من نظرة واحدة مالت إلى مصفرشاه وأخذ بمجامع قلبها وكلما تصورت فى ذهنها جماله يزيد غرامها ويتضاعف حتى ضاق صدرها وعيل صبرها وغاب وعيها ولم يعد فى إمكانها كتم سرها ولم تعرف كيف يجب أن تتصرف وخطر لها أن تطلع على مصابها الغرامى عين الحياة فخافت من أن تشمت فيها ولم تر بدا من أن تطلع قهرمانتها على ما أصابها فدعتها اليها وكان اسمها هند وقالت لها حتى الساعة وأنت فى خدمتى وأنا أزيد فى إكرامك وأرفع منزلتك دون أن أحملك أمرا مهما أو أسألك قضاء حاجة أرى لابد من قضائها قالت إنى أود ذلك وأرغب أن تسأليني قضاء حاجة فأقوم بها رغبة فى رضاك منى [illegible] تك إلى قربى بما تشائين عساى أكون قادرة على إتمامه . فتنهدت طوران تخت [illegible] هرت عدم الصبر وقالت لها إن الامر الذى دعوتك اليه ورجوت أن أستشيرك [illegible] وأسألك السعى فيه هو خطير جدا فى بدايته انما ربما لا يكون صعب عليك

فتدرعي بالاقدام والبسالة عند قضائه عسى الله يتمم لى رغائبى ولا خفاك انى كنت قبل اليوم خالية البال ناعمته من قبيل الحب ولم يكن يخطر لى ان أحب فتى مصريا أو غير مصرى إلى أن كان هذا اليوم وقد نظرت إلى مصفر شاه وهو الأسير الذى بعثه أبى إلى السجن فعلق قلبى بحبه رغما عنى وحاولت كثيرا ان أبعد عن ذهنى هذا التصور المؤلم فلم أقدر حتى تمكنت جرثومة الغرام منى غاية التمكين ولم يعد فى وسعى أن أصبر دقيقة عن مصفر شاه وأريد أن يكون عندى فى هذا القصر لأشاهد بدر جماله المسفر وأنال من مسامرته ومخاطرته ورشف طلاوة حديثه ما تبرد به غليل قلبى وتنتهى به سعادتى . ثم سقطت الدموع من عينيها بالرغم عن تجلدها وضبط نفسها وأنشدت

وصالك أبهى مطلبى ومرادى ... وحسنك أبهى مرتعى ومرادى
ودينك لو وافيت ربعك زائرا ... خطاب جدال فى خطوب جلادى
حبيبى لقد رويت عينى بدمعها ... وغادرت قلبى للتصبر صادى
ونقصت فى حظى كما زدت فى الهوى ... صدودى يا كل المنى وبعادى
فوالله لم أطق لغيرك مهجتى ... غراما ولم أمنح سواك ودادى
بعيشك نبه ناظريك لعلها ... ترد على طرفى لذيذ رقادى
إلى الله أشكو فى الغرام محجبا ... بقلبى فلا ترضاه عينى بادى
أحاذر طولا من ذؤابة شعره ... فقد وصلت من قده لفؤادى

وأنشدت أيضا

ونار ظبى النقا ان عن ملتفتا ... يانزهة العين لولا الدمع والسهر
انى أبثك من شرح الهوى طرفا ... فبعض أيسره عندى له سير
سهل وقوع الفتى لكن تخلصه ... صعب المرام بظبى سيره غير
انى وان كنت أنهى الناس عن كلف ... فان لى فى الهوى شانا له خبر
وناظرا بت فى تسهيده قلقا ... ألومه ثم استحيى فاعتذر
يا حبذا معهد للحسن ما درست ... رسومه وسقاه الذل والخفر
فالقد فالجيد فالخد المورد فال ... أصداغ فالثغر فالأجفان فالحور
وأهيف كل قلب فى محبته ... عان وكل دم فى حبه هدر
لولا الهوى وظنون الكاشحين بنا ... لكان ورد الهوى ماعنه لى صدر

وشاهدت قهرمانتها منها حالتها وما هى عليه من شدة الوجد والهيام فأخذتها حيرة مع أنها كانت تكره ذلك وتلوم كل فتاة تسلم بقيادة نفسها لهذا السلطان العظيم وقالت لها انى لأعجب من هذا التغيير الذى كان منك على غير استعداد وضابت

سألتك أن لا تحتمي على نفسك بكره القران والدخول فى سلك هذا العالم المرتب بعناية الله القدير وبما زاد فى عجبي أيضا تعلقك بأمير فارسى عدو مملكتنا وخصم أبيك وأسيره ومن الصعب أن تحصلى عليه وأى شىء أصعب على الفتاة من أن تحصل على عدوها فتتزوج به وهل تظنين أن الذى تهوينه يقبل أن يقاسمك هذا الحب ويشاركك فيه مازال أبوك يصلى نار الحرب بينه وبين قومه ويتعمد أذاه واهانته وما ذلك إلا من غرائب الأمور وعجائبها . فقالت لها وقد امتلأت غيظا من كلامها ويلك يا هند هل يصعب على أن أحصل على أمير هو بالقرب منى وفى حوذة يد أبى وهل تظنين أنه يمتنع عن أن يكون موافقا لى اذا علم انى سهلت له طرق الراحة فى أثناء سجنه وبدلت اهانته بشرف المعيشة واطلاق الحرية وتملك النفس فدبرى ما ترينه حسنا لتفكه من أسره وتأتى به قصرى . قالت وهل فى نيتك أيضا أن تخاصيه من الأسر وتجاى على نفسك كدر أبيك منك وغضبه عليك وتجعلين نفسك معيرة عند جميع المصريين ومظنة للفحشاء والقباحة . قالت ماذا يكدرنى ذلك اذا كان محبوبى بيدى وهل يخطر فى ذهنك انى أرضى أن احصل على مصفر شاه بطريقة علنية وأفكه من سجنه على مرأى من الناس أقوده عيانا بيانا وما سألتك تدبير أمرى الا وأنا متيقنة أنك تأتيني به تحت جنح الليل لا يطلع أحد على أمره وهذا سر لا يمكن أن يظهر خبره على أحد مطلقا . قالت القهرمانة على ما أظن انى لا أتوفق الى مطلوبك كونى أرى من نفسى ضعف القلب والرأى فى قضاء هكذا مصلحة ولك أشور عليك أن تظهرى أمرك لعين الحياة وتسأليها مساعدتك فهى أوسع منى رأيا بتدبير هكذا أمر واقدر تدبيرا لوصولك الى من احبته نفسك فأطرقت طوران تحت عند سماعها كلامها وثبت لديها ان لا مندوحة لها من مساعدة عين الحياة وطلب اغاثتها وقد عظم عليها الأمر وصعب عندها ان تشرح لها ما اصابها بعد ان كانت قد اظهرت لها كرهها فى العشق ولامتها عليه كثيرا فانطبق صدرها من اضطرابها وبعد الفكرة وجدت ان تعرض عليها امرها وتلقى باتكالها على مساعدتها وترجو منها السماح والمغفرة عن لومها لها فى السابق وقد هون عليها الحب ركوب أعظم المخاطر واخطرها ولاح لها شخص مصفر شاه بالهيئة التى رأته فيها وهو يشرق بجمال وجهه فى ظلام الاهانة وعذاب القيود فتكدرت واذرفت دموعا سخية واتت عين الحياة فوجدتها قائمة فى غرفتها على حالها وهى تتذكر فيروز شاه وتنشد علنا وهى تعرض باسمه وتذكر بسالته

اعيدت بمسراك الشموس الغوارب	وهشت لمرآك النجوم الثواقب
قدمت قدوم الليث والليث باسل	وجئت مجىء السيل والسيل خاطب
فلا ترفع الأيام ما انت خافض	ولا تجزم الأقوال ما انت ناصب

ولا تسلب الأهوال ما أنت مانح ... ولا تمنع الاقبال ما أنت طالب
ومن ذا يلاقى الليث والليث كاسر ... ومن ذا يناوى الحق والحق غالب
فانت كلاء الدهر لا القلب غافل ... ولا الطرف مغموض ولا الراى خائب
وأولى عباد الله بالملك منصبا ... إذا انتصبت للملك تلك المناصب
واثبتهم جأشا إذا صال صائل ... وأجودهم كفا إذا جاد واهب
وأطعنهم نحرا إذا خاب طاعن ... وأضربهم للهام ان ذل ضارب
فما كل من لاقى الكماة مصادم ... ولا كل من سل السيوف مضارب

وكانت عين الحياة منفردة بنفسها إذ ذاك لتتمكن من كثرة ذكر حبيبها وتبتهج للوحدة بغرامها وتشكو لعدم السلوة من عظم شوقها وتطلب من الصدف أن تقربها منه لأنها فى نار وجد ملتهبة من عظم رغبتها إلى النظر اليه وكثيرا ما كانت تبدى مثل ذلك بحضور طوران تخت وتنشد أشعار هواها إلا انها كانت تسمع منها لوما وتنديدا وتبكيتا ولذلك سئمت نفسها فأقامت ذلك النهار على تلك الحالة فى غرفتها ولم تشعر إلا وطوران تخت عندها فنظرت إلى وجهها فوجدت على صفحاته تتموج أمواج الملائم الجبية التى لا يمكن أن تخفى عن ذى بصيرة فانتبهت اليها وأى انتباه ووقفت لها ودنت منها وهى لا تبدو كلمة ولا تنطق بحرف فشغل بالها وسألتها عن السبب فلم تجبها فى الحال بل اندفقت أبحر الدموع من أعينها وأظهر مكنون ضميرها وأشار لسانها يترجم عن أسرار قلبها بهذه الأبيات :

رشق الفؤاد بأسهم لم تخطه ... ريم يشوق الريم مهوى قرطه
من ذا يجيرى فى محبة شادن ... قد راح يمزج لى رضاه بسخطه
أعطيته قلبى وقلت يصونه ... فأضاعه يا ليتنى لم أعطه
كيف الخلاص ركبت بحرا من هوى ... شوقا إليه فشط به عن شطه
علقته ريان من ماء الصبا ... كالروض أخضله الغمام بنقطه
غض الشباب وهذه وجناته ... قد كاد يقطر ماؤها من فرطه
يجلو عليك صحائفا وردية ... رقم الجمال بها بدائع خطه
وتريك هاتيك المعاطف بانة ... تهتز لينا فى منمنم مرطه

فزاد تعجب عين الحياة منها وأخذتها الدهشة والحيرة والتبست فى أمرها وقالت لها ما هذه الحالة التى أنت فيها فانى تركتك فى الامس على غير ما تذكرين الآن وأنت خالية من كل عشق وغرام ولو لم تظهر لى حالتك صدق قولك لما تيقنت أنك تتكلمين صدقا . ففى عينيك تفرح المغرم البال وفى وجهك أثر العاشق الشاكى ولولا ذلك لظننتك تهزئين بى فاخبرينى فى أية ساعة غير الله حالك وبدل منك

تلك الاطوار الصعبة على جمهور العشاق بهذه الحالة المحبوبة منهم فانها وان كانت حالة عذاب وكدر وقلق واضطراب وبكاء وانتحاب انما هى لذيذة فى أعين كل حبيب ومحب صادقين وهى بدون شك أفضل جدا من غيرها فابدى لى رأيك وفصلى لى حالة حبك واحكى لى جميع ما كان من الأسباب الموجبة لهذا التغيير الذى اظن أن العناية قد دبرته اجابة لسؤالى لتعرفى من نفسك عظم الحب الصادق وما يلاقى من الصعوبة والبلايا الممزوجة بضربات الزمان وامتناع الحبيب بفعلها عن التقرب من حبيه ولا ريب ان لومك الآن قد انقضى ومضى ودخلت سلك عين الحياه التى كنت تتهكمين عليها وتلومينها وتهزئين بها . قالت ارجوك المعذرة فلا تزيدى فى عذابى وقد كنت مخجولة من نفسى عند تذكرى قولى لك واما الآن فقد مضى كل شىء وصرت محتاجة إلى مساعدتك وامدادى برأيك وتدبيرك فان من أحبته نفسى ليس هو الآن فى يدى ولا تجاوز الحصول عليه من صعوبة كلية ولذلك جئتك

انتهى الجزء الثالث عشر وسيليه الجزء الرابع عشر

الجزء الرابع عشر
من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

معتذرة مستغيثة فلا تعامليني بغير حبك وانظرى فى أمرى بعين حكمتك وادراكك ولا تتركيني اموت هوى ولوعة . قالت اجلسى واشرحى لى ماترومين فسوف تريننى موصلة اليك الطرق التى تزيل الموانع من طريق مرادك فتوفقين الى الحصول على مطلبك مهما كان ممنوعا وبعيدا عنك .

قال فسكن جأش طوران تخت قليلا عند سماعها كلام عين الحياة . وقد علقت آمالها بمساعدتها واخذت فى ان تشرح لها كل ما كان من امر ابيها وكيف بعث لها بالوصول واخبرها بعمل فيروزشاه فى جيوش مصر حتى كاد يهلكهم عن آخرهم ولهذا السبب عقدوا مجلسا وتعهد لهم طارق العيار بأن يأتيهم به من نفس صبوا ه طمعا بأن تتحول خسارتهم الى ربح ويحل بالاعداء من بعده الويل والدمار فسار طارق ولم يكن يعرف فيروزشاه حق المعرفة فوقع على مصفرشاه فأسره وجاء به تحت ظلام الليل دون ان يراه احد ولما عرضه على طيفور عرف انه مصفرشاه فبعثه الى المدينة وهو يود ان يبقيه فى السجن الى نهاية الحرب وقد بعث يقول لى انه سيمر من تحت قصرك فترين بعينيك هذا الامير وتسرين لاسره ولما رأته عينى لم يعد فى امكانى ان امسك قلبى فكان سهما اوترته لحاظه شك فى فؤادى فجرحه جرح حب علم الله متى يكون شفاؤه فى الحب بالحقيقة الاعذاب اليم ولاسيما اذا كان المحبوب مثل من احببته نهو جميل الوجه معتدل القوام عريض الجبهة لامعها طويل العنق واسع الصدر والاكتاف تشوش لوجه وترينه وهو مأسور ومقيد ومأخوذ الى السجن بشرشايته م انسامه طبعه ولا ريب ان تلك المباسم مطبوعة على التبسم فلا تفارقها قط فهذا الذى كنت ترجينه لى وقلت لا بد من ان الله يذيقك عذاب حب رجال الفرس فبالحقيقة انهم جذابون للقلوب آخذون القلوب فتاكون فيها وهاأنذا قد عرضت عليك حالى واخبرتك بما جرى لى وبانى عشقت مصفرشاه احد امراء فارس وابن عم حبيبك وهو الآن فى سجن ... اسير بين الحراس وليس من سبيل الى خلاصه لا بوجه الحيلة والخديعة وقد صرفت جهدى فى التبصر دون الحصول على نتيجة كافلة المقصود موصلة الى الغاية . ركانت تتكلم وعين الحياة سامعة لها متعجبة من فعل الزمن وغرائب التصادف وقد سرت مزيد السرور بما اخبرتها به من ان فيروزشاه قد فتك فى المصريين فتكا ذريعا والبسهم ثوب الخوف وقطع رجاءهم من النجاح ومما زادها فرحا علمها بان طارق قصد ان يسرق فيروزشاه فغلط وجاء

بمصفرشاه وحمدت الله على نجاته من الوقوع فى يد عدوه . ولما انتهت من حديثها ضحكت عين الحياة منها وقالت لها حتى الساعة لا تجدين سبيلا لقضاء مصلحتك قالت كلا ولا أعرف ماذا أعمل مدينى برأيك وأوصلينى إلى حبيبى أوصلك الله إلى حبيبك قالت ألم يكن عندك من المال ما يكفى لقضاء غرضك . قالت عندى من المال شىء كثير وكذلك من الجواهر إنما لا أرى طريقة لأستخدمها فى مثل هذا الطريق . قالت ابعثى فاستحضرى رئيس السجن وقولى له ان مصفرشاه رجل إيرانى وإنى أريد منك أن تسلمنى إياه بضعة ساعات حيث مراد عين الحياة أن تسأله بعض مسائل عن جيش الفرس وإنى لا أرغب فى خلافها ويكون ذلك فى الليل ثم تعود قبل الصباح فتأخذه فاذا امتنع اقضى له قبضة من الدراهم وادفعها له وأكون إذذاك حاضرة فنهون عليه الأمر ومتى جاءنا به أول مرة لا يصعب عليه أن يأتينا به فى الليلة الثانية طمعا بالمال حيث يكون قد اعتاد على ذلك وهان عليه ما كان يستصعبه فيمكن أن يقيم الليل عندك والنهار فى السجن فلا يعرف أحد به إلى حين انقضاء الحرب التى لا أظن أنها تمتد أكثر من أربعة أو خمسة أيام على الأكثر وها بشائر النجاح تبشر بنصر الايرانيين ولا ريب فى انهم ينتصرون ويملكون المدينة ويكون لك إذذاك مزيد احتفال واحترام وينقضى غرضك وتتزوجين بمصفرشاه ومتى جاء إلى هنا ونظرك لا ريب أنه ينعطف اليك إذا رأى منك هذه المؤانسة وعرف معروفك معه ولاسيما أن بين الفرس لا توجد من هى أجمل منك وأكمل خصالا من خصالك .

فظهر لطوران تخت وجه النجاح وأملت نوال مقاصدها ونزل كلام عين الحياة على قلبها ألذ من الماء الزلال على قلب المعافى السليم وفى الحال دعت بقهرمانتها هند وسألتها أن تدعو لها السجان بكل لطف وكرامة فسارت هند حتى اجتمعت بالسجان وهو قائم للمحافظة على المسجونين من الأمراء والأعيان الذين ارتكبوا الجرائم وحكم عليهم بالجزاء على أفعالهم وكان مصفرشاه عنده فى غرفة خصوصية مفتاحها بيده يقدم له الأكل وكل احتياجاته من يده وبعد أن سلمت عليه قالت له إن سيدتى طوران تخت تدعوك الآن لحاجة مهمة وهى بانتظارك وقد أرسلتنى هذه الساعة وأوصتنى أن أطلب اليك ذلك . قال وماذا تريد منى ولم يسبق لها أن تدعينى وقد شغل باله ولعبت به الوساوس فقالت لا شىء سوى أنها ترغب أن تسألك سؤالا واحدا لا أعرفه وربما كان يتعلق بالأسير الايرانى فاطمأن باله وقفل باب السجن وسار من ساعته حتى انتهى إلى قصر طوران تخت وطلب الاذن بالدخول فأذنت له . ولما وقف بين يديها سألها عن مرادها والسبب الذى دعته اليه وكانت أرادت عين الحياة بالقرب منها .

فقالت له انى دعوتك لأمر قليل الاهمية اتكلت فيه على عنايتك وغيرتك قال اسألينى مهما شئت فما أنا الا خادم عندكم وتحت امركم قالت لا خفاك ان هذه الحاضرة عندنا هى عين الحياة وانها ترغب فى ان تعرف ماذا جرى على جماعة الفرس وعلى فيروز شاه ولى زمان وانا ارغب فى ان ابعدها عن ذلك فلم اقدر الى ان عرفت ان بعض امراء ايران اسير عندك فوقعت على وطلبت منى مواجهته فحاولت ان انزع هذا الفكر من رأسها فلم اقدر ولا طاوعنى قلبى الرقيق وكراهة أخلاقى أن أمنعها من طلبها فوعدتها بذلك وأقسمت لها بحياة أبى إنما بشرط أن يكون ذلك فى هذا القصر ولذلك دعوتك لأعرض عليك هذا الأمر وأسألك أن تأتينا بالاسير المذكور إلى هنا . قال إن ذلك ليس فى رسعى ياسيدتى فان أباك منعنى منه وأرسل فأوصانى أن لاأدعه ينظر إلى أحد أو أدع أحدا يصل اليه ولذلك صار من المستحيل إخراجه إلا بأمر أبيك فبكت عين الحياة عند سماعها كلامه وقالت له بالله عليك ياسيدى لا تحرمنى من أن اسأله بعض سؤالات وأنتم المصريون تعودتم الرحمة والشفقة وماذا يضر عليك إذا جئت به فى المساء وقبل الصباح أتيت فاخذته وهو مقيد الأرجل لايقدر على الهرب لاسيما وهو داخل المدينة ولا يعلم بذلك أحد ولا ريب أن سيدتى طوران تخت لا تخبر أحدا به ولا تدع هذا السر يظهر بين احد وما إلا ساعات قليلة فتنقضى وتكسب اجرى ودعاء ورضاء بنت سيدك طوران تخت ولو لم اكن انا اسيرة هنا خالية من المال لكنت كافأتك عن معروفك هذا بعزيز المكافأة فبالله عليك كن رحوما ولا تصعب امرا سهلا لاصعوبة فيه فقالت طوران تخت إن كان لامال لك هنا فكل اموالنا هى لك وانى سأجزيه عنك سلما بكثير من المال ثم اخذت قبضة من الذهب كانت استحضرت عليها قبل مجيئه ودفعتها له وقالت خذ هذه الآن ولا بد انى اكون موجهة بالتفاتى اليك ولا اقطع العطاء عنك فلما شاهد السجان الذهب مالت نفسه اليه وهان عليه كل صعب ونظر إلى طلبهما فوجده سهلا جدا وقال فى نفسه ماذا يجرى إذا اتيت به فى هذا المساء وسلمته إلى طوران تخت وفى الصباح اخذته وارجعته إلى مكانه واذا امتنعت خسرت هذا الذهب على انى لو صرفت كل حياتى فى خطتى لا احصل على جزء منه ولذلك قال لطوران تخت قد اجبت ياسيدتى طلبك بشرط ان لا تدعى احدا يعرف به انه جاء هنا ولا تذكرى عملى هذا عند احد خوفا من ان يصل فيما بعد الى ابيك فيأمر بقتلى ويحرمنى من هذه الحياة وتكونين انت السبب فى هلاكى وانى اتكل فى هذا الامر عليك . قالت لا تخف سوءا وانى أعاهدك بالله العظيم وبحياة ابى انى لو ذبحت ما فهت الى احد بانك اتيت بمصفرشاه ولو قصد ابى الك شرا منعته عنه وانت تعلم حبه لى واجابته الى كل ما اسأله فيه

فاطمأن باله وخرج من عندها بعد أن وعدها أنه فى الساعة الثانية من الليل يأتى به فيسلمه إلى قهرمانتها وفى الصباح يعود فيأخذه وبعد ذهابه قالت عين الحياة لطوران تخت يجب أن تستحضرى مبردا حادا تقطعين به قيود مصفرشاه لأنه لا يتم لك سرورك مادام مقيدا أمامك ولا يطيب له الهناء ما لم تطلق له الحرية ويقدر على أن يعد نفسه حابا ومحبوبا لا أسيرا ومملوكا قالت أصبت فى ذلك ثم سألت هند أن تنزل المدينة وتشترى لها المبارد الحادة لقطع قيد مصفر شاه وأقامتا بعد ذلك تتعاطيان كؤوس الفرح والمسرة وقد قالت لها عين الحياة الآن قد صرت تحسبين من العالم الحساس ذات الشمائل الجميلة وقد ابعدت عنك تلك الحالة الحيوانية القديمة وصار من الواجب عليك ان تحافظى على عهد مصفر شاه وتتذكريه كل دقيقة لتجرى اللذة العظيمة التى يجدها العاشقون عند ذكر محبيهم وتعداد أوصافهم وشرح محاسنهم . قالت كيف يمكننى ان اترك ذلك او أنساه وقد تدعونى اليه فواعل قلبى الملتهب ثم تنهدت وأذرفت دمعة مزجت بماء الهيام وأنشدت :

خفض عليك معندى	أنا عبد ذاك السيد
ملك رعيته القلو	ب غدت له طوع اليد
أمسى وأصبح فى هوا	ه بحيرة وتسهد
رقدت عيون النيرا	ن ولوعتى لم ترقد
أفدى بياضا ساطعا	من بردتيه بأسود
وأنا الشهيدة لحظه الـ	جانى على ولا يد
قسما بنرجس مقلتيـ	ـه وخده المتورد
وبغصن قامته الرطيـ	ـب وعطفه المتأود
وبما حواه ثغره	من لؤلؤ متنضد
وبسحر ناظره الذى	هاروت عنه بمرصد
وبليل مرسل فرعه	الفاحم المتجعد
إن المحاسن كلها	جمعت بذاك المفرد

فأهاج كلامها من عين الحياة غرامها وتذكرت محبوبها فيروز شاه وما كان منه عند زيارته لقصرها فلم تر بدا من الشكوى ومناشدة الأشعار وأنشدت :

ألا ليت شعرى هل تعود لقبضتى	ليال بها المعشوق غير مخالف
وهل يرجعن عيشى كما كان أرغدا	وأخلو كما كنا بتلك اللطائف
بكيت دما إن لم أرق ماء مهجتى	دموعا على تلك الليالى السوالف
تذكرت أياما مضت ومآلفا	وعادة من يهوى وذكر المآلف

وقفت ودمعي قاذف سر مهجتي اليه وما دمعي بأول قاذف

وتمكنت محبة طوران تخت من قلب عين الحياة كما تمكنت محبة عين الحياة من قلبها لأنهما كانتا عاشقتان والعاشق للعاشق يميل وكانت كل منهما تشكو وتبكي فتجيبها على شكواها وبكاها بمثله وهكذا قد صرفتا ذلك النهار إلى أن قرب المساء فأمرت طوران تخت قهرمانتها أن تهيء في غرفتها المآكل الفاخرة والمشارب اللذيذة والنقولات المتعددة والزهور الزكية ففعلت وأقامت مع عين الحياة في غرفتها تنتظر قدوم بدر تلك الليلة وهي لا تصدق أن تمضي تلك الساعات والدقائق القليلة التي كانت عليها أطول من شهر الصوم ولما كان العشاء نزلت القهرمانة ووقفت عند الباب تنتظر السجان وما لبثت أن رأته قد أتى ومعه مصفر شاه يحجل في قيوده فدفعه اليها وكر راجعا وهو ينظر يمينا وشمالا خوفا من أن يراه أحد وقد أوصى القهرمانة أن تسأل سيدتها بالانتباه اليه والمحافظة عليه إلى حين الصباح فوعدته بكل خير ودخلت به وهي فرحة بقضاء غرض سيدتها مسرورة لسرورها وانبساطها ولما وصلت من غرفة مولاتها وجدتها جالسة بانتظارها وقد تزينت بأفخر ملابسها وزينت رأسها بالزهور وأفرغت عليها من الحلي والجواهر ماجعلها أن ترهج وتبرق كالكوكب الوضاح في الظلام المدلهم وقد زاد ذلك في حسنها وبهاءها وهي جالسة إلى جانب عين الحياة تسمع منها كلامها وأعينها موجهة إلى الخارج لا تصدق أن ترى مصفر شاه داخلا عليها إلى أن شعرت به وهو آت فأسرعت إلى الباب ولاقته إلى الخارج وترحبت به وكان السجان قد حكى له السبب فمال إلى مواجهة عين الحياة والوقوف بين يديها ولما دخل الغرفة قامت له عين الحياة وسلمت عليه وجلس قرب طوران تخت وقد نظر إلى ماهي عليه من المحاسن التي خصصتها به الطبيعة فانبهر وضاع عقله كما انبهر من جمال عين الحياة أيضا واعتدال قوامها ورقة كلامها وقال في نفسه لا تصلح هذه لغير فيروز شاه وكانت حركات طوران تخت ونظرها اليه وكلامها معه ودلالها عليه ثبت عنده أنها مغرمة به عاشقة له لا سيما وقد شاهد تلك الاستعدادت والتهيئات المسرة . وفي الحال أمرت قهرمانتها هند وقهرمانة عين الحياة شريفة أن تقطعا قيوده فأخذتا المبارد وجعلتا تقطعان بها الحديد إلى أن فرغتا من ذلك وأصبح مصفر شاه مطلق الأرجل والحرية فعظم فرحه وزال كدره تماما وجعل يخبر عين الحياة بأعمال فيروز شاه في جيوش مصر وقال يهنئك ياسيدتي بهذا البطل الذي لا يمكن أن يأتي الزمان بمثله فهو الذي ألبس الايرانيين حلل الفخر والشرف وهو الذي تشتد به ظهورهم وترتفع رؤوسهم فقبح الله طيطفور اللعين على عناده له فهو أصل كل الحروب والويلات فقالت له إني عالمة كل العلم بغلط أبي ورداءة طيطفور إنما لابد أن الله

سبحانه وتعالى يزيل هذه الأسباب جميعها ويقرب أيام راحة فيروزشاه لأنه متى انتهت هذه الحرب انتهى شقاؤه وعذابه ويلتزم إلى بمجاراته ولابد إذ وقع ظيفور فى يده يقتله انتقاما له ورغبة فى خلاصه من تدبيراته الوخيمة وعناده ثم ان عين الحياة قامت وودعت مصفر شاه واعتذرت بالذهاب إلى غرفتها للمنام وقصدت بذلك اخلاء المكان لطوران تخت وله بحيث لا يكون بينهما ثالث وبعد أن ذهبت دنت طوران تخت منه وأخذت تشرح له ما كان من حبها ووقوعها بغرامه من ساعة نظرته فيها وانها سببت خلاصه لتعرض عليه حبها وتقيمه عندها إلى حين الفرج فأخذ كلامها بلمه وأجابها اليه وقال لها انى أعدك بدوام الحب والوفاء فما أنا ممن يقابل الحسنات بالسيئات وأريد أن أبقى الدهر عندك وبالقرب منك إنما لابد لى من الذهاب إلى جيشى قبل والرجوع إلى الحرب لنهاية هذه المصائب فان عسكرى أصبح بلا رأس وعلى فارغ بحزن الملك ضاراب وابنه على لا ينتهى إلا بالاطمئنان على وإذا عرفا أنى أطلقت الحرية وأنا بين الكاس والرياحين لا أفكر فى قومى ماذا يا ترى نقـ. لان عنى وهل من المروءة أن أكون أنا فى هناء وهم فى حروب وأهوال . قالت لاتحسب نفسك الآن مطلق الارادة بل أحسب أنك لا تزال أسيرا فى السجن ولو بقيت هناك ماذا ياترى كان يجرى على قومك فأكد أنى لا أدعك تذهب من عندى وتخلف لى الوحشة والمصائب وأنا لاأصدق أنك عندى إلا كيف أقبل بفراقك فقم بنا إلى مائدة الأكل فقاما وهى إلى جانبه ملصقة جنبها إلى جنبه وأخذت فى أن تطعمه بيدها من كفها ويفعل هو أيضا كذلك إلى أن فرغا من الأكل ورفعت مائدة الطعام وجلسا على سفرة المدام وأخذا يتعاطيان الكؤوس بأكف من المسرة والفرح وكل منهما فرحان بما هو فيه من لذيذ الوقت وطيب الهناء وكانت تسكب الخمر وتسقيه والقدح فى يدها وتشرب أيضا من يده وهما ينشدان الاشعار ويتشاكيان الغرام ويبثان ما بقلبيهما ومن بعض ما أنشدته طوران تخت هو

فى فؤادى من الخدود لهيب	جنة طاب لى بها التعذيب
صحوتى من هوى الحسان خمار	وشباب بلا تصاب مشيب
داوتى باللحاظ فالحب فينا	دار بلوى بها الدنو طبيب
هكذا حاكم الهوى فلديه	من ذنوب الهوى تعد القلوب
فى لحاظ الهوى آية سحر	قد تلاها على العقول الحبيب
رشأ أخجل البدور إذا ما	شوشب خاطر العذار الجنوب
ما رأينا من قبل وجهك أن قد	حمل البدر فى الزمان قضيب
قاتلى فى الهوى اللحاظ وهذا	شاهد الخد من دمى مخضوب

قد رمانى بأسهم الجور عمدا وسوى القلب سهمه لا يصيب
ليت أنا لم يخلق الحسن فينا ليت أو لم يكن فؤاد طروب
ياأخا الوجد هل رأيت قتيلا وهو ظلما بنفسه مطلوب
يا لقلب أطعته وعصانى فهو إلا الهوى لا يجيب
خبرى يا صبا رياض التصابى فبذكر الهوى فؤادى يطيب
عرف القلب فبكى رائحة الحب ويدرى بسمه المسلوب

ومما أنشد مصفر شاه وذكر به وجده وغرامه هذا :

بهوى جد بقلبى طامعا فى لفتاتك
وفؤاد ضل فى حصـ ـر قليل من صفاتك
وبطرف لم يمتع نظرة من نظراتك
غافلا عن ذنبه إذ هو من بعض هباتك
يا غزالا خاطر القلـ ـب برؤيا خطراتك
آه ما أعجزنى عن حمل ماضى عزماتك
بالخزر ترتع والأسـ ـد توبى فى عرصاتك
كيف يرجوك فؤاد والحمى بعض حماتك
بأبى حبك مسك نقلت فى وجناتك
ل سويداء قلوب أحرقت فى جراتك
أتردى يادهر هل فى لحظة من لحظاتك
يغفل الواشون كى أحسبها من حسناتك

وكانت طوران تحت غرقى ببحر هواه تائهـــة فى برارى عشقه لا تعرف ماذا تتكلم أو بماذا تجيبه وهى تود أن تقدم له روحها مكافأة له على قبوله إياها محبوبة له وهو إن كان عنده من هواها مثل ما عندها إلا أنه كان يحمل فى نفسه ذلك على جميلها معه وتخليصها إياه من السجن ويود أنه إذا سمح له الزمان يكافأها على ذلك ولا يتركها أن تكون أكرم منه خلقا وأجود مروة وأكثر وفاءا إنما جل ما يرغبه أنه يبقى عندها ذلك اليوم حبا بها وإجابة لتطلبات قلبها كى لا تعدم صبرها لأجله ولا تنسب اليه الغدر والخيانة والظلم وفى مساء الغد يذهب إلى جيشه لأنه كان بمزيد قلق عليه وقد كان يعلم أن بهزاد قادر على حفظه وانضمام شمله ومعظم خوفه كان من أن يلحق الابطال والفرسان ولا سيما الملك ضاراب فى هم وكدر ولا يعرفون أين مقره فيعثون بالعيارين ويخاطرون بأنفسهم لأجله إذ لا تطاوعهم مروءتهم وشروط الفسابة أن ينسوه ويتهاملوا بأمره ولازالت الكاس دائرة بينهم والخمرة تلعب بعقولهم

حتى غابوا عن الهدى وأخذت تتلاعب بهم فواعل الثمول . وعلمت قهرمانة طوران تخت منها حالتها فدنت منها وسألتها أن تذهب إلى مرتبتها فقد أعدتها لها وهيأتها لمنامها . فقالت يجب أن تلصق بها مرتبة مصفرشاه فانى لاأحب أن يبعد عنى لاليلا ولانهارا فظن أنها تكلمت ذلك لداعى شربها الخمر وضياع عقلها به فقال لها ليس من اللائق الآن أنام إلى قربك وحاشاى من ذلك وإنى ساصبر إلى أن يسمح الزمان فاتزوج بك وإذذاك تكونين لى حلالا فآتيك على رغم كل حسود وعذول قالت إن الغاية الوحيدة أن تبقى بقربى وما أنت الآن الا خطيبى ووحيدى ولا أطيق فراقك مستيقظة كنت أو نائمة وان لصقنا بعضنا عدة سنين وأيام نبقى محافظين على الطهارة والعفة فليس قربك منى مما يضيع فى مروءتك ولا يقلل فى شرفى وناموسى فلابد من ذلك ثم أمرت القهرمانة أن تسرع الى مادعتها الى الاسراع به فسارت هندو رتبت مرتبة ثانية لصقتها الى جنب مرتبة طوران تخت ودعتهما فقاما من الشراب ودخلا غرفة النوم ونزعا عنهما ثياب النهار وناما فى ثياب الليل وما لحقت رؤوسهما الوسادات حتى استغرقا فى بحور النوم العميق لأنهما كانا فى حالة نهائية من السكر وأغلقت عليهما هند الباب وسارت الى فراشها وقد سكنت حركات القصر وهدأ منه أصوات سكانه .

ولنترك الآن هذين المحبين على فراش الراحة بضع ساعات ولنتقدم فى حديثنا الى ابن عم طوران تخت وهو الأمير زيان الذى تقدم معنا أنها كانت قالت لمين الحياة أنه خطبها من أبيها عدة مرات وأنها كانت تمتنع ولا تقبل . فكان هذا الأمير ليس من رجال الحروب ولا من فرسان الطعان بل كان غنيا جدا مسرفا فى كل أعماله وقد اتخذ له جماعة من الأصحاب يبلغ عددهم ١٢ نفساً اختصهم للسكر والتنزه وصرف السهرات بالفواحش ولعب القمار وغير ذلك على أنه كان جميل الخلقة معتدل القوام خلافا للشاه صالح وكان عمه الوليد يعلم منه حالته وماهو عليه غير أنه كان يقول فى نفسه أن هذه الحالة لا تدوم ولا يمكن أن يثبت عليها ومهما صرف وبذر من أمواله فهى كثيرة وافرة ولذلك كان يرغب فى أن يزوجه ابنته على أمل أن يتحسن أمره ويترك الطرق السالك فيها ويرجع عن معاشرة أصحابه فكلمه بذلك فوافقه عليه ورغب فيه غاية الرغبة لأنه كان يعلم أن بنت عمه من أجمل نساء المدينة وأشرفها ولا يمكنه أن يتزوج بفتاة أجمل منها يصرف وقته معها بالمسرة والانشراح ويلتذ بثمرة جمالها الناضجة فسألها أبوها فيه وقال لها إنى أرغب فى أن أزفك على ابن عمك الأمير زيان فهو احق بك من غيرك ولاسيما أن أخاك لايحسن التصرف فى مهام الملك فيكون مساعداً له ويكون لك نصيب فى الملك من بعدى فرفضت طلبه وقالت له انى اسألك ياابى بحرمة

آبائك وأجدادك أن تعفيني الآن فى مثل هذا الطلب لأنى لاأرغب بزواح ولاأرضى أن أكون زوجة لرجل قط وإنى أرجوك أن تترك لى ذلك إلى وقت آخر فما أنا ممن يعصى لك أمرا ولا أنت ممن يحب أن يظلمنى ويقودنى إلى زواج أكرهه ولا أرغب فيه فتركها إذ ذاك أبوها وأخبر ابن أخيه بجوابها وقال له من الواجب أن نأخر ذلك إلى حين فلابد من أنها تجيب ذات مرة وتقبل أن تقترن بك فأقام زيان على عمله الاول وهو غير مكترث ببنت عمه فى بادىء الأمر وقد ظن أنه لابد أن يتزوج بها حتى قبلت الزواج ولم يكن خطر له أنها امتنعت عن الزواج كرها بخصاله وأعماله التى كان من الواجب أن يتركها ويعرض عنها ويرجع عن معاشرة الأردياء وفى السنة الثانية جال فى فكره أن يسأل عمه فى إتمام وعده وأن يعجل بقرانه ببنت عمه فأعاد أبوها عليها القصة فامتنعت وقالت له أتريد أن تزوجنى برجل مملوء من المعاصى والمنكرات وتجعلنى عرضة لويلات سوء أخلاقه وآدابه ومعرضة للظنون والأفكار الرديئة فما أنا ممن يرغب الآن فى القران وإذا رغبت فيه فيما بعد أى بعد أن يتسهل لأخى زواجه فلا تكون رغبتى فى ابن عمى فان نفسى لا تميل إلى من كان مثله ولاتقبل أنت أن تقودلى العذاب بيدك وترمينى بهكذا حفرة جهنمية . قال إنى أعرف منه خصاله وأطواره إنما هو شاب فاذا عاد عن معاصيه وقبائحه لا تعود فتعيبه وبصرف وقته عندك وتكونين أنت المالكة عليه فترجعينه بالرغم عن أمياله . قالت إن مثل هذه الآمال لاتقوى فى رأسى ولاتسلم معى نفسى بأنها تكون ولا أرى من ذاتى أنى مكلفة لارجاعه عن خطته الخبيثة ولو كان ممن يرجعون عن شرورهم لرجع حالما رغب فى أن يقترن منى وليست رغبته فى عن حب منه أو ميل إلى تكريس حياته فى سبيل القيام بشراكة كلا الزوجين المسئولين فيها دينا فلا كان الزواج ليمنع شريرا عن شروره بل يزيد فى معاصيه ولو كان ممن يرجعون لشدة أو يسألون لدفع ملمة لكان فى رأسه من النخوة والمروءة ما ربما يجعلنى أن أرغب فى الزواج به كى لا أخالف لك قولا ولا أمتنع عن أن أنقاد اليك صاغرة بالرغم عن أننى لداعى ما لك على من حق السلطة والسيادة المعطاهما من لدنه تعالى وأخيرا أسألك بحبك أن لا تعود فتعلق أملا على رغبتى فى ابن عمى بل أطلب اليك بحق ما لك على من السلطة أن تمنعه وتطلعه على كل ما كان بيننا فيرجع عن ميله ولا يعود فيما بعد يفكر فى هذا الامر فأطرق أبوها الى الارض وقد رأى من كلامها ما به الصواب وعرف أنها لا ترضى به مطلقا وأنه ليس من العدل أن يجبرها عليه ولم يكن ابن عمها أهلا لأن يكون بعلا لها وهى على جانب من الحكمة والتعقل وعاد القصة على الأمير زيان وقال له كنت أود أن تقبل بك وترغب فى الاقتران منك

وقد صرفت الجهد إلى اقناعها فلم تقبل وحتمت أخيراً أنها لا ميل لها لأحد وانها تكره الزواج وترغب فى البقاء على الحالة التى هى عليها الآن ولذلك لم يعد من سبيل إلى إتمام هذا الأمر فتكدر الامير زيان فى نفسه ولعب به الغضب وعزم على الانتقام منها وحدثته ظنونه أنها ربما تكون عاشقة لأحد الأمراء على غير علم من أبيها وقد ترجح عنده ذلك وقال فى نفسه لم ترفض طلبى إلا وفى قلبها من حب أحد شىء لأن النساء لا يركن لهن وكيف تمتنع عن أن تتزوج بى مع أنى ابن عمها وأجمل رجل فى المدينة وأبوها يرغب فى فلا ريب أنها متواعدة مع أحد وأراد الاستطلاع على الحقيقة وأن يعرف من الذى تحبه وكانت رداءة أفكاره تصور له أمورا وأحوالا غير ممكن وقوعها وقد أقام عدة أشهر على تلك الحالة يبحث عن الطريقة الموصلة إلى إتمام رغائبه والانتقام منها وبعد صرف الجهد توفق له ان استمال أحد خدم قصر عين الحياة وهو عبد أسود طماع خبيث ردىء الافعال اسمه سنبل بواب للقصر فلما صار يركن اليه ويأتمنه سره قال له أريد منك قضاء مصلحة لا أرغب فى أن أسأل غيرك فيها ولك منى الاكرام الزائد والمال الغزير إذا قضيتها لى قال أمرنى ياسيدى بماتروم فانى عبدك وعبد عبدك وأطيعك فى كل ما من شأنى أن اقدر أفعله فلو كلفتنى إلى أى مصلحة وكان يمكننى لقضائها المخاطرة بنفسى فلا أتأخر عن القيام بها فسر من كلامه وأخذ عشرة دنانير فدفعها له فانبهر منها وتاه عقله لأنه لم يكن وصل ليده مثلها فى كل زمانه . ثم قال زيان اعلم يا سنبل أنى أخبرت أن بنت عمى طوران تحت تعشق لأحد الأمراء وانى أجهل من هو ولذلك قصدت الاستطلاع عنه والاستكشاف عن خبره ولم أر وسيلة إلى ذلك إلا أنت فهل تعرف شيئا مما ذكرت . فقال انى لا أعرف شيئا من هذا ياسيدى . قال انى أعرف أنك لاتعرفه لانه لا يمكن أن تجرى أمرا مثل هذا بمعرفتك فهى كثيرة الخداع والحيل لا تظهر أمرها لأحد إلا ربما كان لقهرماناتها فقط غير أنى اطلب منك السهر على هذه القضية المهمة وأن تستيقظ الليل والنهار فى البحث وانى أعدك متى أتيتنى بالعلم اليقين أكثرت لك العطاء وأغنيتك وجعلتك من بعض أصحابى وأوصلت اليك الخلع الفاخرة ولا تعود إذ ذاك تقيم عند طوران تحت بل تدخل فى جوقى . يكون لك عظيم شأن عندى . فسر العبد من كلامه وقال له انى سأصرف الجهد إلى الوقوف على هذا الامر ومتى تبينت شيئا مما ذكر أتيتك به حالا وأعلمتك عنه

وأخذ العبد سنبل من ذلك اليوم فى البحث على غرض زيان دون الوقوف على نتيجة فكان يصبر فى كل ليلة إلى أن تصير الساعة الرابعة من الليل فيكمن فى زوايا القصر ويصعد إلى السطوح ويدخل دهاليز القصر واحداً واحدا علّه يعثر على أحد

فلم يتسنى له إذ لم تكن طوران تخت تميل إذ ذاك إلى أحد وكلما أعاد الخبر إلى زيان يقول له لا تضجر ولا تمل بل داوم التفتيش فلابد من النجاح فهى خبيثة وقد يمكن أن يكون عندها فى القصر وقد أخفته فى غرفتها فتصبر إلى أن ينام كل من فى القصر فتجلس معه فى غرفتها تصرف وقتها وتنام معه وكانت مزاياه الخبيثة تبين له أن حالة ابنة عمه كحالته من الشر والرداءة وعلى هذا لم يفتر العبد عن عمله وهو يعد نفسه بالمال الجزيل والخير الكثير إلى أن كانت تلك الليلة جاءت هند بمصفر شاه وأدخلته القصر فصبر سنبل ثم صعد إلى الدار وأكمن فى بعض زواياها فسمع صوت رجل وقهقهة ومناشدة أشعار ومعاطاة خمور فخفق قلبه وتأكد الحقيقة وعلم أن عند طوران تخت عشيقها الذى أخبره عنه الأمير زيان وصار يعد نفسه بالخير والغناء وصبر ليعلم الحقيقة ومن هو ذاك الأمير وخاف إذا ذهب ليعلم زيان لا يبقى الرجل هناك وقال فى نفسه لابد أن أصبر لأراه وأتحققه وأعرف أين مقامه ومن أين يدخل القصر لأنه ان كان هذه المرة قد دخل من الباب فلابد أن يكون قد دخل قبل هذه المرة مرات كثيرة دون أن أراه وأقام فى مكانه متلصصا وكانت طوران تخت مع مصفر شاه حينئذ على سفرة المدام وهما بأمان من رقيب أو عدو وقد هان عندهما كل صعب كما تقدم معنا وفى ظنهما أن لا أحد يعرف أمرهما ولا مطلع على خبرهما إلا القهرمانة هند وعين الحياة وقهرمانتها شريفة . ولما فرغا من الشراب ودخلا غرفة المنام ونظرهما وقد هيأت لهما المراتب القهرمانة وناما إلى جانب بعضهما وأغلق الباب عليهما كاد يطير من الفرح وانسل كالأفعى وهو لا يصدق أن يصل إلى زيان حتى وقف بين يديه وهو مع أصحابه فى مكان معروف بالفحش والقبائح ودنا منه وهو يصفق بالأيدى ويظهر فرحه وسروره فأيقن الأمير بنجاح مسعاه وقال له ما وراءك يا سنبل قال يا سيدى قد كشفت الحقيقة وتبين لنا وجه الصحيح فالأمر كما قلت فهيا اتبعنى الآن خوفا من ضياع الوقت فقام فى الحال وخرج معه إلى الخارج واستعاد منه القصة فحكى له كل ما رأى وقال له وقد رأيت أن الذى دخل معها إلى الغرفة هو ليس من بلادنا وهو مصفر شاه الذى جىء به هذا اليوم إلى السجن ولا أعلم كيف وصل اليها قال أخطأت فلا ريب أن يكون غيره ثم سار إلى بيته بعد أن طلب إلى أصحابه أن ينتظروه وأنه سيعود اليهم بعد قليل فلبس سلاحه وأخذ بيده سيفا وهو يود أن يصل إلى القصر ويرى طوران تخت قباحتها وبعد ذلك يقتلها ويقتل الذى معها بحيث تكون خيانتها إذ ذاك ظاهرة للعيان وقد هون عليه السكر هذا الأمر فسار حتى تسلق الدرج وأوصى سنبل العبد أن يبقى عند الباب ينتظره إلى حين رجوعه وان لا يدع أحدا يخرج من القصر ولما صار فى الدار دنا من غرفة طوران تخت فدفعها بيده شيئا فشيئا ودخل

وهو مشهر السيف فى يده ونظر إلى طوران تخت وهى نائمة إلى جنب مصفر شاه وقد تكلل وجهها بالبهاء والجمال فعزم أن يضربهما بسيفه فجعل قلبه يخفق ورجلاه ترجف ويداه ترتعد وفى تلك الدقيقة تحركت طوران تخت واستيقظت من نومها فنظرت فوق رأسها ابن عمها والسيف فى يده وهو كالصنم جامد لايتحرك فارتعدت فرائصها وخافت كل الخوف ورآها وقد نظرته فقال لها ماهذه الحالة هل تقبلين أن يقال عنك عاشقة فاسقة ولاتقبلين أن تقترنى بى وأنا ابن عمك وأحق بك من غيرى فالحمد لله الذى لم يتم اقترانى بك وإلى الآن قاتلك وقاتل هذا الغريب الذى جاء فى هذا اليوم إلى البلد فاصطدتيه من السجن وهذا عمل النساء الفاجرات فلم تجبه بكلمة بل كانت فى رجفة عصبية متحيرة من حضوره فى مثل هذا الوقت ولم تقدر أن تبدى حركة إلا أنها مدت يدها من تحت الغطاء ولكنزت مصفر شاه فانتبه وشاهد تلك الحالة وذاك واقف مشهر السيف فى يده وهو يتهدد طوران تخت بالقتل ولايقدر على إجراء تهديده فارتاع فى أول الأمر وخاف ان قصد الوقوف بادره بضربة كانت القاضية عليه وبعد ذلك يقضى على محبوبته إلا أنه خطر له استعمال الحيلة فقال له من أنت ياسيدى فارفق بى وانظر إلى فما أنا الآن إلا غريب ولاذنب لى . قال أتعرف من أنا فأنا زيان ابن عم هذه التى أنت إلى جانبها وقد طلبت اليها ورغبت فى زواجها فامتنعت ولم تقبل لأنها تعرف من نفسها عظم شرورها المستترة فلا تليق أن تكون زوجة لى وقد أوقعها الله تحت يدى الآن لانتقم منها وأظهر للناس أجمع شرورها قال وأى ذنب على فى ذلك فانى لم أعرف بنت عمك إلا فى هذه الليلة وأنا كنت فى السجن أسيرا بعثنى الوليد لأقيم فيه إلى حين نهاية الحرب وقد رغب فى ابقائى لغاية له مع أخصامه فأتوا بى إلى هذا المكان وأقمت كما ترانى فبالله عليك دعنى فان قتلى يغضب الوليد وانى سأعود إلى السجن قال نعم انى لا أريد أن أقتلك بل مرادى أن أقتل هذه الخائنة الخبيثة وأنا أعلم أن لا ذنب عليك إنما أريد منك متى عرف عمى أنى قتلت بنته وسألى عن السبب أحكى له بخيانتها واحك إذ أنت له واقعة الحال ليعلم انى ما ظلمتها بقتلها قال متى سألتنى إلى ذلك دعوتنى اليه لاأخفى شيئا عنه فقال له قم أنت الآن من أمامها ودعنى أغمد هذا السيف فى صدرها وكان يتهدد ويتوعد وجبنه لا يطاوعه عن قضاء غايته . ولما سمعت طوران تخت كلام مصفر شاه زاد كدرها وتمنت الموت من يد ابن عمها وقالت فى نفسها قد يقال ان الفرس أهل مروءة ووفاء فكذب من نسب اليهم ذلك وسودت الدنيا فى عينيها وعادت تنظر بقبول الموت وان يضربها ابن عمها بالسيف ونظرت إلى مصفر شاه وقد نهض من الفراش وهو مظهر الخوف

من الموت والفرح بالخلاص منه ولما صار إلى جنب زيان رفع يده بقوة عظيمة ولطمه بها على رأسه ودفعه برجله فى خاصرته فوقع إلى الأرض طائشا فبرك فوقه ونزع السيف من يده وقال له هكذا تفعل الرجال ثم ضربه بالسيف فجاء على وسطه وقطعه إلى نصفين واندفق الدم يجرى إلى الأرض كالأنابيب من الميازيب ثم قال لطوران تخت انهضى الآن ولا تلومينى على قولى فانى لولم أستعمل الحيلة لما نجونا ولابد أن تكونى قلت فى نفسك إنى خائن العهد قليل المروءة فوالله لست أنا كذلك وسوف تجمعنى وإياك الأيام فتعلمين إذ ذاك صدق رجال فارس وأماناتهم ووفاءهم وأستودعك الله الآن . ثم أخذ الطارقة من الأرض والسيف فى يده ونزل من السلم فطار عقلها عند نظرها إصراره على الرحيل وقد نزل بالرغم عنها فأسرعت خلفه وفى نيتها أن تمنعه عن مبارحتها فلم تصل إلى نصف السلم حتى رأته عند الباب وقرب منه العبد سنبل وهو لم يعرفه لكثرة الظلام وقد ظنه الأمير زيان وقال له أهل قضيت الغرض يا سيدى وتأكدت ما قلته لك وأن الذى عند بنت عمك هو الأسير . فتأكد مصفرشاه أن هذا الفعل فعله وأنه هو الذى جاء بابن عم محبوبته فرفع يده بالسيف وضربه به فأرماه قتيلا وقال قد لقيت شر فعلك وانطلق من وراء الباب مندفعا إلى السوق وقد وقفت طوران تخت باكية العين نائحة بعده وهى مضطربة من الأهوال الحاضرة مرتبكة فى داخلها لا تعرف كيف تتصرف ولا ماذا تعمل وقد صار فى قصرها قتيلان ابن عمها والعبد ولم يخطر فى ذهنها كيف تقدر أن تخفى أمرها وبعد الوقوف نحوا من نصف ساعة خطر لها أن تدخل على عين الحياة وهى فى فراشها فتستيقظها وتخبرها بكل ما جرى وتسألها المساعدة على هذه الحال وللوقت أسرعت حتى أتت إلى فراش عين الحياة فاستنهضتها وقالت لها أدركينى يا سيدتى قبل إتيان النهار وإلا انفضحنا وظهر أمرنا فاستيقظت عين الحياة ووجدتها على تلك الحالة وهى فى بكاء واضطراب فاستعادت منها الخبر فأخبرتها بكل ما كان وماجرى وكيف أن مصفرشاه قتل ابن عمها والعبد الذى أوصل اليه خبرهما وأنه سار من القصر لا تعرف إلى أى جهة سار . وقالت لها فى آخر الكلام أريد منك الآن أن تشورى على ماذا أفعل فى هذين القتيلين لأنه فى الصباح لا بد أن يظهر أمرهما فان أحدهما عند الباب والآخر فى غرفتى وقد امتلأت الأرض من الدماء وتلطخت الحيطان .

قال فلما سمعت عين الحياة كلامها ضحكت منه وقالت لها أمن تضطربين لأجل قتيلين وقعا عندك ولا تحسنين إخفاءهما وتدبير أمرهما فهيا تعجبى ما أقدر على انتك هند ثم سارت إلى غرفتها فرفعت قطعة من جثة زيان وأمرت تهرمانتها شرفة أن تحمل القطعة الثانية وصعدت على سطوح القصر ومشت إلى آخره إلى جهة ظهره

ورمت بالقطعة التى معها إلى بعيد ثم عادت فأخذت العبد وفعلت به مثل ذلك وقد قذفته من على السطوح ورجعت الى هند فقالت لها اغسلي أنت وسيدتك أرض غرفتها ولا تبقى اثرا للدماء فيها وانا وشريفة نغسل الباب والأرض فلا يظهر اثر هنالك للدماء ثم اخذتا المصباح وجعلتا تغسلان ارض الباب وكل مكان تلوث من دم سنبل حتى لم يعد اثر للدماء واقفلت الباب وعادتا الى غرفة طوران تخت فوجدتاها مع قهرمانتها قد انهت العمل واذ ذاك جلست عين الحياة كأنها مافعلت شيئا وكأن لم يدخل القصر احد فقالت لطوران تخت ها قد قضى الأمر ولم يعد من سبيل للظن فى ان المقتولين قتلا هنا بل لا بد ان يخطر لأبيك ان ابن عمك قصدك شرا وعزم على الدخول عليك فقتله سنبل البواب اذ لم يمتنع عن الرجوع فقتلت جماعته سنبلا وهكذا تكونين قد تخلصت من هذا الأمر وانت سببه واذا سؤلت فانكرى واجعلى نفسك كأن لا علم لك قالت انى اشكر فضلك على اهتمامك بى وتدبيرك امرى انما لايزال الأمر خطيرا فان مصفر شاه قد بعد عنى بعد ان عودنى على القرب منه واذاقنى لذة عيش اخضر ولا اعرف كيف اعمل لأرجعه الى وقد ذهب عنى قالت يجب ان تصبرى على امرك لأنه يكون قد سار الى جيشه ولا سبيل الى رجوعه الآن ولك اسوة فى فان فيروزشاد الآن بعيد عنى فى الجيش غير انى مطمئنة الفكر الى انه متى انتهى الحرب يأتى الى وما زلت موقنة انه لايرضى زوجة سواى فانا فى امان من نتائج بعده لأنه مهما طال بعده لابد من ان يأتى الى عند سنوح الفرص وعليك ان تثبتى على حبه وتراعى عهده فيكون لك من نفسك ارتياح عظيم ما زلت عالمة بانه مرتاح . قالت اخاف انه يعود فيقبض عليه وهو سائر فى المدينة لا يعرف طرق الخروج منها وفى كل معابر المدينة حراس يحرسون فربما وقع فيه الحرس فيصل اليه اذاه قالت دعى عنك هذه الأوهام وفى الغد نعلم ماذا يكون من امره واذا شئت ان تكونى عاشقة يجب ان تاخذى لك قلبا من حديد تدفعى فيه بالصبر الجميل كل مايقع عليك من الويلات والمصائب وإلا اذا لم تتدرعى بالصبر وتقاومى بكل جهدك الأخبار المكدرة وتتحملى صعوبة الفراق تموتين حالا وانت بعيدة عنه فلا تبقين له ولا تحصلين عليه .

واما مصفرشاه فانه بعد ان فارق القصر سار وهو فرح بنجاته يؤمل الوصول الى خارج المدينة ومن هناك يسير الى المعسكر ولا زال سائرا فى شوارع المدينة ولكن بوقت اذ ذاك عند آخر الليل حتى انتهى الى دهليز مر فيه وانتهى الى فسحة فمر فيها وهو يظن فى نفسه انه ينتهى من بعدها الى ضواحى المدينة ولمالقطعها وصل الى جماعة من الحرس مقيمين هناك فحول ان يعرج عنهم ويسير الى غير جهة فشعروا

به وصاحوا عليه وأمروه أن يقف ليروا فى أمره فلم يجب فأسرعوا اليه وقصدوا مسكه فلم يمكنهم بل أخذ الطارقة فى يده اليسار وأشهر سيفه وابتدرهم بالقتال وصاح فيهم بأصوات التهديد والتوعيد فاشهروا سلاحهم واحتاطوا به وأخذ معهم فى الضرب والمحاربة وهو يقتل فيهم ويبدد شملهم حتى تعجبوا منه وعلموا أنه من الأعداء فأسرع بعضهم إلى من جاورهم من العسكر المتخلف فى المدينة للمحافظة وجاءوا بهم وقامت نار الحرب على قدم وأحرقت أولئك القوم أى إحراق لأن مصفر شاه سطا عليهم سطوة جبار وأنزل بهم الذل والشنار وكلما تجمعوا عليه فرقهم وكلما قصد الخلاص من بينهم والخروج إلى الخارج ثاروا وأسرعوا خلفه وصاحوا به وهجموا عليه وهم خائفون من نجاته وأن يفوتهم فلا ينالون منه مرادا وربما عرف الوليد بذلك فيلومهم ويقاصصهم ودام الحال على هذا المنوال نحو ساعة من الزمان والقوم فى ازدياد وتجمع حتى كثروا على مصفر شاه فضايقوه وسدوا عليه الطرق بلا مجن فلحق بجسمه بعض جراح وفى النهاية تجمعوا عليه ورموا بأنفسهم فى طريقه وقد وقع السيف من يده فمسكوه وأوثقوه كتافا وسألوه عن نفسه فلم يجبهم فاحتاروا منه وصبروا إلى أن يشرق النهار فيذهبون به إلى حاكمهم .

فهذا ما كان من مصفر شاه وأما السجان فانه سمع عند الصباح بذكر ماوقع للحراس مع مصفر شاه فأسرع وهو مضطرب القلب منزعج الخاطر إلى قصر طوران تخت وسأل هناك القهرمانة عنه فقالت انه فر فى الليل بينما كنا نيام ولانعلم أين ذهب ومن الواجب أن تكتم أمره ولاتظهر ماكان من سيدتى بل ادعى انه فر من السجن وإذا أراد لك أبوها سوءا سألته فيك فرجع إلى السجن وهو بمزيد خوف وكدر لا يأمن على نفسه من غضب الوليد وفى الحال فتح ثقبا فى حائط السجن الخارجى دون أن يراه أحد وأسرع إلى خارج المدينة وهو يلطم على خدوده ويبكى حتى وقف بين يدى الوليد وكان لم يأته بعد خبر مصفر شاه وقال له ياسيدى دخلت قبل الصباح لأتفقد الأمير الايرانى فلم أره فى حجرة سجنه ورأيت الحائط مثقبا ولا أعلم من ثقبه وأخرجه منه فلما سمع الوليد كلامه لعب به الغضب وتكدر مزيد الكدر وكادت تقوم عليه القيامة وقال ويلك أيفقد من السجن وعندك من الحراس جماعة وينقب الحائط ولا أحد يسمع صوت ثقبه ان ذلك خيانة كبرى فلابد لى من اعدامك وجعلك عبرة لغيرك ثم امر فى الحال أن يقتل وينشر أمر قتله فوقع على أقدامه يقبلها وهو يقسم باعظم الأقسام أنه ما يخون فسبق الوزير بيدانديش عليه وقال ماهذا بصواب ياسيدى ولا أخفى أن هؤلاء يسكنون فى أعمق من هذه السجون وينشلون منها المسجونين وليس من العدل أن يقتل السجان

على أن الملك ضاراب لم يقتل عيار مصفر شاه عند ما نزل طارق عليه وأتى به من نصف المعسكر ولا قتل السجان الذى كان يحافظ على الأمير قتيل والشاه شجاع وانى أرى من الصواب أن تترك السجان وتحرمه من الرتبة وتجرده من الوظيفة فاجابه الوليد إلى كلامه وطرد السجان فسار وهو لا يصدق بالنجاة وأتى قصر طوران تخت وأخبرها ما كان من أمر أبيها بأنه طرده وقطع معينه فقالت له لا باس فانى أعوضك عن ذلك بالذهب الوضاح ثم أعطته قبضة كبيرة وقالت له استعن بها على حياتك وعيالك فشكر فضلها وخرج من قصرها وهو بمزيد فرح غير مأسوف على تركه السجن وإبعاده عن مأموريته .

وكان بعد أن خرج السجان من حضرة الوليد جاءه جماعة من الحرس الذين يطوفون الاسواق وهم يحملون زيان وسنبل مقتولين مقطعين الى أربع قطع وقال له ياسيدنا بينما كنا نطوف فى اجراء مأموريتنا وجدنا هذه الجثث مقطعه ملقاة الى الارض تبعد قليلا عن قصر سيدتنا طوران تخت وقد سالنا كثيرا لنعلم السبب فلم نقدر أن نعلمه وسالنا جماعة الأمير زيان فلم يعرف أحد بقتله بل قالوا لنا انهم بينما كانوا مجتمعين معه أتاه العبد سنبل وهمس باذنه ببعض كلام وسار معه وقد وعدنا أنه يعود الينا قريبا وحتى الساعة لم يعد فتعجبنا من أمره وبعثنا من سال فى قصر سيدتنا طوران تخت فلم يكن أحد يعلم به . فلما رأى ذلك الوليد تكدر مزيد الكدر وكادت تنشق مرارته على ابن أخيه وبكى عليه فقال له بيدانديش ليس الآن وقت بكاء وما ابن أخيك بمظلوم ولا ريب أنه قصد ايصال أذاه الى بعض الناس فقتله أو أن يكون فى المسألة سر عظيم نترك البحث عليه الآن إلى ما بعد هذه الحرب فان أمورا مهمة اعظم من يلزم النظر فيها . فأمر الوليد فى الحال ان يدفن ابن اخيه والعبد فى التراب فأخذوهما ودفنوهما وما بعدوا إلا قليلا حتى دخل على الوليد جماعة الحرس الذين اسروا مصفر شاه وهم يقودونه موثقاً مربوطا بالحبال فلما وقفوا بين يديه قالوا له اعلم يا سيدنا اننا كنا فى الليل نحرس داخل ابواب البلد وإذا بهذا الرجل ينسل من تحت اعتكار الظلام مستترا بجناحه فلاح لنا رسمه وخفى علينا امره واردنا ان نقف على امره فقصدناه فما كان الا انه بادرنا بالقتال فقاتلناه حتى تغلب علينا فاستعنا عليه بالعسكر فقتل نحوا من خمسين نفسا وبالنهاية قد قبضنا عليه ونحن لا نعلم من هو الى ان سمعنا فى المدينة ان الأمير لايرانى قد فر من السجن فتأكدنا انه هو فأتينا به اليك نعرضه عليك لتنظر فى امره .

وكان الوليد لا يزال منكسر الخاطر من حادث ابن اخيه والسجان فزال بعض ما لحق به من الغصص عند رؤياه عودة مصفر شاه الى الاسر وقصد ان يعرف كيف

كان فراره فقال له اننا بعثناك إلى السجن وأوصيت أن لا تكون مهانا فيه ففررت منه طمعا بالخلاص والعود إلى قومك فأعادك القضاء والقدر إلى أيدينا أسيرا ولهذا أطلب اليك أن تشرح لى بالتفصيل كيف كان خلاصك لأننا كنا ظننا أن العيارين قد نقبوا السجن ودخلوا فأخرجوك والآن قد تبين أنك كنت وحدك عند معارضة الحرس لك فاحك لنا ما كان من أمر خلاصك وكيف أمكنك أن تنجو من السجن مع أنك لم تعرف من قبل مخارجه ومعابره وكان أول دخولك اليه يوم فرارك منه قال لا أقدر أن أعرف كيف فررت ولا أريد أن أعرف الآن إلا أني واقف فى صيوان الوليد محروك من حرسه ولا تطمع فى أن تعرف منى غير ذلك حتى ولو أنك أرسلتنى لأى سجن كان فلا بد من أن تخدمنى الصدف وتساعدنى الاقدار فأتخلص منه . فلما سمع الوليد هذا الكلام امسك به الغيظ كل ملعب وامتلأ من الحنق وقال لمن جاءوا به خذوه إلى سجن العفاريت وألقوه فيه يلاقى العذاب الأليم ويرى من نفسه ان كان يقدر على الخلاص منه أو يقدر أحد أن يخلصه منه وفى الحال أخذه الرجال وساروا به بحسب أمر سيدهم إلى أن وصلوا إلى سجن العفاريت فقرعوا الباب فخرج اليهم السجان وفتح الباب فسلموه مصفر شاه وبلغوه أمر الوليد وأوصوه بالتحفظ عليه

قال وكان هذا سجن العفاريت من أعظم سجون تلك الايام يقال انه كان فى القديم مسكنا للعفاريت يتحصنون به حتى ان طغمات منهم كانوا لا يقدرون على قفل بابه لأنه كان أشبه بسور عال سميك للغاية مسقف بحجر واحد صلب لا تقدر أن تقطع فيه الصواعق المتتابعة وليس له نافذة قط سوى باب من الحديد يبلغ ارتفاعه ذراع ونصف ذراع وسمكه ١٤ قيراطا وله نحو عشرة أقفال حتى إذا قفل هذا الباب كان قطعة واحدة من السور الصخرى فلا يقدر أحد على فتحه وكان الذين داخله لا يرون النور مطلقا لانه لا يسمح لهم أن يخرجوا الى الخارج ولا يبعث النور الى الداخل ولذلك كانت المصابيح الضئيلة النور دائما موقدة فيه وخص بذلك السجن المحكوم عليهم بالقلعة مؤبدا والمحكوم عليهم بالاعدام وأقاموا مؤقتا بينما يصير إعدامهم ومن سجنه فى ذلك المكان يكون من حظه الموت لارتكابه جريمة من أقبح الجرائم ولما دخل مصفر شاه إلى ذاك السجن وجده أمر من مرارة الموت لأنه لم يكن معتادا على العذاب والاهانة إلى حد هذه الدرجة غير أنه صبر على هذه الحال وقال فى نفسه لا بد أن يأتى الفرج عن قريب لأن الله سبحانه وتعالى لا يتركنى أقاسى العذاب الأليم ولا بد من أن يكون النصر لقومى فيسعون فى خلاصى ويخرجونى من هذا المكان الجهنمى وأقام مسلما بأمره لله تعالى .

قال وشاع خبر بعث مصفر شاه إلى سجن العفاريت وتناقلته الألسن داخل المدينة وتأكدوا أن فى نية الوليد اعدامه أو أن يميته داخله كغيره من الذين يموتون يوميا من عظم كراهة المناخ والنتن وبالتصادف كانت هند قهرمانة طوران تخت فى الاسواق فسمعت بهذا الخبر ودلت من أحد الناس واستفسرت منه عن الحقيقة فقال لها ان الأسير الذى كان فى السجن تخلص فى الليل الماضى وفر طالبا الخروج إلى بين العسكر لأنه من الاعداء فصادف الحرس وجرى بينه وبينهم قتال عظيم أهلك فيه أكثر من مائة نفس وبعد الجهد ألقوا القبض عليه وأخذوه إلى الوليد فسأله عن سبب هربه فلم يجب فأمر أن يوضع فى سجن العفاريت والآن رأيناهم آخذيه إلى ذلك السجن ومن المقرر أنه لم يعد يقدر أن يخرج منه حياً وهكذا قد انتهت حياته فيه ولنا رجاء منه تعالى أن يكون هذا نصيب جميع الايرانيين أعداء ملكنا قالت وكيف فر هذا الاسير من السجن ومن ياترى ساعده على الفرار وكانت تحب ان كان توجه فكر أحد إلى مولاتها وماذا تقول الناس فى أمر خلاصه فقال لها الذى كان يخاطبها أن جميع البلد تلهج بهذه القضية ولا أحد يعرف كيف كان تخلصه ومما زاد الناس تعجبا أن زيان وجد فى هذا الصباح مائتا مقطعا إلى قطعتين ومثل ذلك سندل بواب بنت الملك وحتى الساعة لايعرف أحد من أمرهما شيئا . فعرفت هند ان لا أحد يعرف شيئا مما تقدم لمولاتها مع مصفر شاه إلا أنها تكدرت مزيد الكدر ولحق بها الهم والنكد من جرى ماوقع على مصفر شاه لانها كانت تعلم أن طوران تخت إذا عرفت بذلك تجن وتعدم عقلها لانها تعلم أنه سيموت فيه وربما لايقدر أن يقيم فيه عدة أيام دون أن يمرض ويسقم ولذلك نويت على إخفاء الآلام عنها وجاءت القصر ودخلت على عين الحياة فوجدتها جالسة لوحدها فى غرفتها فحكت لها كل ما سمعته فى السوق عن مصفر شاه وانه ألقى فى سجن العفاريت وشرحت لها حالة ذلك السجن وماذا يقال عنه ولاى شىء تحصص بحزنت لهذا الخبر وتأسفت على مصفر شاه وقالت فى نفسها أن نصيب هذه الفتاة كنصيبي مملوء بالأكدار والمصائب غير أن طالب الشهد لا ينبغى أن يخاف من إبر النحل وأرادت أن تسلى طوران تخت وتلازمها كل الملازمة هذه المدة إلى حين تقضى الحال ويفرغ القوم من القتال . فبعثت بهند اليها وأمرتها أن تسارع بالحضور إلى غرفتها فأجابت وأتت طوران تخت إلى غرفة عين الحياة فترحبت بها كل الترحيب وقالت لها لا حق لك الآن فى الحزن فانه قد قضى عليك بالحب كما قضى علي وفى حسن الفرس الآن حبيبى وحبيبك وهما يقاتلان لاجل الوصول الينا . قالت ان حبيبك فى قومه وأما مصفر شاه فلا أعرف عنه خبرا قالت لو لم يكن فى

الجيش لجاءنا منه الخبر أو عرفنا من أحد ماذا جرى عليه ولا يخفاك أن الله سبحانه وتعالى مع رجال الفرس فلا خوف عليهم ولو قيل لك أنهم داخل سد من حديد فاعلمى أن الله يساعدهم إلى أن يخرقوه ويخرجوا منه ومامنهم إلا من فيه الكفاءة لعمل أكبر من ذلك ثم أمرت قهرماناتها أن تحضر لها بالشراب لتشربا معا فسارت هند وأتت بالشراب وصفته أمامهما وجلستا إلى جانب بعضهما البعض وكان الوقت إذذاك عند غياب الشمس فملأت عين الحياة كاساوناولتها إلى طوران تخت وقالت لها اشربى هذه الكاس وانشدينا شيئا بحبيبك فان الوقت يحتاج إلى الذكرى وانى سأفعل كذلك فنشرب على ذكر المحبين فتناولت الكاس منها وتذكرت محاسن من أحبته نفسها وبهاء طلعته وأنشدت

لو يكون اللقاء باستحقاق	ما قضى الدهر بيننا بفراق
جل عن وصف واصف غير دمعى	ماأقاسى من الهوى والاقى
لا تلمنى فى الحب وانظر إلى آ	ثار فعل البعاد والافتراق
بدن صيغ من سقام وقلب	صيغ من حرقة ومن أشواق
فسقى الله طيب عهد تلاقيـ	ـنا وحيا الاله عهد التلاقى
رب ليل زارنى وسوارى الشهـ	ـب جدى تهيم فى الآفاق
ويمين الصباح عن معطف الجو	زاء كادت تحل عقد النطاق
بدر تم كماله يوقع البد	ر حياء وغيرة فى المحاق
يحسد الطرف ثغره ومحيا	ه بفرط الابراق والائتلاق
منطق يقتل الهموم ويحيى	داعيات السرور للعشـــاق
وحديث يجرى على كل قلب	كالزلال المسلسل الرقراق
وعيون قد استباحت حمى الفتـ	ـك فليست تبقى على الارماق
كنت والروح فى التراقى من الوجـ	ـد ودمعى خيوله فى استباق
أشتكى منك أم إليك اشتياقى	ما لمثلى من جور مثلك راقى
أحجاب البعاد والهجر أشكو	أم حجاب الصدود والاطراق
ورقيبى أم الوشاة أم الآ	ام أشكو إليك أم اشتياقى
نظرة منك يا سيدى تنشر المو	تى باذن المهيمن الخلاق
ثم بدا فى ياقوت وجنته الشفـ	ـاف ماء كاللؤلؤ البراق
ثم عاطيته من العتب كاسا	شب معسولها بدمع مراق
فنهانى عن لثمه غيرتى منـ	ـى ولم يسمح التقى بعناق
هكذا الحب عنـــدما يتناهى	ما به غير لوعة واحتراق

عجلى يا يد الغـــرام حمامى فعذاب الأشواق حال السباق
واستعار بالحب عن جفونى بعدى عهد الني بدمعك الدفاق
والمغى قاتلى برفق سلامى ثم حي عنى وجوه الرفاق

وبعد أن شربت الكاس على ما تقدم من ذكر انشادها اخذت فسكبت قدحا من الخمر وناولته إلى عين الحياة وسألها ان تنشد شيئا من الشعر فى وصف شوقها وحالها وكانت عين الحياه تنظر اليها متأملة فيها تفكر فى ما اصابها وهى تقول فى نفسها أنها عاشقة مثلى مغرمة بحبيب لا تقدر ان تصل اليه كحبيبى انما الفرق أنها هى لا تزال فى اول العشق ولم يمر عليها من المصاعب المكدرة ما مر على وهى لا تزال فى بيتها ولم يفارقها حبيبها اكثر من نهار على انى أنا اسيره مسجونة لا أقدر على الخروج ولا اعرف الحالة التى انتهى اليها وقد تجمعت مئات من الألوف فى سبيل منعى عن حبيبى ومنعه عنى واهتمام أكبر ملوك الأرض بى فبعضهم يرعب فى ان يقربنى ممن أحب والبعض يرغب فى أن يقربنى من غيره وكانت هذه الأفكار تتعاظم عليها وتتسع فى وجهها بينما كانت تسمع إنشاد طوران تخت ولما أعطتها القدح أخذته منها وتذكرت حالتها فكادت تنصب ميازيب أدمعها لولا إمساكها نفسها واظهار تجلدها وشدة احتمالها للمكاره التى اعتادت عليها منذ أكثر من ثلاث سنوات أى منذ أخذت صور فيروزشاه الى تلك الساعة ولدى تذكرها عشيقها هانت عليها المصائب فاخذت القدح وأنشدت :

انا والحمام مع الصباح فرسا رهان فى النواح
حتى إذا حان الغرو ب صحى وقلبى غير صاحى
هيهات ما لسواى وجد مثـــل وجدى والنياحى
قد حار فى دنى الطبـ ب وحار فى كلفى اللواحى
ويئست من برئى كما يئس الضرير من الصباح
تشتـــاق نفسى المنيـ ة كلما سالت جراحى
ما لاح برق مشــئم ليلا وهيج لى ارتياحى
إلا وكدت أطير من شوق الديار مع الرياح
لكنما الأيام قد قصت حوادثها جناحى
أشتاق أحبابى وما لى عن مكانى من براح
فأسبغ ماء مدمعى واغص بالماء القراح
قد صاقنى سجن الهمو م فهل لاسرى من سراح
يا رب ضقت بغربتى ذرعا وبالكرب المتاح
فاكشف كروب النفس أو وأذن لروحى بالرواحى

وبعد إنشادها شربت بذكر فيروزشاه وهى تسأل الله أن يعجل اليها اتراه لأنها ذابت شوقا اليه ولوعة على بعده وحرقة على فراقه وأصاب فؤادها من الشوق والوجد ما لم يصاب به قيس ليلى ولا كثير عزة ولا جميل بثينة لأنها كانت سلطان عشاق ذاك الزمان وكانت ترغب من إكثار شرب الخمر لتغيب به عن الهوى فقد يكثر عليها الذكرى ويزيد من شوقها إلى حبيبها . ودامت مع طوران تخت على تلك الحاله وقد اعتاضتا عن الطعام بالخمر والنقل لذت لهما تلك الحالة وتمنتا أن تكونا على ذلك إلى الصباح وبينما كانت الساعة الثالثة أخذت عين الحياة كأسا من الخمر ووضعتها على شفتها وأرادت أن تتجرعها وقد مالت برأسها إلى الوراء ووجهت بوجهها إلى فوق فوقع نظرها على نافذة من الزجاج لاح لها من وراءها شخص واقف ينظر اليهما من سطح مقابل للنافذة وانتبهت إلى حركة فى الخارج وللحال أرجعت الكأس عن فمها وامتلأت من الغضب وقالت لطوران تخت ألا علمت أن بعض الناس ينظر الينا فانى أرى رجلا على السطح يلاحظ أعمالنا ويتسرق علينا كلص فهل يكون كهذا قصر بنات الملوك وهل بلغ من قدر الرجال أن يطلعوا على أحوال البنات بالحيل والخداع فنظرت طوران تخت إلى النافذة فلاح لها الشخص المذكور وهو يرقبهما فغضبت وقالت كيف العمل لمعرفة هذا الرجل . فقالت عين الحياة إن فى نيتى أن أصعد على السطوح وأنظر فى أمره وإنى لابد من أن أعدمه الحياة فقالت شريفة لا تزعجى نفسك يا سيدتى فانى أصعد عنك وأقضى هذه المهمة ولا بد من قتله أيا كان ثم استلت خنجرا وتسلقت السلم حتى انتهت الى السطوح فسارت عليها إلى أن قربت من ذاك الشخص فنظرت بالقرب منه شخصا آخر وهما واقفان ينظران الى الأسفل من النافذة ويتشاوران مع بعضهما فدنت منهما وصاحت فيهما ويلكما أيها الوقوحان أتظنان أن قصور بنات الملوك ملاعب للهرج فستلاقيان شر عملكما وكانت شريفة قوية القلب وعندها طرف من الشجاعة فأرسلت خنجرها ضاربة به للرجل الاول وفى نفسها أنها تقضى عليه فلم يمكنها بل ضيع ضربتها وأسرع فقبض يدها وشد عليها بعض قوته وقال لها مهلا يا شريفة أما كفى أن سيدتك جرحتنا بسيف لحاظها وطعنتنا برمح قوامها وتركتنا صرعى جمالها حتى بعثتك تقضى علينا أنت أيضا بهذا الخنجر ألم يكن لها من الشفقة والرحمة فينا ما يمنعها عن أذانا . فلما سمعت شريفة صوته عرفت أنه فيروزشاه وللوقت دعته الى النزول فقال لها انى كنت امتنعت وترددت لما شاهدت عند مولاتك اثنتان غريبتان . قالت لا مانع منهما فانهما مساعدتان لمولاتى وهما بنت الوليد وقهرمانتها وستعلم من أمرهما ما يرفع التحذر من ضميرك وذلك متى وصلت الى

سيدتى وها أنا سائرة أمامك لأعلمها بقدومك . تدرجت السلم حتى أتت الغرفة فنادت بها عين الحيـــاة وقالت لها ماذا رأيت ومن المتجاسر على الاكتشاف علينا قالت لها نعم انى عرفت الرجل فوجدته انه ذو حق بالاطلاع على أسرارك والاكتشاف على أخبارك لأنه ما خاطر بنفسه إلا لهذه الغاية أى لأجل الوقوف على حقيقة أمرك فهذا هو صاحب السيف والقلم والبند والعلم فارس المشارق والمغارب ومبيد الكتائب والمواكب هذا هو حبيبك فيروز شاه وقد دعاه حبه وهواه إلى الوصول إلى هـذه السطوح والمخاطرة بنفسه على غير علم بمكان اقامتك فلما سمعت عين الحياة كلامها نهضت واقفة وأسرعت بالتقدم لملتقاه وهى من الفرح فى برج حديد وتحركت فيها كل دواعى الحب وحسبت نفسها أنها دخلت روض سعادة جديدة

قال وكان السبب فى مجىء فيروز شاه هو انه فى صباح اليوم الذى فقد فيه مصفر شاه نهض الملك ضاراب من رقاده وجلس فى صيوانه وكان ذاك اليوم يوم راحة لم يقصدوا فيه حربا واجتمع بحسب العادة من حواليه عموم الفرسان والأبطال وجلس كل بحسب درجاته إلا ان مصفر شاه وبهزاد لم يحضرا فسأل الملك عنهما فتقدم منه شياغوس وقال له ياسيدى انى مررت من هنالك هذه الساعة فوجدت الأشوب فى ارتباك وجماعة مصفر شاه فى اضطراب فقيل لى انه فقد من الصيوان هذه الليلة وفى الصباح وجدوا الصيوان خال ليس فيه سوى فراشه وقد تأكدوا أنه سرق فى الليل وان سارقه أحد عيارى مصر وقد استدلوا من ذلك آثار أقدام من ظهر الصيوان فلما سمع الملك هذا الكلام وقعت عليه حبال الاكدار وغضب مزيد الغضب وقال أيسرق ملك من بيننا وعيارونا غافلون لا يسهرون على أمرائهم ولا ينتبهون إلى لصوص الأعداء وعياريهم وفى تلك الساعة دخل بهزاد وأعاد الأمر على الملك وقال له انى أظن ولا أخطىء بظنى أن الذى سرق مصفر شاه هو طارق العيار وكما انه سطا علينا وانتشل من بيننا الأمير قتيل والشاه شجاع قد نزل علينا هذه المرة فأصاب مصفر شاه فأخذه بطريقة ولا بد أنه يعيد عمله ويرجع ثانيا وثالثا . ثم افتقد الملك ضاراب شبرنك العيار فلم يقف له على خبر ودار الكلام بين القوم بشأن فقد مصفر شاه وقد كدرهم جدا وقامت بينهم الغوغاء والملك ضاراب فى هم ونكد يكاد يغيب عن الوجود مقدار ساعة من الزمان وإذا بشبرنك قد دخل الصيوان ووقف بين يدى سيده . فقال له أين كنت يا شبرنك قال كنت يا سيدى بين خدم الوليد وأنا بصفة واحد منهم قال وماذا عرفت وأنت هناك . قال انى كنت مختلطا بينهم وأنا دائما أختبىء من وجه هلال العيار لأنى أعلم أنه زنديق إذا رآنى عرفنى حالا وقصدت الرجوع عند الصباح فلم أقدر لأنه كان يطوف خارج الخيام فانزويت

فى إحدى الزوايا وإذا بطارق قد عرض على الوليد عملا عمله فى هذا الليل وهو انه قال له انى سرت فى هذه الليلة وأتيت بفيروزشاه ابن الملك ضاراب فأظهر كل الحضور فرحهم ووعدوه بمزيد الغنى وقد صدقوه إلا طيفور فقال له ان ذلك بعيد عنك ياطارق لأنه من المحال أن تصل إلى فيروز شاه وعنده بهروز العيار فقال هو عندى الآن فى البيت فأمره الوليد أن يحضره فأتى به وإذا هو مصفر شاه ابن عمك فأظهر خطأه وغلطه لأنه كان جاء على نية أخذ سيدى فيروز شاه وفى الحال أمر الوليد أن يؤخذ إلى السجن فأخذ وإذ ذاك رأيت طريقا للرجوع فابتعدت عن الصيوان وأوسعت فى البر إلى ان جئت اليكم وهذا الذى رأيته وعرفته فزاد كدر الملك ضاراب من عمل طارق وقد شكر الله الذى لم يؤخذ ولده وقال ان المصيبة الآن أهون من مصيبة فقد ولدى لأننا فى حاجة اليه والنصر قائم على الابواب فلابد لنا من خلاص مصفرشاه وفى تلك الساعة أتاه كتاب من الوليد يقول له فيه بما ان الحرب قد اتصلت بيننا إلى حد عظيم بهذا المقدار وقد امتلأت الأرض من جثث القتلى والأموات ومن واجبات الانسانية والعدل الالهى أن تدفن هذه الجثث وتنظف الأرض منها ومن الأدمية دفعا للأمراض التى تنشأ عنها إذا تركت فيصاب بها جيشنا وجيشك . فمن الواجب أن نتفق على هدنة تكون ثلاثين يوما طمعا براحة عباد الله ورغبة فى كرامة الجثث الملقاة إلى الأرض . وكان السبب فى بعث هذا التحرير أن الوليد أقام مجلسا دعا إليه الشاه سرور وطيفور ووزرائه وعرض لهم الحالة التى وصلوا اليها وقال لهم قد خطر فى بالى أن أبعث إلى بلاد النمسا فاستنجد قيصرها يبعث لى بالعساكر وبرسل فارسى بلاده وهما تمرتاس وتمرتاش وهذان الفارسان على ما أعرف أنهما أشد رجال العالم فى هذا الزمان ولاريب فى كل واحد منهما كاف للقيام بمحاربة كل جيش إيران وعندى أنهما هما اللذان يقتلان فيروز شاه وبريحاننا من شره إنما يقتضى لذلك أكثر من ثلاثين يوما لأن ملاطية قاعدة بلاد النمسا بعيدة من هنا فاذا بعثت بالرسل لا يمكن أن تصل قبل عشرة أيام ومسير العساكر إلى لا يكون بأقل من عشرين يوما وبهذه المدة يكون الايرانيين قد فازوا علينا تمام الفوز وانتصروا على جيشنا ودخلوا بلادنا فلا نعود ننتفع من هذه النجده فقال له طيفور انى أعلمك أن الملك ضاراب رجل يرغب جدا فى الانصاف ولا يرد طلب ملك مثلك فابعث اليه واسأله الهدنة والرجوع عن القتال ثلاثين يوما واحتج بذلك أنك تريد دفن موتاك وهو أيضا لابد أن يكون راغبا فى دفن من قتل من جيشه فاستصوب الجميع هذا الرأى وكتب الوليد الكتاب وأرسله كما تقدم إلى الملك ضاراب فأخذه وأعرضه على أعيانه فاختاروه وقالوا ان الهدنة ضرورية لراحة

الجيش ولدفن موتانا ولمداواة الجرحى منا على أن هذا النصر لا يفوتنا أولا وآخرا سيما وأنت الآن فى اضطراب من جهة مصفر شاه فيمكن للعيارين أن ينزلوا المدينة ويتسببوا فى خلاصه فوافق الملك ضاراب على ذلك وبعث إلى الوليد بموافقته على هذه المدنة وقال له اعلم انى عارف حق المعرفة أن الهدنة الآن تضر بى لأنى على شفير الانتصار وأنت على شفير الخراب والانكسار فأكون بذلك قد رددت اليك بعضا من قوتك التى أخذت فى أن تنحل إنما كى لا يقال عنى انى محب للقتال وسفك الدماء أجبتك إلى عقد الراحة إلى ما شئت ولابد لى بعد ذلك من الدخول الى البلد لا طمعا فيها بل لآخذ عين الحياة لأن رغبتى الوحيدة فيها فقط ومن ثم أعود عنك وعن بلادك فأى وقت أردت أن تتخلص من وبال هذه الحرب فابعث الى بها لأزفها على ولدى وابعث الى بطيفور لانتقم منه لأنى قاسم بذلك أبر الأقسام

وكانت هذه الهدنة من أكبر المصائب على فيروزشاه لانه رآها طويلة جدا وعرف ان ذلك من تصعيات الأيام لانه كلما دنا قرب الوصول الى محبوبته ووعد نفسه بمشاهدتها تحول دون ذلك المصائب والمصاعب ويبعده الدهر عن اتمام رغائبه فاقام متكدر الخاطر مبلبل البال ورأى من نفسه انه لابد له فى هذه المدة أن ينزل المدينة فى الظلام ويدخل على عين الحياة أين كانت ومهما كانت الموانع العائقة لذلك يزيلها بهمته ولو حمله هذا إلى أن يرمى بنفسه فى أكبر الأخطار . وأما الوليد فانه عند ما وصل اليه كتاب الملك ضاراب باجابته الى طلبه وموافقته الى الامتناع عن الحرب فرح غاية الفرح وفى الحال أمر وزيره بيداندش ان يكتب كتابا الى قيصر ملاطية يستنجده بان يبعث اليه بالعساكر والفرسان فكتب الوزير ما يأتى :

بسم الله الحى الرحيم الرحمن

من الوليد حاكم مدينة مصر ونواحيها الى صديقه الملك قيصر ملك بلاد الاسلام وحاكمها اعلم انه قد جاء الى بلادى ملك اليمن الشاه سرور واستجار بى من عدو قصد بلاده وتسلط عليها طمعا فى ان يغتصب بنته وذلك العدو هو الملك ضاراب ابن الملك بهمن ملك الفرس والعجم ومراده ان يزوج عين الحياة بنت الشاه سرور لولده فيروزشاه بالرغم عن أبيها وذلك من اكبر طرق الظلم لاسيما وان اناها قد خطبها من ولدى الشاه صالح وهرب فيها من بلاده الى بلادى املا ان يتخلص من ذلك العدو الا انه بعد ان استولى على جميع بلاد اليمن جاء بعسكره ورجاله الى بلادنا وطمع فى ان يأخذها من نصف قصرى فجمعت العساكر والابطال بما يضاعف اربع مرات عسكره وكنت اظن انى افتك به وارجعه بالخيبة فكان بعكس ما ظننت لأن عنده فرسان وابطال لم ينتج مثلهم الزمان ولم يكن بين كل هذه الجيوش التى جمعتها فارس يقدر ان يقاوم فرسانهم

ولاسيما فيروز شاه ولد الملك ضاراب فانه فتك فى جيوشنا كل الفتك وأهلك أبطالنا وهو يقاتل قتال الأسود طمعا بالحصول على عين الحياة ولما شاهدت نفسى مغلوبا معهم وانى إذا داومت القتال ثلاثة أيام أخر أفقد كل قوتى عقدت هدنة مع الايرانيين إلى مدة ثلاثين يوما على أمل أن أبعث اليك أسألك معونتى كونى متأكد أنك لا ترغب فى أن تسطو الأعداء على بلادى ويذلونى ولا تدعوك الصداقة المتينة التى هى بيننا من زمان قديم أن تتأخر عن إجابة سؤالى فأرجوك أن توجه إلى بفارسى بلادك تمرتاس وتمرتاش لأنى مؤكد كل التأكيد أنهما قادران على قتل فيروز شاه وملاقاة فرسان فارس وإذا تهاملت عنى تصبح مصر بيد العدو وتخترق حرمة الملك وربما قتلنى أيضا وأكرر رجائى بالسرعة والسلام ختام .

ثم ختم الكتاب ودفعه إلى أحد العيارين وأوصاه أن يأخذ معه جماعة من الفرسان ويسير إلى الاسكندرية ومنها ينزل البحر ويسير إلى ملاطية وأقام الوليد على حاله وهو فرحان بتمكنه من الوقت اللازم لانفاذ قصد وأقام بانتظار هذه النجدة وبعث برجاله تفتش على جثث المقتولين من المصريين فتحفر لها القبور وتأويها فيها على عينى الملك ضاراب وكذلك الملك ضاراب عين أناسا لنفس هذه الغاية وأما فيروزشاه فصبر كل ذلك اليوم وهو فى صيوانه لم يخرج منه والمساء أيضا وكل اليوم الثانى فعرف أبوه أنه متكدر لأجل هذه الهدنة وأنه يرغب العزلة والانفراد فتركه على حاله وفى مساء اليوم الثانى دعا فيروزشاه بهروز العيار وقال له كن على أهبة السير معى فانى حتمت على نفسى أنى فى هذه الليلة لا بدلى من الدخول إلى المدينة والاجتماع بعين الحياة فقال له لا تخاطر بنفسك يا سيدى فان ذلك من أشد الصعوبات لأنى سمعت أن عين الحياة هى مقيمة عند طوران تخت بنت الوليد وليست هى فى قصر لوحدها فاذا علمت تلك بقدومنا تظهر أمرنا ولا تخفيه فنقع فى مصائب جديدة نحن فى غنى عنها الآن ولا بد من ان تنفرج علينا الحال ونكشف عن عين الحياة ماهى به فى غير هذا الوقت وأما الآن فلا يمكننا ان نكشف عنها هما ولا غما وليس فى وسعنا إخراجها من مكان وجودها قال ليس فى نيتى أن اخرجها ولا تطاوعنى على ذلك أفكارى حفظا لشرفها وشرفى إنما جل ماأطلبه الاجتماع بها ولو نصف ساعة وانى مشتاق كل الشوق إلى أن أراها واعلم هل هى بصحة جيدة أو لا واذا اجتمعت بها لا بد من ان اطمنها وأريح أفكارها من جهة نتيجة هذه الحرب لانى اخاف أن تكون حزينة كئيبة وربما لا يبلغها مانحن فيه من الظفر والنجاح فاذا عرفت ذلك تسر وتعد نفسها بزوال الكروب وتتحمل ثقل الموانع بصبر جميل وشكر

للمستقبل فلا تطمع نفسك فى أن تقنعنى أن أعدل عن عزمى أو أرجع عن أمر نويته فهيا سر معى الآن ولا يمضى إلا القليل إن شاء الله إلا ونكون داخل المدينة ومن هناك لا يصعب علينا أمر الوقوف على قصر طوران تخت . فلما سمع بهروز كلام سيده عرف أنه أصر كل الاصرار على مواجهة عين الحياة وأن لا شىء يمنعه عن إصراره هذا فهيأ نفسه ولبس أخف لبس وأخذ خنجره وكمنده وما يحتاج اليه لتسلق السطوح وكذلك الآخر تقلد بسلاحه وخرجا من المعسكر وكان معسكره فى أطراف الجيش وأتيا جهة النيل فنزل بهروز وقطع فيه بعد أن نزع ثيابه ووضعها فى الجهة الثانية وعاد فأخذ ثياب سيده وقطع فيروزشاه بعده ودخلا المدينة من جهة بعيدة كان النيل محاطا بها وليس عليها من حارس هناك وكان بهروز قد عرف تلك الجهة قبل ذلك اليوم لانه كان عند مفارقته سيده يقصد الوقوف على مثل هكذا أمر وغيره احتراسا من أن يحتاج اليه وعرف أن المدينة خالية من جهة النيل ولما صارا داخل البلد انسحبا من جهة إلى ثانية حتى سمعا رجلين يتكلمان بأمر زيان وسنبل وانهما وجدا قتيلان بالقرب من قصر بنت الملك فدنا منهما بهروز وأظهر على نفسه أنه من أهل الارياف وتكلم بلغة أهل مصر وقال لهما ماذا تعنيان هل قتل الأمير زيان قالا نعم وجد فى هذا الصباح عند قصر طوران تخت قال وهل ذلك بعيد من هنا قالا كلا فان القصر قريب وهل لم يبلغك الخبر قال سمعت طرفا من مثل هذا الحديث فى هذا اليوم غير انى لما كنت تعبان حيث وصلت مع رفيقى من الارياف فى هذا اليوم لم أرد أن أقف على الحقيقة سيما وإن أمرا مثل هذا لا يهمنى مع أنى كنت أعرف الأمير زيان وكان ينعم على كثيرا والآن سمعتكما تتكلمان فقصدت السؤال عن ذلك ، إن كان على سبيل الفضول منى إلا أنى أريد أن أعرف السبب وفى أى مكان قتل وما ذلك إلا على نوع التسلى قال رجل من الاثنين إننا سائران من جهة قصر بنت الملك فاذا شئت سر معنا فندلك على المكان الذى قتل فيه وأما السبب فحتى الساعة جميع من فى المدينة يجهلونه وعلى ما يظن أنه تنازع وجماعته مع سنبل أو مع خدم القصر فقتل سنبل الامير وقتلت جماعة الامير سنبلا وقد ظن قوم غير ذلك أى أن الاسير الايرانى الذى فر بالامس قتلهما حيث ربما كانا قد اعترضاه فسار بهروز معهم وقد أعرض عن ذكر الفارس الايرانى وخاف ان اكثر السؤال عنه يلحظان عليه فعاد إلى ذكر الامير زيان وقال هل من سبب موجب للظن فى أن سنبلا قتل الامير قال ان الذى حمل الناس على هذا الظن هو أنهم يعلمون أن الامير زيان قد طلب من عمه أن يزفه على بنته فامتنعت ولم تقبله وبما أنه مشهور عنه الرعونة وحب ... الفرصة أى فرصة غياب عمه عن المدينة

وانشغاله بالحرب وقصد الدخول إلى ابنته لخبث كان فى فكره فعارضه سنبل ووقع القتال بينهم وهذا لا بد أن يظهر بعد فراغ عمه من الحرب والبحث عن سبب قتله ولازال بهروز سائرا معهما ومن خلفهم فيروزشاه حتى وصلوا إلى القصر فقال الرجلان لبهروز هذا قصر بنت الملك وهنا وجد القتيلان مائتان فقال ربما يكونان قد قتلا فى غير هذا المكان واتى بهما إلى هنا قالا لا يظن ذلك لأن البواب يقيم دائما عند الباب ولا يفارقه الا نادرا ولهذا ترجح هذا الظن

ثم ودع بهروز الرجلين وأظهر على نفسه أنه يريد الرجوع من حيث أتى وسار الرجلان فى طريقهما ولما بعدا اجتمع بسيده وقال قد اوصلنا الله من أقرب طريق إلى قصر بنت الملك اى القصر الذى فيه عين الحياة ولم يبق علينا الا أن ننظر من اين يسهل علينا تسلقه وقد سمعت أن . الأسير الايرانى تخلص وليس من أسير ايرانى هنا الا مصفر شاه ويمكن أن يكون قد نجا من السجن واختفى فى بعض بيوت المدينة لأنه لم يصل إلى الجيش ولو وصل لكنا نظرناه قبل مجيئنا اما اختفى ليذهب فى هذه الليلة أو ربما يكون قد وقع فى أيديهم ثانية فأعادوه إلى سجنه . ثم ان بهروز طاف حول القصر إلى أن تبين له وجه النجاح فرمى بكمنده على سطح طابق سفلى موصل إلى الطابق العلوى فمسكت كلاليبه فتساق الحائط ومسك بالحبل بما تعلم من الخفة فى مهنته وبأسرع من لمح البصر صار فوق السطح وطلب إلى فيروزشاه أن يفعل كفعله ففعل وساعده هو بان سحبه من فوق إلى أن صار عنده ثم فعلا ذلك الى ان صارا على اعلى السطوح فاخذ يبحثان لهريان منفذا يوصلهما الى داخل القصر وبينما هما يطوفان فوق السطوح وقعت أعينهما على نافذة الزجاج المتقدم ذكرها فتدلى فيروزشاه قليلا إلى أن صار بالقرب منها ونظر إلى الأسفل فوجد عين الحياة وطوران تخت يشربان الخمر ويتناشدان الأشعار فزاد وجده إلى أن يكون قريب منهما إلا أنه خشى أن تراه طوران تخت ىلا تكتم أمره وتفضحه وتمنعه من لذة الاجتماع بحبيبته واستشار بهروز فى ذلك فقال له ليس من الصواب أن ننبههما الآن بقدومنا بل يجب أن نصبر إلى أن تنقضى السهرة وتفترقا عن بعضهما وإذ ذاك يمكن أن نرى إن كان فى وسعنا النزول من هذه النافذة أو من غيرها وبينما هما على مثل ذلك أتت شريفة وجرى لها ما جرى معه وعرفته فأخذته إلى مولاتها

قال ولما رأته عين الحياة كادت تخسر عقلها من عظم الفرح وصافحته وسلمت عليه وأذرفت دموع الفرح والمسرة وفعل هو كفعلها وبعد أن جلس تقدمت منه طوران تخت وسلمت عليه وأظهرت له مزيد الترحيب والاكرام فضلا عن ... وفرحها واهتمامها به وبعين الحيـــاة وبعد أن استقر به المقام نهضت طوران تخت وصبت

الذهاب إلى غرفتها وكان قصدها أن تبعد عنهما وتتركهما وحدهما يتشاكيان لوعة الفراق على خلاء بحيث لا يكون بينهما رقيب بينهما فودعتهما وسارت وهي متحيرة من جمال فيروزشاه وفصاحته وقد قالت في نفسها معذورة عين الحياة لحبها مثل هذا الامير الذي ندر وجود مثاله وكيف يمكن أن تعتاض عنه بأخي وبين ذا وذاك فرق لا تدركه العقول ودخلت غرفتها ورمت بنفسها على فراش الاشـــواق وقد حسدت عين الحياة على اجتماعها بحبيبها مع أنها بعيدة عن محبها وأخذت تتقلب كل تلك الليلة دون أن يأخذها نوم وهي تفكر كيف أن محبوب عين الحياة مطلق الحرية والتصرف وذاك لا نعرف له مكان . ثم ان عين الحياة جلست بجانب حبيبها على مائدة المدام وأخذا يتعاطيانه ويتشاكيان الغرام وما لاقيا من الوجد والهيام في كل تلك المدة التي مضت ويشكران فضل العناية التي سهلت لهما الاجتماع ببعضهما وتذكرا أن تلك الليلة هي أشبه بليالي القصر الماضية في تعزاء لين وداما على ذلك نحو من ساعتين أي إلى أن قرب وقت نصف الليل وكان بهروز قبل ذلك بعيد عنهما في غير غرفة فخاف من أن يبقى سيده كل تلك الليـلة فلا يعود يتيسر له أن يصل إلى جيشه إلا في الليل القادم إذا لم يظهر أمره فأتى إليه وطلب منه أن يرجعا الى مكانهما فامتنع وقال له إن الهدنة الآن واقعة بيننا وبين القوم فيمكننا أن نبقى هنا الى الغد أو ما بعد الغد فلا حاجة لنا في الجيش قال ان ذلك لا يمكن الآن لان أباك اذا افتقدك وما وجدك يقع في هم عظيم وربما اذا أصبحت طوران تحت أظهرت أمرنا وأعلمت به أحدا فقالت عين الحياة أن ذلك لا يمكن قط لانها واقعة مثلي بحب رجل ايراني وهو مصفر شاه صاحب طهران وابن عم الملك ضاراب فتعجب فيروز شاه من هذا الـكلام واستعاد منها الخبر فاعادته عليه من الاول وكيف أنها أتت به الى القصر وفي الليل خرج وجرى ما جرى من حادث زبان وسنبل وكيف قتلهما عندما اطلعا على امره . فقال بهروز والآن مصفرشاه مطلق وليس باسير قالت بل هو أسير في سجن العفاريت لانه قبض عليه في نفس الليلة وجرى له وقعة عظيمة عليه فقد سمعت انه اغضب الوليد فألقاه في ذاك المكان وفي نيته أنه يميته فيه وحتى الساعة لا تعلم محبوبته به وبانه أعيد إلى ذاك السجن وإلا كانت اماتت نفسها الا انه لم يكن لها من اصبر ما كان لي أثناء تغيبك عني و. قوعك في المصائب

فلما سمع فيروز شاه بما وقع على مصـــفرشاه كاد يطير الشرار من عينيه ورمى الكاس من يده وانقلب صفاؤه إلى كدر واضطراب وكاد يبقى على ما أصابه والتفت الى بهروز وقال له سر أمامي الى سجن العفاريت انسعى في خلاص ابن عمي فاني في شوق اليه ولا يليق بي أن أصرف الوقت في راحة وهو في عذاب ولا بد لي من الاتيان به الى هنا فيتم هو مع محبوبته اجتماعه مع محبوبتي وبذاك يطيب لي الوقت فلما سمعت عين الحياة كلامه

خفق قلبها وخافت عليه من أن يقع فى حادث جديد وقالت له ليس الآن وقت خلاصه ولا يمكنك ذلك فقد عرفت أن هذا السجن لا يمكن أن تخترقه العفاريت ولا كبراء الجان وملوكها فلا تخاطر بنفسك وترمى بها فى هاوية العذاب وأنت فى غنى عن ذلك لأنه متى انقضى الحرب تسترجعونه من الوليد رغم عنه ولاسيما إذا تسلمتم المدينة وطردتموه عنها واما الآن فانك ترجو محالا وهذا العمل عمل العيارين وليس عمل الملوك . قال لا أقدر أن أصبر بعد على مايقاسيه من العذاب إلى نهاية القتال فالليلة هذه يكون معنا فى هذا القصر مجتمعا بمحبوبته يشرب معها الخمر ويفعل نفس ماأفعل أنا فنكون كلانا متقاسمين الراحة والهناء وإلا فنتقاسم العذاب والشقاء فقال له بهروز يا سيدى انك لا تقدر أن تحدد الصعوبة التى تحول دون مطلوبك فأنت وان تكن أقدر منى فى فنون الحرب والجولان على الأبطال والفرسان إنما لا تحسن فن العيارة ولا تعرف طرقها وأبوابها فابق أنت فى هنائك وراحتك وأنا أنظر فى ذلك . قال لابد لى من أسير هذه الساعة إلى سجن العفاريت وتكون أنت معى وتخلص مصفرشاه وغير ذلك لا أريد . ثم نهض وأخذ سيفه فعلم بهروز أن لابد له من انفاذ قوله فنهض معه وودع عين الحياة ووعدها بالعود اليها فى نهاية عمله فبكت لفرقته وقد حدثتها نفسها بأنه سيلاقى فى طريقه مصائب وأهوالا ربما تمنعه من العود اليها وقد عرفت حق المعرفة أنه لا يرعوى عن عزمه لأنه ثابت فيه ومهما كان يحبها ويرغب فى القرب منها والقيام معها والاصغاء اليها إنما ذلك لا يقف فى طريق صوالحه الشخصية ومراعاة جانب أقربائه وأنسبائه لاسيما وهو يعرف أن مصفرشاه أسر بسببه حتى أنه ماجاء من بلاده وخاطر بحياته إلا لأجلها ولأجله وبعد أن خرج من القصر دخل فى الأسواق وهو لا يعرف إلى أى جهة ينتهى بهما السير وهل يتوفق لهما الوصول الى سجن العفاريت أم لا وسارا نحوا من ربع ساعة حتى انتهيا إلى دهليز واسع فسارا فيه حتى انتهيا منه إلى فسحة واسعة ووصلا إلى المكان الذى صادف فيه مصفرشاه الحرس فصادفاه فاعترضهما ودنا منهما مستعلما عن حالتهما فلم يجيبا فقصد إلقاء القبض عليهما إلى حين الصباح وفى الحال جرد فيروزشاه سيفه دون أن يلفظ كلمة والتقى أولئك القوم واعمل الضرب فيهم ودار بينه وبينهم دولاب القتال وأشغلوا النفير واستجاروا بمن حولهم وقد ظنوا أنه نفس مصفرشاه فبعثوا من يأتى بفرق من العساكر والضابطة من دار الحكومة وأقاموا هم يطاولون فيروزشاه ويحاولونه وهو يلتقيهم بقلب أقوى من الصوان يضرب فيهم من حرقة قلب وقوة جنان وكلما قتل فئة وكاد يشتتها تجتمع عليه فئتان حتى امتلأت تلك الأرض بالعساكر وهو يهجم عليهم هجمات الأسود ويدحرج الرؤوس من على الهامات كتدحرج الأكر فى أيدى الصغار وبهروز يساعده فى ذلك وهو

يطعن الصدور بالخنجر ويقمز قمزات الغزال لايهدأ في مكان، لا يقرر له قرار وكان فيروزشاه يتأخر إلى الوراء لكثرة الجموع وهو لايعرف إلى أي جهة يميل مع مقاتليه وقد أحدقوا به من كل جهة وهو يضرب ويتستر منهم ولا يرى وقوع ضرباتهم بالتمام فكانت تقع عليه ضربات كثيرة من سيوف الاعداء فتفعل بجسمه وقد تألم مزيد الألم وهو يظهر الصبر والجلد وفي نيته أن يختفي في الدهليز الذي خرجا منه ولا زال يهاجمهم ويطاردونه حتى فوتوه الدهليز ودخل بين الاسواق وقد خرجت الناس من بيوتها لاستماع الأصوات وكثرة الصياح ونظر بهروز إلى نفسه فوجد ذاته قد أثخن بالجراح أيضا وافترق عن فيروزشاه وعلم انه ان اقام بعض دقائق اخر وقع في يد الاعداء فقال في نفسه الأوفق ان افترق عن القوم فاذا وقع سيدي بيديهم سعيت في خلاصه وإلا إذا وقعت أنا وهو فمن ياترى يقدر أن يخلصنا ولذلك انسحب من بينهم بكل خفة ورمى بكمنده إلى السطح وكان واطئا فصار عليه في الحال وتبين على نور الكواكب فعل فيروزشاه بالقوم وفعلهم به وكان قد تضايق غاية الضيق ويئس من الحياة وفضل الموت على التسليم فتأخر إلى أن جمعهم أمامه وصاح بصوت ارتجت له مدينة مصر وارتعبت منه قلوب مقاتليه وأسرع يده يضرب فيهم ضرب من استقتل وغاب عن الهدى فجفلوا من أمامه وكروا إلى الوراء وما فيهم إلا كل مجروح ومقتول وبالقضاء والقدر وقعت رجله على بلاصة بهم دهليز تحت الطريق تسري فيه الماء وكانت ضعيفة البناء فهبطت من تحت رجله إلى أسفل الدهليز واختفى به عن العيان ونظر الرجال إلى ورائهم فلم يروه أنه متأثرهم فعادوا إلى مطاردته وصادف مرورهم قرب باب رجل كان واقف عنده لينظر إلى القتال فسألوه عنه فقال لهم نظرته ركض من هنا طالبا لنفسه الخلاص فأسرعوا يركضون خلفه وهم لايعلمون أي جهة قصد وبعد أن فرغ السوق منهم سقط بهروز وكان قد شاهد سيده وقع إلى الدهليز فناداه فرد عليه وطلب منه أن يخرجه فأخرجه وقال له هيا بنا ياسيدي نرى لنا مكانا يحمينا هذه الليلة أو عد بنا من جهة النهر إلى معسكرنا فاني أكاد لا أقدر على حمل نفسي من عظم الجراح فقال له واني أنا كذلك ولا يمكنني أن أسير فان الدماء تتدفق من جسمي وقد أصبت بضربات كثيرة وحينئذ تقدم منهما الرجل وقال لهما اسرعا إلى بيتي وأدخلاه فهو يحميكما من كل عدو لاتخشيا ضرا ولكما مني عهد الله أني لا أخونكما ولا اضر أمركما بل أخدمكما بكل قوتي ولا أقصر في كل ما تسألاني عنه. فقال له فيروزشاه من أنت وكيف يمكننا أن نأمن لك. قال ادخلا يا سيدي فاني أقسم لكما بالله العظيم أني أحامي عنكما ومتى دخلتما الباب وقفلته أخبركما من أنا وإلا ربما عادت العساكر من هنا فيرونكما وتعودان معهم الى القتال وأنتما على هذه الحالة فوثق

فيروزشاه بايمانه ودخل مع بهروز إلى الداخل وأقفل الرجل الباب وراءهما وجاء بهما إلى زوجته وأمرها أن تسخن لهما الماء حالا ففعلت فغسل لهما جراحهما وأتى بالخرق فضمدها وقال لفيروزشاه اعلم ياسيدى أنى أنا رجل فارسى الأصل أتى أبى إلى هذه المدينة وأنا صغير فسكن فيها وكانت مهنته جزار فأقام إلى أن مات فأقمت أنا من بعده على مهنته وقد صار لنا معرفة بجميع أهل البلاد وأحبونا جدا ففى هذه الليلة وأنا نائم سمعت الصياح فخرجت وإذا بك وأنت تطارد العسكر فوقفت أنظر وأنا اعلم أنك فارسى لأن هجماتك هجمات الفرس وثبت عندى ذلك لعلمى أن لا أحد يقاتل شرطة مصر الا أعداؤهم فتفطرت مرارتى عليك ولم يكن فى وسعى أن أمنعهم ولا اقدر أن أحامى عنك لأنى لست من رجال القتال إلى أن اعدتنى العناية ورأيتك وقد ملت بالأعداء تلك الليلة ففروا من امامك ووقعت فى حفرة الماء وهم لايرونك وسألونى عنك عندما تأكدوا رجوعك عنهم فقلت لهم انى رأيتك منهزما راكضا فأسرعوا خلفك وقصدت بذلك إبعادهم عنك لأخرجك الى بيتى واخفيك فيه وانا حتى الساعة لا اعلم من انت . فقال له حسنا فعلت وقد سمعتك تقول لهم انى هربت فسرنى ذلك واريد ان تعلمنى عن اسمك فسوف اكافئك ان شاء الله . قال انى لا افعل الجميل ياسيدى لأجل المكافأة ولا سيما مع رجل هو من جنسى ووطنى واما اسمى فهو ابو الخير . قالوا صدقت فأنت ابو الخير بالحقيقة ومامعروفك هذا الا مع اشرف رجال وطنك وابن ملك جنسك فلما تأكد ابو الخير انه فيروزشاه رمى بنفسه على اقدامه يقبلها وقال له لاكان عبدك ياسيدى فأنت فخر الفرس وشرفهم ولم ترد العناية ان تلقى بك فى ايدى الأعداء ولذلك سخرت لك واحدا من بعض عبيدك ليقوم كل القيام بخدمتك وانى ادخلكما ياسيدى إلى داخل بيتى فتقيما مع حريمى واتيكما بطبيب صديق لى من زمن طويل وإنى متزوج بنته فهو يكتم امرى وامركما ولا يمكننى ان ابقيكما هنا فى الخارج لان طارق العيار هو صديقى ايضا وفى اكثر الاحيان يأتى إلى واخاف ان يزورنى فى هذه الاثناء فيراكما فقال له فيروزشاه افعل ما بدا لك وللوقت سار بهما إلى داخل داره واوصى زوجته ان تعتنى بهما وفرشا لهما الأفرشة الناعمة واخذ فيروزشاه وبهروز يشعرا بألم الجراح عند ارتياح جسميهما فطلبا اليه ان يأتى بالطبيب لمداواتهما وان يدفع له الدراهم فان معهما دراهم كثيرة فقال له لا يحتاج الامر ياسيدى الى دراهم إلا بعد ان تنالا الشفاء وسار فى الحال إلى ابى زوجته وضرب عليه الباب وكان اسمه فتوح فتحير من اتيانه فى مثل ذلك الوقت وقال له ما الداعى اهل مرض عندك احد قال كلا بل اتيت عليك لأخبرك بأمرى وسألتك كتم سرى وأطلب منك المساعدة فاذا وعدتنى بالاجابة عرضت عليك حالى قال كيف لا اقدم

لك المساعدة وأنت صهرى وحافظ بنتى وعدا ذلك فانك صديق منذ زمان وأحبك كولدى قال اعلم أن الله قد ساق إلى السعادة وأنا قائم فى بيتى وذلك أنى أدعوك إلى تطبيب فيروزشاه ابن الملك ضاراب وعياره بهروز وهما فى بيتى لايعلم أحد بهما إلا الله وأنت . ثم عرض عليه كل ما توقع له وقال أخيرا اعلم أن فيروزشاه هو وحيد فرسان هذا الزمان وسيد قوم من أكرم رجال هذا العالم وأفضلهم ولا بد بعد نجاته أن يكافئنى بأعظم المكافأة ويرفع منزلتى ويقربنى منه لاسيما وهو يعلم يقينا أنى سبب حياته ومثل ذلك يكون لك أيضا ومن المقرر والمؤكد ان الملك ضاراب لا بد من أن يفوز على الوليد ويدخل المدينة ويستولى على مصر ويحكم فيها فتكون العناية قد أوصلت الينا السعادة من حيث لاندرى ولولم يطلب الوليد إلى الملك ضاراب أن يعطيه هدنة وراحة عن القتال لكان دخل المدينة وأسر الوليد ونجاحه ظاهر ثابت فقال له فتوح أصبت يا صهرى فهذه فرصة لا يجب أن نضيعها ويقتضى مزيد العناية فى إخفاء أمره وإلا إذا عرف الوليد أخذهما وجازانا على فعلنا قال لا أحد يعرف بأمره إلا أنا وبنتك زوجتى وليس من الممكن أن يبيح أحدنا بهذا الأمر أو يظهره لأحد .

وفى الحال نهض فتوح فأخذ معه المراهم اللازمة وما يحتاج اليه لتطبيب جراح المجروحين وسار مع صهره حتى دخل بيته قبل الصباح وأتى إلى المكان الذى فيه فيروزشاه فوجده فى مزيد ألم وتعجب لما شاهد عظم تلك الجراح فدنا منه وقبل يديه وقال له لا كان يصل اليك سوء يا سيدى قال اصرف الجهد الآن إلى مداواتى وإنى لا أنسى لك هذا الجميل لعلى أنك وأبو الخير مصدر حياتى . قال سترى منى ما يسرك وألازمك حتى تشفى من جراحك هذه وأتكل بذلك على الله فهو يساعدنى على شفائها ثم أعاد عليها الضماد وأنزل بها الفتائل ووضع عليها المراهم وفعل ذلك مع بهروز وأوصى صهره بمداواتهما وأن يطعما لحم الفراخ ومرقها وكان هو يأتى فى كل يوم ثلاث مرات أو أربع فى النهار وفى الليل ينام هناك حرصا على حياتهما وخوفا من أن يلحق بهما التهاب داخلى من جرى المجروح إذا أهمل أمرهما وداما على مثل ذلك عدة أيام ولم يعلم أحد بخبر فيروزشاه أين هو لا أبوه ولا غيره . هذا وأن العساكر الذين كانوا يقاتلون فيروزشاه طافوا المدينة دون أن يقفوا له على خبر وفى اليوم الثانى شاع هذا الخبر فى المدينة وكانت الناس ترى القتلى مطروحين فى الأسواق فيسألون عن خبر فيخبرون أن كل ذلك فعل رجل من أهالى إيران كان ليلة أمس فى المدينة فاعترضه الحرس ففعل كل هذه الافعال فخافت أهل المدينة وقالوا إن كان ذلك فعل فارس واحد فماذا نترقب يكون من الجميع وعرف الوليد بهذا الخبر فدعا اليه الحرس

فحضروا بين يديه فسألهم عن هذا الأمر فقالوا له إننا وقفنا بالأمس على اثنين من الأعداء فقصدنا مسكهما فلم يسلما بنفسيهما بل قاتلا ناقتالا عظيما وقد اجتمع عليهما أكثر من ثلاثة آلاف نفس من العساكر ورجال الشرط دون أن نبلغ غاية منهما ولاسيما أحدهما صاحب السيف فانه كان يفعل في العساكر أشم الافعال حتى أهلك نحو خمسمائة واحد منها وفي النهاية اختفى ولم يقع له أحد على خبر وفتشنا المدينة كلها فلم نعرف أين مقره أهل خرج من المدينة مع رفيقه أو لا يزال مختفيا في بعض البيوت فلما سمع الوليد هذا الخبر وقع عليه أشد من وقع السيوف وقال أظن هذا مصفرشاه وقد هرب من السجن . فقال طيفور كلا ياسيدى فان صدقني ظني يكون فيروزشاه ومعه عياره وقد قصد النزول إلى المدينة ليجتمع بعين الحياة لجرى له ماجرى وعلى ما أظن حتى الساعة لايزال في المدينة ولم يخرج منها فمن الواجب إجراء التفتيش عليه فلما سمع الوليد ذلك قال صدقت فلا يقدر أحد غير فيروزشاه يفعل هذه الافعال وإنى متأكد كل التأكيد أن مصفرشاه لا وسيلة لخروجه من ذلك السجن ولا يقدر أحد أن ينتشله منه وإنى كما أشرت سأبعث أنتش في بيوت مصر واحدا واحدا رجالا ونساء على أقدر أن أكشف خبره وهذه فرصة لايجب أن اضيعها ومن المقرر أني أحب أن أخسر خزائني وقسم من بلادى في سبيل مسك فيروزشاه وإنفاذ غاياتي فيه فاما أن أجعله يترك عين الحياة ويرجع إلى بلاده وإما أن أعدمه وأميته ولم يعد بعد ذلك من خوف علينا من رجال الفرس إذا فقد منهم مثل هذا الأسد الفاتك . فسمع بيدانديش الوزير هذا الكلام فلم يهن عليه ولاسيما عندما رأى الوليد قد وافق رأى طيفور دون أن يسأل منه ومشورته وعليه فقال ليس هذا بالحسن يا سيدى وانك إذا فعلت ما قلته وفتشت بيوت الناس جعلت المدينة بأجمعها في اضطراب وقلق فتتقدم الأهالى وتظن أنك قد تغيرت بسبب هذه الحرب وتبدلت الرحمة منك بالظلم ومدينة كمدينة مصر كثيرة السكان والأهالى لا يجرى فيها مثل هذا العمل إلا بعد قطع اليأس واستعطاف خاطر الرعية لاسيما نحن الآن في احتياج إلى منعهم من أن يميلوا إلى عدونا أو يميل بعضهم وقبل أن نزعج كهول البلد وشيوخها ونقلق نساءها وبناتها ونبكى أطفالها وأولادها نبحث من يكشف لنا الخبر بين عساكر الأعداء فاذا كان فيروزشاه هناك يكون قد تخلص من المدينة وجاء جيشه او يكون ذاك غيره وبهذه الطريقة يتوفر علينا نقل هذه الأعمال ونرفع ملامة الأهالى وندفع ضجرهم فقال اصبت وصوابا اتيت فعلينا قبل كل شيء أن ننظر إذا كان في جيشه فان كان غائبا ومفقودا يكون داخل المدينة لا ريب وبعد ذلك نعود الى مسكه باى طريقة كانت .

ثم ان الوليد دعا اليه طارقا وقال له اريدك هذه الليلة ان تجس لى معسكر الاعداء وتكشف لى خبر ابن ملكهم فان كان فيه عدت الى بالخبر الصريح وكذلك اذا كان غائبا . قال سمعا وطاعة ففى هذه الليلة آتيك بعلم اليقين واذا تيسر لى وساعدتنى الصدف اسرته واتيت به فقالوا له جميعهم وفقك الله الى نوال مرادك فخرج مسرورا فرحا وصبر لى ان اسود الليل فلبس ثياب درويش شامى وعول على الخروج من صيوانه واذا بالامير حطار قد دخل عليه وبعد أن حياه قال له انك الآن سائر الى جيش العجم ومما لا يتيسر لك ان تذهب اليه مرة ثانية ولذلك اتيت اسالك امرا واحدا فاذا قضيته شاطرتك نصف مالى واصبح مديون لك الى انقضاء العمر قال اسال غرضك فانى فى عجلة للذهاب قال اريد منك ان تأتينى براس بهزاد الايرانى ابن فيلزور قاتل ابى وتاخذ لى بالثار . قال على الله توفيقى فانى سأحاول كل المحاولة قتله فاذا تسهل لى ذلك قضيته قبل غرض الوليد . ثم ودعه وخرج وجاء جيش الاعداء وهو يعد نفسه بانه اذا قتل بهزاد يحصل على اكبر قسم من المال وقد هان عليه الامر اذ انه نوى على قتله واحضار رأسه فقط معه وليس احضاره كله وكان الوقت اذ ذاك يساعده على اخفاء امره لان الملك ضاراب وجميع جيوش فارس فى اضطراب من اجل فيروزشاه .

قال وذلك انه فى صباح الليل الذى سار فيه بعث ابوه من يتفقده فلم ير له اثرا فخفق فؤاده وسأل عنه فقيل له انه سار مع بهروز من اول الليل الى داخل مصر وانه يعود منها بعد مواجهته لعين الحياة وذلك ان فيروزشاه خاف من ان يشغل بال ابيه عليه فيظن ان عيارى مصر قد سطت عليه وسرقته اخبر من الخدم من يوصل له الخبر فى الصباح اذا لم يرجع فيه . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام لم يخل باله من القلق والاضطراب وترجح عنده ان امر ابنه لا بد ان يظهر فى المدينة واقام على حالته وهو بين الرجاء واليأس لا يعلم عن ولده امرا الى ان انقضى النهار وجاء الليل ولم يسمع عنه شيء جديد واجتمع القوم حسب العادة عند الملك ضاراب لصرف السهرة وبعدها تفرق كل واحد الى جهة جيشه وكان طارق قد علم حق العلم ان فيروزشاه غائب وانه فى المدينة ففرح غاية الفرح لقضاء مهمته وقال فى نفسه لا بد لى قبل الرجوع الى سيدى واعلامه بهذا الخبر أن أقضى مهمة ثانية وهى أن اقتل بهزاد الايرانى وبقتله أنال الاموال الغزيرة من خطار وأرضى الوليد به وانال إنعاماته ايضا لانه إذا قتل هذا وقبض على فيروزشاه من بعدى يعود فيحمى جيوش الفرس من سيوف المصريين وهجمات جيوشهم الغير محصاة وصبر الى ان رأى بهزاد قد خرج من بين يدى الملك ضاراب وقصد الذهاب الى صيوانه فتبعه من خلفه دون أن يراه الى ان دخل وهو مضطرب البال على غياب

فيروزشاه ومصفرشاه وبعد أن دخل الصيوان نزع ثيابه ونزل فى فراشه وقصد أن ينام فلم يأخذه نوم ولا قدر على الثبات بل تراكمت عليه الأفكار وقال فى نفسه كيف الآن أنا مقيم هنا فى راحة ومصفرشاه فى عذاب بين الأعداء يقاسى آلام السجن وتهكمات أعدائه فكان من الواجب أن أسعر الحرب وأخرق المدنة وإلا كيف نجيبهم إلى الهدنة وعندهم أعظم رجل منا أسير فلا يطلقونه ولو فرض أنى تسببت باعادة الحرب فلا بد أن يغضب الملك ضاراب ويتكدر لاخراق هيبته لا سيما وهو يكره القتال الآن لانشغال باله على ولده ولا يريد أن يقع قتال وابنه داخل المدينة وكانت هذه الأفكار تنمو به وتتزايد حتى طار النوم من عينيه ولم يعد فى وسعه أن يغمض جفنيه وبينما هو على مثل ذلك وإذا به سمع صوت وقع أقدام خلف صيوانه فصغى بكل سمعه حتى تأكد أن رجلا يقلع وتد الخيمة فعلم أن مكيدة تنصب له فحمد الله الذى لم يكن نائما إذ ذاك وصبر ليرى النهاية وهو على غاية ما يكون من الاستعداد والتيقظ ثم شعر بأن رجلا دخل الصيوان وتقدم منه حتى وقف فوق رأسه وقد أخذ بيده خنجرا وأتى إلى جهته وللحال صاح به فأرعبه ونهض من فراشه بأسرع من لحظة عين وقبض عليــــه ورماه إلى الأرض فصاح الرجل مستغيثا وقال له لا تظلمنى يا سيدى ولا تفعل بى شرا فلست أقصد لك أذى . قال من أنت . قال أنا درويش يا سيدى أقصد الاجاويد وأتعيش من إنعامهم وقد سمعت أنك تحب رجال الله وتطعمهم وتنيلهم إحساناتك . فقال له بهزاد ويلك ما هذا العذر القبيح أيأتى الدراويش فى نصف الليل والناس نيام ويدخلون من ظهور الصواوين وبأيديهم الخناجر فما ذلك مما يصدق فاصدقنى أمرك وإلا أهلكتك فى هذه الساعة لأنى أريد النوم ولا أرغب فى التطويل وما أنت إلا من عيارى مصر قصدت قتلى فلم تساعدك الأقدار فلا بد إذا امتنعت عن إظهار الحقيقة أن تلاقى شر عملك ثم نزع منه الخنجر وجرده من ثوب الدراويش فتبين من تحته أنه عيار لا شبهة فيه فقال له هل من ريبة الآن فاستعد للموت ثم قصد أن يضربه بالخنجر الذى اغتصبه منه فصاح مستغيثا به وقال له اصبر على يا سيدى فانى أطلعك على الحقيقة لا أخفى عنك حرفا واحدا وافعل بى بعد ذلك ما شئت فانى أسلم بأمرى اليك . قال قل من أنت ولماذا أتيت . قال أنا طارق العيار قد بعثنى ابو ليد لاكتشف له خبر فيروزشاه إن كان فى الجيش أم لا حيث فى ليل أمس بينما كان الحرس فى تطوافه صادف رجلا ومعه عيار فى نفس المدينة فوقع بينهم قتال عظيم واجتمع عليهم خلق كثير من المدينة ففعل الرجل والعيار أفعال الجان وقتلا قتلا ذريعا فى رجال

المدينة حتى خلصا ولم يعد يعلم أحد لهما خبرا ولما بلغ الخبر الوليد قصد أن يفتش البلد بيتا بيتا لأنه تأكد من أقوال طيفور انه هو فيروزشاه لأن هذه الأعمال أعماله وغيره لا يقدر على النزول إلى البلد والايقاع بعساكر المدينة ويقدم على مثل هذا الأمر الخطير وقد زاد برهانه أنه لاريب يقصد الوصول إلى عين الحياة ولما رأى الوزير بيداندبش عظم تلك الثقلة التى طلب الوليد اجراءها منعه عنها وقال من الأوفق أن نبعث من يكشف لنا من الخبر عن فيروز شاه فان كان داخل جيشه فلا نتعب أنفسنا حيث يكون قد خلص ورجع إلى معسكره وان كان غائبا يكون فى المدينة فنعود إلى تدبير مايمكننا تدبيره حينئذ من القاء القبض عليه ومسكه فبعثونى لأكشف الخبر وبينما أنا مزمع على الاتيان جاءنى خطار بن خطير الذى قتلته وقال لى انى أشاطرك نصف مالى ان قتلت لى بهزاد قاتل أبى ولهذا بعد أن تأكدت غياب فيروزشاه قصدتك لأقضى أمرك فلم يساعدنى الله على أذاك وقد حبطت أعمالى ووقعت فى يديك الآن فافعل بى ماأنت فاعله فانى سلمتك أمرى ولابد أن الله يلهمك إلى بقائى . فلما سمع بهزاد كلامه استعاذ من أعماله وشكر الله الذى كان إذ ذاك مستيقظا فى فراشه وإلا لو كان نائما لقضى عليه فى الحال وقال لطارق أترجو البقاء بعد اعترافك بأنك أتيت لاعدامى وهلاكى ولتأخذ رأسى إلى عدوى فتبيعه بالمال على انى لوكنت نائما لسهل عليك حد ما قضاء مهمتك ورجعت فائزا قال ان العناية لم تساعدنى ياسيدى ولا أنكر انى جئت لأجل هذه الغاية وكان فى نيتى ان أرمى بالبنج قبل دخولى إلى الصيوان غير ان سعادتك وطول عمرك منعانى عنه وقلت فى نفسى لالزوم لذلك لأنك نائم وغايتى قتلك فلا يحتاج الأمر أكثر من ضربة واحدة ولو كان فى نيتى أسرك لفعلت ولهذا كانت حياتك من الله واما انا فانى أسأل الله ان يلهمك إلى ان يحفظ لى حياتى كما حفظ لك حياتك . قال لابد من أخذك إلى بين يدى الملك ضاراب ينظر فى أمرك ويفعل بك ما يختاره

ثم عاد بهزاد إلى لبس ملابسه ودعا بالأسود فأمره ان يحافظ على طارق وان يسير به امامه إلى صيوان الملك ففعل وسار من ساعته إلى الملك ضاراب حتى وصل إلى صيوانه فوجده لايزال قائما وعنده طيطلوس الوزير وهما يتحاوران فى امر فيروز شاه وكيف تكون الوسيلة إلى الوقوف على امره وكان الملك أيضا لم يأخذه نوم فى تلك الليلة وفضل الجلوس ولما دخل بهزاد تعجب من دخوله عليه بعد ذهابه فى مثل هذا الوقت ونظر إلى طارق معه وهو مقاد فمال إلى معرفة الحقيقة كل الميل وقال ماذا عندك من الاخبار ومن هذا الأسير الذى تقوده . قال هـــذا طارق الذى طرق جيشنا عدة مرات وأوصل اليه البلاء والطوارق هذا عيار الوليد وقد جاء

وفى نيته ان يأخذ براسى معه فأوقعه الله فى يدى وقد فرح الملك ضاراب كل الفرح بخلاص بهزاد من شر هذا العيار الذى يحسب فى الدرجة الأولى بين ذاك الزمان وبوقوعه فى أسره وقال انحسب ياطارق ان كل مرة تسلم الجرة فلا بد من الانتقام منك جزاء على فعالك وما كفاك كل مافعلته فى المدة الماضية حتى عدت الليلة إلى قتل بهزاد . قال عفوا ياسيدى فانى لاانكر انى جئت للايقاع بكم ولكل ماقدرت عليه فان فى ذلك شروط وفاء الخدمة ومن كان مثلى عليه المعول من كل هذه الجيوش المتجمعة فى مصر لايتقاعد عن نصرتها بالعمل ، ثم حكى ما كان من سيده الولد ومن أمر الفارس وقد تأكد عندهم انه فيروز شاه لأن لا احد غيره يجسر على القدوم على هكذا امر فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام عرف ان ولده دون ريب وخاف ان يلحق به أذى ووضح عنده انه لم يقع فى ايديهم وقدثبت فى فكره انه عندعين الحياةعلى حسب قوله وقال فى نفسه لابد من رجوعه فى هذين اليومين وأشكر الله الذى لم يقع فى يد الوليد وانى مطمئن على حياته لأن الله معه ثم قال لطارق وهل تعلم شيئا عن مصفور شاه قال انه الآن فى سجن العفاريت وحكى له كل ما كان من امره ووصف له ذاك السجن وصعوبته فتكدر الملك عند سماعه هذا الخبر وقال لابد ان الله يساعده فى مدة اقامته فى حبسه وندم على موافقة الوليد على تلك الهدنة لأنها أضرت به غاية الضرر ودعا بشبرنك عياره وقال له ابق طارق عندك إلى حين الصباح لننظر فى امره وماذا نفعل به لأنى لابد من ان انتقم منه .

فأخذ شبرنك طارقا وعاد بهزاد وسار طيطلوس ومضى ذلك الليل وجاء الصباح زائرا وعليه حلة بيضاء من الديباج اللامع ونهض من كان راقدا من اولئك القوم وجلس الملك فى صيوانه مستوفدا وزراءه وامراءه ورجال دولته واحدا بعد واحد حتى اكتمل الديوان وغص بالأعيان وإذذاك امر شبرنك ان يأتى بطارق العيار فجاء به مقيدا وهو ذليل مهان فاستعاد منه القصة على مسمع من الجميع فأعادها وقد تعجب الجميع من اعترافه بانه جاء لقتل بهزاد فقال لهم الملك ضاراب فهل لا يستحق القتل فقال جميعهم كيف لاوقد غدر بنا عدة مرات وسطا علينا فى وقت سلام ونحن تحت راية الهدنة آمنين من مثل هذه الافعال . فقال طارق لا انكر يا سيدى انى مستحق هذا الجزاء بالنظر اليكم لا بالنظر إلى مولاى وانى لا ارغب فى ان يعدنى خائنا فى خدمتى والآن اطرح لديكم امرا واحدا وهو انى صرفت عمرى فى خدمة الوليد إلى حين الساعة وانا حافظ عليها حق المحافظة حتى حكمتم على بالاعدام فأكون قد اعدمت ومتى نفذ حكمكم فى بالطبع افصل عن خدمتى ولا يعود ينتفع منى بشىء قط فاحسب ياسيدى انكم قتلتمونى كما حسبت انا وقد انتهيت من خدمة الوليد ورجعت

فولدت ثانية ودخلت فى خدمتكم مجددا وبهذا لا أكون خائنا لسيدى الذى ربيت عنده فأرجوك أن تقبلنى خادما صادقا أمينا . قال كيف أصدق منك ذلك وما أنت إلا عيار محتال تستعمل هذه الواسطة لخلاصك من أيدينا ثم تعود إلى خدمة سيدك وقد فعل ذلك قبلك هلال عيار الشاه سرور ولم يكفه أنه نجا من الموت وغشنا ثم رجع إلى جيشه بل نصب لنا شركا بمكره ودهائه وعزم على أسر ولدى فلم يتيسر له فكان من نتيجة عمله أنه أوقع فرخوزاد وخورشيدشاه فى قبضة عدونا الشاه سرور ولولم تساعدها العناية لكانا هلكا . قال ماكل الناس هلال ياسيدى ولا كلهم طارق وأنا ما تكلمت هذا الكلام وفى نيتى الغدر والمكر وانى أفضل الموت عليهما وليس رجال اليمن كرجال مصر مزية ومروءة وانى أقسم لك بالله العظيم خالق السماء والارض انى أفى لك كل الوفاء وأكون أمينا على خدمتك حريصا على السعى فى نجاح مصالحك ولا أكون بذلك خائنا لسيدى لأنى كما قدمت أكون قد وجدت بعمر جديد وخدمة جديدة وزال القديم بفرض زوال عمرى الذى هو الآن بأيديكم فان أحييتنى تكون قد أحييتنى لك وان أمتنى تكون أمتنى لك وعنك فاختر لى أى الحالين وكان يظهر من كلام طارق الصدق والامانة حتى ثبت عند الملك وعند الحضور أجمعهم انه صادق فى كلامه ولذلك قال طيطلوس للملك ضاراب انى أرجوك ياسيدى ان تعفو عن طارق فان كلامه صدق لاارتياب فيه ولاخداع وانى اضمن لك صدق قوله فقال انى اجبته إلى سؤاله وما كنت لأمنع مستجيرا بى وازيده الانعام والاكرام ثم امر ان يؤتى ببدلة مطرزة بالذهب فألبسه إياها وعين له العلوفات وخصه بخدمة صيوانه بين عياريه واقام منذ الحين فى خدمة الملك ضاراب على الصدق والامانة بكل همة ونشاط :

قال وبعد ذلك دنا طارق من الملك ضارب وقال له ارجوك ياسيدى ان تسمح لى بالرجوع إلى الوليد لانه بانتظار الخبر عن ابنك ولا بد إذا استبطأنى يرسل غيرى فيعلم انه بعيد عنكم فيفتش فى المدينة ولذلك عزمت على أن اذهب اليه واعلمه انه قائم بينكم فيضرب عن السؤال عنه . قال اصبت فافعل ما بدالك وفى الحال سار طارق حتى دخل جيوش مصر ودنا من صيوان الوليد فوجده غاصا بالرجال والمقدمين وكل بانتظاره وقد استبطئوه واقاموا فى قلق لأجله وإذا به قد دخل ففرح الوليد والجميع وقالوا له ماوراءك من الاخبار ابده . قال لا شىء فان فيروزشاه قائم فى معسكر الفرس وقد رأيته ليل امس جالسا فى ديوان ابيه وهم يتشاورون فى مسألة هذه الحرب وسمعته يقول لابيه مر يا سيدى الجيش بالحملة فان

الوقت طويل ولا صبر لنا على حمل ثقل هذه الهدنة فانها توافق الأعداء وتمكنهم من لم جمعهم وارجاع قوتهم ونحن غرباء لانقدر على القيام فى هذه البلاد فقال له أبوه ان ذلك لايمكن لأن الوليد سألنى أمرا فأجبته اليه ولا أحنث بقولى ولا أرد سؤال ملك خطير كالوليد وان النصر لابد ان يكون لنا وهذا دأب المنصف الحليم . وأقمت بعد ذلك ياسيدى وفى نيتى أن أتوصل إلى بهزاد فاتى به أسيرا أو قتيلا فلم أقدر وذلك لآخذ منه بثأر الأمير خطير ولما قرب الصباح لم يبق لى إقامة فخرجت من ظهر جيوشهم وأوسعت فى الفلا كى لايرانى أحد وجئت لأطلعكم على الحقيقة . فقال بيدانديش الوزير هكذا كان يجول فى فكرى وهذا خبر مسر من جهة الملك ضاراب ولابد فى هذه المدة من أن تصل الينا نجدة قيصر وغيرها من النجدات التى نحن بانتظارها فيزيد عدد جيشنا ويأتينا تمرتاس وتمرتاش فيقتلا لنا فيروز شاه وغيره من فرسان الفرس الأشداء وباتوا فى فرح واطمئنان إلا طيفور فانه كان فى قلق واضطراب كل ذلك النهار وفى المساء اجتمع بالشاه سرور وقال له إذا صدق ظنى يكون فيروزشاه الآن فى المدينة وأنه لم يخرج منها حتى الساعة والذى رآه طارق ليس هذا بفيروز شاه لأن رجال الفرس أكثرهم بصفة واحدة . قال ماذا يمكننا أن نفعل والوليد لايرغب وأن يفتش عليه إجابة لطلب وزيره وانى أعلم من تنبيهات ضميرى ان هذه الحرب لابد أن تكون رديئة العواقب على المصريين فيأخذ فيروز شاه بنتى بالرغم عنى ولو كنت أظن انى سأصل إلى هذه الصعوبات لأجبته من البداية وزوجته بها وبقيت فى ملكى . قال وأى صعوبات هنا وسيختلط بهذه الحرب ملكان الآن من أكبر ملوك العالم وعما قليل تكون عساكر الملك قيصر الأكبر وهذا لابد منه انه يبيد رجال الفرس أجمعهم كبيرا وصغيرا فكن براحة ومهما جرى يجرى ونحن لابد لنا من أن نسير الى بلادنا إذا انتصر المصريون وإذا كسروا سرنا إلى بلاد قيصر واقمنا هناك فان الفرس لا طاقة لهم على لحاقنا وهل لا يتعبهم الزمان وتهلكهم الايام فكن مطمئنا ولا نرجع عن الفرس بعد أن فعلوا بنا ما فعلوا ولو وقعنا الآن بايديهم لقتلونا لا محالة وقد اتاكم عندى ان الملك ضاراب اقسم بالله العظيم انه لابد من أن يقتلنا إذ وقعنا بيده فكيف يقصد قتلنا ونميل اليه وهو عدو ألد لا سيما وهو مزمع على اخذ بنتك كسبية ولم يراع حرمة ناموس الملوك ثابت العزم على عداوته فاتكل على فاننا لابد لنا فى النهاية على هلاكه ولو الزمنا الامر أن نسحبه إلى أطراف الدنيا فانه مصر انه لا يرجع الا بعين الحياة ونحن مصرون ان لا نسلمه اياها ولذلك اينما نزلنا وغلبنا رحلنا فنجره خلفنا وفى النهاية لابد أن يهلك مع جيوشه ويأكلهم التعب والاسفار وتفنيهم الاوصاب والمشاق والحروب ومن ثم نعود الى بلادنا ونرجع

براية النصر والظفر . فسلم الشاه سرور بما كان من كلام وزيره ورأى فيه وجها كبيرا للصواب وظهر له من كلامه الحالة التى يصل اليها عدوه إذا فعلوا بذلك وأخفى عنه جهله العذاب والويل الذى يلحق به إذا داموا على المسير ويعدوا عن بلادهم كل هذا البعد .

ولما اسود الليل وحلك ظلامه نهض طارق الى المدينة فأخذ ما له فيها وجاء بكل احتياجاته وخرج دون معارض لأنهم يعلمون منزلته ويعرفونه وبعد نصف الليل جاء إلى جيش إيران وأقام فيه إلى الصباح وفى الصباح دخل على الملك ضاراب وأخبره بما كان من أمره وأن الوليد اطمئن باله من جهة فيروزشاه . وأقام طارق بين الاعجام عدة أيام حتى بلغ خبره الوليد بأنه خدم عند الملك ضاراب ووعده على الموافاة وصدق الخدمة فغضب الوليد مزيد الغضب وتكدر من عمله وقال كيف يكون قد خدم عندى كل هذه السنين وخاننى طمعا بخدمة ملك مثل الملك ضاراب فلابد إذا وقع بيدى أن أهلكه وأعدمه وإنى أعد عموم فرسانى وأبطالى وعيارى بلادى أن كل من جاءنى به حيا أو ميتا أغنيته وأعطيته كل مايطلب منى حتى ولو بنتى ليعلم كل واحد أنى لا أصبر على خيانة خائن مثل هذا أكل علوفاتى عدة سنين وجحد جميلى وخان نعمتى حبا بعدوى فوقف هلال عيار الشاه سرور وقال له إنى أعدك ياسيدى باتيانه أسير لبين يديك تفعل به ما شئت قال إنى أعدك بالثروة العظيمة وبالوفاء عن كل ما تطلبه وإنى من هذه الساعة أقيمك عيارا على محافظة الجيش عوضا منه وتكون لك علوفاته ومعيناته ولا بد من أنك ترى منى فوق ذلك كل ما يسرك فسر هلال بهذا التعيين وكان أعظم منه سرورا طيفور والشاه سرور وقد ظنا أنهما ينالان أكبر غاية بواسطة هلال وأقام هلال من تلك الساعة فى خطة طارق وقد اجتمع بطيفور فقال له أريد منك ياهلال أن لا تتهامل فى أمر فيروزشاه وأحب أن تدخل المدينة فى كل يوم وتطوف فى الأسواق وتتخلل الأحياء عند كل فرصة وترسل عيونك إلى المدينة كلها علك تعرف خبرا عن فيروزشاه فانى موقن كل اليقين أنه ضمن المدينة وإنه وإن كان خارجها فلا بد أن يأتيها أملا منه بان يرى عين الحياة لأن عياره بهروز شيطان يقدر أن يخترق به أسمك سد ويمر به من أضيق ثقب دون أن يلحقه ضرر أو يراه أحد فوعده بالاستقصاء والتفتيش من تلك الساعة وصار منذ ذلك اليوم ينزل فى النهار ويصحب معه جماعة من العيارين والفرسان إلى أسواق المدينة فيطوف فيها كل مكان ويرجع فى الليل إلى حراسة الجيش وخدمة الوليد وقد صرف الجهد فى الاستقصاء والسؤال من كل جهة وناحية .

فهذا ما كان من أمر الوليد وهلال والشاه سرور وطيفور وأما ما كان من أمر الملك ضاراب فانه فى كل صباح يظن أنه يأتى ولده فلا يأتى وقد صرف أكثر من نصف شهر وهو فى ويل وكدر وهم وفى كل يوم يزيد قلقه واضطرابه وارتيابه وقد ثبت لديه أن ولده اما ان يكون هلك واما ان يكون بضيقة لا يقدر على الخروج من مكانه ومثله عياره بهروز وإلا لو كان مطاق الحرية فلابد من رجوعه فى مثل هذه المدة لعلمه أن عموم الجيش يضطرب لغيابه وبعده عنه كل هذه الايام أو أرسل عياره فاعلم أباه وطمنه عن حاله ولذلك جمع الملك ضاراب العيارين وقال لهم الا يقدر أحد منكم أن يكتشف لى على خبر ولدى فانى فى ارتياب وقلق ولا أعرف فى أى حال هو أفى هناء أو فى كدر أفى راحة أو فى عذاب ولم يكن منكم من يستقصى لى خبره ويأتى به فما هذا التقاعد والاهمال فانى مشغل البال جدا مكدر الخاطر ولا أظن يرتاح بالى ما لم أقف له على خبر صريح فمن منكم يتعهد لى بالاطلاع على أمره فقال له طارق انى أعدك يا سيدى وعدا ثابتا ان لا أحد يأتيك بخبره غيرى ومن هذه الساعة أسير إلى المدينة وادخل على بيوت أصحابى الامناء وأجعلهم يفتشون معى على خبره ولا أعود اليك إلا بما يريح لك فكرك ويطمن بالك قال ان فعلت ذلك عددناها لك من أكبر الحسنات ووفيتك حق تعبك قال سوف ترى ما يسرك . فقال شبرنك لا تخاطر بنفسك يا طارق فانك ان وقعت بيد الوليد انتقم منك قال انى لا ادعه يعرف بى وانى أدخل المدينة وهو فى الجيش قال ان هلالا يدخل فى كل يوم المدينة وانه إذ رآك يقبض عليك ولا تظن انك تخفى بنفسك عليه فلو تزييت بألف زى ولبست الف لبس لا بد من أن يعرفك ولا تخفى عنه حالتك فهو خبيث لا يخفى عليه أمر ولا يقوته عدو ولا يعلو عليه عيار فى هذا الزمان إلا ان كان بهروز بن الغول . فقال ليس هو إلا حمار وليس كما تزعم وسوف ترى ما يكون من أمرى وتعلم من منا أقدر وأحيل ثم قبل أيادى الملك ضاراب وخرج إلى صيوانه فغير ملابسه كليا ولم يبق عليه من ملابس العيارة شيئا وركب على وجهه لحية أشبه بلحية رجل يسقى الماء فى المدينة يدعى قوش بن عبيد السقا وكان هذا الرجل من نحو أكثر من عشرين سنة يطوف فى المدينة يسقى الماء فيأتى إلى النيل يملأ قربته ويطوف فى الاسواق إلى ان تفرغ وكان هذا عمله دائما فتقن طارق هيئته وكان يقدر على تقليد صوته غاية التقليد وبعد أن فرغ من عمله جاء إلى أطراف النيل إلى المكان الذى يأتيه قوش يملأ منه قربته وأقام فيه إلى ان رآه وقد جاء يملأ القربة فقرب من النهر ودفعه بيديه إلى النهر فرماه به حتى اختنق ومات فنزل إليه ونزع عنه ثيابه وأخذ القربة فملأها وسار إلى غير جهة فلبس ملابس قوش بعد أن

جفت وحمل القربة وأخذ بيديه طاسات الماء وانحدر إلى البلد ينادى بصوته والعالم تأتى مثل عادتها تشرب منه وتذهب إلى حال سبيلها ولا أحد عرفه أو ميزه عن قنوش السقاء. ودام على هذه الحالة إلى أن توسط الأسواق وكادت تفرغ القربة وإذا به قد صادف هلالا مع جماعته يطوفون الأسواق فارتاع من ذلك وخاف من انه يعرفه فاسرع فى الجرى على أمل انه يفوته إلا ان هلالا لم تخف عليه حالته بل عرفه حق المعرفة فدنا منه وطلب اليه أن يسقيه شربة ماء فصب له فى الطاسة وناوله وهو يحاول أن يميل بوجهه عنه حتى تأكده هلال غاية التأكيد وكاد يطير من الفرح وحدثته نفسه بالنجاح والثروة وفى الحال أمر الذين معه أن يقبضوا عليه فقبضوا ومسكوه فجعل يصيح ويقول لهم ماذا تريدون منى وما عايتكم فى فانى رجل فقير سقاء لا دخل لى مع أحد وكل أهل المدينة تعرفنى فقال له هلال وانى أنا أعرفك ايضا وهل يخفى على حالك فانت طارق العيار الخائن الناكث فصاح وأكثر من البكاء وقال ماهذه التهمة ياجماعة أين انا وأين طارق تعالوا اسمعوا ياناس هذا الظالم ماذا يقول عى فاجتمعوا وتراكموا من حواليه أفواجا وقد نظروا قنوش مقيدا والرجال تسحبه فدنوا من هلال وسالوه فيه وقالوا له لما هذا الظلم فان هذا الرجل لا يضر بأحد وليس ممن يتعدى على أحد وله فى هذه المهنة أكثر من عشرين سنة حتى أصبحت كل أهل البلد تعرفه فدعه لحاله ولا تظلمه . فقال لهم ليس هذا بالرجل الذى تعنونه فهذا طارق العيار الذى خان سيده الوليد وأقام عند عدوه وقد أمرت من جانبه بالقبض عليه أين وجدته . فتعجب الناس منه وقالوا له ما هذا الذى تقوله فكيف يكون هذا طارق وجميع أهل المدينة تعرف أنه قنوش بن عبيد السقاء وهذه المهنة ورثها من أبيه وانك غلطان كل الغلط فقال لهم لا يمكن أن أكون غلطانا فهذا هو طارق بعينه ولا يمكن اطلاقه قط ولا بد من أخذه الى حضرة الوليد يفعل به غايته ويجازيه على خيانته

ولا زالت الشحناء واقعة بين هلال ورجال المدينة وكلما جاء قوم يقفون ويتحزبون ويطلبون اطلاق سبيل قنوش وهو يمتنع لى أن قال لهم أخيرا انى لا اطلقه ولا بد من أخذه الى الوليد فان كان الرجل الذى تزعمونه اطلقه والا قبض عليه فانه متحرق على القبض عليه فقالوا هلم بنا الى الوليد ولا نظن انه يظلم هذا الرجل الفقير ويحرمه عياله . لا يمكننا أن نتخلى عنه وسار هلال وبين يديه طارق محفوظا من رجاله وأهل المدينة يسيرون من ورائه جماهير جماهير وكلهم يتقمقمون ويتذمرون ويصيحون ما هذا الظلم تأتى رجال الغير فلتحكم فينا وتظلم الاهالى كما كانوا يظلمون فى بلادهم ويخربون بيوت الفقراء أما كفى أن بسببهم كادت تخرب بلادنا وتهلك

عساكرنا . ولا زالت هذه الحالة حالتهم حتى انتهوا الى الوليد فسمع الصياح وغوغاء القوم فاستفسر عن الأمر فحكى له عن ما هو واقع بين رجال المدينة وبين هلال العيار فأمر الوليد ان يدخل الجميع فدخل هلال ومعه طارق ودخل بعض أعيان المدينة الذين جاءوا للمحاماه عن طارق

ولما وقف هلال بين يدى الوليد قال له يا سيدى بينما كنت أطوف هذا اليوم فى المدينة رأيت هذا الرجل فدنوت منه فلم تخف على حالته لانى بعد ان تأكدت انه طارق عيارك الذى خان بك القيت القبض عليه فتجمع رجال المدينة وقصدوا خلاصه منى زاعمين انه قنوش بن عبيد السقاء فحاولت افهامهم فلم يفهموا فالتزمت أن أرفع هذا الأمر اليك لتبعدهم عن مرادهم لأن هذا الرجل هو طارق لا محالة وهو لابس هذه الملابس خوفا من أن يراه أحد فيعلم به ولابد لدخوله المدينة من سبب . فقال الرجال كذب هذا اليمنى فما هذا بطارق بل هو قنوش ونحن نعرفه من نحو اكثر من عشرين سنة وهذه القربة قربته وله زمان طويل يحملها ونحن نراها ومثلها طاسته وماذا يوصل طارق الى أن يتهيء بهيئته ويصل الى أمتعته مع اننا فى الأمس وأول امس شاهدناه وفى كل يوم وكل ساعة تراه رجال المدينة ونساؤها واطفالها يستقون منه الماء ويكاملونه ويعاملونه وما غاية هذا اليمنى الا القاء المفاسد فى المدينة والشغب بين اهلها واننا لا نقبل قط بظلم هذا الرجل الفقير الضعيف الذى لا ناصر له الا مرحمتكم وغيرة ابناء وطنه فنظر الوليد الى طارق فاخفى عليه امره ولم يقدر ان يميز بينه وبين ذاك فقصد ان يعرف ذلك من صوته فكلمه فاجابه وقد غير بصوته وقال له يا سيدى من اين يكون لى ان اكون طارق العيار وانا فقير اتعيش على ابواب الأجاويد واهل الاحسان . فزاد ارتياب الوليد وكان يسمع اصوات الناس من الخارج واضطرابهم وقلاقلهم فقصد حسم المسألة . فقال لوزيره بيدا ديش انى ارى اشكالا عظيما فى هذا الامر لان هلالا يصر كل الاصرار على انه طارق وانى مع عموم الاهالى ارجح انه قنوش فليس حل هذا المشكل الآن فقال الوزير لا ريب فى انه قنوش السقاء فقال هلال كلا يا سيدى فهو لا طارق عيار سيدنا الوليد فلا تضيعون هذه الفرصة ولا تتركوه يذهب فيرجع لى دسائسكم وتندمون فيما بعد على افلاته من ايديكم وانه متقن عمله كما اتقن تقليد صوته وتغيره تغير شنق على سيده الذى استخدمه عدة سنين . فصاحت الناس ان هلالا كذب فى زعمه وهو لا قنوش بن عبيد السقاء وهل نكذب نحن كل اهل البلد مع معرفتنا بحق معرفة وقد شاهدناه له اكثر من عشرين سنة يوميا وصدق هو ولم يشاهد طارق لا ايام قليلة فاستحلفوا اطلاقه

ورأى الوزير كثرة الصعوبة والالتباس الواقع بين كلا الفريقين فقـــال ان عندى من يعرف ان كان هذا طارق أو غيره وهو بدر فتات العيار وكان هـذا بدر فتات من تلامذه طارق قد تعلم منه العيارة فخرج ماهرا فى صناعته وقد استخدمه الوزير لنفسه واركن له كل الركون حتى كان يسلمه كل أمواله وأشغاله ولا يمنع عنه شيئا بغير علمه فكان عياره وأمينه وكاتم أسراره ووكيل أشغاله وذلك لما يعهده فيه من الامانة والاستقامة والحب لصالحه إلا أنه كان يميل جدا لطارق ويحبه لأنه أستاذه وقد صرف عليه كل قوته وأعظم وقته . ولما قال ذلك الوزير أجابه الوليد اليه وقال له ادع لنا بدر فتات عساه يحل هـذا المشكل وفى الحال بعثوا من أتى به فلما حضر قال له الوليـد أريد منك أن تعرف لنا هذا الرجل وأشار إلى طارق هل هو طارق أم قوش السقاء فأحدق به وعرفه حق المعرفة وقال فى نفسه ان أظهرت أمره لابد أن ينتقم منه الوليد فأكون قد سعيت فى هلاكه وجلبت له الشر بيدى وكافأته عن جميله بالقبيح ولاسيما ينفذ قول هذا اليمنى وينال انعام الوليد فلابد من إحباط مساعيه واما طارق فانه رجف قلبه عندما شاهد بدر فتات وخاف من أن يظهر أمره ويوضح حالته فيصدقه الجميع فأقام ينتظره إذ يقول وهو يعلم أن موته وحياته بين شفتيه إلى أن قال إنى لا أرى فى هذا الرجل صفة من صفات طارق فالفرق عظيم بينهما .

قال هلال لا بل هو طارق قال بدر فتات إذا شاء سـيدى الوليد أبقاه هذه الليلة تحت الحفظ والترسيم إلى أن أذهب إلى معسكر الأعداء وأنظر فى صيوان ملكهم فاذا كان طارق هناك أعود اليكم بعلم اليقين عنه وإذا كان غائبا نرجع إلى الفحص عن هذا السقى ونحضر زوجته وأولاده ويكون ما يكون . فقال الوليد لقد أصبت فى ذلك فسر أنت فى هذا المساء إلى البحث وفى الغد نعود الى النظر فيه

ثم أمر الوليد أن يوضع طارق فى الحفظ عند بعض قواده وصرف الناس الى الغد وقد أعجبهم كلام بدر فتات وما أشار به عليهم وأصبحوا ينتظرون نهاية هـذا المشكل وكان بعضهم يرغب فى أن يعرف صدق هلال دون ان كانت تحركه دواعى المحاماة وبعضهم يرغب فى كبح هلال وبعضهم يتشفق عليه من أن يموت ظالما . وفى المساء لبس بدر فتات ملابس الدراويش وغير زيه وودع سيده بداندش وخرج يقصد معسكر الفرس من جهة الحرس ولا زال حتى دخل بينهم وكان العيارون قد رأوه فاشتبهوا فى أمره ولم تخف عليهم حالته فمسكوه وسألوه فقال لهم انى رجل فقير أتيت قاصدا [illegible] لأجل الاحسان فهل لكم أن توصلونى اليه او تدعونى أصل من نفسى فقالوا لا ريب فى أنك عيار أتيت لحيلة او مكيدة . ثم ساروا به الى

الملك فأوقفوه أمامه وقالوا له انه كان آت من جهة المصريين فألقوا القبض عليه فادعى العادة مع أنه عيار لاريب فيه . فسأله الملك عن نفسه وهل إذا كان كما يزعمون . قال نعم فانهم لم يخطئوا فى ذلك فانى من عيارى مصر وقد اتيت لقضاء مهمة بها لكم الصالح الأكبر . قال وما هى هذه المهمة قال اعلم ياسيدى أن طارق العيار الذى خدم عندكم وترك خدمة سيده قد دخل المدينة وهو لابس كلابس رجل من أهاليها يسقى الماء يقال له قنوش ابن عبيد السقاء فأتقن صنعه حتى خفى حاله على كل أهل المدينة ولا أعلم ماذا فعل بقنوش لأن الثياب ثيابه والقربه قربته وإذ كان يطوف فى الأسواق نظره هلال فقبض عليه وعرفه حق المعرفة فنادى مستجيرا فاجتمعت الناس ومالوا إلى خلاصه فأفضى الأمر إلى حكم الوليد فجاء اليه الناس مئات وألوف وكلهم ينادون هذا ابن عبيد السقاء ونحن نعرفه أكثر من عشرين سنة وهلال يقول كلا بل هذا طارق العيار فلم يقدر الوليد أن يفصل هذا المشكل لأنه لم يقدر أن يعرفه وقد أخفى عليه أمره فطلب إلى بيدانديش والآخر اشتبه فيه بين طارق والسقاء حتى آل الأمر أن يسألونى ولما كنت من تلامذته وقد وضعنى عنده الوزير منذ الصغر لأتعلم منه فن العيارة والحيل وكنت أعرف كل أصواته وحركاته ظهر لى أمره وتأكدته أنه طارق إلا أنى أثبت قول الناس وقلت إن هذا ليس بطارق . فلم يقنع هلال بكلامى بل أصر على أنه نفس طارق فخفت من أن يصير التفتيش فى المدينة على قنوش أو يأتى هلال نفسه إلى هنا أو يأتى غيرى فتظهر الحقيقة فقلت للوليد على الفور إن كان لايزال الأمر مشكلا فابقوا هذا الرجل إلى الغد تحت الحفظ وإنى فى هذه الليلة أسير إلى معسكر إيران فانظر بينهم فان كان طارق هناك يكون هذا قنوش وإلا فيكون مشتبه فى أمره فنفعل إذ ذاك ما يمكن فعله فأجابنى الجميع إلى ذلك وأبقوا طارقا محفوظا ولما كان أول هذه الليلة خرجت وجئت من وجه الجيش على أمل أن أعود وأقول للوليد إنى رأيته فى خدمة الملك ضاراب وذلك حبا بأن أكون دائما مع أستاذى فى خدمتكم ورغبة فى أن أخلصه من هلال الخبيث الذى صرف الجهد فى إظهار أمره وقد دعتنى الضرورة إلى هذا العمل لعلمى أن سعد المصريين قد فرغ وأنهم على شفير الخراب والدمار وسوف تنقضى مدة عظمتهم سيما وأن الذى ربانى وعلمنى وهذبنى له على فروض وواجبات لا يمكنى أن أجحدها أو أوصل اليه بدلا من إحساناته إساءة . فتعجب الملك من عمل طارق وكيف قدر أن يشكل أمره على سيده ووزراء مملكته مع أنه أقام بين أيديهم عدة سنين وقد تعجب أيضا من هذا العمل جميع الحضور ولا سيما شبرنك وشياغوس وبقية العيارين وقال طيطوس انه لاريب صادق خدمة إنما لا نعرف ان كان كلام بدر فتات صدقا أو يقصد خداعا لينجو من أيدينا .

قال حاشاى ياسيدى من ذلك فانى ماأتيت من صدر الجيش الاوفى نيتى أن أعرض عليك خدمتى وأطلعك على طارق وأزيدك فوق ذلك الأقسام العظيمة أنى لاأنكر عنك خبرا ولا أخون لك خدمة وسوف تبدى لك الأيام صدق ماتسمعه الآن فانحن ممن يقسم ويحنث فى أقسامه على أنى أرى فى نفسى اذاسمحت لى أن أبقى بين المصريين فى خدمتى عند الوزير فأسترق لكم الأخبار وآتيكم بها سرآ فلايرانى أحد وبهذه الواسطة أقدر أن أنفعكم أكثر من أن أكون بينكم فقال الملك ضاراب ان كنت صادقا فى قولك تصادف منى مزيد الالتفات والاهتمام وانى ممن يثق بالأيمان ويأتمن بالأقوال فافعل ما أنت فاعل ومن هذه الساعة قد عينت لك العلوفات والمعينات فتقبضها فى كل شهر كواحد من عيارى بلادى الكبار .

فلما سمع بدر فتات كلام الملك ضاراب قبل يديه وشكره واستأذن منه بالرجوع فاذن له بعد أن أوصاه مزيد الوصية بان ياتيه دائما باخبار أعدائه فوعده وأقسم له وسار من حضرته الى جيش سيده وهو يفكر بخلاص طارق . وأقام الى الصباح وفى الصباح نهض وسار الى ديوان الوليد فوجده محتبكا كالسبحة فدخله وقد اخترق جماهير الناس الذين أصبحوا الى الصيوان ينظرون ما يكون من أمر قنوش بن عبيد السقاء . ولما صار فى نصف الديوان وجد هلالا أيضا بالانتظار وقد أحضروا طارق وهو مقيد وعند ما نظره الوليد قال له بما أتيت يا بدر فتات فهل جئت نعلم بر تاح اليه الفكر قال نعم ياسيدى فانى عندما صرت بالقرب من صيوان الملك ضاراب وقفت أنظر الى داخله فوجدت طارق الخبيث المحتال قائما فى خدمته بين العيارين وهو لابس بصفة عيار من عياريهم فصرفت نحوا من ساعتين وأنا محدق به وأحرق الى هلاكه غير أنه لم يسعنى ذلك ولا ريب أن من كان مثله باع سيده بثياب الترصيع وقبضت الذهب يجب أن يجازى بالاعدام عبرة لغيره من الذين مثله وقدتأكد عندى الآن أن هذا هو قنوش بن عبيد السقاء وقد صدق هؤلاء الناس وربما كان هذا قريب من طارق بالصنعة والهيئة الى لا أظن أنه قريب منه بالصوت وكلنا نعرف صوت ذاك فاذا كنا نحن وكل رجال المدينة يعرفون هذا ويعرفون طارق منذ زمن ليس بقليل ويؤكدون أن هذا هو قنوش فكيف يمكن لهلال الذى لم ير طارقا الا أياما قليلة أن يغالط الجميع ليصح زعمه وهو من العدل أن نظلم فقيرا مسكينا بجريمة رجل خائن وقد رأيته عيانا وتأكدته أنه فى صيوان الملك ضاراب . قال هلال كلا ياسيدى فهذا طارق ولا يمكن ان أكون غلطانا واذا شئت فحصنا أمره من غير وجه . فحرق بيداديش وقال لا يمكن أن يكون هذا طارق فدع عنك هذا الهذيان والشقشقة فان الناس فى

اضطراب وقلق فهل يمكن ان يغلط الوف من الناس لتصدق انت فهذا لا يمكن ابدا.
فاحترق قلب هلال من كلام الوزير وعلم ان صيدته ستفقد منه وانه لا يصدق فى مثل
هذه الظروف فارتبك فى امره واراد ان يحاول ويرجع الى قوله بان هذا طارق فمنعه
الوليد ايضا وقال له لقد ثبت عندى انك مخطىء كل الخطا وقد اشغلتنا اكثر من يومين
بسوء فعلك وعدم خبرتك فدع عنك هذا الرجل ولابد من مراضاته بدلا من الاهانة
التى لحقت به لا سيما وقد تيسر له ان يقف بين يدى واما طارق فانه تبدل خوفه بامان
وسكن خفقان قلبه لانه فى البداية كان يخاف من ان يعرفه الوليد او احد من الحضور
فخفت حالته على الجميع الا انه كان لا يزال خوفه فى نمو من ان تظهر حالته بالفحص
والتدقيق لاسيما اذا احضروا عيال قنوش السقاء وسألوه عن امورهم الداخلية فلا ريب
انه يرتبك ويقع فى حيص بيص وزاد خوفه عند ما اعهد بالمسألة إلى بدر فتات لانه
كان يعلم ان هذا اخبر به من الجميع ولا يخفى عليه امر فلما نظر اليه عرف من دلائل
وجهه انه عرفه وتاكده وصار ينتظر مايقوله عنه الى ان انكر حالته واخيرا دبر طريقة
خلاصه بوجه حسن اى بأنه قال انه يفتش عليه بين الايرانيين ثم رجع فقال له انه رآه
فعلم انه قصد انتشاله من تلك الصعوبة الواقع فيها وكبح هلال العيار وارجاعه بالخيبة
ولذلك تأكد عنده اخلاء السبيل وما صدق ان سمع كلام الوليد حتى رمى بنفسه على
اقدامه يقبلها . فقال له لاتخف يا قنوش من سوء وقد صار لك على حق لاكرام والانعام
ثم امر ان يدفع اليه مبلغ من المال مقابلة لما وقع عليه . فقال هلال اما كفاه انه يخونك
ويغشك واخيرا يأخذ دراهمك . فانتهره الوليد وشتمه واهانه وقال له اتريد ان تدخل
بنفسى انى مغشوش وتنسب الى البساطة وغموض الذهن فى هذا الحد حتى لم عد اعرف
عيارى وخادمى فما ذلك الا من العجائب . ثم امر السقاء ان يخرج الى المدينة فقبل
يده وخرج والناس من حوليه افواجا فواجا . وقد قال له هلال عند خروجه اذهب
ياطارق انما اؤكد انى عرفتك وما خوفى على حالتك كى لاتقول انك اعبت على منصبا واذا
لم تسعدنى الظروف فى هذه المرة فلابد ان تسعدنى فى غيرها فسوف نجتمع . وطارق يقول
فى قلبه على ان اتخلص الآن ومرة ثانية ان عدت رأيتنى فافعل ماانت فاعل . ولما بعد طارق
عن الخيام اقبل الناس يهنئونه فشكرهم وقال لهم ياسيدى ليس لى غير الله وانتم فلولا كم
لكان اهلكنى هذا الابن الزناء والخرام اللعين الماكر وفى زعمه ان يعملنى عيارا ويسمينى
طارقا ومراده ان يرفعنى بوقت واحد من درجة السقاية الى خدمة الموت ويقلدنى منصب
العيارة فضحكوا منه وجعلوا يتفرقون عنه .

ثم أظهر على نفسه أنه يقصد النيل ليملىء قربته وسار حتى بعد عنهم ولم يعد يرأحدا منهم فجعل يقول فى نفسه لايجب الآن أن أرجع عن المدينة مالم أعرف شيئا عن فيروزشاه لاسيما قد بان لى وجه النجاح وهذه الحالة أخفتنى عن أعين من هم أعرف الناس بى . وبعد التفكر خطر له أن يقصد أبو الخير الجزار وكان صديقه من زمان قديم وقال فى نفسه إن هذا الرجل من إيران فى الأصل ولاريب أنه يخفى أمرى لأنه صديقى وبينى وبينه مودة مكينة لايمكن فصلها وهو من الاستقامة وعمل الخير على جانب عظيم حتى دعته الناس بأبى الخير ولما ثبت عنده هذا الظن ارتاح ضميره فطاف يسقى فى المدينة من سوق إلى سوق وكان قرب المساء فدخل إلى بيت أبى الخير دون أن يراه أحد ولما دخل الباب اقفله من خلفه فأشكل أمره فى الأول على أبى الخير وقد ظن أنه ابن عبيد السقاء فقال له ماذا تريد أهل لك من حاجة قال كلا وكان هذا لا يعلم ماذا جرى عليه لأنه كان مشغل بخدمة فيروزشاه وبهروز لا يفارقهما وهو مهتم فى أمر مداواتهما . فلما عرف طارق أنه لم يعرفه أراد أن يطلعه على أمره . فقال له إنك غلطان ياأباالخير فهل حتى الساعة لم تعرفنى وقد تكلم بصوته المعتاد فعرفه وقال ماهذه الحالة ياطارق. قال ادخل بى الغرفة لأطلعك على أمرى وأرجوك كتم سرى . فدخل به ولما استقرا أخذ فى أن يشرح له كل ما كان من أمره وقال له فى آخر الحديث وإنى ماطرقت المدينة إلا لافتش على فيروزشاه وإنى واقع فى حيرة عظيمة لاأعرف أين هو ولاأين أجده . فلما سمع أبى الخير كلامه خفق قلبه وظن أنه استعمل الحيلة للاكتشاف على فيروزشاه عنده وأنه ربما بلغه خبر ذلك وظهر اضطرابه فلم تخف حالته على طارق وقال له لاريب فى أنك تتكدر إذا عرفت أنى أبحث عن فيروزشاه وإنى لم أجده لأنه ابن ملككم ويحق لكم ذلك لأنى مصرى الأصلى وأخلصت لهم الود وعاهدتهم على صدق الخدمة وخاطرت بنفسى . قال يمكنك أن تذهب إلى أبيه وتقول له إنى ماوجدته ولاريب فى أنه يعود إلى الجيش إذا كان قادرا على العود . قال إنى وعدته أنى لاأعود إلا به وأريد منك أن تخفى أمرى اليوم وفى الغد فقط وتقبلنى عندك هذين اليومين بينما أكون قد كشفت أمره ولابد أن أخبره بجميلك ومعروفك وأعرف جيدا أنه سار إلى جهة القصر الذى فيه عين الحياة فربما يكون قد تيسر له الدخول اليه واختفى عندها وإنى سأقصد فى ثانى الغد ذلك القصر وانظر عل أن الله يوصلنى اليه ولاأريد منك سوى كتم أمرى وأن لاتطلع أحدا على وجودى .

وكان يتكلم ويظهر من كلامه الصدق والجد حتى تأكد ابو الخير ان ما يقوله هو صحيح وان لاعلم له بأن فيروزشاه عنده ولذلك عزم ان يخبر فيروزشاه به . قال

له اصبر لى هنا قليلا فان مرادى أدخل لقضاء حاجة بين حريمى وأعود اليك قال لاتبطىء على فانى أريد منك اما تعدنى بالمعاضدة والاخفاء واما تتركنى دون أن تظهر أمرى ثم ان أبا الخير دخل إلى فيروزشاه وحكى له كل ما سمعه من طارق العيار وانه بانتظاره فى الخارج وسأله إذا كان يرى من الموافق اطلاعه على أمرهما قال بهروز دعه يدخل إلى هنا فاذا رأينا منه عين الغدر قتلناه وإلا يكون صادقا فى قوله وأنا فى حاجة اليه وفى تلك الساعة طرق الباب ففتحوه وإذا بالطبيب فتوح قد دخل فاعادوا عليه القصة وما كان من أمر طارق العيار واستشاروه فى أخباره فقال لهم لاريب فى أنه صادق القول وما حكاه الآن سمعته فى المدينة من الناس وكلهم يلهجون بقصته ويتعجبون من خيانته لسيده واقامته عند عدوه وعليه فأمر فيروزشاه أبا الخير أن يدخل عليه طارقا فعاد اليه فوجده بانتظاره على مقلى الجمر وحالما رآه قال له كيف لاح لك يا أبا الخير فاحفظ عهد المودة والصداقة ولا تضيع رجائى فيك لانى ماقصدتك إلا وفى نيتى أنك تساعدنى على مآربى وغاياتى وتخفى أمرى ولولا علمى بخلوصك لما أتيت اليك قال انى لا أضيع لك رجاء ولا أخون صداقة كانت بيننا منذ قديم الزمان ولهذا قد جئت لأطلعك على خبر فيروزشاه وأعلمك أنه قائم عندى وفى بيتى وان الصدف أوصلتك اليه كما أوصلته إلىّ لأخدمه مدة مرضه فهو فى الداخل بين حريمى ومجروح عدة جراح وقد داويتها حتى شفيت أو كادت تشفى فهو الآن وادخل عليه وقد سألته أن يأذن لك فاذن ولو لم أعلم انت على صدق من كل ما ذكرت لما أخبرتك حرصا على حياته لأنه مختف منذ ليلة القتال فى بيتى لا يعلم به أحد غيرى وغير فتوح الطبيب . قال كيف لا أكون صادقا وبدرهنت نفسى لخدمة الملك ضاراب وأقسمت له أبر الأقسام انى لا أخونه قط وانى أصرف ما بقى من عمرى فى قضاء مصالحه وفرح طارق غاية الفرح وهو يصدق انه يرى فيروزشاه وامل نجاح مسعاه ونهض مع ابى الخير ودخلا عليه . ولما صار طارق بين يديه قبلهما وقال الحمد لله يا سيدى على السلامة فانى ما جئت إلا للبحث عنك من نحو ثلاثة ايام الا انه اخرنى هلال العيار وقد جرى لى معهما كذا وكذا . ثم حكى له كل ما كان من امره وكيف ان بهزد مسكه فاضطر الى مصافاة ابيه وانه اقام فى خدمته عدة ايام إلى ان وعد اباه بانه يكشف له الخبر وجاء المدينة فصادف هلالا فتأكد كلامه فيروزشاه وكان بهروز قد هيأ خنجره الايقاع به إذا تبين له من كلامه وجه الغدر فلما رأى منه الصدق عاد عن عزمه وقال اطارق ابق هنا إلى حين نقدر على الذهاب فنعود إلى المعسكر معا اما فى الغد او ما بعده . فقال فيروزشاه لا ريب اننا فى الغد نقدر على الذهاب انما اريد قبل كل شيء ان اسعى فى خلاص مصفر شاد

لأنى نويت هذه النية ولم يعد فى خاطرى الرجوع عنها وانى لا أعود إلى أبى دون أن أكون قد خلصته فنصحبه معنا وقد يفعل الله ما يشاء . فقال بهروز ان هذا شغل العيارين ياسيدى فاذهب بك أولا إلى أبيك لأن لك أكثر من ثلاثين يوما وأنت غائب عنه وهو فى اضطراب من أجلك قال لابد لى من ذلك فقال طارق لا بأس ياسيدى فاننا فى الغد نسعى فى خلاصه وقد خطر لى فى هذا المعنى خاطر يلوح لى فيه وجه النجاح ولاريب أننا فى الغد أو بعد الغد نذهب سوية أنا وبهروز وأبوالخيرقبل بزوغ الشمس فصل إلى القلعة بعد ذلك أى فى أول النهار ومن بعد خلاص مصفرشاه نأتى إلى هنا ونذهب من هنا إلى الجيش فاستحسن الجميع رأيه وباتوا ينتظرون اليوم الآتى لقضاء مصلحتهم والمسير إلى سجن العفاريت غير أنه فى اليوم الثانى وجد فيروزشاه نفسه لايزال مؤلما من جراحه فأشار عليه فتوح الطبيب أن يبقى إلى ثلاثة أيام أخر بينما يكون قد تمكن من العافية غاية التمكين فلا يعود عليه خوف .

هذا وليس من العدل أن ننسى هنا عين الحياة وطوران تخت وما هما عليه من المصائب والاكدار وان عين الحياة بعد ان ذهب عنها فيروز شاه وقعت باليأس والقنوط واشتعلت بفؤادها نيران الهموم واصبحت تعلق الرجاء بعودته إذا تيسر له النجاح حالا بخلاص مصفرشاه ولازالت طول تلك الليلة وهى بهم وكدر لا يأخذها نوم ولايقر لها قرار تنتظر مايجلو عنها هذه الحالة وأشرق الصباح وهى جالسة على ما كانت عليه فى الليل وعند بزوغ الشمس قطعت الرجاء من عودته وزاد اضطرابها ولم يعد فى وسعها الصبر لتعلم ماذا جرى عليه وفى الحال دعت طوران تخت اليها وكانت هذه استيقظت من رقادها وهى تحسد عين الحياة على قربها من فيروزشاه كل تلك الليلة دون أن يحصل لها مكدر أو يحول دون هنائها حائل وهى لاتزال تظن انه باق عندها على حالته فى ليلته الماضية مابين الزجاجة والطاس ولما دعتها عين الحياة مع خادمتها شرينة كانت بانتظار الذهاب اليهما وهى تود ان تصرف وقتا بحضور فيروز شاه لتعلم منه مقدار حبه لعين الحياة وفى الحال سارت اليها فوجدتها جالسة لوحدها وهى على غير الاستواء نشعرت بذهاب حبيبها فقالت لها لأى أمر دعيتنى وأين فيروزك فتنهدت من فؤاد محترق بنار الاكدار من أفعال الزمان وقالت لها لم يعد من وسيلة لاخفاء الامر عنك ومن الواجب أن تقاسمينى بأحزانى واكدارى وأن تتعودى على احتمال المكاره وانى أطلعك الآن على أمر مصفرشاه فقد قبض عليه بعد خروجه من عندك ووضعه أبوك فى سجن العفاريت

ولما استقر فيروزشاه عندى وعرف بخبره نهض مع عياره وسار لخلاصه من ذلك

السجن وحتى الساعة لم أعد أعرف عنه أمرا فاما ان يكون خلص مصفر شاه وسارا معا إلى جيوشهما وإما قبض عليه ووضع معه وعلى كل حال أريد منك أن تبعثى بقهرمانتك هند تكشف لنا الخبر علها تسمع من أحد شيئا نقف به على الحقيقة وذلك فى أسواق المدينة لانه لابد من أن يشيع الخبر فى البلد ان كان قد تخلص مصفر شاه أو كان وقع على الآخر أمرا مضرا .

ولما سمعت طوران تخت بسجن مصفر شاه كاد يغمى عليها وبكت وناحت فقالت لها عين الحياة لاتفعلى فما هو إلا باق بقيد الحياة وربما يكون قد فاز بالخلاص وعاد إلى قومه فاصبرى على هواك تكونى لجوجة عديمة الصبر فلا يحلو الوصل إلا بعد القطع ولا تطيب الراحة إلا بعد العناء ودعينا نسأل عما كان من أمرهما ثم انها أمرت هندا أن تسير إلى الأسواق تكتشف الاخبار وتفحص عن خبر جديد فيها فأجابت وخرجت من القصر وسارت فى الطرقات وإذا بها تسمع الناس تتكلم عما كان بالأمس من القتال وكيف أن فيروز شاه قتل فى القوم مقتلة عظيمة ثم اختفى ولم يعد يظهر له أمن فأخذت تستعلم حتى وقفت على الحقيقة وتأكدت أنه لم يظهر أمره بل نجا ولا أحد يعلم كيف ذهب فعادت حالا إلى عين الحياة وأخبرتها بما سمعته فى الاسواق وأنها نظرت جثث المقتولين وقد ملأت المدينة ترفع لتدفن . فسرت عين الحياة بعمله وخلاصه من أعدائه وشكرت الله الذى لم يرمه بأيديهم وتأكد لديها أنه نجا وسار مع عياره إلى معسكره وقالت فى نفسها لابد من أن أعلم عنه شيئا فى هذين اليومين وانت تنتظر فرحا قريبا وكذلك طوران تخت فانها كانت بهم ونكد وعذاب إلا أنها كانت تأمل أنه بعد قليل من الايام ترفع عنها كل هذه الشدائد ويتخلص حبيبها من سجنه .

ولما تمكن فيروز شاه من القيام والقعود غاية التمكين وعادت اليه قوته وشفت جراحه دعا طارقا وقال له أريد منك أن تنجز بوعدك وتاتى لنا بمصفر شاه لكى نعود فى هذا النهار إلى قومنا فانهم لاريب فى كدر زائد من قبلنا . قال لابد من ذلك فى هذا اليوم ثم أمر طارق أبا الخير أن يأتيه بملابس رجال أهل الشام ففعل وجاءه بثلاث البسة فلبس هو واحدة ولبس طارق واحدة ولبس بهروز الثالثة وأخذ كل واحد منهم وعاءا كبيرا من النحاس ووضع فيه الآكل الطيبة والخبز والحلوى ورفع الوعاء على رأسه وساروا جميعا وأقام فيروز شاه بانتظارهم إلى حين عودتهم ولا يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى سجن العفاريت وفى مقدمتهم طارق فطرق الباب ودعا السجان فحضر أمامه وقال ماذا تريدون قالوا نحن تجار من الشام ولنا عدة أشهر فى هذه البلاد وبسبب الحرب لم يمكننا مبارحتها ومن عادتنا فى بلادنا أن نأتى دائما للسجناء

بالأكل زكاة عن أموالنا وأنفسنا ولهذا جئنا الآن بالذى معنا لنقدمه إلى الذين فى هذا السجن . قال هذا لا يمكن قط وهو ممنوع من سيدى الوليد لأن المسجونين هنا هم محرومون من لذات هذه الدنيا فلا يسمح لهم بخلاف الأكل المعين من قبل الوليد قالوا ان هذا عين الظلم فاذا كان الوليد ظالما كن أنت راحما وإذا ساعدت من هم فى المصائب يبعث الله لك من يساعدك إذا وقعت فى مصيبة واننا لا نطلب إلا أمرا لا يكرهه الوليد فافتح الباب وابعث بهذا الأكل إلى المساكين الذين داخله قال إذا عرف الوليد بذلك يقتلنى فاذهبوا إلى غير هذا السجن وهناك يمكنكم مواجهة الذين فيه وان تطعموهم هذه المآكل وليس من مانع فيها . قالوا اننا نعرف ان تلك السجون سهلة واننا إذا أردنا عمل خير نعمله مع من يستحقه فأولئك لهم فى يوم ما يأكلون أشهى من مأكلنا وما أتينا إلى هنا إلا لعلمنا أن الحسنة متوجبة على من فيه فبالله عليك لا تحرمنا منها وإذا شئت على ذلك أجرة دفعنا لك ثم أخذ كل واحد منهم قبضة من الدراهم فدفعها اليه وقال هذا قليل فى حقك ونحن لا نقيم أكثر من ربع ساعة فاغتر بالمال وقال انى أفتح لكم السجن فادعوا المحابيس حالا ليأكلوا وانى أقف فى الخارج أراقب على يأتى أحد فيرانا ومتى أشرت لكم أن تبعدوا فابعدوا قالوا اننا لا ندع أحد يرانا واننا بكل السرعة نبتعد وما صدقوا أن سمعوا هذا الكلام وهم من الفرح فى جانب عظيم . ففتح لهم الباب ووقف ليراقب مصلحته وأمرهم بالسرعة وحالا أنزلوا الأوعية عنهم ووضعوها داخل الباب وقال طارق لبهروز صح بالمحابيس أن يخرجوا فيسمع صوتك مصفر شاه فيأتى حالا فاجابه وصاح هلم أيها المحابيس اخرجوا وكلوا فاتوا وصار يطعم كلا منهم نصيبه ويعود حالا وسمع مصفر شاه صوت بهروز فشعر بالحيلة وعلم أنه جاء لخلاصه وفرح غاية الفرح وخرج إلى الباب وشاهده فتأكده ولما قرب منه دفعه إلى الخارج وأغلق الباب وللوقت انحدر طارق على السجان فضربه بالخنجر أرداه قتيلا ونزع منه مفاتيح السجن فأقفله من الخارج ورمى بالمفاتيح وكان بهروز قد أخذ مبرده وباسرع من لمح البصر قطع قيد مصفر شاه وأطلق له السبيل وعولوا على الرجوع فقال طارق ليس من الصواب أن نسير كلنا بطريق واحد فسر يا بهروز مع أبى الخير فى الطريق التى أتينا منها وانى أسير مع مصفر شاه فى طريق أخرى خفية ونلتقى فى بيت أبى الخير ثم افترقوا وسار كل اثنين من طريق حتى التقوا فى بيت أبى الخير ودخلوا على فيروز شاه فوجدوه بانتظارهم فسلم على مصفر شاه وهنأه بالسلامة وقال له ان طارق الذى كان سبب سجنك هو الذى خلصك قال وأين طارق الآن فاجابه هو أمامك وأشار اليه وكان لم يعرفه قبلا فعزم على قتله وقال لا بد لى من أن انتقم منه الآن وآخذ بثارى شدة ما أوصل إلى من العذاب فمنعه

فيروز شاه وقال له انه الآن صار من عيارينا وأكبر برهان على صدقه سعيه فى خلاصك وقد عاهد أبى على الوفاء . ثم أمر طارقا أن يحكى له كل ما كان من أمره فحكى له وأقاموا على ذلك إلى المساء وعند نصف الليل خرج بهم طارق وانسحب من بين الاسواق وسار بهم إلى الخارج من طريق يعرفها قبلا فلم يرهم أحد ولا زالوا حتى أقبلوا على جيوش الايرانيين فدخلوها وقد اعترضهم الحرس فعرفوه بأنفسهم وتخللوا الخيام إلى أن وقفوا عند صيوان الملك ضاراب وكان ذلك الوقت نائما وقد تفرقت الفرسان من صرف السهرة فدخل عليه ولده وأيقظه من نومه فاستيقظ حالا عند سماعه صوته ونظر اليه ملتهفا وقبله بين عينيه وفى صفحات وجهه علائم الانشراح وقلبه مملوء من الفرح وهو لا يصدق بنجاته وعودته اليه لأنه كان قد وقع فى اليأس وزاد عليه الأمر لاسيما بعد أن طال غياب طارق ولم يأته عنه خبر وفى كل يوم تنمو بقلبه المصائب والأحزان وهو لا يرى وسيلة للوقوف على خبره ودام على مثل ذلك إلى أن انقضت المدنة ورجع إلى الحرب وفى تلك الأثناء وصلت جيوش قيصر مع غفير بلاده تمرتاس الذى كان الوليد بانتظاره فعظمت عليه الأحوال وتراكمت المصائب وحارب نحوا من ثلاثة أيام كما سيأتى بيانه وفى ليل اليوم الثالث جاء ابنه فكانت مسرته أعظم مسرة وأيقن بزوال الهموم واقبال السعادة

ثم ان الملك ضاراب اجلس ابنه وسأله عن حاله فاخبره بما جرى عليه ودعا مصفر شاه ان يدخل فدخل وقبل أيادى الملك فقبله أيضا لأنه كان يحبه وفرح من عمل طارق غاية الفرح وانعم عليه مزيد الانعام وشكره على عمله وقال له بالحقيقة انك أمين على قولك واف بعهدك فسوف ترى منى فوق ما وهبتك لأن مزيد العطاء عند العودة إلى الديار وبعث الملك فى الحال فجدد ليله من أوله ودعا فرسانه وسائر الأعيان والوزراء يبشرهم بقدوم ولده ومصفر شاه فاتوا جميعا وما فيهم إلا من فرح وسر غاية السرور وأمل الخير والنجاح ولاسيما بهزاد فانه فرح كل الفرح بخلاص سيده فسلم عليه سلاما وافيا وقال لطارق ما ضاعت فيك الصنيعة فانت صادق فى قولك وانتشر خبر وصول فيروز شاه فى كل العساكر فهبوا من مراقدهم وهم فرحون مسرورون يعدون أنفسهم بالنصر والظفر على أعدائهم لأنه ما دام بينهم يتوفقون ويقهرون العدو وإذا غاب عنهم يتأخرون ويتوقف توفيقهم فكان سعدهم قائما به ذلك اليوم من أبهج الأعياد وصارت تردا قواد كبارا وصغارا كل بدوره فيقبلون يديه ويسلمون عليه وعلى مصفر شاه فيترحب بهم ويثنى عليهم وأقام كل على تلك الحالة وهو مسرور الفؤاد برجوعه إلى أبيه وخلاصه من جراحه وقد أعاد على أبيه حديثه

وكان متكدرا بعض الكدر من عمل الوليد واتيان تمرتاس بهلوان قيصر الذى استنصره الوليد وقد تبين له من خلال المستقبل أن الحرب تطول معهم إلى أن يلحق شرارها أقاصى الارض وكما لحقت بمصر لحقت ببلاد الروما ن وربما تصلت أيضا إلى ما وراء تلك البلاد ولهذا كان قلبه يشعر بصعوبات وشدائد تكاد ترميه باليأس لولا شدة أمله الغريب ورجائه بمساعدة العناية واتكاله على قوته وشدة بأسه وعاد ينتظر وقوع الحرب ليعود إلى ما اعتاد عليه من البطش والفتك بالاعداء والانتقام منهم

قال فهذا ما كان من فيروز شاه وأما ما كان من أمر الحارس غفير سجن العفاريت فانه بقى ملقى على الارض مائتا نحوا من خمس ساعات دون أن يراه أحد أو يمر عليه أحد ولما تنصف النهار جاء ولده يفتقده وينظر ما بقى عنده من الطعام الذى كان يجمعه من فضلات المسجونين فلما قرب من السجن وجده قتيلا فصاح وناح وبكى عليه وعاد فى الحال إلى والدته فنعاه لها فهرولت تنوح وتصيح وقد تبعها الناس وعرفوا بقتل زوجها وبلغ الخبر ضابطة البلد فاسرعوا يكتشفون الخبر ولما قربوا منه وشاهدوه قتيلا تحققوا الخبر ونظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا وقد ارتبكوا فى أمرهم وتاقوا إلى معرفة القاتل فلم يقدروا وعالجوا الباب فلم يمكن فتحه وقد فتشوا المقتول فلم يروا فى جيبه سوى الدنانير الذى أخذها من طارق وبهروز فحملوها وعادوا مسرعين إلى الوليد وكان الوقت إذ ذاك عند الغروب وعرضوا عليه ما رأوه وقالوا له أخيرا لا ريب أن الاعداء قد احتالوا على السجان فقتلوه والبرهان أن هذا الذهب الذى فى جيبه هو منهم وقد قبضه لقضاء حيلتهم وبعد ذلك قتلوه انما لا نعلم هل توصلوا إلى نوال مرادهم أو حبطت مساعيهم فغضب الوليد غاية الغضب وقلبت الدنيا فى عينيه ظلاما وأيقن أن مصفر شاه قد فاز بالخلاص فقال لهم وهل لم يمكنكم أن تدخلوا إلى الداخل قالوا كلا يا سيدى وقد عالجنا الباب كثيرا فلم نقدر على فتحه ولا يمكننا قلعه لانه متين جدا ولهذا لم يتيسر لنا أن نعرف شيئا عن الداخل فقال لهم سيروا بالحدادين وأصحاب الحرف وانقبوا الباب أو اكسروه وانظروا ان كان مصفر شاه فاز بالخلاص أو لا يزال أسيرا وتأتى بالخبرة انما فى نصف مدينتنا لا نقدر أن نحافظ على أسير واحد من الاعداء فنمنعهم عن الوصول اليه . فاسرع الشرطة لانفاذ أمر الوليد وأحضروا جماعة كثيرة من الحدادين يصرفوا الليل بطوله إلى أن فتحوا بالباب الفتة وعند الصباح دخلوا إلى الداخل فشاهدوا فضلات الطعام والاوعية فاستفسروا من المسجونين فحكوا لهم أن ثلاثة رجال جاؤهم بالطعام وفى الحال خرج اليهم مصفر شاه وتقدم الباب وتبروه فيها بعد فعلموا سر الحيلة وعادوا إلى الوليد فعرضوا عليه كل ما

سمعوه فنما غيظه وقال لقد لقى هذا الخائن جزاءه فارموه إلى الكلاب وتحقق قوة الايرانيين على نوال مرادهم وقال لابد لى من ارجاع مصفرشاه وغيره من فرسان الفرس إلى الذل والأسر بعناية تمرتاس الرومانى وكان هذا حاضرا فوعده بكل جميل وقال له لا تأسف على فوات أسير من يديك ولابد من أن يصبحوا بأجمعهم أسرى وقتلى وفى الغد إن شاء الله ترى ما يسرك حيث لم يكن فى هـذا النهار حرب

وكان قد تقدم معنا أن الوليد كتب إلى الملك قيصر ملك الرومان وسلطان النصارى وهو ملك عظيم السلطان نافذ الكلمة كثير الأعوان ينقاد إليه كثير من الممالك الصغيرة البعيدة والقريبة كعابد بن مسروق صاحب الشام وسيف الدولة صاحب ملاطية وغيرهما وكان أكثر أصحاب هذه الممالك قد استنصرهم الوليد فحضروا اليه كراماله الى أن استنصر أخيراً الملك الأكبر ولما وصلت اليه كتابته وعرف مافعل الايرانيون فى بلاده تكدر مزيد الكدر وكانت الصداقه متينة العرى بينهما فقال لابد لى من مساعدته وكبح أعدائه وفى الحال أمر بأن تستعد العساكر للمسير ودعا اليه تمرتاس بهلوان تخته وكان عنده اثنان من الفرسان الصناديد والأبطال الأماجيد يقال لأحدهما تمرتاش وللآخر تمرتاس كل واحد منهما يلاقى جيشا وحده وقد اشتهرا فى بلاد الرومان حتى لم يكن أحد يقدر على الوقوف أمامهما وكان تمرتاس هذا طويل القامة إذا ركب الجواد تلحق رجلاه الأرض وإذا ضم رجليه على وسطه يقطعه ويلقيه إلى الأرض فلا يطيق الحراك وكان وزن عمده نحو قنطار وأكثر ولما وقف بين يدى قيصر قال له أريد منك أن تذهب من هنا إلى مصر بمائتى ألف فارس من فرسان الرومان لمحاربة الايرانيين فيها فان الوليد بعث يطلبك للمحاماة عنه وتقهر عدوا له اسمه فيروزشاه يقولون انه من أفرس فرسان هذا الزمان فقال له سمعا وطاعة وسوف يبلغك عنى ما أفعل لك بفرسان الفرس وبهذا الذى تقول عنه فيروزشاه وسآتيك برأسه معى نفتخر به فمن يكون هذا ومن تكون فرسان الفرس لتقف أمام خدمك تمرتاس فمدحه قيصر على قوله وأخذ قلما فكتب الى الوليد كتابا يقول فيه

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

من قيصر الرومانى ملك الرومان وسلطان بلاد العجم وأوروبا والافرنج الى الوليد ملك مصر صديق الأمين وصاحبى الوفى

كنت أترقب على جوانح الاستعجال وصول خبر الحرب الواقعة بينكم وبين ملك الفرس طلبا الاطمئنان عليكم وكان لا يخطر قط فى فكرى ولا يمر فى بالى أن من هو مثل الملك ضاراب يقدر أن يتغلب عليكم وعلى بلادكم حتى تلتجئوا وتودكم تستشير

جنودى إلى مساعدتكم فالمنى ذلك وكاد يغمى على لهذا الخبر ودهشت من عظم وصفكم لفرسانه وتمنيت أن أكون حاضرا هذه الحرب لأفرج عنكم وأزيح الضيم الواصل إليكم ولما كنت عارف حق المعرفة أن تمرتاس من أعظم فرسان هذا الزمان وأشدهم بسالة وهو وحده قادر على كبح عموم أبطال الفرس لذلك لم أر من اللازم أن أبعثه بأخيه تمرتاش إذ لا يحتاج الأمر إلى الاثنين وقد عقدت له على مائتى ألف فارس

انتهى الجزء الرابع عشر ويليه الجزء الخامس عشر

الجزء الخامس عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

مغوار وصار من المؤكد من الآن وصاعدا فوزك على يد هذا الجبار العظيم فاشكر الله سلفا على ما سينعم به عليك من النصر والظفر الذين انت بانتظارهما وابدى لك اخيرا انى سررت جدا باستنصارك بي وذلك يبرهن لى على ثقتكم وحبكم وها ان بلادى باجمعها بين يديكم وابوابها مفتوحة لدخولكم اى وقت شئتم كما ان جيوشى رهينة لاماكم والسلام ختام

وبعد ان طوى الكتاب ختمه بختمه ودفعه الى تمرتاس وفى الحال ركب هذا ورفع فوق رأسه راية رومانية وضربت بين يديه الموسيقات وخرج من المدينة بعد أن ودع الملك قيصر وهو يعده بالخير والظفر ونزل البحر الى الاسكندرية ومنها سار والجيوش بين يديه معتز بها إلى أن وصل إلى بلاد مصر وكاد يقرب من العاصمة فأرسل رسولا إلى الوليد يعلمه بقدومه فسر سرورا لامزيد عليه وقال قد جاء النصر وقرب الفرج فهذا الوقت الذى أنا بانتظاره وأمر أن يذهب وزيره بيدانديش إلى ملاقاته ويترحب به غاية الترحيب والاكرام وكذلك الشاه سرور أمر وزيره طيفور أن يرافق بيدانديش لملاقاة تمرتاس بالنيابة عنه فخرج الاثنان وسارا عدة أميال ومعهما الموسيقات تعزف بأصوات الهناء والجيوش رافعة أعلام المسرة ولما قرب القومان من بعضهما ترجلا وسلما على بعضهما البعض والتقى تمرتاس بالوزير فصافحه أحب مصافحة ولاقاه أحب ملاقاة وبلغه أشواق الوليد لوصوله وانه بالانتظار وكذلك طيفور قدم بلاغ سيده ورجع الجميع لنحو جيوش مصر وطيفور ينظر إلى تمرتاس ويتعجب من عظم خلقته وهول منظره وطول قامته ولازالوا حتى وصلوا إلى المعسكر وهناك التقوا بالوليد والشاه سرور وبقية الأعيان والفرسان فسلموا على بعضهم البعض ودخلوا صيوان الوليد وقد أمر أن تضرب العساكر الرومانية سرادقها بالقرب من معسكره وان تقدم لها العلوفات كغيرها من الجيوش المتجمعة وزاد فى اكرام تمرتاس وترحب به جدا وقدم له الشراب وسأله عن سيده فبلغه سلامه ودفع اليه كتابه فتناوله منه ودفعه لوزيره فقرأه عليه وقد سر به وبمودة قيصر الملك الاكبر وشكره على معروفه واهتمامه بالحب الذى بينهما ودارت البشائر فى الجيش وعلت منه أصوات الافراح ونادوا بالبشائر والاقبال . وكانت الهدنة اوشكت أن تنقضى ومضت الايام

المضروبة وكان فرح المصريين عظيما بقدر حزن الايرانيين لأن الملك ضاراب كان كما تقدم حزينا جدا على غياب ولده وبعده عنه كل هذه المدة دون أن يعرف عنه خبرا وقد ذهب طارق ولم يرجع اليه وكان جميع جيشه مثله فى الحزن والكدر إلى أن نظروا جيوش مصر فى فرح واستبشار وشاهدوا عساكر الرومان وقدأقبلت عن بعد وانضمت اليهم فعلم أنها نجدة عظيمة وفدت عليهم سروا بها وفرحوا لها كل هذا الفرح وأمر شبرنك أن يكشف له الخبر فسار واختلط بين الرومان وكان لاأحد منهم يعرفه وأخذ يسأل منهم عن سبب مجيئهم ومن عليهم من الفرسان فحكوا له عن طلب الوليد من ملكهم النجدة والاستغاثة فأجابه فى الحال وبعث له بتمرتاس أخى تمرتاش ووصفوه له أعظم وصف وحكوا له عن عظم خلقته فصبر إلى الليل الى أن يراه واذا به قد عاد إلى جيشه فتعجب منه وتأكد أنه من الابطال الأشداء وبعد أن وقف على حقيقة الخبر عاد إلى سيدة فشرحه له وحكى كل ما سمعه ووصف له تمرتاس وما شاهد فيه من الهيبة ودلائل الشجاعة فتكدر الملك ضاراب من هذا الخبر غاية الكدر وزاد همه وقال انى وان كنت أعرف وأسمع أن هذا الفارس هو من الطبقة الأولى بين فرسان هذا الزمان وانه ستتعب منه فرساننا وأبطالنا إلا أنى أرجح خذلانه وكيده فاما أن يرجع لسيده مهزوما واما يقتل ويحرم ملك الروم منه وبسببه تتصل العداوة بيننا وبين قيصر فلا تنتهى من حرب المصريين إلا ونبتدىء معه فى قتال أعظم . قال طيطلوس ان ما قدره الله علينا سيجرى وان حياتنا لا تكون ردية العقبى وإن كانت كثيرة الصعوبات إنما ينبغى أن تلاقى المصائب بصبر جميل وقبول حسن فما عين الحياة إلا سبيل مرسل من قبل الله لنشر هيبتنا على ممالك كثيرة كبيرة من ممالك هذا العالم ويكون لنا بأعمالنا حديث عظيم يذكر جيلا بعد جيل ولما فرغ طيطلوس من كلامه قال الملك ضاراب لا شىء أهم لدى الآن إلا الوقوف على حالة ولدى وأين هو وهل هو فى قيد الحياة أو أحرمتنى إياه الحوادث وأطلب من الله أن يأتينى عنه خبر يطمئن لأجله فكرى فانى فى قلق واضطراب لأجله ولولا غيابه لما كان يقلقنى مجىء تمرتاس ولا هذا الجيش الى مساعدة المصريين ولا سيما إذا كان هو بين عساكرى يقاتل ويناضل لأنى مؤكد أن قوة كل جندى من جنود فارس تعادل قوة عشرة من الاعداء إذا لم أقل اكثر وذلك لعلمى أن عموم الجيش يحبه ويرغب أن يبيع حياته لأجله وفى خدمته . وفى تلك الساعة نهض مهزاد وقال للملك ضاراب أرجوك ياسيدى أن تكرم على بمنة واحدة أريدها منك وأسألك فيها . قال اطلب فانى أعدك بالايجاب إلى كل ما تطلب . قال أريد أن تسمح لى وحدى بمقاتلة تمرتاس وتعدنى أنك لا تترك أحدا غيرى يبارزه لأنى أريد أن

أعرفه بنفسه قيمة الفرسان . وهذا الطلب كان مختص فيما مضى بأبي وأريد الآن بعد فقدانه أن يكون لي بالارث . قال الملك إني أجبتك إلى طلبك ولا ريب أنك أنت الآن مقدم على جميع فرساني وأبطالي وفيك الكفاءة لان تقوم مقام أبيك أثناء قيام هذه الحرب . فشكره بهزاد على قوله وبات ينتظر انتشاب الحرب ليقع بينهما القتال وهو أنه إذا بارز تمرتاس يهلكه ويميته

وأقام القوم إلى ثاني الأيام فلم يكن حرب ولا قتال وفي اليوم الثالث من وصول عساكر الروم وهو اليوم الأول بعد انقضاء المدة بكر الوليد إلى صيوانه وجلس في مكانه واجتمع من حوله الوزراء والاعيان وإذذاك أمر وزيره أن يبعث بكتاب إلى الملك ضاراب يعلن له فيه إشهار الحرب وأن المدة قد انقضت ولم يبق من هدنة ويتهدده بقدوم ما ورد عليه من النجدات . فأخذ الوزير قرطاسا وكتب ما يأتي

من الوليد حاكم مصر وضواحيها إلى الملك ضاراب الفارسي ابن الملك بهمن

بعد ذكر الله والاتكال عليه أقول أنه مضى الشهر المضروب بيننا أجلا للهدنة ورفع القتال وقد أخذ كل من عساكري وعساكرك الراحة لنفسه ودفن أجسام المقتولين ولم يبق مانع يمنع رجوعنا إلى القتال ولذلك كي لا تنسب إلى الظلم والغدر بعثت أنذرك أنه في نهار اليوم القادم يكون يوم حرب وقتال إنما إذا شئت أن ترحل عن بلادي وتسهل بيننا أسباب السلم والأمان أترك عنك القتال وأعفو عن ثقله ولا يخطر لك في وهمك أنك عدت من الآن وصاعدا تفوز في حربنا لان عساكرنا كثيرة المقدار . والمدد لا يزال يتوارد علينا جيشا بعد جيش وعسكرا بعد عسكر ولا سيما ان الملك الروماني ملك بلاد نمسا وسيد الرومان وحاكم النصارى قد بعث إلى بفارس بلاده وحاميها وبهلوان تخته وهو الأمير تمرتاس ولا ريب أنه يكون قد بلغك طرفا من شجاعته واقدامه وإن كان لم يبلغك فاني أصفه لك الآن لتعلم أنك إذا طمعت فيما بعد في حرب تغلب لامحالة فهو بطل لم تر عيني أعظم منه هيبة ووقار ولا أطول قامة وأوسع صدرا وأعرض أكتافا فلو فتشت في جميع عساكرك لما وجد من يقدر أن يلقاه في ساحة النزال وسوف ترى بعينيك ما تسمعه مني الآن إذا حركت الجهل إلى القتال وإني ناصح لك لولدك فيروزشاه أن يحقن دمه ويمتنع عن عين الحياة ويرجع عن غيه وقد تعهد لي أنه إذا رآه في القتال لابد من أن يعدمه الحياة واعلم يقينا أنه قادر على كل ما يقول لأن ابنك لا يقاس جسمه بضخامة يده ولا رقبته بأصبعه ولا هو من رجاله وها أنا قد أنذرتك فاحذر لنفسك واختر لها طرق السلام .

ثم دفع الكتاب إلى بدرقتات فأخذه وسار إلى أن وقف بين يدي الملك ضاراب

فدفعه اليه فقرأه إلى آخره وتعجب من كلام الوليد وكان أكثر عجبه من قوله ناصح لك ولولدك فيروزشاه وترجح عنده أن ولده ليس فى قبضة الوليد إنما لم يخرج من المدينة وربما هو باق عند عين الحياة إلا أن هذا الأمل كان ضعيفا عنده لأنه كان يخطر فى فكره انه غير ممكن أن يقيم كل هذه المدة عندها وهو يعلم انشغال بال أبيه عليه ولا سيما وإن عين الحياة ليست فى قصرها الخاص وليست هى وحدها بل أشبه بأسيرة عند طوران تخت ولا يمكن أن يقيم عندها كل هذه المدة إلا بارادتها واطلاعها وبعد أن قرأ الملك ضاراب التحرير اجابه أنه إن كان يفتخر بالرومان فانهم سيلاقون الهلاك والوبال وأما تمرتاس فما هو ممن يقف فى وجه رجال إيران ودفع التحرير إلى بدر فتات فأخذه منه وقبل يده بعد أن أخبره بكل ما تلزمه معرفته وأكد له أن طارقا مطلق الحرية وانه مختف فى المدينة يفتش على ولده إنما لا يعرف فى أى جهة هو لأن المدينة كبيرة واسعة ولم تساعده خدمته للوزير أن يعرف شيئا عنه. ولما دخل على الوليد أعرض عليه كتاب الملك ضاراب . فعرف أنه مصر على الحرب وأنه لا يهاب كثرة الفرسان ولا يخاف من شجاعة الابطال إذ لا يحسب للدهر حسابا وبات القومان على نية القتال ينتظران اقبال الصباح

وأما الشاه سرور ووزيره طيفور فانهما اجتمعا الى بعضهما تلك الليلة وهنا الآخر الاول وقال بشرك فهذا الأمر قد سهل وتدبر وقرب انقضاض المصائب ولم يعد من مكدر فعما قليل يتفرق هذا الجيش ويقتل فيروزشاه ويمكننا أن نعود الى بلادنا . فتنهد الشاه سرور من عظم الألم وقال له لا تزال تعلق نفسك بالمحال وتعدها بالآمال الباطلة أتظن أن تمرتاس يقدر على قهر فيروزشاه والايقاع به وهل يخطر ببالك أن الدهر يعاندهم ويصفو لنا ونحن نرى من عناده فى كل يوم ما يحملنا على قطع الرجاء والأمل . فأظهر الوزير تعجبه وقال له وأنت لا تزال والاوهام تلقيك باليأس فما أنت ممن يقف بعزم ثابت فى صدر الحوادث ولا ريب أن أقل شيء يضعف عزمك ويرميك فى اليأس . فكيف لا نرجح الفوز ونأمل الظفر وقد نظرت بعينيك ما هو عليه تمرتاس من الاقدام والاهانة ولولم يكن أشد شجاعة من فيروزشاه لما كان متقدما فى بلاد قيصر على ملايين من الفرسان مع ان فى عظم جثته برهان كاف لاقناعك وتطمين افكارك . قال ان ما طرأ على من الحوادث وما لحق بى من الاغلاط ما ضعف لى عزمى إنما اوضح لى بجلاء كنه تلك الحوادث وما لا يخدمنها حتى صرت لا أوخذ بعظم الاشياء وانى قلت ولا ازال اقول ان لا فارس بين فرسان هذا الزمان يقف بين يدى فيروزشاه ولولا اصرارى على عزمى وبغضى له الذى اوجده فى باعماله ومغايراته لكنت الآن من اقرب الناس اليه واحبهم منه

ومهما كان تمرتاس من الابطال الاشداء لايحسب بشيء عند طومار ملك لزنوج الذي كما تكفل النصر بوجوده وهل غابت عن ذهنك مفاعيل تلك الضربة التي قمت عليه من فيروزشاه وان كنت أنت نسيتها فاني لاأنساها قط واني مشخص في أذهاني على الدوام عظمها وكيفيتها . فاجابه طيهور وأين طومار من تمرتاس وهل يبرهن عندك أن فيروزشاه يدوم على حالته وتدوم له السعادة والاقبال مع أنك شاهدت بعينيك ما لحق به من المصائب وكيف أن المصائب تقلبت عليه أشكالا فاسر مرارا وأهين وأقيد للقتل وحيث لم يأت وقته بعد نجا في تلك الايام من غوائل ماوقع عليه إماليس في كل مرة تسلم الجرة فلابد من أن تنتهي أيامه وذلك لتهوره إلى حد المخاطرة الجنونية التي لايمكن أن تخدمه عليها السعادة في كل الاوقات وأخيرا أقول لك ان الحقيقة ستجلي لك في الغد أو مابعده فتعرف من يكون الرابح ومن الخاسر .

وفي صباح اليوم الثاني نهض القومان على نية القتال فاسرعوا إلى خيلهم فاسرجوها ثم ألجموها وتسلحوا باسلحتهم واعتلوا ظهورها وتقدموا واصطفوا صفوفا رافعين الرايات والاعلام بهم باحسن ترتيب وأرتب نظام وكل فارس تسلم قيادة فرقته وخطب عليها موعزا اليها وجوب الثبات وإظهار الشجاعة وكان بهزاد على عساكر طهران وهو يعد نفسه أنه إذا طلب اليه تمرتاس البراز لا ينزل اليه أحد غيره ولا ريب أنه يقتله أو يأخذه أسيرا فينال المنزلة الرفيعة في قلوب الفرسان ويبعد صيته ويكون له ما كان لأبيه من الشهرة عند ملوك الزمان وبين المشهورين من الفرسان فيقال انه قتل تمرتاس . وما التقت العين على العين . وانتهى نظام الفريقين . إلا حملا على بعضهما وقد أطلقا الأعنة وقوما الأسنة . وارتفع الصياح . من كل ناح . وبطل القيل والقال وكثر البكاء والعويل . واختلط القبيح بالجميل . والصحيح القلب بالعليل وراج سوق المحاق . ونعقت النفوس أي نفاق ولعب السيف القرضاب . في محكم الرقاب . وكان ذلك اليوم يوما عظيما . وذلك القتال قتالا جسيما . وقامت القيامة ودخنت الساعة . وسادت الكرياء وانقرضت الوداعة . وفاخر كل فارس بقوته واعتز كل بطل بسطوته واخترق تمرتاس صفوف الايرانيين ففعل فيها فعل أبطال الرجال . ورماها باسوء حال . لأنه كان سريع الجري أثناء القتال . خفيف الضرب والطعان . لايأخذه تعب ولا توان . وبالاختصار فانه كان من أشداء فرسان ذلك الزمان وكان يعلم أن المصريين متكلين عليه . وأن الرومان مسلمون أمرهم اليه . وأنهم يركنون أن النصر تحت يديه . ولذلك رغب في أن يري كلا منهم ما أعطاه من القوة والاقتدار والرفعة في الحرب والافتخار . فقاتل وناضل بكل جهده . وأظهر في فنون الحرب ماعنده حتى أبهر النواظر وحير الخواطر وفعل أعظم من هذه الأعمال بهزاد الأسد

الرئبال فانه قصد الرومان بعزم لم يكن له من ثان وفتك فيهم فتك الاسود بأضعف الخرفان وأنزل عليه القضاء بأشكال وألوان وصبغ وجهه بالمذلة إلى آخر الزمان وألبسه أثواب العار والهوان لانه فرقه أى تفريق وضيع كل فارس منه بطريق حتى أمسى المساء وقد اشتفى فؤاده ونال بعض مايبتغيه وفى الحال حضرت طبول الانفصال ورجع القومان عن الحرب والقتال وهما يسكبان لشدة آلام التعب صيب الدموع ولا يصدقان بالعود والرجوع ورجع تمرتاس مسرورا بعمله فارحا بدخوله بين الأعداء حتى انتهى إلى عند قومه فوجدهم على غير انتظام وهم يلفون من عشرة وعشرين عداعن الذين أصبحوا مجرحين ومقتولين وقد فرشت منهم الارض وتدفقت من أدميتهم فوقها الدماء فلعب الغضب به وسأل كيف لحقت بهم هذه الحال ومن فعل بهم تلك الفعال فقالوا فارسا من إيران حمل بقومه علينا وهم دوننا فى العدد إلا أنه كان كالنار السريعة الالتهاب إذا فعلت بأدق الاخشاب وقصدنا أن نقف فى وجهه فما قدرنا لأن ضرباته كانت كالصواعق المنحدرة ولا تذهب ضربته بأقل من تسعة أو عشرة ولو عمدنا على الثبات ولم نلتجئ إلى الهرب والشتات لأنزل بنا الممات وحملنا أثقل الشدات قال انى لم أر هذا الفارس وأظن أنه فيروزشاه أو بهزاد اللذين وصفوهما لنا ولأجلهما دخلت بين عساكر إيران أملا أن التقى بالاثنين معا فانزل بهما الهلاك لأنى أؤكد لو طلبتهما للبراز لا يجسران عليه ولا ينزلان إلى وهكذا صار لانى لم أصدق أحدا منهما بل هرب كل منهما فى ناح وقد جاء واحد اليكم مغتنما فرصة بعادى عنكم وأما الآن فانى عزمت أن لا أبعد فيما بعد عن معسكرى خوفا من أن يقع بكم المحاق ولا بد أن يقصدكم فى الغد هذا الفارس فألتقى به وأجازيه على أفعاله .

وأما جيش مصر فقد لحق به بعض الفناء وهلك منه كثيرون حتى لم يعرفوا ماذا يفعلون أو أى طريق يسلكون وفى المساء عقد الوليد مجلسا وقال ان هذه الحرب ستكون علينا وبالا فمن الموافق ان ننضم كلنا ضمة واحدة ويكون فارسها تمرتاس وينحصر القتال به لأنى قد شاهدته فى هذا النهار وهو بين الأعداء يفعل أفعال الأبطال وقد التهى عن حمايتنا ثم دعاه اليه وعرض عليه هذه الحال .

فقال له لا بأس فما من حاجة إلى شىء فانى سأريك ما أفعل فى الغد أو ما بعده فى الاعداء ولو أنى أعرف ان فرسانهم تبرز إلى فى الميدان أو تلقانى فى قتال لطلبتهم فى نفس هذا النهار إنما لا بد لى من أن ألحق بهم المذلة والعار وأهلكهم عن آخرهم وكان قصدى فيروزشاه ففر من وجهى ولم أره قط إنما أينما سار وأى جهة قصد لا بد أن التقى به فأقتله وأعدمه الحياة وان كان فى النهار قد وقع بنا التأخير وقتل منا

جيوشنا جانب فمثل ذلك وقع على الايرانيين ولاريب انه إذا أصابهم يومان أو ثلاثة أيام مثل هذا اليوم يفقدون قوة الثبات إذ أن الجيش الذى يهلك منهم لا سبيل إلى الاتيان بعوضه إنما الخلل الذى يقع فينا فطرق سده واسعة عندنا . فاطمأنوا بكلامه وارتاحوا إلى مواعيده على أمل انهم يكونون تحت حمايته

وأما الملك ضاراب فانه بعد عودته إلى صيوانه اجتمع اليه جميع وزرائه وأعيانه وحكوا عن واقعة النهار وقدم كل قائد عدد ما وقع فى جيشه من النقص والخلل فكان عظيما ولذلك تكدر وقال انى كنت لا أظن أنه يفقد فارس فارسى إلا بعد أن يفقد خمسون من أعدائه لأن دمنا غال لا يباع بابخس الأثمان ولذلك أريد منكم أن تكونوا على انتباه لأنى وان كنت عالما بما وقع فى جيش المصريين والرومان فى هذا النهار من التأخير وكثر القتل انما هذا لا يحسب نصر إلا إذا حافظنا على دماء أبطالنا وحميناها من أعدائنا وأوقعنا بهم ولا أريد أن أرجع إلى بلادى إلا برجالى أجمعهم ان أمكننى فوعده الجميع بالانتباه وقال له طيطلوس انما كان فى هذا النهار كان من تمرتاس ولذلك من الواجب إذا دار القتال أن يترقبه أحدنا فيحاوله كل النهار فاما ان يقتله واما ان يمنع شره عن العساكر وبذلك تسود فرساننا ويكفل النصر لنا فاستصوب الجميع رأيه وقال له بهزاد انى قصدت ان التقى به فى هذا النهار فلم يمكنى وقد قصدت جيش الرومان وما رجعت عنه إلا بعد أن فرط انتظامه وتشتت شمله وكان غائب عنه وهو فى أمان من أن أحد من فرساننا يقدر أن يحتله إنما فى الغد لابد لى من أن أترقبه كل الترقيب وأين التقيت به لابد من أن أذيقه الهلاك والوبال إن شاء الله

وبات القومان على نية العود إلى القتال فى صباح اليوم المتعقب وناموا يتحارثون تحت مشيئة الرحمن . ولما كان الصباح هبوا من مراقدهم واعتلوا على ظهور خيولهم وخرجوا من بين الخيام وتقدموا إلى الأمام وبأقل من ساعة حمل القوم . وكثر العتب واللوم . ودارت رحا الحرب . واختلف الطعن والضرب . والشتم والسب وحميت تلك النار . وانبعث منها الشرار . ودار دولاب المنايا . وقدمت الارواح ضحايا . وكثرت الزعقات . من كل الجهات . والتقى تمرتاس بهزاد . وأخذوا فى الجولان والطراد . فتضاربا بالعمدان حتى كلت منهما اليدان . وخدر الساعدان فالقياها إلى الشناكل وعمدا إلى السيوف . لعلمهما أنها أقرب إلى أنزل الحتوف . فتقاتلا بهـا قتال الأسود الكواسر . وتناضلا بابواب أعظم فنون البواتر . فكانا ككفتى ميزان أو بيضتى قبان . لا ينال أحدهما من الآخر مرار ولا أشفى له فؤادا وداما على هذا المنوال إلى قرب الزوال فرجع القومان عند استماع نفير الانفصال .

يعلن اقبال الظلام . ويأمر بالرجوع إلى الخيام . وبعد أن افترقوا راح كل إلى ناحية مضربه وقد كان ذلك اليوم أشد من الأول قتل به كثيرا من الفريقين واما تمرتاس وبهزاد . فانهما افترقا دون نوال مراد . وكل منهما مقهور فى نفسه على فوات خصمه وكيف انه مضى ذلك النهار دون أن يقضى عليه أو ينهى الحال

ورجع الملك ضاراب إلى خيامه وهو زائد القلق والارتباك لأنه نظر إلى تلك الحرب وهى دائرة بين الفريقين ونظر إلى الفرسان وهى تصول وتجول فتذكر ولده وكيف انه فى مثل هذه القتال كان ينخطف كالسهم الطيار من جهة إلى ثانية وكيف انه أينما حل تنهزم الفرسان من بين يديه وقال فى نفسه لوكان ابنى هذا اليوم فى هذا القتال لكنت أنظره مقدما على الجميع وكنت أكفل النصر لعموم عساكرى وربما كان قضى الحال وانتهى على أتم منوال وقتل تمرتاس وأخذ هذا الفكر يقوى فيه حتى زاد عن حد القياس ونمى اضطرابه كلما تقدم النهار فى الزوال . وعند رجوعه إلى الخيام لم يهدأ له بال بل تبلبل بلباله وعظم ارتباكه ولاحظ الوزراء منه ذلك فاجتمعوا اليه وجعلوا يطيبون بخاطره وكذلك اجتمع الفرسان عموما ونظروا حالة الملك على ولده فما منهم الا من تأثر وحزن على عذاب الملك بنيران بعاد ابنه ودار بينهم الحديث بشأنه فكان البعض يفرض انه قتل فى قتاله فى الأسواق وانه اختلط بين الأموات ودفن دون أن يراه أحد والبعض يزعم أنه عند عين الحياة وقد أصابه بعد دخوله اليها مرض أو أمر آخر منعه عن الرجوع والبعض يقول انه فى هناء وراحة انما أسباب فوق العادة تحول دون عوده والكل يتعجبون أيضا من غياب طارق العيار وفيما هم على مثل ذلك الحال واذا بطارق وفيروزشاه وبهروز العيار ومصغرشاه قد وصلوا ودخلوا وجرى ماجرى كما تقدم معنا الكلام . وفرح الجمع به وأملوا قرب النصر وكسر الأعداء

قال وكان الولد تلك الليلة قد لام تمرتاس على عدم مبارزة الايرانيين وقال له ان أهل ايران كلهم فرسان فاذا شغلت أنت بواحد فعل الباقون بنا أفعال الجان انما ليس فينا من يعمل لان ليس عندنا سواك وفى هذا اليوم قد نقص جانب عظيم من العسكر حتى صرنا نخشى الانهزام . قال انى فى أبرز وأطيب نزال القوم فمن نزل إلى قتلته فاصطادهم واحد بعد واحد وهذا ينفعنا لأن المطاولة تمكنا من الاتيان بالفرق وجمع الجند وتمكن الحبش عن الراحة وان لم يبرز الى أحد اختشاء من الموت أحمل وحدى على جهة قصدتها أوقع بهم فاذا لم تحملوا لا أظن أن جموعهم تحمل ولذلك يكون تحت الراحون وصبروا إلى أن كان القتال فى قادم الايام فخرجت الجيوش الى الميدان وتقدمت من اليمين والشمال وتهيئت للهجوم كالعادة وكان

فيروز شاه قد ركب جواده الكمين وتقدم فى جيوش الزنوج وإلى جانبه ميمون . وفى الحال سقط تمرتاس وهو كالبرج المشيد فوق جواد عال من خيول الافرنج ثخين القوائم متينها قصير الرقبة كبير الرأس ذيله يكاد يبلغ الأرض إلا انه كان شديد الحيل قويا جدا وفى يده سيف عريض من عمل الرومان القدماء متوارثة أبا عن جد وهو مغموس بالجواهر وفى سرج جواده عمده الحديدى معلق من وسطه ملقى عليه يحمل من ثقله ودرعه سميك إلا انه قصير من عند رقبته اعتزازا بنفسه وافتخارا بمعرفته فنون القتال ولما صار فى الوسط صال وجال ولعب بالعمد ألوانا باشكال . ثم وقف فى وسط المجال وطلب البراز ونادى فى طوائف الفرس أن تخرج عليه فرسانها وتسرع اليه كماتها وأبطالها وما انتهى من كلامه إلا صار بهزاد أمامه وفاجئه مفاجئة جبار وصدمه صدمة تحير الافكار وأخذ معه فى الجولان . والحرب والطعان بعد أن عرفه بنفسه أنه بهزاد ابن فيلزور الفارس المشهور وارتفع فوقهما الغبار . حتى كاد يحجبهما عن الأبصار وقدحت حوافر الخيل شرار النار . وأوسعا فى المجال . وانتقلا من اليمين إلى الشمال وكانت الفرسان تنظر اليهما بالعيان . وهى شاخصة ترى ما يفعل الاثنان . وعلى أى شيء ينتهى حالها . وبما ينفصل قتالها . وأما فيروز شاه فانه تقدم إلى الامام خوفا على بهزاد من الغدر والخيانة لأنه احتمى بمعرفته خصمه تمرتاس وقاس بحكمته معرفته بفنون الحرب فوجده على جانب عظيم وتأكده من الأبطال الغير الذين أبعد صيتهم الزمان . وخصهم بالشجاعة وعلو الشان وميزهم على سواهم من الفرسان . هذا والقتال منعقد بين الاثنين . وهما كاسدين زائرين . وبطلين مغوارين . تارة يتقاتلان بالعمدان حتى تتخدر منهما اليدان . ثم يعمدان إلى السيف اليمانى فيتضاربان به أشد مضاربه ويتحاربان به أشد محاربة . حتى زاد بهما القلق . وسبح من تحتهما العرق ونظر تمرتاس إلى بهزاد . فوجده من الفرسان الشداد . وتعجب منه مع صغر سنه كيف أعطاه الله من القوة والمعرفة مالم يعطه إلا لقليل من الأنام وكان يضربه الضربة ويظن فى فكره أنها تكون القاضية فتسحقه ولا يلبث أن يرى ضربته قد ضاعت بدون وأرسل اليه بمثلها فى عاجل الحال . حتى كاد يقع فى التعب والملال . وخاف من أن تمضى معه فى التقصير أو يمضى ذلك النهار ولا ينال منه مراد فيفتضح من مواليه وقومه كيف أنه لم يقدر على ولد أمرد لا نبات بعارضيه . وعند ذلك صاح به وقال له مهلا يا بهزاد فان الحرب انصاف والقتال واجب فليضرب كل واحد منا خصمه ثلاث ضربات على عمده وهكذا نفعل بالدور مرة منك ومرة منى فمن ضعفت قوته ولم يعد فى وسعه أن يلقى ضربات الآخر ولا ساعده زنده على رفع الطارقة لدفع ما يقع عليها

كان مغلوبا فيفعل به الغالب ما اراد وبهذا تظهر قوة كل منا ويعرف القوى من الضعيف .

قال إنى منصف فى القتال محب للعدل به فافعل ما انت فاعل واضرب انت فى الأول فانى لا اريد ان يقال انى كنت البادى وانك السامح لى بذلك فأجابه تمرتاس وفى ظنه انه يتهيأ ويضربه بكل عزمه ضربة واحدة فيسحقه مع طارقته ويرتاح منه لحذره ثم جال طويلا ورفع بيده العمد ولاح به بالهواء حتى حمى وضربه ضربة مستوية مستقيمة بحسب الاصول فوقعت على الطارقة واندفعت إلى الوراء دون ان تؤثر فيه او تزعجه ونظر تمرتاس فوجد بهزاد لا يزال قائما فى سرجه غير مهتم بضربته ولا تتعتع منها بل صاح به وقال له هات الثانية فى الحال. فرفع عمده وضربه ضربة ثانية اشد من الأولى فكان لوقوعها ما كان للأولى وعاد وصاح به وقال له عجل بالثالثة واستعد لضربى فانك لا محالة هالك فى هذه الساعة فلما سمع تمرتاس كلامه زاد به الغضب والتهب فؤاده من الغيظ واستصغر نفسه كل الاستصغار وعمد إلى الخيانة ولاح فى ذهنه ان لا يضرب الضربة على الطارقة بل يميل بها عنها فتقع على فخذه فيتألم فيكمل عليه ويهىء امره ولذلك رفع العمد فى المرة الثالثة ونزل به بكل عزمه ولما قرب من الطارقة مال به بمعرفة إلى طرفها فاصابت طرفها وهوت إلى فخذ بهزاد وكان مصلبا لعلمه انه لا يقدر ان يضرب اصولا إلا على وسطها فلم يشعر إلا والعمد وقع على فخذه فغيبه عن صوابه ووقع إلى الأرض على غير هدى وقد جرح جرحا بالغا فعلق تمرتاس العمد واسرع إلى السيف وفى نيته ان يكمل عليه وما اقبل لاتمام عمله حتى سمع صوتا قويا ارتجت منه تلك الجبال وقائل يقول له وهو على مقربة منه ويلك يا غادر يا خائن كف عن عزمك واستهدف لملاقاة المنية فقد وافاك ليث الحروب وضيغمها وسيدها وواحدها لقد وافاك الأسد المهاب . وفرخ العقاب . الذى لا يخاف من كثرة الفرسان ولا يهاب . فيروزشاه ابن الملك ضاراب . ولما سمع صياح فيروزشاه وقد قرب منه انكفا عن عزمه خوفا من أن يسرع الى ضربه ومفاجئته ولذلك لم نفسه وتهيأ للقتال ونظر ايضا الى عساكر الفرس فوجدها باجمعها قد حملت بامر الملك ضاراب وهى تصيح مقروحة الفؤاد خوفا على مقتل بهزاد ليث الطراد وحملت ايضا عساكر مصر برمتها للمحاماة عن تمرتاس وهى فرحة به مؤملة النصر عن يده وكان اعجل الوصول الى بهزاد بهروز العيار فرفعه قبل ان يدنو احد منه وعاد به مخترقا الجيوش حتى اوصله الى الخيام وامر الملك ضاراب طيطلوس ان يعتنى به بنفسه ويداويه إهتمام تام .

قال واما الجيوش فانها التقت بعضها ببعض . كانه قد آن وقت العرض واهتزت من ركض خيولها تلك الأرض وعملت السيوف فى الاعناق . عمل المراود فى الأحداق

وسحقت الرؤوس . وزهقت النفوس . وقامت القيامة . وسادت الندامة . وكان ذلك اليوم عظيم الشان . قليل المثال بين أيام ذلك الزمان . لم يكن مثله ولا كان . فيه قصفت الأعمار . وعمت الأكدار . وقل من القوم الاصطبار . وسلموا أنفسهم إلى مواقف الأخطار . واستهدفوا للويل والدمار . وشرب كاس البوار . وعلم الفارس المغوار أن النجاة بالثبات والاقتدار . فأبدى غاية الجهد للاستظهار . وتأكد الجبان المهذار . أن الخلاص بالهرب والفرار . فعمد إلى الاختفاء والاستتار عن العيون والأنظار . فاحتجب القومان تحت الغبار . وكان كثيفا جدا كحالك الليل الكثير الاعتكار . ولم يكن يرى منه إلا لهبات نار . يتطاير منها الشرار . فتأتى بالأضواء والأنوار . وأما فيروزشاه الفارس الجبار . فانه فاجأ تمرتاش الخبيث الغدار وأنزل عليه المصائب والأهوال وانصب عليه كالعارض الهطال . وجعل يدور من حواليه تارة من اليمين وطورا من الشمال . ويصيح به حتى وقع بالخبال . ولم ير سبيلا للنجاة إلا التأخر إلى الوراء . والاختلاط بقومه والاختفاء فعمد إلى ذلك خوفا من المهالك . غير أن فيروزشاه مافاته ولا أخطاه بل تعتعه بضرباته . وخبله بصيحاته . وكيفما مال مال فى أثره . طامعا بهلاكه وضره ولولم يعجل ذلك النهار بالاتيان بالاعتكار لما نجا قط تمرتاس بل كان ذاق مرارة الموت منه وفى تلك الساعة ضربت طبول الانفصال فتكدرت منها عساكر إيران لأنها كانت أشفت غليلها وروت ظمأ فؤادها من الأعداء وضربت فيهم ضربا موجعا وقتلت قتلا ذريعا حتى حشكتهم إلى الخيام وأنزلت عليهم أشد الويل والانتقام وملأت الأرض من موتاهم والباقون كان أكثرهم جرحى لا يطيقون حراكا والذين كانوا سليمين من الموت والجراح ابتلوا بأوجاع التعب حتى أمسوا لا يقدرون على حمل السلاح ورجع رجال الفرس وفرسانهم وهم فرحون بما حل على أعدائهم مكدرون من جرح بهزاد ومالوا بأجمعهم نحو مضربه وكان طيطلوس عنده وقد ضمد جرحه ووضع عليه المراهم وغسله بالماء البارد ودخل الملك ضاراب وهو من الغضب فى حال صعب جدا وسال عنه فطمنه طيطلوس وقال له إن الجرح مؤلم إنما لاخطر عليه من الموت وإنى بعنايته تعالى أصرف الجهد فى مداواته كى لا يقيم أكثر من بضعة أيام وكان الملك ضاراب قد رأى أيضا ما أصاب المصريين من التاخير فثبت عنده انهم لا يقدرون أن يقاتلوا أكثر من يوم أو يومين وبعد يدخلون إلى المدينة ويحاصرون فيها فيلتزم أن يدخلها بوقت واحد ولا يريد أن يحاصر المدينة وبهزاد مجروح ولذلك قال لأبطاله وفرسانه إنى مؤكد أن الأعداء لم تعد تقم لهم قائمة ولا يقدرون على الثبات طويلا ولذلك أطلب اليكم أن لا تباشروا قتالا قبل شفاء بهزاد لاننا نحتاج اليه جدا عند الحصار ومؤكد عندى أنهم إذا لم نطلب قتالهم لا يخرجون

من خيامهم فليكن كل منكم على أهبة الهجوم لندخل المدينة عند أول يوم يصير فيه القتال فارحوا خيولكم واستعدوا فاجابوه وجميعهم عرفوا وأكدوا أن القتال لا يحتاج إلى أكثر من يوم وتفرقوا إلى خيامهم وأقام طيطلوس على مداواة بهزاد وقد لازمه الليل والنهار .

قال فهذا ما كان من الملك ضارب وأما ما كان من الوليد ورجاله فانهم دخلوا الخيام وهم فى حالة يأس وقطع رجاء منتهكون من التعب والضنك وما فيهم من رغب أن يجتمع بآخر بل سار كل إلى صيوانه لا يعلمون إلى ما تنتهى حالهم وسار تمرتاس حزينا على فوات بهزاد وكيف لم يتمكن من قتله وأكثر حزنه على إظهار عجزه وضعفه أمام فيروزشاه وعرف من نفسه أن لا قدرة له على مقاومته لانه شاهد من حربه فى ذلك اليوم المصائب والأهوال ولولا كثرة الازدحام فى القتال وتغلغله بين الأبطال والفرسان ومداراته لنفسه كل المداراة لما قدر أن يقف أمامه وربما كان قتله لا محالة وقد ثبت عنده أن فيروزشاه أفرس فارس حمل القنا وضرب بالسيف . وأما الشاه سرور وطيفور فانهما اجتمعا بعضهما على انفراد فى صيوان أحدهما وقال الشاه سرور لوزيره ها قد جلى لنا الأمر وتبينت الحال فلو كان فى تمرتاس من القوة ما نزعم لوقف هذا النهار فى وجه الايرانيين ومنعهم من أن يحشكوا عساكرنا إلى الخيام وقد قلت لك مرارا أن فيروزشاه أقدر منه وأن السعادة والتوفيق يخدمانه ومن أين لتمرتاس أو لغيره أن يثبت أمامه والآن نرى أن جيوش المصريين وجيوشنا فى حالة رديئة وبعد قليل من الايام يكونون المالكين على البلاد وإذا وقعنا فى أيديهم ينتقمون منا فكيف الطريق للخلاص . قال لاريب أننا اذا وقعنا بايديهم قتلونا وأهلكونا لأنهم همج الطباع لا يراعون زمام الملوك ولا يحترمون الانسانية ولذلك ترانى مشغل الفكر فى الليل والنهار طلبا للتوصل الى طريق يصوننا من أعدائنا وقد قصدت أن نجتمع بالوليد وننظر معه فى هذا الأمر لأن المذكور أيضا يهمه أن ينظر فى خلاص نفسه والا قتل كغيره ولنرى فى الغد ما يكون من أمره لانى علمت الآن أنه لاسبيل الى الاجتماع به كونه طلب الانفراد والعزلة مع وزيره بيدانديش على أمل أن يدبرا أمرا يقيهم وجيوشهم من غوائل هذه الحروب . قال لاريب ان فى الغد تظهر نتائج أفكاره .

وكان الوليد قد دخل صيوانه ودعا اليه وزيره بيدانديش فحضر بين يديه ثم أمر أن لا يدعو أحدا يدخل عليه ولما اجتمعا قال الوليد قد تبين لنا الآن أن تمرتاس عاجز عن القيام صد هذه الجيوش وليس له القوة الكافية للدفاع عنا من حملات فرسان الأعداء ولا سيما حملات فيروزشاه لانه كاد أن يهلكه فى هذا النهار

ولو لم يقدر بهزاد لما تمكن من جرحه أو ربما كان قتل منه وقد وضح لدينا جليا الآن الحالة التي نحن فيها وثبت أننا لا نقدر أن نقاتل وأن العدو انتصر علينا ولا بد من دخوله المدينة بأى وجه كان ولذلك انفردت بك لاستشيرك فى هذا الامر وأنظر فى رأيك علك تجد وسيلة تقينا من الاعداء فاطرق الوزير الى الارض برهة وقال بعد أن رفع رأسه قد لاح فى فكرى خاطر واحد يكفل لنا النجاح والظفر والسعادة وبغيره لا يمكن مطلقا . قال الوليد أبده عاجلا عساه يكون به الخير قال لا شك فى ذلك وهو أنه قد خطر فى فكرى المقنطر الساحر وان نقصده ونلتجىء اليه ونعرض عليه حالنا ونشرح له كل ما وقع لنا ولا ريب انه يسارع الى انقاذنا ورفع هذه الشدات عنا وبغير هذه الطريقة لا ارى فرجا قط . ففرح الوليد بهذا الرأى وقال له لقد اصبت فيه فانه كان قد غاب عن ذهنى والآن لا ارى بدا من المسارعة الى هذا الساحر الذى يرغب فى ان يحرس بلاد مصر حراسة الاب للولد وهو وحده قادر على كبح اخصامنا والايقاع بهم ولذلك افوض اليك امر المسير اليه واننا لا نسأله الا امرا بسيطا وهو اسر فرسان ايران الكبار كفيروزشاه وفرخوزاد وسيامك سياقيا وطهمور وغيرهم من القواد ومتى كفانا شر هؤلاء اوقعنا نحن بالباقين دفعة واحدة فنهجم عليهم فرد هجمة ونبيدهم عن آخرهم ولا اظن ان الامر بعد ذلك يطول اكثر من يومين او ثلاثة وفى ارغب انه يا اكتفينا شر قتال بهزاد المجروح الآن احب ان يكون الباقين بعيدين عن الجيش اذ لا حيارى اما عندنا واما عند المقنطر فقال الوزير كن مطمئن الخاطر قرير الناظر فانى لا بد من ان اسير الى روض المقنطر واتوقع عليه واسأله المساعدة والمعاهدة وسأظهر بعينيك ما يحل بجماعة الملك ضاراب ولا سيما فيروزشاه ومن هذه الليلة اسير واقصد الارياف وادخل على هذا العضد العظيم والسند القوى ففرح الوليد بذلك واتفقا على هذه النية واعتمدا ان يكتما الخبر خوفا من الاشاعة وان يطاول الوليد فى القتال او يهادن حتى لا يدخل البلد ويحاصر الى حين عودته

قال الراوى كان هذا المقنطر من كهان الرهبان العظام وسحرتهم الكبار ... فى البحر ... وصار يابسة واذا امسى فى ... من مركزه وسارت حيث يأمرها لا يوجد من هو اشد منه سحرا ولا اعظم كهانة فى ذلك الزمان وقد ... مقاما بين الارياف ومصر فاتخذ ارضا كبيرة وضرب عليها سدا من كهانته وسحره حتى لم يعد يقدر احد ان يتعداه وابتنى قصرا فى تلك الارض عظيما لا نظير له وبعد ان فرغ من بناية القصر اخذ فزرع فى تلك الارض من حشائش المرة ... والحنظل والقطران وغيرها مما تكرهه النفس ... ذلك ... يمزجه كل المزج مع سائر انواعه حتى تشتد مرارته وتزيد كراهته وكان ... من ...

الحشرات والحيوانات الفاسدة كالجراذين والحراذين والهررة وقد استقل فى ذلك المكان ونشر حمايته على كل أهل مصر وطلب فى أول قيامه هناك إلى ملك مصر أبى الوليد أن يأتى اليه صاغرا فاجاب خوفا منه وأظهر له طاعته فسر منه وفعل مثل ذلك مع ابنه الوليد عند توليته وقال له ان أباك كان صديقا محبا طائعا وأنت أريدك أن تكون كذلك فاجابه وجدد الطاعة له وخرج عنه إلا أنه كان فى كل مدة يبعث له بالهدايا مع رسله . وكان المقنطر أيضا قد ابتنى عند اسفل السد بابا من الحجر الاسود المنيع واقام عليه بقوة سحره افعى كبيرا ثخينا تنبعث من فيه النار دائما فلا يقدر احد على الدخول إلا بامر المقنطر لأن الأفعى ينفث ويصيح حتى ينتبه المقنطر وينظر من الزائر فاذا سمح له ابطل قوة الافعى وادخل ضيفه وإلا منعه من الدخول وكان متخذاً له اثنى عشر تلميذا يتعلمون منه السحر والكهانة ويخدمونه ولا يسوغ لهم بان يخرجوا من تلك الحضيرة المسورة بذاك السد العظيم

فلما كان بعد نصف الليل من تلك الليلة التى اعتمد بها بيدانديش على السير اليه دعا عياره بدر فتات وقال له اريد منك ان تسير معى من هذه الساعة إلى جهة الساحر المقنطر فاننا عزمنا ان نسير اليه ونعرض حالنا عليه ونطلب مساعدته ومعونته قال سر من هذه الساعة فانى تحت امرك منقاد اليك . وفى الحال ركب الوزير وسار ومعه بدر فتات ولا زالا ان اصبح الصباح واقبل اليوم الثانى وعند نصف اليوم الثالث وصلوا إلى حظيرة الساحر المقنطر وتبين لهم السد عن بعد مسورا حولها وعند بابه ذلك الأفعى ينفث دائما النار من فيه فتنبعث إلى الامام فوقف ينتظر الدخول وإذا برسول الساحر قد وصل اليه وقال له من انتم ولأى شيء اتيتم فان المقنطر قد سمع صوت الأفعى فعرف ان اناسا يقصدون الدخول عليه فبعثنى انظر فى امركم واسألكم حاجتكم . فقال له انى انا بيدانديش وزير الوليد ملك مصر وقد اتيت من قبله لغرض مهم عند سيدك المقنطر فارجوك ان تستأذن لنا بالدخول عليه لأننا مضطرون إلى الرجوع حالا لرفع الأخطار عن مصر فانها فى ضيق عظيم فاسرع الرسول وكان من تلاميذ المقنطر اليه وعرض عليه كلام الوزير واستأذن له فى الدخول فاذن له وقال له خذ هذه الورقة فالقها على الأفعى فتبطل حركته ودعه يمر ثم الق عليه هذه الورقة الثانية فيعود إلى حركته ثم دفع اليه ورقتين كتبهما بالاسماء والطلاسم فصار التلميذ إلى اقرب من الافعى فابطل حركته واذن لبيدانديش بالدخول فدخل ومعه بدر فتات وبعد دخولها عاد الأفعى إلى حركته وسار الوزير وهو بين الرياض وهى مدبجة بالزهور اشكالا والوانا إلا انه كان يرى الادغال كثيرة والشوك يتخللها كلها ولما انتهى إلى قصر المقنطر نزع حذاءه من رجله وفعل كذلك بدر فتات

وكان يربان القصر مفروشا بأثمن المفروشات بما يبهر النواظر ولا يوجد مثله عند أعظم الملوك . ولما وقف بين يديه سجد له مظهرا طاعته فأمر له بالجلوس فجلس وأمر أن يؤتى له بالشراب الذى يشرب هو منه وكان مركبا هو من أربعين مادة حنظلية مرة فلما وضع الوزير الشراب على فيه وذاقه لم يقدر أن يشرب منه شيئا فأرجعه واستأذن بأن يعفيه منه فاعفاه وبعد ذلك عرض عليه الوزير حاجته وقال له فى آخر كلامه إذا تهاونت أنت عنا ولم تسرع إلى انقاذنا خربت البلاد وخرجت من يد الوليد ودخلت فى يد أهالى إيران وتدخل الأجانب مواضعنا وهم غير حاسبين لك حسابا وقد رأى سيدى الوليد هذا الأمر وعرف أنه لم يعد يقدر أن يدفع العدو عن البلاد قال لى اذهب وقبل عنى أيدى الاستاذ المقنطر وأخبره بكل ما جرى لأنه مسؤول بحماية أرض مصر باجمعها لأنها وطنه وتحت رعايته فاذا عرف ما حل باهلها لا يصبر عن عدوهم بل يهلكه ومن الفرض اللازم اعلامه خوفا من ملامه ولذلك أتيت اليك أطلعك على الواقع وأسألك المساعدة على عدوه وطرده من بلاده بحيث لا يقال بين الملوك انى عاجز عن دفعه مع أن عنده جيوش لا تعد ولا تحصى وبلاده تحت حماية المقنطر الساحر رئيس سحراء هذا الزمان وسيد كهنائه . فلما سمع المقنطر هذا الكلام ضحك منه ضحكة الغضب وقال له كن مطمئن البال فان عدوكم هو الآن فى يدكم فمهما شئتم أن تفعلوا به فعلت فلاشىء أهون عندى من هلاك الملك ضاراب وولده وفرسانه وتشتيت شمل جيوشه فاطلب هلاكهم على أى طريق شئت قال انا لا نريد هلاكهم إلا بسيوف فرساننا وأبطالنا ولذلك نريد منك أن تشتت لنا الفرسان الذين عليهم الاعتماد كفيروزشاه وبهزاد وفرخوزاد وبيلتا وسيامك سياقبا وبهمزار قبا وبهمزار قلى وطهمور وميمون ومصفر شاه وكرمانشاه وخورشيد شاه وجمشيد شاه وبقية القواد ومتى بعد هؤلاء عن جيش فارس سهل علينا أخذهم فنطاردهم إلى أن نفنيهم عن آخرهم ولذلك تكون أنت قلعت علة قواهم وأضعفتهم ونحن أنهينا العمل واحرزنا بسيفك النصر والظفر فقال المقنطر اكتب لى أسماء الذين ترومون ابعادهم عن الجيش فاستأسرهم وآتى بهم إلى هنا ومن ثم بعد عذابهم وقهرهم أميتهم شر ميتة وأحرقهم بالنار وافعل بهم العجائب فسر الوزير من كلامه وجعل يعد له الفرسان واحدا بعد واحد حتى عد له نحو تسعين أميرا من أمراء العجم الذين عليهم الاعتماد وبيدهم قيادة الجيوش الأولية والثنوية وبعد أن فرغ من عددهم كتب المقنطر أسماء الجميع كل اسم على رقعة صغيرة وقرأ على الجميع من بحر علمه ودفعه إلى بيداندش وقال له خذ هذه الأوراق بيدك فمتى وصلت إلى الوليد اعطه إياها وقل له يباشر الحرب ولا ريب أن الفرس يركبون جميعا لقتالكم فحين نزولهم إلى الميدان أذروا

عليهم هذه الاوراق فتروهم يتطايرون واحدا بعد واحد إلى وهنا افعل بهم ما اريد فاشجهم بالقيود واعذبهم امر العذاب إلى ان تنتهوا من هلاك الباقين فتاتى مع الوليد والامراء وتشاهدان موتهم وإذا جد فى اثناء ذلك عليكم من الحوادث شيء جديد فعد إلى واطلعنى عليه فانى منقذكم منه وبما انكم من اعزاء وطنى فلا امنعكم من الدخول اى وقت شئتم فى الصباح او فى المساء وها انى ادفع اليكم الآن خاتم لابطال السحر ففى اى وقت طلبتم الاتيان الى يمكنكم ان تأتوا فتضعوا الخاتم فى وجه الافعى فتبطل حركته إلى حين تدخلون وهذا دليل كبير على حبى ورغبتى فى صوالحكم فشكره الوزير على عمله وأطنب فى مدحه كثير الاطناب . وبعد ذلك امر المقنطر ان يؤتى لهما بالطعام فوضع امامهما وهو من الحيوانات الكريهة والحشرات فاعتذر الوزير عن الأكل وقال له ياسيدى انا لم نعتد على مثل هذه المآكل لأننا من ضعفاء الناس وما هذا إلا من وحدانية اقتدارك على كيد المكاره وقهرها فانها لا تؤثر فيك كونها تطيعك بخلافنا نحن فقال له لا باس فلا يأكل من أكلى ويشرب شرابى صلب النفس صبور القلب

وبقى الوزير عند المقنطر مع عياره بدر فتات كل ذلك النهار دون أن يذوق طعاما أو شرابا وماصدق أن سمح له بالذهاب حتى قبل أياديه وخرج من عنده وقد أخذ منه الخاتم وسار الى أن وصل إلى الافعى فاراه إياه فوقف عن الحركة فمر بيداديش مع عياره ولما صارا فى الخارج نظراه وقدعاد إلى عمله الأول . فقال لبدر فتات ان المقنطر الساحر هو لاريب من أعظم سحراء هذا الزمان لايقدر عليه أحد قط ولو جئناه من الاول لتوفر عنا أثقال كثيرة تكبدناها فى حرب الاعجام ولكن الحمد لله على نوال المراد فهو مخلص لنا كل الخلوص ولولا ذلك لما أعطانا هذا الخاتم فهو لايثمن بثمن وسوف أريه للوليد ليفرح به وبعد ذلك أدفعه اليك ليبقى محفوظا عندك إلى حين الحاجة اليه لانى أخاف إذا بقى عندى أن أسهى عنه لكثرة اشغالى وأشغال أفكارى فيفقد ولا أدرى به . قال له لابد أن أذكرك لتدفعه الى فانى أضعه فى أحفظ مكان وانى أعلم جيدا اننا فى حاجة اليه لانه لابد من عودتنا مرة ثانية وثالثة إلى المقنطر لقضاء ما يجد من الحوائج ثم ركبا وسارا كل ذلك اليوم واليوم الثانى والثالث حتى دخلا الجيش واتيا الوليد عند المساء فدخلا عليه وكان إذ ذاك فى صيوانه فسلم عليه الوزير واخبره بنجاح مسعاه وعرض عليه كل ما كان من امرهما مع المقنطر وكيف انه اعطاه الاوراق مكتوبة باسماء الفرسان والابطال وامره ان يدريها بالهواء عند البداية فى القتال فيطيرون اليه فى الحال على مرأى من جميع الجيوش واراه الخاتم وحكى له عن فعله وكان الشاه سرور حاضرا وطيفور وفقر حاغاية

الفرح وسر قلبهما غاية المسرة وأملا بالنجاح وصبرا إلى حين انفضاض الناس فساروا
إلى محلهما فقال طيفور ألم أقل لك مرارا أن النصر لا يبعد عنا وأنه مهما جرى علينا
من المصائب لابد لنا من أن نصل أخيرا إلى انفاذ غايتنا فماذا ياترى يقدر فيروزشاه
والملك ضاراب أن يفعلا فى مقاومة هذا الساحر ولاريب أننا فى الغد أوما بعده نرى
جيوش فارس متطايرة فى الفضاء واحدا بعد واحد وبعد ذهاب هؤلاء الفرسان يضعف
رجاء الملك ضاراب فاما أن يرجع حالا برجاله خوفا من أن يلحق به مالحق قومه واما
أن يطمع فى القتال فنحاربه ونبيده مع قومه من أول مرة قال لا نعلم بما تأتى الحوادث
وماذا يقدر أن يفعل هذا الساحر إذا كانت العناية الالهية تساعد الايرنيين وتوفق أعمالهم
وتقدمهم فى هذه الحياة قال وهل أن العناية مخصوصة لهم أليس أولئك يعبدون الله
ويعترفون بأ بيائه ونحن أيضا نعبده والمصريون مثلنا فاذا وفقهم يوما وفقنا مثله وإذا
نظر اليهم مرة نظر الينا ثانية سيما وأنهم هم الظالمون لأنهم قصدوا أذانا وطلبوا اغتصاب
بناتنا وطردونا من ملكنا وتأثرونا إلى هذه البلاد ومن أكبر أسباب التوفيق الذى سهله
لنا الله وجود هذا الساحر الذى وعد بالايقاع بالأعداء ولا يمضى إلا القليل من الأيام
حتى ترى ما يسر خاطرك وتتأكد نجاح المساعى .

وبعد أن مضى على ذلك يومان نهض الوليد وأمر العساكر أن تستعد للقتال وأمر
أن تضرب طبول الحرب منذرة الأعداء بوجوب الحرب فى ذلك النهار وسمع الملك ضاراب
طبول المصريين فأمر أن تضرب طبوله إجابة للمثل وتهيأ العسكران وترتب الفريقان
وركب بهزاد أيضا وكان قد ضمد جرحه وخف وجعه فمنعه فيروزشاه وقال له ان
الأمر لا يحتاج اليك فى هذا النهار وأرى من الموافق أن تبقى فى صيوانك إلى الغد أوما بعده
إلى حين تتقوى وتشتد أكثر فأكثر قال لابد من القتال فانى لا أرى مانعا يمنعنى وانى
ما صدقت أن صرت قادرا على ركوب الجواد لآخذ لنفسى بالثار وأرى ترتاش كيف يكون
الغدر والخيانة وتقدمت العساكر صفوفا صفوفا بعد أن اعتمدت على خيلها ورفعت أعلامها
وراياتها وتهيأت قوادها وأبطالها وكان يلوح للأعجام أن ذلك اليوم يوم الانفصال وأنهم
سيقعون بالأعداء ويشفون منهم الغليل ويشتتونهم بالرغم عنهم ولما صار الفريقان قريبين
من مباشرة الضرب والطعان أخذ الوزير بيداندش الأوراق التى أتى بها الساحر المقطر
وأذراها بالهوى فتناثرت من يده وتطايرت بقوة ما هو عليها من السحر وانتشرت
كالنجوم وسارت كل ورقة إلى صاحبها المكتوب اسمه عليها فوقعت على رأسه وبأسرع من لمح
البصر صارت الفرسان ترتفع عن ظهور الخيول وتتطاير إلى الجو الأعلى وكان فيروزشاه

وراكبا جواده الكمين فلما وقعت الورقة على رأسه انحلت أعصابه وارتخت مفاصله وارتفع بالرغم عنه عن جواده وقصد الجو الأعلى لجهة القنطار الساحر وتبعه بهزاد ومن خلفه سيامك سيافيا وخورشيد شاه ومصفر شاه والبهلوانية الستة تلامذة فيلزور وجميع القواد الذين يبلغ عددهم نحو تسعين أميرا من الرؤساء حتى انبهر الملك ضاراب ووقعت عليه الرعبة والخمول وشاهد بعينيه تلك الأعمال السحرية التى لم يكن يعلم لها سببا فتحير وارتبك وصاح من ملء رأسه على غير وعى وقال ما هذه الحالة لقد هلكنا ووقعنا فى الخطر المبين وجعلت فرسان إيران تصيح وتنادى وتدعو الله مستغيثة من جور تلك الأعمال . وأما المصريون فقد كثر بينهم الفرح والسرور وجعلوا يهنئون بعضهم بعضا وتبينوا النصر عيانا بيانا وشاهد الوليد وهو تحت أعلامه ما كان من حاله أعدائه فأوعب قلبه فرحا وسرورا ورأى ما كان حكاه له الوزير قد وقع واشتفى قلبه ومثله طيفور والشاه سرور وما منهما إلا من طفح قلبه بالفرح وخاف الوليد من ضياع الوقت فامر عساكره بالحملة فحلت حملة واحدة وصاحت صياح التهديد وأرمت بانفسها على جموع الايرانيين فالتقتها بقلوب صابرة على الاهوال وقام سوق الحرب واختلف الطعن والضرب وعظمت الاحوال والامور وكثر الويل والثبور وساد السيف بسلطانه وافتخر بعلو منزلته وشانه وقد أغمد فى الصدور والاكباد واستعجل لتفريق الارواح عن الأجساد وإخضاع كل جبار عنيد وفارس صنديد ولم يكن إلا ساعة من الزمان حتى ارتفع الغبار إلى العنان وتسردق فوق تلك الجموع كالرواق المجموع وانبسط على الرؤوس بعد أن تلاعبت به الاهواء ودفعته إلى أعلا العلاء فانغمست تلك الابطال بالدماء واكتحلت المصائب باميال العماء وكان ذلك اليوم على أهالى إيران يوم مصائب وأحزان وقد فتكت بها الأعداء فتكا ذريعا وفعلت بها فعلا شنيعا لأن تمرتاس ساد وماد وفعل أفعال الابطال الشداد حتى روى من دمائهم ظماء الفؤاد ولم يكن من يقدر أن يلقاه ويمنع شره وأذاه ففضح الجيوش بقوة عزمه وقدرته وفرقها بعظمة شجاعته وبسالته وقد اشتدت به قلوب المصريين وتقوت افئدة اليمنيين ففعلوا فعال الفرسان وقاتلوا قتال الشجعان وما جاء آخر النهار إلا كانت الاعجام فى حالة ذل وانكسار وقد لحق بها التأخير والدمار وقتل منها عدد كثير المقدار وعند المساء ضربت طبول الانفصال ورجع القومان عن الحرب والقتال وما صدق الأعجام ان وصلوا إلى المضارب والخيام تخلصا من شرب كاس الحمام فانهم لاقوا فى ذلك اليوم من الاهوال مالم يلاقوا قبل ذلك الآن ونزل الملك ضاراب فى صيوانه وهو بحالة هم ونكد لا يعرف يمينه من شماله ولا يفرق بين النور والظلام ولم يطلب له قط طعام ولا مسامرة ولا كلام ولم

بعض إلاساعة من الزمان حتى جاء طيطلوس ودوش الراى وأقاما عنده وهو لا يقبل أن يكلم أحداً لما حل بفرسانه وأبطاله ولا سيما ولده فيروز شاه وهو لا يعرف إلى أى جهة أخذوا وبقوة أى ساحر رفعوا وهل انهم يذبحون أو يبقون أحياء إلى أن يسهل الله لهم الخلاص وكان كلما أمعن فى الارض تنموا فى رأسه الافكار وتزيد تفعالا حتى كاد يطير عقله ويخرج عن الصواب ولما رأى طيطلوس حالته خاف عليه من أن يجن ويخسر عقله . فقال له ثق بالله يا سيدى ولا تقطع رجاك من رحمته فليس هو ممن يظلم خائفيه أو يرضى لهم بالعذاب وان كان ولدك اليوم مع بقية الفرسان أخذوا ظلما فليس لاخذهم القوة التى لالهنا سبحانه وتعالى فاذا كان المصريون يتكلون على السحر فاننا نتكل على إله السماء وقد وقع ولدك بمصائب جمة أعظم من هذه فخلصه الله منها ولابد أن نعلم علم اليقين إلى أين رفعوا وليس لنا إلا بهروز العيار وشبرنك وشياغوس وطارق أن يكشفوا لنا الاخبار ويفحصوا عن السبب الذى أوجب فقدان فرساننا ومن هو الذى أوصل شره الينا قال بهروز لابد لى من الاكتشاف والسعى وراء هذا الامر والاطلاع على فاعل هذا الفعل المنكر واوصال الأذى اليه

قال الراوى وما أكمل بهروز كلامه حتى وقف بدر فتات العيار فى باب الصيوان وحياهم بالتحيات والاكرام فانعطف خاطر الملك اليه وتوجهت أفكار الحضار إلى قدومه وادنوه منهم وقال له الملك ضاراب ما وراءك يا بدر فتات من الاخبار وهل عندك علم بأمر فرساننا وأبطالنا وإلى أين جذبوا . قال انى ما أتيت اليكم إلا لهذه الغاية فان عندى من الاخبار صحيحها وقد استغنمت هذه الفرصة لاعرض عليكم ما كان من أمر فيروز شاه وبقية الفرسان . فقال طيطلوس أوجز بالمقال فاننا على مقالى النار . قال اعلموا أن فرسانكم بأجمعهم عند المقنطر الساحر فى قصره يذوقون العذاب الأليم . ثم حكى لهم كل ما كان من أمرهم إلى أن انتهى إلى قوله أن المقنطر المذكور دفع إلى بيداند ش الوزير الورق وقال له ذرها فى وجوه الفرسان فيتطايرون فى الفضاء ويأتون الى وأخير دفع اليه أيضا الخاتم ليسهل فى وجهه الدخول وتزول الموانع وتبطل حركات الافعى السحرية . ولما وصل الى هذا الكلام تكدر الملك ضاراب وقال انى لم أكن أحسب حسابا لهذا السحر وكنت على نية الدخول الى المدينة وترجح لدى نهاية هذه الحرب . فمن يا ترى يقدر أن يصل إلى المقنطر الساحر ويخلص لنا فرساننا وكيف نقدر أن نجد ساحرا مثله يقمعه ويعيد كيده الى نحره ويرد علينا فرساننا انما الله وحده قادر على مساعدتنا . ولما فرغ الملك ضاراب من كلامه قال بهروز لبدر فتات أريد منك أن تأتينى بالخاتم

الذى قلت انه يبطل حركة الافعى لانى عزمت على أن أطرق قصر المقنطر الساحر وتكون أنت برفقتى فنخلص الفرسان باجمعهم قال كيف يمكنك أن تتوصل اليه واذا وصلت اليه كيف تقدر على قتله وهو ساحر ماكر يقدر أن يعرف غايتك ومن أنت واذا عرف بك اصطادك بكيد سحره والقى عليك شرك مكره فيأسرك ويقرنك الى قومك ويفعل بنا العجائب فنكون قد رمينا بانفسنا الى وهدة الخطر عن جهل وطيش . قال لا تخف من كل ما ذكرت فانه لا يقدر أن يعرف من نحن واذا عرف لا يقدر أن يوصل الينا أذى لان عندى ثلاث البسة من عمل صفراء الساحرة نلبسها فتقينا من كل ساحر ماكر وقد علمتنى صفراء المذكورة ما أقدر أن أوقع بالسحرة اذا امتنع على قتلهم ولذلك ترانى قادرا على كبح هذا الساحر ومنع سحره بالحيلة وبالقوة انما اللازم أن تأتينى بهذا الخاتم لنرمى به الافعى ونبطل حركته وانى بحوله تعالى قادر على أن أكمل نجاح خطتى . قال انى أسير فى هذه الليلة الى الوزير واصرف الجهد الى الاستحواذ على الخاتم وفى الليلة الآتية آتيكم به ومن ثم تنظر الطرق الموصلة الى الغاية فاطمأن بال الملك ضاراب وقال طيطلوس لا خفى أن حالتنا صعبة جداً وان مركزنا صعب جدا واننا اذا حاربنا الأعداء الى حين عودة فرساننا نصبح مضغة فى فم البلاء والعناء لأن فرسان الأعداء كثيرون وقد طمعوا فينا غاية الطمع واستغنموا فرصة غياب رجالنا ولهذا رأيت من الموافق ان نرجع بالعساكر الى الوراء وندخل بين الأدغال والأحراش ونحاصر فيها الى حين رجوع فرساننا وعندى انهم سيتخلصون بعناية الله تعالى وحسن مساعدته . قال الملك ضاراب ان فى ذلك النجاح وحفظ دم العساكر من الهدر لاننا اذا حاربنا يوما أو يومين نصبح فريسة المنون ونفنى عن آخرنا فهل تعرف من مكان نقدر أن نتحصن به حتى اذا قصد الأعداء قتالنا دافعنا عن انفسنا الى أن يأتينا الفرج منه تعالى . قال انى أرى الى الوراء آكاما مملوءة من الاحراش تصلح جدا لقيامنا فيها فمتى جاءنا المصريون حاربناهم بكل طاقتنا فاذا ظهرت الغلبة علينا رجعنا الى مراكزنا وانهم لا يقدرون أن يتبعونا اليها فاستحسن الجميع هذا الرأى وأمر الملك ضاراب أن تستعد العساكر لتقلع بعد نصف الليل الى تلك الآكام وعاد بدر فتات بعد أن ودعهم ووعدهم أن يوافيهم الى محل اقامتهم فى الليل القادم وأما الملك ضاراب فانه بعد مسير بدر فتات قلع صيوانه ورفعه على ظهور البغال وجعلت العساكر تقتلع مضاربها وترفعها على خيولها وأقل من ساعة من الزمن كرت جيوش ايران راجعة الى الوراء بحالة الذل والانكسار فسبحان مذل الجبابرة ومغير الاحوال فهو الحى الباقى ولا زالت تلك العساكر سائرة دون أن يبدى أحد منهم حركة أو يفوه بكلمة من الحزن على ما أصابهم الى أن وصلوا الى

تلك الآكام فتسلقوها وانزلوا أحمالهم ونصبوا مضاربهم وباتوا ينتظرون الصباح الكاشف لكل مستور والمظهر خفايا الليالى السود

فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الوليدوجماعتهفانهم عادواعند مساءالنهار الذى حازوا به النصر والظفر وهم بغاية الفرح والمسرة تكاد الدنيالا تسعهم من عظم ما نالهم ولما دخلوا الخيام نزلوها واستراحوا فيها وعند بدايةالسهرة اجتمع على الوليد رجاله ومقدموه وهنأوه بالنصر وبقهر أعدائه وقال له طيفور هأنذا قد زال الخطر ولم يبق من أمر مكدر فان أعداءك قد لاقوا شر أعمالهم وها ان فيروز شاه قد فقد ومعه كل فارس وبطل من بين جيوش فارس وهذه الشرذمة القليلة الباقية أمامنا لا تلبث أن تنقرض بعديوم أو يومينوتخلوا هذه الارض منهموبعد ذلك نزف ولدك الشاه صالح على عين الحياةبنتسيدى الشاه سرور ونرجعإلى بلادنا فياليت كان ذلك من أول الأمر أى يا ليته خطر لكم من البداية أن تذهبوا إلى المقنطر وتستعينوا به لكان توفر عليكم مصائب شتى . قالمامضى فات وليس لنا أن نقدم على أمرانقضى بل يجب أن نفرح لما أحرزنا من النصر فى هذا النهار واننا بهمة تمرتاس لا يمسى اليوم الآتى إلا وقد فرقناجمع الأعداءتفريقا كاملابحيث لايجتمعلهم بعد ذلك شمل . ودارالحديث بينهم عما يفعلون فى الغد ومن يكنفى الميمنةومن يكون فى الميسرة وقدوعدهمتمرتاس أنه يكون فى القلب وانه لا يرجع عن القتال ما لم يأت بالملك ضاراب قتيلا أو أسيرا وعند انقضاء السهرة انصرف الجمع من صيوان الوليدوسار كل واحد إلى جهة وكان بدر فتات قدعاد من عند الملك ضاراب فسار برفقة بيدانديش وهو يظهرله التعجب من عمل المقنطر وقال له فى آخر كلامه انى أخاف يا سيدى أنيضيع منك هذا الخاتم الذى لايثمن بثمن لا سيما واننا نحتاج اليه إذاقصدنا الساحر المقنطر أو إذا وقف فى وجهنا رصد آخر أو إذا أردنا ابطال سحر اضطررنا إلى ابطاله وقد رأيت فى نومى أمس انه فقد منك فقمت مرتعبا وكنت أود فى هذا النهار أن أسألك عنه أن تسلمه إلى فسهى عن بالى والآن أطلب اليك أن تدفعه إلى بحق مالى عندكمن سابق الخدمة لأنى أعددت له مكانا عظيما وهو أنى قصدتأن أربطهباربطةمن الحرير الرفيع وأعلقه فى عنقى حتى لا يقدر أحد أن يصل اليه ولا يغيب عن نظرى يوما واحدا قالصدقت فما من حاجة لبقائه عندى وقد سألتك من البداية أن تبقيه عندك على أمل منى أن يبقى محفوظاً

ثم ان الوزير دفع الخاتم إلى بدر فتات العيار وأوصاه بالحفظ عليه لأنه كان كما تقدم يركن اليه كل الركون ويسلمه كلأشغاله وأعماله وأمواله . فاقامبدر فتات صابرا

إلى الغد ليذهب بالخاتم إلى بهروز . وفى صباح اليوم الثانى نهض الوليد من نومه وفى نيته أن يحارب أعداءه الأعجام حربا شديدة يفنيهم بها عن آخرهم فنظر إلى جهتهم فلم ير أحدا ونظر الأرض خالية خاويه وروح الطبيعة يرف على وجهها وما من بشر عليها غير الاثار الباقية فوقف باهتا إلى أن اجتمع اليه جميع أعيانه ووزرائه وكانوا قد شاهدوا غياب الايرانيين فظنوهم أنهم قد رجعوا عنهم وتركوا الحرب ولذلك دعاهم للشورة فدخلوا الصيوان وانتظموا حلقة ثم قال الوليد على ما أظن أن الملك ضاراب وجد نفسه مغلوبا فاختار البقاء على العدم فكر راجعا اما إلى بلاده واما إلى بلاد اليمن فما هى الطريقة وبما ترون من الرأى أنسير فى أثره أو نلبث فى مكاننا إلى أن يظهر لنا أمره فقال بيدانيش انه لابد لنا من لحاقه حبا بصالح الشاه سرور لأنه لا ريب يسير إلى بلاده وينتظر عودته اليها فينتقم منه ويأخذ بثار فرسانه وأبطاله من رجاله وقومه إنما فى الحاضر لا يمكننا أن نتأثره بل من الواجب أولا أن نذهب إلى المقنطر ونعرض عليه الواقع ونطلب اليه قتل الفرسان الذين عنده ومن ثم نعود الى هنا فنزف عين الحياة على الشاه صالح ونرى إذا كان يقبل المقنطر الساحر فى أن نسير خلفهم فيدفع الينا وسائط النصر أو يرى لنا طرقا أخرى لخلاص بلاد اليمن وهلاك العدو . والان أرى من نفسى الخطأ والغلط لأنى لو طلبت من المقنطر أن يضيف إلى الفرسان الذين استأسرهم الملك ضاراب وطيطلوس لكان هان علينا الأمر ولا قدروا أن ينجو من أيدينا . فقال تمرتاس لا حاجة إلى المقنطر الساحر فان العجم أمسوا فى حاله ذل وقهر فمن اللازم أن نتأثرهم ونوقع فيهم ونهلكهم عن آخرهم وهذا الرأى من أحسن الاراء وأصوبها وإلا أى فضل لنا إذا التجئنا إلى الأعمال السحرية فى حال انتصارنا ومجدنا وفوزنا . وإذ ذاك تكلم طيفور وقال ان من الخطأ أن نعتقد أنهم قد رحلوا إلى بلادهم وتركوا فرسانهم بيد المقنطر وان صح ظنى يكونون قد اتخذوا مكانا لهم يحميهم منا إلى حين يكونون قد سعوا بخلاص قومهم فاستند الشاه سرور قوله وقال من الواجب أن ترسل عياريك أن يفتشوا فى نواحى مصر وآكامها ولا ريب فى أنهم مختفون فيها فاذا سرنا فى طريق اليمن يغتنمون الفرصة بعدنا ويتملكون المدينة ونقع معهم بالغلبة بعد النصر والظفر فقال الوليد ان هذا عين الصواب فقبل كل شىء يجب أن نفتش فى ضواحى مصر ونواحيها حتى إذا قطعنا الرجاء من وجودهم فيها نظرنا فى أمر تأثرهم وإلا إذا كانوا لا يزالوا مقيمين فى احدى الأدغال أو الاكام سرنا اليهم وأوقعنا بهم ولا نترك لهم فرصة الى شعثهم وفى الحال أمر العيارين أن يتفرقوا ويعودوا اليه بالعجل دون ابطاء فساروا وما غابوا الا ساعات قليلة حتى عاد اليه هلال العيار وقال له اعلم يا سيدى

ان الأعداء لا يزالون مقيمين فى بلادك وقد رجعوا الى الوراء بضعة أميال فقط وهم متحصنون فى الاكام والشعب ووضعوا العيون والارصاد تراقب لهم حركاتكم وقد نظرتهم عن بعد فى الطريق المؤدية الى جهة الشرق وذلك لما سرت من هنا للاكتشاف عليهم تتبعت الاثار واتخذت اثر حوافر خيلهم دليلا كبيرا على التوصل اليهم ولا زلت حتى وصلت الى المكان الذى اقاموا فيه فوقفت عن بعد اتاكد وجودهم وخفت ان اقرب منهم فيلقون القبض على اذا راونى فكررت راجعا اذ تحققتهم عين التحقيق . قال طيفور اذن لابد لنا من مطاردتهم فى تلك الناحية بحيث نهلكهم عن آخرهم ونسد عليهم الطرق ونمنع عنهم الشارد والوارد فقد رماهم الله فى ايدينا فلنتمم عملنا . قال الوليد لا بد من فناهم عن آخرهم وقد خطر لى خاطر واحد نقدر به ان نهلكهم ونبيدهم بوقت قريب وذلك اعتمدت ان اقسم جيشى قسمين قسم يحاربهم فى النهار وقسم فى الليل وبهذه الطريقة يبادون ويأكلهم التعب لان الجيش الذى يحاربهم فى الليل يعود فى اول النهار فيأخذ لنفسه الراحة بالنوم وينوب عنه جيش النهار وهذا يعود ايضا فى اول الليل للراحة فيقوم مقامه جيش الليل وهكذا يكون عملنا الى ان نفنيهم عن آخرهم وبهذه الطريقة لا نترك لهم وقتا للراحة ولا للأكل فاستصوب الجميع رأيه واختاروه على غيره وقالوا لا بد من إتمام هذا العمل بالسرعة وفى الحال دعا الوليد قائد جيوشه العام وكان اسمه الامير مسعد فقال له خذ لك أربعمائة الف من الفرسان وسر بهم فى هذا الليل إلى الآكام التى فى شرق المدينة وحارب الايرانيين حيث أقاموا هناك وفى الصباح عد إلينا فيكون قد سار عوضا عنك تمرتاس بالفرسان فى أول النهار فكن على حذر حتى إذا سارت الساعة ٣ من الليل وصلت إليهم وأنزلت بهم العبر وإياك من التمهل أو التقاعد لأنى لا ارغب فى المطاولة وأحب هلاك الاعجام بوقت قريب جدا فوعده القائد مسعد ببذل الجهد فى نوال المراد وإنه يضيق على الاعداء غاية المضايقة ولا يرجع عنهم ما لم ينزل بهم الويلات والمصائب وكذلك تعهد تمرتاس بأنه إذا بقى منهم بقية أنهى أمرها فى النهار القادم وأقاموا ينتظرون المساء وأما بدر فتت فإنه عندما علم بما دبره الوليد تكدر مزيد الكدر وخاف من أن يلحق بالايرانيين ضرر أو يتم عليهم أمر فلم يشأ أن يصبر إلى المساء بل سار من بعد الظهر إلى جهات أخر ولما بعد عن قومه مال إلى النواحى المقيم فيها الملك ضاراب ولا زال متسللا بالآكام إلى أن وقف بين يديه فقبل الارض وعرض عليه ما كان من أمر الوليد وتدبيره وعزمه على دوام الحرب ليلا ونهارا فلم يبد الملك حركة ولا فاه بكلمة بل أطرق بنظره إلى الارض إلى أن قال بدر فتات وها إنى قد جئت ياسيدى بالخاتم الذى وعدتك حتى ترد وأخذته منه

بهروز وقال انى كنت أود أن أسير فى هذه الساعةلو كنت أعرف أنه يوجد فى الجيش من يقوم مقامى سيما وأن الامر الآن خطير والخوف من المصريين كثير ويحتاج الامر إلى التدبير فلننظر فى طريقة توصلنا إلى منع الأعداء من الوصول الينا هذه الليلة فقال طارق العيار لا تخف أنت على الجيش فعجل إلى خلاص الفرسان بما قدرت من السرعة وانى أعدك وأقسم برأس سيدى الملك ضاراب ملك بلاد فارس وأبى فيروزشاه سيد فرسان هذا الزمان انى لاأترك الامير مسعد وجيشه يصلون إلى هذه الآكام وليس ذلك فقط بل انه لابد لى من نصب مكيدة يذهب بها من جيوش الأعداء أكثر من مائتى الف فارس دون أن يبدى أحد منا حركة أو يتحرك من مكانه وسوف تتذكرون فعلى بعد هذا اليوم ثم استأذن الملك بالذهاب وأن يسمح له بشياغوس وشبرنك فأجابه إلى طلبه وفى الحال خرج من صيوان الملك وأخذ معه الاثنين المذكورين وكذلك بهروز قبل يدى الملك واستأذن منه بالذهاب وأن يسمح له بأن يرافقه الأشوب وبدر فتات لقضاء مهمته فاذن له وأوصاه مزيد الوصية وحرصه من الوقوع فوعده بالنجاح وخرج من حضرته إلى صيوانه ففتح الصندوق الذى جاءوا به من قصر صفراء الساحرة وأخرجوا منه الثياب فلبس هو واحدة وألبس بدر فتات الثانية وسلم الثالثة للأشوب عيار مصفر شاه فأفرغها عليه وكانت الثياب كما تقدم معنا معمولة من عمل السحرة ومنقوشة بالأسماء والطلاسم مما يبهج بها النظر وبعد أن أخذ كافة مايحتاجون اليه وبارح الجيش وسار قاصدا لجهة المقنطر الساحر وبدر فتات يقودهم إلى الطريق المستقيم المؤدى إلى ناحيته

ولنرجع الآن إلى طوران تخت وعين الحياة وقد تركناهما فى قصر واحد وكلتاهما مغرمتين بحب حبيب قد علقت كل قلبها به وتتمنى أن تراه أو بالحرى تسمع أخباره وتقف على أحواله إلا أنهما أقامتا مدة أيام دون أن يصل اليهما خبر البتة لا عن فيروز شاه ولا عن مصفرشاه وهما فى كل يوم برسلان القهرمانة هند للبحث والتقصى دون الوقوف على نتيجة مطمنة لخواطرهما إلى أن كان ذات يوم خرجت هند كعادتها وسلكت فى الأسواق من واحد إلى آخر وهى ترى الناس فى فرح زائد وسرور وهم يهنئون ويبشرون بعضهم بقرب زوال الحرب وقهر الفرس فخفق قلبها وعادت إلى القصر فأخبرت عين الحياة وسيدتها بما سمعت وقالت لاأعلم من أين جاء هذا النصر وهل وقع على الفرس شىء أم لا فتكدرتا عند سماعهما خبرها واشتغلت خواطرهما ولم يريا وجها للحقيقة تلتفتان اليه وقالت طوران تخت من أين نقدر أن نعرف ماذا جرى على الفرس وهل أن مصفرشاه وبقية قومه بخير أم لا .

فقالت عين الحياة انى أرى من الموافق أن ترسلى رسولك إلى أبيك بقصد

الاطمئنان عن أحواله وتكتبي له كتابا تستفسرين به عن حالة جيشه وعن أعدائه وتلوميه على منعه عنك الأخبار كل هذه المدة حتى شغل بالك واضطربت . فاستحسنت كلامها ورأته صوابا وفى الحال استدعت بأحد خدمها ودفعت اليه كتابا كتبته إلى أبيها تقول له فيه انى فى حالة صعبة لأن انقطاع الأخبار جعلنى فى ارتباك وأنت تعلم محبتى لكم وميلى اليكم فأسألك بحق التربية أن ترسل إلى خبرا مفصلا عن حالتكم الحاضرة وماذا جرى على فرسانك وكيف حالة أعداك وهل ان فرسانهم بأجمعهم باقون أو أهلكتم منهم أحدا . فأخذ الخادم الكتاب وسار إلى أن وصل إلى الوليد فقبل يديه ودفعه اليه فقرأه وبعد أن فرغ منه قال فى نفسه لقد أصابت بنتى فيما قالت فانى قطعت عنها الأخبار وكان من الواجب أن أرسل من يبشرها بنصرنا وقهر أعدائنا وهربهم وأسر المقنطر لفرسانهم وفى الحال كتب لها مفصلا يعلمها بكل ما كان من أمر الايرانيين وأمرهم من حين إتيان تمرتاس إلى ذلك اليوم وأعاد الكتابة اليها مع الخادم فتكدرت مزيد الكدر عند اطلاعها عليها وعلمها أن مصفرشاه فى قبضة يد المقنطر الساحر وبكت ولطمت على وجهها وأغمى عليها فرشت هند الماء على وجهها ورفعتها إلى فراشها وكذلك عين الحياة انفطرت مراراتها وشعرت بأن أكبر المصائب قد وقعت عليها واختارت الموت على الحياة وتمنت أن يفقد الظالمون الذين ظلموها ورموها بكل هذه الاحزان وطلبت من الله هلاكهم ونجاة فيروزشاه وكان لطوران تخت وعين الحياة ساعة من أشأم الساعات وأقبحها مزقتا بها ثيابهما وأسبلتا شعورهما وأذرفتا دموعهما ولم تعدا تعرفان ما تقولان كل ذلك النهار وفى المساء اجتمعتا إلى بعضهما وأخذت كل واحدة تنشد غرامها وتلوم زمانها وتعدد مصائب حبيبها وهى غرقى بدموع الحزن والأسف وقطع الرجاء وأنشدت بنت الوليد

يدنيه قلبي ويبعده ... طنف الأماني ثم أفقده
ظن الهوى بالقلب منزلة ... أقوى فعاوده يجدده
لاحظته فتولدت محنى ... والحب من نظر تولده
ريم أتى إلى الحشا سكنا ... فالقلب مربعه ومورده
ساروا فسار القلب بينهم ... حيران يجهل أين معهده
وبقيت بعدهم وليس سوى ... نفس ولا أقوى أردده
ردوا فؤادى فهو ينجدنى ... من بعد ساكنه وتحده
فالحب ان شط المزار به ... يوما تؤسينا معاهده
كم وقفة للبين مزعجة ... خان الفؤاد بها تجلده
تنهل أدمعنا وننهلها ... حذرا لواش ضل مقصده

ونكاد نشرق إذ نسيح دما والبين لا تصفو موارده
آهاً لليل طال بعدكم ودجى النوى لا يرتجى غده
أبكى إذا صدح الحمام على فنن فينشدنى وأنشده
ان نحت قام إلى يسعدنى أو ناح قمت اليه أسعده
بتنا معا فى ليل داجية لكن سهرت وبات يوقده

وإنما عين الحياة فكانت النار تتسعر فى فؤادها بما لحق حبيبها من المصائب وقد أنشدت وهى تتمنى أنها لو كانت مطلقة لربما توصلت إلى خلاصه

أنظر إلى المجد كيف ينهدم وعروة الملك كيف تنفصم
وأعجب لشهب البزاة كيف غدت تسطو عليه الحدأة والرخم
قد كنت أختار أن أغيب فى الترب وتبلى عظامى الرمم
ولا أرى اليوم من أكابرنا اسد وفيها الذئاب قد حكموا
بأى عين نرى الأنام وقد تحكمت فى ليوثنا الغنم
اما ممات وذكرنا حسن اما حياة وربعنا حرم

وكانت المصائب والأهوال قد الفت عين الحياة حتى انها عندما تشتد عليها كانت لا تؤثر فيها عظيم تأثير انما كان الحب وحده الذى يفعل فيها ويحرك منها دواخلها ويجعلها أن تخاف على من أحبته حبا يكاد يحسب ضربا من العبادة الحارة المتولدة فى القلب الكثير الميل والشعور ومنذ ذلك اليوم وقع على عين الحياة وطوران تحت واقع الكدر والحزن فكانتا تصبحان وتمسيان على البكاء والتعداد وفى كل يوم تنزل هند الأسواق مستنشقة الأخبار باحثة عن حالة جيشها فكانت لا تسمع إلا فرحا وسرورا من الاهالى وهم يظهرون لعلائم النصر أبهج علائم

قال فلنتركهما على هذه الحالة ولنرجع إلى طارق العيار فانه وعد الملك ضاراب وبهروز بانه يوقع فى المصريين والذين تنصروا لهم الوقائع الهائلة وينصب لهم شركا يهلك به أكثر من مائتى ألف نفس وبهذه الغاية أخذ شبرنك وشياغوس وسار بهما كما تقدم الكلام وكان طارق فى النهار قد أوسع فى القفار وجال فى الطرقات حتى توصل إلى واد بالقرب من تلك الجهات لا يبعد عن مصر إلا عدة أميال ونظر فى الوادى المذكورة جيشا جرارا كثير المقدار يبلغ أكثر من مائتى ألف فارس فتعجب لنزولهم فى تلك الوادى فاختلط بينهم وجعل يستفسر منهم عن حالتهم إلى أن عرف أن أولئك القوم هم من ملاطية وقد جاءوا لنصرة الوليد وهم تحت امرة ثلاثة فرسان من الفرسان الشداد يقال لهم فهرومهر وقهرو وكان سيف الدولة صاحب ملاطية قد بعث لهم رسول يستدعيهم لنصرة الوليد فلما أتى أخبره وأمرهم أن يجمعوا

-الفرسان ويأتوا اليه وفى الحال ركبوا وساروا إلى أن قربوا من تلك الوادى وكانوا من التعب على جانب عظيم ولذلك اختاروا النزول والراحة وقالوا نبات هذه الليلة فى هذا المكان وفى الصباح نسير إلى مصر وربما يدرك الوليد وهو فى الشدة أثناء القتال فيكون لوصولنا تأثير عظيم ونفع أعظم ولما اعتمدوا على هذا الرأى نزلوا وسرحوا خيولهم ونصبوا خيامهم للمبيت فى تلك الارض ولما علم طارق سر المسألة أبقاها فى ذهنه وهو يفكر فى عمل حيلة إلى ان تعهد الملك ضاراب بما تعهد فقصد أن يخدمه خدمة يشكره عليه فلبس لبس تجار الشام وألبس شبرنك وشياغوس مثله وهما لا يعلمان ماذا يريد ثم مزق الثياب وعفر نفسه بالتراب وسار إلى جهة مصر وصبر فى منتصف الطريق إلى أن قرب الزوال وإذا به يرى عساكر مصر وقد خرجت مع الأمير مسعد قاصده الآكام وهى التى عينها الوليد لقتال الليل فلما رآهم طارق جعل يبكى وينتحب وسار إلى جهتهم على تلك الحالة وفعل رفيقاه فعله من النوح والبكاء إلى أن وصلوا إلى العساكر وهى سائرة فسألوهم عن حالهم فقال لهم طارق خذونى إلى الحاكم فان لى كلاما أقوله له قالوا ان الحاكم ليس هو مع الجيش إنما معه قائده الأكبر فأخذوه اليه فلما وقف بين يديه بكا وحث التراب على رأسه وقال له أرجوك يا سيدى أن تغيثنا وتنظر الينا وترجع أموالنا فقد سلبتها الأعداء ورمونا بالفقر والفاقة ولم يبقوا علينا سترا . قال من أنتم ومن الذى فعل معكم هذه الفعال . قال طارق اعلم ياسيدى أننا تجار من بلاد الشام وجئنا بها إلى القدس على أمل أن نبيعها هناك فنربح فيها غير أننا صادفنا كسادا فى تلك المدينة ولم ترج بضاعتنا فخطر لنا أن نأتى بها إلى مصر رجاء أن نبيعها ونربح فى ثمنها فسرنا كل الطريق دون مدافع ولا ممانع ولا خرج علينا أحد إلا أننا وصلنا إلى هذه البلاد وهى محل الأمان ومحط السلام مررنا فى واد بالقرب من هذه النواحى ونحن لانعلم أن فيها أحدا وبينما نحن سائرون خرج الينا جماعة ظهر لنا أنهم من جماعة الفرس فسلبونا أموالنا وقادوا القافلة بما عليها وأخذوا رجالها أذلاء حيارى وهم يقولون لنا سلموا أنفسكم إلى الملك ضاراب ملك بلاد فارس وكنا نحن مع جماعتنا قد وقعنا فى أيديهم إلا أن العناية الالهية سمحت لنا بالخلاص فافلتنا من أيديهم وجرينا إلى جهة المدينة إلى أن صادفناكم وقد اندهشنا لكثرتهم وكثرة جيوشهم

فلما سمع الأمير مسعد هذا الكلام وقف مطرقا ثم قال وهل تأكدتم حق التأكيد أن أولئك القوم من الفرس . قال طارق كيف لا وقد تبين لنا من ملابسهم وقبعاتهم أنهم أعجام وقد ضربوا الخيام فى جوانب الوادى ومدوه طولا وعرضا . فقال لا ريب أن الملك ضاراب هو نازل فى تلك الوادى وبالصبح حتى يكون غير مكانه

خوفا من أن تفاجئه فاختبأ في ذلك المكان . ثم قال لطارق سيروا بنا إلى الجهة التي تزعمون الأعداء. قد أخذوا لكم بضائعكم فيها فانا نردها عليكم ونزيدكم فوقها أضعافا فقالوا سمعا وطاعة وساروا أمام العساكر والأمير مسعد في أثرهم ومال الجيش برمته إلى تلك الجهة وهم فرحون بنزول الأعجام في الوادي لأنه أسهل مجالا للقتال والنزال ولما قربوا من الوادي تقدم طارق إلى الامير مسعد وقال له أخاف ياسيدي أن يقع بينكم وبين الأعجام قتال تخسرون به ولذلك أرجوك أن تستكن هنا لأن لا علم لهم بكم فاني أذهب وأترقب لكم إياهم حتى إذا دخلوا خيامهم للنوم وتفرقوا عن بعضهم تكبسوهم وتوقعون بهم ولا يفقد منكم واحد قط وبهذه الواسطة تقدرون أن ترجعوا لنا بضاعتنا ولا تقولوا أنها كلفتكم دم كثير من الرجال قال لقد أصبت فسر الى أن يتبين لك أنهم نيام وأت الينا لاني أقيم هنا نحوا من ساعة لراحة الجيش وكان الامير مسعد قد شاهد عن بعد الجيوش النازلة في الوادي وقد أشعلت نيرانها ونورت مصابيحها فتأكد قول طارق وعلم أنه صادق وفي الحال أطلق طارق ساقيه إلى الريح وسار الى أن دخل الوادي وتخلل القوم حتى وصل الى صيوان الأمراء الثلاثة وقال لهم وهو يظهر على نفسه التعب ويلهث بتتابع اعلموا أن بعض عياري الوليد كان بين جيوش إيران يتجسس أخبارهم ويستطلع أحوالهم فعرف مؤكداً انهم أطلعوا على أمركم وقد قرروا فيما بينهم ان يكبسوكم في هذه الوادي فعاد العيار وأخبر سيدي فتعجب لما أنه لم يكن له علم بوصولكم وفي الحال بعثني لأنبهكم لتكونوا على حذر اذا صح ما أخبر به العيار وبينما أنا آت شاهدت جموع الاعداء يتقدمون

انتهى الجزء الخامس عشر ويليه الجزء السادس عشر

الجزء السادس عشر
من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

شيئا فشيئا ولذلك أهلكت نفسى بسرعة المسير الى أن سبقتهم وقد خطر لى أنكم ترجعون إلى الوراء وتفرغون الخيام حتى إذا صار الأعداء بينها تنحدرون اليهم وتبادرونهم بالقتال وإنى أعود إلى الوليد فأخبره ليداركم بالنجدات فيفنون عن آخرهم وماذلك إلا من سعادة الوليد وحسن حظه . فلما سمع فهروم وقهرهذا الكلام قالوا أننا نعجب كيف أن الأعداء عرفوا بنا لاريب أن أحد عياريهم كان مارا من هذه الجهات فتجسس أخبارنا ولابد لنا من الايقاع بهم ونصب مكيدة تكون عليهم شرا ووبالا . ثم أمر رجاله فى الحال أن ترجع إلى الوراء وأن تطفئ الأنوار وتمتنع عن الضوضاء والغوغاء حتى لاينتبه العدو اليهم بل يظنهم داخل الخيام وبأقل من نصف ساعة خرجت رجال ملاطية من بين الخيام وتوغلت فى رؤوس الوادى . ولما رأى طارق رجوعهم ثبت عنده نجاح مسعاه فكر راجعا حتى انتهى إلى الأمير مسعد فقال له إن القوم نيام وهم آمنون من طوارق الحدثان ولم يخطر لهم قط أن عساكركم تفاجئهم مثل هذا الليل واسأل الله أن لايبقيهم منكم وأن يهلكوا عن آخرهم وفى الحال أمر الأمير العساكر أن تتدرج إلى الوادى وتهجم على الخيام هجمة واحدة وأن يوقعوا بالأعداء ومن وقعوا به منهم لايبقوا عليه حتى إذا أشرقت الشمس يكون قد بددهم وأهلك قسما كبيرا منهم فلايعود من لزوم لمجيء تمرتاس . لقتال النهار ففعلت العساكر ما أمرهم به قائدهم ودخلوا الوادى وهجموا على الخيام دون أن يبدوا حركة ما وتفرقوا بين المضارب ودخلوها وهم لا يرون أحدا وفى تلك الساعة صاحت عساكر ملاطية وحملت وقومت أسنتها وستر عنها الليل وجه الحقيقة فظنت أن الآتين من الايرانيين كما كان يظن ذلك المصريون وبأقل من ساعة ارتفعت الصيحات . وعلت الأصوات . واشتدت الشدات . وكثرت الويلات . وعملت السيوف الصقال . فى صدور الرجال . فمددتها على الرمال . واختلط القومان . وسلما بأنفسهما إلى الذل والهوان . وعرضا بأنفسهما إلى الهلاك والقلعان . ومامن واحد عرف خصمه . أو تبين شكله ورسمه . بل كانت القتلى تتمدد بين الخيام . وتعثر بالرجال الخيول فترميها على بساط الآكام . وتدوسها بنعالها . فتذوق شروبالها ونكالها . ولم يكن ير فى سواد ذلك الليل إلا بريق ولمعان وشرار يتطاير من وقوع السيف اليمان . على درق الفرسان .

ولما رأى طارق أن القومين قد وقعا ببعضهما وان الحرب قامت على ساق وقدم وما من سبيل الا فصلها ورجوعها قبل اتيان النهار أخذ رفيقيه وكر راجعا الى جهة الآكام المقيم فيها الملك ضاراب وهو يصفق من الفرح والمسرة وقد انبهر من عمله شبرنك وشياغوس حتى دخل صيوان الملك ضاراب وكان اذذاك فى آخر السهرة وقد اوشكت الناس أن تنفض عن ديوانه وقال له بشراك يا سيدى فقد خدمتك فى هذه الليلة السعادة حتى وفرت عليك من التعب ما كنت تخاف منه قال بماتبشرنى ياطارق هل تخلص ولدى والفرسان . قال كلاياسيدى ان ذلك شغل بهروز الذى تعهد به واما انا فانى تعهدت لك انى انصب للأعداء شركا يهلكون به انفسهم فقد توفقت والحمدلله الى المطلوب . ثم شرح للملك ما كان من امر قهرومهروقهر وكيف رماهم مع الامير مسعد وقال له ان الحرب لا تزال الآن قائمة بين القومين ولا يمكن فصلها قبل الصباح لأنهما لا يعرفان بعضهما وسوادالليل قد سترهما . قال فسر الملك ضاراب غاية السرور وتعجب غاية العجب من حيل طارق وخداعه وقال له فلتكن عيار الملوك مثلك والافلا . ولا ريب ان العمل الذى عملته اقمت به مقام جيشى بأجمعه واهلكت من الأعداء ما يصعب على عساكرى هلاكه دون ان يفقد منهم فارس واحد . ثم امر الملك ان يخلع عليه الخلع الحسان وتدفع اليه الدراهم والدنانير وقام مع وزيره وتقدموا الى الامام وعلوا اكمة عالية ونظروا عن بعد الى جهة الوادى فسمعوا اصوات القتال وشاهدوا على نور الكواكب بريق السيوف وكثرة الازدحام فزاد سروره وقال لوزيره لا ريب ان الفريقين يهلكان بعضهما فى هذه الليلة فلا يصبح الصباح وفيهما بقية رمق فلله درك يا طارق وانى اسأله تعالى كما توفق الى اتمام تعهده يتوفق بهروز الى خلاص رجالنا والآن تبين لى طرق النجاح ولا بد من الحرب فى الصباح والمطاولة لنلهى القوم عن أن يذهبوا الى المقنطر لبينما يعود الينا بهروز واسأل من الله توفيقه . ثم عاد الملك ووزيره وهم فى فرح ومسرة وناموا تلك الليلة ينتظرون الصباح .

واما المتقاتلان فانهما بذلا الجهد فى الطعان والضراب . وقد سدت فى وجوه الرجال جميع الأبواب . حتى لم يعودوا يرون خلاصا من الهلاك والعذاب . ولا سبيلا إلى الهرب . والنجاة من التعب . وملاقاة العطب . ودامت الحرب قائمة على ساق وقدم . إلى أن انقضى الليل وانهزم واقبل النهار وتقدم . وقد تخدرت من الفرسان السواعد والاكتاف . وباتوا على شفير الهلاك والتلاف . وكادوا يفنون عن آخرهم لانه ما بقى منهم إلا كل مجروح او قاطع الرجاء وخائر العزم والقوى ولما اشرق النهار تبين القومان بعضهما فلم ير الخصم فى خصمه دلائل ايرانية بل راى اهل ملاطية

أنهم تقاتلوا مع المصريين ورأى المصريون أنهم قاتلوا نصرانهم أهل ملاطية وفي الحال أمر الأمير مسعد بضرب طبول الانفصال ومثل ذلك فعل فهر وأخواه فرجعت الرجال عن بعضها غير مصدقة بالخلاص . واجتمع الأمراء ببعضهم واستفسروا عن السبب فحكى كل منهم ما كان من قصته وما سمعه من طارق فتعجبوا من عمله وقالوا لا ريب أنها حيلة إيرانية فتكدروا غاية الكدر وتأسفوا على ما فرط منهم وحزنوا على الفرسان الذين قتلوا ظلما وعدوانا وبعد أن ارتاحوا قليلا نهضوا فركبوا خيولهم وساروا راجعين إلى الوليد وقد قتل منهم أكثر من مائتي ألف رجل من الفريقين . وكان الوليد في الصباح أمر تمرتاس أن يذهب بعساكر الرومان أجمعها ويضم إليها مثلها من عساكر مصر واليمن وأن يسير إلى جهة الآكام بحيث يكون الأمير مسعد قد انتهى من قتال الليل فيفاجأ الأعداء وينزل بهم الويلات ولا يدعهم يرتاحون البتة وأن لا يرجع إلا والملك ضاراب أسير معه فوعده بكل خير وسار على طريق الآكام المقيم فيها الملك ضاراب وهو يؤمل أن يرى عساكر الأمير مسعد عائدين منتصرين ظافرين فلم يرهم ولا زال إلى أن قرب من المكان الذي كان فيه طارق العيار والتقى بالأمير مسعد وحكى له ما كان منه . قال وهناك نظر إلى الأمير مسعد آت من جهة الوادي فوقف له إلى أن قرب منه فسأله عن تغيره الطريق وعن الأسباب الموجبة لقلقه وتعفر رجاله فحكى له كل ما توقع من حيلة طارق وكيف قاموا بالحرب كل تلك الليلة مع بعضهم البعض فتكدر تمرتاس وقال لا ريب أن هؤلاء القوم شياطين مردة ولكن إذا فعلوا ذلك فلا يقدرون أن يفعلوا معنا فيما سيروا إلى الوليد وأعرضوا عليه أمركم وإني سآخذ لكم بالثأر من هؤلاء الأوغاد وأريهم كيف تكون الحيل ثم صار إلى جهة الآكام وسار الأمير فهر ومهر وقهر إلى جهة الجيش حتى وصلوا إلى الوليد فنعوا له القتلى منهم وحكوا له كل ما كان من أمرهم وكيف أن عياري العجم غشوا بهم فطار عقله لهذا الخبر وتكدر مزيد الكدر وقلق لما وقع على عساكره ولا سيما سيف الدولة حاكم ملاطية فإنه حزن لفقد رجاله ولام بهلوانة بلاده كيف أنهم نزلوا تلك الليلة في الوادي مع أنهم قريبون من مصر. فقالوا هكذا حكم القضاء وأعظم كدر كان على الوزير طيفور لأنه كان يعد أشد سرور أنهم في ذلك اليوم يقبضون على الملك ضاراب ويبددون كل رجاله فلحق به الفشل والخيبة إلا أنهم عقدوا الأمل بتمرتاس وقالوا لا بد أنه ينهي لنا أمر الأعداء ويأخذ لنا بالثأر منهم وباتوا يعلقون الأمل بعود عساكر النهار .

وأما ما كان من تمرتاس فإنه تقدم شيئا فشيئا إلى جهة العجم المقيم بها عسكر إيران

ولا زال الى أن تبينه عن بعد واذا بالفرسان قائمة صبة واحدة الى بعضها وهم يتهيئون للنزول من مراكزهم لأنهم شاهدوا عن بعد العساكر آتية فاستشاروا الملك ضاراب في ماذا يفعلون فقال لهم انزلوا اليهم الى أسفل ولاقوهم بهمة وحمية فاذا ثبتم ابقوا في مراكزكم والا فعودوا الى الآكام وتسلقوا الجبال واياكم من الانفراط فأجابوه ولما قرب تمرتاس بجماعته منهم خرجوا اليه ولاقوه عن بعد وهم على يقين أنهم لا يثبتون لأنهم كانوا بلا قواد يفعل وكان الخوف فيهم بكل قوته ولا سيما خوفهم من المقنطر الساحر أن يعود فيفرقهم أو ينصب لهم طريقا آخر للهلاك والموت ولما التقى القومان حملوا على بعضهم البعض ومالوا في الطول والعرض وقد هزوا العمدان وأطلقوا العنان واختاروا الموت على البقاء والهلاك في الثبات على التأخر والرجوع الى الوراء وكان تمرتاس يصول صولات الآساد ويهدر كما تهدر فحول الجمال وهو يميل تارة الى اليمين وطورا الى الشمال وقد جود الطعن في الأعجام وفتك فتكا عجيبا فثبتوا له ثبات الابطال والتقوا المنايا بقلوب صابرة وصدور وسيعة ودارت بهم المصائب من كل ناح ولم يعودوا يعلمون ما بين أيديهم ولا ورائهم وبأقل من ساعة أخذوا في أن يرجعون القهقرى ويتأخرون ولما رأى الملك ضاراب حالة جيشه غاب عن الصواب وخرج من تحت الاعلام وهو في حالة جنونية وعول على الهجوم على تمرتاس فتمسك به طيطلوس وقال له لاحاجة لخروجك للحرب الآن فلا تخاطر بنفسك في القتال ولا ترمي بجيشك في بحور المهالك بل من اللازم أن تضرب طبول الرجوع وتتأخر الى ظهور الآكام ونطارد الاعداء بالسهام الى حين يصل الينا علم من بهروز عساه أن يقضي العمل ويأتينا بابنك والذين معه فاصغى الملك اليه وضرب نفير العود فتأخرت عساكره الى الوراء طالبة الصعود الى مراكزها وطاردها تمرتاس بجيشه وعول على أن يبقى متاثرها الى مراكزها ولا يرجع عنها ولو ألزمه الامر فقدان نصف عساكره الا أنه توقف لما شاهد عن بعد غبارا قد ارتفع الى العنان ومن تحته جيوش وفرسان وهي كالجراد الزاحف تميل سيوفها في الهواء وتشرع بعمدانها فتلتطم فيخرج من جري وقعه على بعضه أصوات أشبه بالرعود القواصف وكذلك الملك ضاراب فانه وقف بجيشه في منتصف الآكام لما تبين ذلك الغبار وهو عن طريق اليمن وصبر ليعرف سبب مجيئه وقال لطيطلوس وكان بقربه إن هذه العساكر آتية علينا واني أخاف أن تكون هذه الواقعة سببا لانقراض دولة فارس لاننا أصبحنا الان في مركز صعب جدا فعساكرنا كادت تفقد قواها وربما تشتتت بعد قليل من الايام وفرساننا الان في قبضة ساحر يصعب على اعظم عياري هذا العالم ان ينتشلهم منه اذا لم تساعده يد العناية الالهية الغالبة والاعداء يتجمعون علينا من كل جهة ومكان ومامن نجدة يشتد بها ظهر

جيشنا ويسد به الخلل الذى ينقص فينا قال ان قلبي يخبرنى أن هذه العساكر آتية لنجدتنا وأن بها يكون لنا فرج عظيم وطالما أصبت فى ظنى وما أخطأت مرة وسوف يجلى لك سر الأمر . فتنهد الملك وقال من أين تأتينا النجدات فان بلادنا بعيدة عنا ومامن خبر عندهم منا ولاأظن أنهم يسعون وراءنا ويتركون البلاد ويتحملون مشقات هكذا طرق طويلة وصعبة دون أن ندعوهم اليها .

قال وبينما كان الملك وطيطلوس يتكلمان وأعينهما تضرب إلى جهة الجيوش القادمة وكذلك تمرتاس واقف فى مركزه وعيونه مائلة اليها وقلبه متلهف إلى معرفة أحواله وظهور حقائقه وكانت تلك العساكر تتقدم وكلما تقدمت زادت وضوحا حتى ظهرت رايتها وأكدت بالعيان أنها يمنية من رايات بلاد الشاه سرور فقال تمرتاس فى نفسه لاريب أنها آتية نجدة للشاه سرور فهى موافقة لنا معينة لحربنا الاخوف منها واطمأن باله نوعا وانتظر قدومها ووصولها وأما طيطلوس فانه قال للملك ضاراب لاريب أن هذه العساكر يمنية وهى مرسلة من قبل الشاه سليم لنجدتنا وبعدساعة أو نصف ساعة تتبين لك الحال وتتأكد كلامى وماجاءتنا إلا بوقتها لأننا فى ضيق الخناق ففرح الملك ضاراب بذلك وقال لطيطلوس انى أعجب من الأيام فانها لاتريد أن تبقينا على حالة خوفا علينا من أن ننتفخ ونخمر بخمرة النصر والقوة ولذلك تلطمنا لطمة وتداويها وتلطم أعداءنا عدة لطمات ولذلك إن صح قولك وكانت هذه العساكر نجدة لنا ثبتنا فى مراكزنا وطاولنا الأعداء إلى حين ظهور خبر بهروز وانى أسأله تعالى ان يكون بينهم فارس يقتل تمرتاس ويريحنا من أمره . ودام القومان ينظران إلى جهة القادمين إلى أن قربوا كل القرب وتبينوهم فردافردافاذاهم من اليمن وبين أيديهم فارس مربوع القامة ملثم بلثامه إلى حد عينيه لم يظهر لوجهه ولالرأسه قط من أثر وهو فوق جواده كالليل الحالك وعلى جنبه سيف عريض وفى كتفه قوس معلق فيه عدة سهام وتحت إبطه كنانة معلقة فى عنقه ولازال هذا الفارس يتقدم وهو مجهول من القومين إلى أن وقف على مقربة من الايرانيين والمصريين ونظر إلى جهة جيوش إيران فرآها بهتة فتحقق حالتهم وعلم ماهم عليه ثم نظر إلى جهة تمرتاس فوجده واقفا وقفة المعتز المنتصر وهو ينتظره للهجوم وشاهد أيضا أن كلا القومين ينظران اليه وينتظران معرفة حقيقته وعليه فقد تناول من كنانته سهما وأخرج قوسه ورفع السهم فغمسه بالقير وأخرج نفطا فأطلقه وأشعل السهم به فالتهب وفى الحال أوتر به القوس وأطلقه إلى جهة تمرتاس بخفة تسبق وقوع الرياح فخرج من كفه يلمع كالشهاب وهو يتلهب ويزيد اشتعالا ولما نظر تمرتاس إلى انطلاق السهم وانه وجه اليه اضطرب فى بعضه وعزم على الهرب وأن يتجنبه فلم

يتمكن من ذلك لانه قبل أن يلوى عنان جواده أو يميل برأسه من اليمين إلى الشمال وقع السهم عليه عند عنقه وفى الحال التهبت ثيابه لان النار الشاعلة بالقير أصابت ثيابه فأحرقتها وأخذت تلتهب وأما السهم فانه اخترق رقبته وللحال مال عن جواده إلى الأرض وهو كشعلة نار يتطاير منها اللهيب والدخان والشرار فتعجب الجميع من هذا العمل وانبهروا من حسن معرفة هذا الفارس المخفى تحت القناع برمى السهام النارية وكان أكثر الكل فرحا الملك ضاراب فانه صفق بيديه ونادى لا شلت يداك ولا كان من يشناك يا فارس هذا الزمان وأمر جماعة من فرسانه أن تسير اليه وتدعوه لمقابلته فعولوا أن يتقدموا وإذا به رأوه قد صاح فى رجاله وأمرهم أن يهجموا على جموع مصر والرومان وينتشلوهم على أسنة الصفاح ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى التقت الفرسان بالفرسان . وطاف سلطان الموت وحان . وانتصب للأعمار من القصف أرجح ميزان وأمر الملك ضاراب عساكره بالهجوم وأن تأخذ لنفسها بالثار . وترفع عنها العار . فقد عاد اليها النصر والفخار وغاب عنها النحس والانكسار . وقسم عساكره إلى فرق واقسام . ورتبها على أحسن ترتيب وأوفق نظام . فاحتاطت باعاديها احتياط الاسوار بالزنود . وأروت ظمأ أسنتها من دماء الكبود . وكان ذلك اليوم من الأيام المعدودة بين أقوام ذلك الزمان . فيه ضيع سلطته سلطان الأمان . وخاب رجاء كل مؤمل من العودة إلى الأهل والخلان . وقال ملك الموت ألا هبوا إلى الفوت فقد بعثت لقبض الأرواح وتجريدها عن الأشباح وأمرت بتقليل العدد وتفريق المدد فقد طغيتم بالعناد والبستم مناخ الأرض ثياب الفساد وجرتم على بعضكم مع انكم خليقة واحدة لخالق واحد . لا ولد له ولا والد . وما أوجدكم إلا لنفع الأرض وعمرانها والانتفاع بنتاجها وتشييد بنيانها وان يكون بعضكم للبعض مساعد عند الضيقات ومعاضد فحركتم بعملكم هذا غضب ربكم . فحكم عليكم بى قصاصا لذنبكم . واختلط أولئك القوم بعضهم اختلاط الخمر بالماء . وشربوا من كف البلايا كؤوس العناء وكانت تلك الوقعة هائلة عظيمة . ومريعة جسيمة قتل فيها من الفريقين قوم كثير وجم غفير وفعل ذلك الفارس فى أعداء الايرانيين أيشم الأفعال . وأنزل بهم المصائب والنكال . وقد سطا عليهم سطوة جبار . وأراهم من سيفه البتار جمرات الأكدار والأخطار وما جاء آخر النهار . إلا وتفرقوا فى تلك البرارى والقفار . وتشتت بعضهم إلى اليمين وبعضهم إلى اليسار فأمر الملك ضاراب أن تتأثرهم العساكر وتلحق بهم ولا ترجع عنهم وفيهم رمق ولا زالت عساكر إيران وعساكر اليمن تضرب بأقفيتهم حتى كادوا يهلكون عن آخرهم وما خلص منهم إلا القليل من كل طويل العمر وعاد رجال الملك ضاراب

وأحزابه وهم منتصرون ظافرون وفى مقدمتهم ذلك الفارس المقنع الذى سبق الكلام عنه وقتل تمرتاس .

قال صاحب الحديث وكانت تلك الفوارس يمنية كما قدمنا وقد بعثها الشاه سليم لاغاثة الملك ضاراب وذلك أن الشاه سليم بقى على كرسى تعزاء اليمن حاكما نافذ الكلمة فى كل النواحى وقد أحبه البعيد والقريب من أهاليها لعدله وجوده أخلاقه وكرم طباعه وقد جاء بعائلته وحريمه من المدينة السليمية ليقيموا معه فى تعزاء اليمن وأقام حاكما على المدينة السليمية عوضا عنه وأوصاه بالمحافظة عليها ونشر العدل والأمان فيها لأنها مدينته الأصلية وقد ورثها أبا عن جد وجدا عن أب ودام له الحال وراق البال مدة طويلة إلا أن ابنته أنوش كانت قلقة تائهة الفكر مبلبلة البال مضطربة الخاطر يخطر على قلبها دائما فرخوزاد وتتذكر جماله ووداده وتتمنى قربه منها وقربها منه وصرفت أكثر أوقاتها فى ترداد حديثه وذكر أوصافه فكانت تسلى نفسها بهكذا أقوال ولا ترغب فى أن تبيح بسرها لأحد كونها ثابتة الجأش جلودة صبورة على مصائب الزمان وكانت فى أكثر الأيام تلبس أثواب الفرسان وتذهب إلى البرارى والقفار وتسطو على الوحوش الضوارى فتصطاد بعضها بالسلاح وبعضها تقبض عليه باليد وقد سبق لنا أن قلنا عنها أنها كانت بارعة بالقتال تعلمت فنون الحرب بجميع أنواعه الأصلية والفرعية حتى فى كل بلاد أبيها لا يوجد من يقدر أن يثبت أمامها أو يلقاها فى حرب أوطعان وفى المساء عندما تنفرد فى نفسها تدخل إلى غرفتها فى قصرها وتصف أواني المدام وتشرب على ذكر من أحبته وكلما شربت كاسا تتذكره فتنشد شيئا من الشعر تطفى به نار شوقها وتشخص به جماله وبهاءه وأوصافه التى كانت قد أحلتها من قلبها أرفع مكان وأنزلتها منزلة النوم من عيون الوسنان وبقيت على ذلك مدة طويلة وهى فى كل يوم تود أن تعرف شيئا من أخباره فتأتى إلى أبيها وتسأله عن أحوال الملك ضاراب وعن حربه فى مصر إذا كان وصل اليه خبر عنه فيقول لها ان لاعلم لنا عنه مطلقا وكان أبوها أيضا مرتبك الافكار خوفا من أن يلحق به أذى أو يتبدد جيشه ويعود نفوز أعداءه بسرور فيعود إلى ملكه ويفوته فرخوزاد الذى كان يحبه محبة الآباء للأولاد ولما طال المطال ولم يصل اليه علم وخبر عزم على اكتشاف الحقيقة وأن يرسل ابنته مع جيش من جيوش اليمن فدعاها اليه وكان يحبها لما هى عليه من الشجاعة والاقدام وقال لها أريد منك أن تلبسى لبس الفرسان وتذهبى بمائة الف فارس إلى مصر للاكتشاف عن حالة الملك ضاراب فاذا وجدته لا يزال فى الحرب فانضمى اليه وكونى معه ورفقته وقفى بين يديه مكافأة له على معروفه معنا وربما كان فى حاجة إلى النجدة وإذا رأيت أنه قد انتصر ولحق

بالايرانيين لاحق الكسر ولم يكن أحد منهم هناك وعلم بك الشاه سرور فقولى له ان أبى لما استبطأك بعث اليك بهذه العساكر نصرة لك وقد جمعها من سائر الانحاء اليمنية إنما هذا يكون بعد قطع الرجاء من الملك ضاراب وغيابه عن تلك الاوطان فاصدقت أن سمعت هـــذا الكلام حتى امتلأ قلبها فرحا وسرورا وتمنت أن تطير لتصل إلى جيش إيران وتشاهد حبيبها فرخوزاد وتبل شوقها من مشاهدته وقالت لأبيها لقد فكرت حسنا ولا ريب أن الملك ضاراب فى حاجة الآن إلى النجدة على الاكثر لأنه يتعب مع المصريين لكثرتهم وكثرة توارد النجدات عليهم فهو بعيد عن بلاده ومامن أمل أن يزيد عسكره إذا نقص قال هكذا افتكرى فكونى على استعداد لتسيرى فى الغد فسارت من أمام أبيها وهى فى مسرة وابتهاج فرحة بما كان من أمره وسماحه لها أن تسير مع جيشه إلى بلاد مصر ودخلت قصرها وأحضرت المائدة فأكلت واكتفت ثم جاءت بالشراب فوضعته أمامها وأحاطته بالنقولات وهى لوحدها لاتبوح بسرها لأحد ولما لعبت بها الخمرة ودار فى رأسها مفعولها جعلت تنشد وتقول قول القائل :

أذاب التبر فى كاس اللجين ... رشا بالراح مخضوب اليدين
وطاف على السحاب بكاس راح ... فطافت مقلتاه بآخرين
إلى عينيه تنتسب المنايا ... كما انتسب الرماح إلى ردين
تلاحظ سوسن الخدين منه ... فيبدلها الحياء بوردتين
ومجلسنا الانيق تضىء فيه ... أوانى الراح من ودق وعين
فأطلقنا فم الابريق فيه ... وبات الزق مغلول اليدين
وشمعتنا شبيه سنان تبر ... تركب فى قناة من لجين
وقد صاغت يد الازهار تاجا ... على الاغصان فوق الجانبين
بورد كالمداهن فى عقيق ... وأقداح كأزرار اللجين
وقد جمعت لى اللذات لما ... دنت منها قطوف الجنتين
ألا يا نسمة السعدى كونى ... رسولا بين من أهوى وبينى
تملك حبه قلبى وصدرى ... فاصبح ملء تلك الخافقين
ويا نشر الصبا بلغ سلامى ... إلى الاحباب بين القلعتين
وقل لمعذبى هل من مجاز ... لوعدى سالفيك السالفين
وهبتك فى الهوى روحى بوعد ... وبعتك واعدا نقدا بدين
وجئت وفى يدى كفنى وسيفى ... فكيف جعلتها خفى حنين
ولم صبرت بعدك قيد قلبى ... وكان جمال وجهك قيد عينى

فسرنا نشبه النسرين بعدا　　وكنا ألفة كالفرقدين
عرفتك دون كل الناس لما　　نقدتك فى الملاحة نقد عين
وكم قد شاهدتك الناس قبلى　　فما نظروك كلهم بعينى
وطاوعت الفتوة فيك حتى　　جعلتك فى العلاء برتبتين
أأجعل لى سواك عليك عينا　　وكنت على جميع الناس عينى
بعادك أطمع الأعداء حتى　　رأوك اليوم خزر الناظرين
وهلا طالعوك بعين سوء　　وأمرى نافذ فى الدولتين
وما خفقت جناح الجيش إلا　　رأونى ملء قلب العسكرين

وكانت تنشد وهى واضعة شخصه نصب عينيها متذكرة أيام كانا يجتمعا مع بعضهما البعض فى قصر أبيها عندما كان فى المدينة السليمية ولازالت هذه الحالة حالتها وهى تعد نفسها بانها فى صباح اليوم الآتى تركب تحت الراية اليمنية وتسير إلى حيث الحبيب ويشاهدها وهى بذاك الموكب ويرى من هيبتها وفعلها إذا قاتلت أمامه ما يزيدها منزلة فى عينيه إلى أن قرب السحر فنامت بضع ساعات لتأخذ لنفسها الراحة من تعب الليل الناتج عن كثرة الهواجس وفعل الخمرة وطول السهرة ولما أشرقت الشمس ركبت جوادها وتقلدت بسلاحها بعد أن لبست ملابس الرجال وضربت قناعا على وجهها كى لا يعرفها من يراها وكانت تحسن رمى السهام النارية أحسن من أعظم فارس فى ذلك الزمان وقد امتازت به على غيرها فأخذت كنانتها وقوسها وسهامها وما تحتاج اليه أثناء القتال وجاءت إلى قصر الأحكام فوجدت أباها بانتظارها وهو بعدد العساكر ويفرق عليهم الأسلحة ويهيىء لهم المؤن اللازمة فلما رآها أبوها وقد أتت فرح بها وأمرها أن تضم إلى الجيش وأن ترفع فوق رأسها الأعلام وتضرب بين يديها الموسيقات وأوصاها بالمحافظة على نفسها والتيقظ أثناء القتال وكتب لها كتابا إلى الملك ضاراب وطلب اليها أن تدفعه اليه وتهديه سلامه وبعد أن ودعها وقبلها القبلات الكثيرة وهو يذرف الدموع لبعدها لانه كان يحبها محبة خارقة العادة كونها وحيدة له ووحيدة فى أعماله ثم سارت بالجيش وخرجت من المدينة لجهة بلاد مصر وسلكت الطريق الموصلة فسلكتها ولا زالت سائرة أياما وليال وهى مسرعة السير ترغب فى السرعة لمكانة [illegible] حتى وصلت الى لدن الطائف فضربت خيامها عنده وأمرت عساكرها [illegible] لنفسها الراحة التامة بعد اتعاب المسير ومشاقه وعلم الامير [illegible] فأسرع لملتقاهم وسلم على الاميرة انوش وسألها أن تدخل فمتنعت واعتذرت بأن نفسها [illegible] تحب البقاء فى الخارج وانها فى الصباح تركب إلى جهة مصر [illegible] الأطعمة

والعلوفات وباتت تلك الليلة بالقرب من الطائف بين شجر النخل والسنوبر إلى أن لاح وجه الصباح فنهضت مبكرة وأمرت عساكرها بالنهوض أيضا فعمدوا إلى خيلهم واعتلوا فوق ظهورها وركبت هي أيضا وسارت مودعة أرض اليمن وداومت السير عدة أيام إلى أن قربت من مصر ودخلت أراضيها فشعرت بارتياح فى قلبها ووعدت نفسها بقرب من مشاهدة فرخوزاد وانها بعد يومين أو ثلاثة أيام يجتمع به وتسلم عليه وتكون دائما بقربه ومعه وتشاهد أعماله ويشاهد أفعالها وهى تكاد لا تصدق أن تصل إلى العرضى الموجود فيه ولو لم يكن يخطر ببالها أنه ربما كانت لا ترى الحرب باقية لكانت أفرح العباد إلا انه وقع على قلبها الحزن بغتة عندما افتكرت أنه ربما يكون قد وقع على فرخوزاد أمر مكروه أحرمها وجوده ونظره وهذا الفكر أوقعها فى اليأس وجعل قلبها يخفق وكادت تفقد كل قواها وحواسها وقالت فى نفسها انى طالما كنت أظن الخير فلو لم يكن فرخوزاد تحت ثقل المصائب لما كان يخطر لى هذا الخاطر وان الأوهام كانت قد منتنى إلى وصولى من نوال آمالى فخانتنى وبعث إلى الدهر بالأفكار الرديئة تنبها للمصائب قبل ملاقاته وكانت واقعة بين أمرين تارة حزن وطورا فرح ولذلك جدت فى مسيرها أملا أن تتخلص من تلك الأوهام وتمنت أن تطير لتكشف الحقيقة ودامت بسرعة إلى أن تبين لها عن بعد غبار كثيف فثبت لديها انه غبار المقاتلين فطار قلبها شعاعا وقالت لابد من أن أدركهما وهما تحت نيران الوغى فأظهر شجاعتى وابدى عملا عجيبا ومالت إلى جهة الغبار ولا زالت تتقدم شيئا فشيئا وكلما تقدمت تجلى لها الحقيقة إلى أن قربت من القوم عند تلك الآكام كما تقدم معنا ونظرت إلى الرايات وتحققت أن الملك ضاراب فى ضيقته عند مشاهدتها إياه ملتجئا إلى الجبال فتوسطت المجال ونظرت إلى عساكر المصريين ونظرت إلى تمرتاس وهو مفتخر بنفسه معتز بانتصاره فغاظها ذلك وتكدرت كثيرا من عمله وأرادت أن تظهر لجيوش إيران شدة بأسها ترغيبا لهم فيها وحبا بصوالحهم فأخرجت ذاك السهم وفعلت ما فعلت ولما ساعدتها الصدف وخدمها التوفيق وأصاب سهمها تمرتاس ووقع قتيلا كادت تطير من الفرح واشتدت بها الحمية والحماسة وعلمت أنه رئيس القوم وقائدهم فتأكدت أنهم لقتله يضعفون وتقع بهم البلية فحملت حالا وحمل لحملها الملك ضاراب وهو مسرور من عملها كما تقدم معنا الكلام دون أن يعلم انها ابنة الشاه سليم واكتسبوا النصر وتشتيت الاعداء وتفريقهم

ولما عادت من خوف الأعداء قصدت جهة الملك ضاراب وقبل أن تصل اليه وجدته واقفا بجواده ينتظر قدومها فترجلت ودنت منه وقبلت يديه وعرفته بنفسها وقالت له يا سيدى ان أبى لما طال عليه أمر غيابكم خاف من أن يكون قد لحق بكم

ضرر أو أصابكم أمر وكان هذا الأمر يشغله دائما حتى أقلقه وأحرمه لذيذ النوم وأطار منه الراحة ولم ير بدا من أن يبعثنى أكتشف له أمركم وأبعث له بالخبر اليقين وبعث معى نحو مائة الف فارس فالحمد لله الذى وجدنكم على أتم الصحة وأشكره أيضا لعدم تأخير وصولى لأنى على ما أظن انه كان نافعا لكم ومما يكدرنى جدا انى لم أر أحدا من فرسانكم فأين هم الآن والى أين ذهبوا وأسأل الله أن لا يكون لحق بهم مكروه ففرح الملك لكلامها وتعجب من فصاحة لسانها كما تعجب من قوة جنانها وشجاعتها التى ندرت فى مثلها من بنات الزمان وقال لها انى أشكر اهتمام أبيك وحبه فلولم تأتى فى مثل هذه الساعة لكنا فى ويل وعذاب لأن الاعداء لما فرط انتظامهم وشاهدوا الدمار بعينيهم استنصروا علينا بالملك قيصر فبعث لهم بالعساكر والابطال مع بهلوان بلاده تمرتاس فلم نعتد بذلك ولا حسبنا له حسابا بل أوقعنا به وبهم الخسارة والويل وكدنا ندخل المدينة ونفوذ بالنصر بعد تصعبات كثيرة غير أن الوليد لما شاهد نفسه مغلوبا معنا لجأ إلى ساحر فى بلاده اسمه المقنطر وطلب منه آذانا وذلك منذ أيام قليلة وبينما كنا نرتع فى بحبوحة الظفر فرحين به واذا بأبطالنا طايرت بعمل هذا الساحر جميعها واحدا بعد واحد فوقعنا من بعدهم باليأس والعذاب ولنا رجاء أنهم يتخلصون فى هذين اليومين ولهذا الرجاء لجئنا الى هذه الآكام ننتظر الفرج فلم تصبر علينا الاعداء بل قسموا جيوشهم لى قسمين قسم يقاتلنا بالنهار وقسم يقاتلنا بالليل والحمد لله قد أوقعنا بالجيشين وأهلكنا قسما كبيرا منهما مع ضعفنا وقوتهم وقلة فرساننا وكثرتهم . ثم ان الاميرة أنوش سارت مع الملك ضاراب الى صيوانه وهى حزينة كئيبة عند استماعها أن فرخوزاد فى قبضة الساحر وانه فى خطر الموت منه وكادت تغيب عن الصواب الا انها أظهرت الجلد وأخفت الكمد خشية من أن يلحظ منه شيئا الملك ضاراب ويعلم ما فى فؤادها من الحب فتنزل منزلتها عنده وكانت تعرف من نفسها قلة اصطبارها على معاناة الحب و[illegible] الحبيب الا انها كانت أيضا تعرف أن بالصبر ينال الانسان مراده وان الشكوى لا تفيد فى ذات [illegible] المحبوب [illegible] بقيت مصرة على اخفاء أمرها الى أن دخلت الحضرة الملكية فجلست [illegible] و[illegible] لا [illegible] بالجلوس وجلس طيطاوس ودوش [illegible] وعند ذلك أخرجت من جيبها كتاب أبيها ودفعته الى الملك ضاراب وقالت له لما كان شوقى فى غير محله بعث معى علاوة عن ما بلغنى اياه هذا التحرير وأمرنى أن أدفعه لعظمتكم فأخذ المكتوب منها ودفعه لوزيره يقرأه فقرأه واذا به ما يأتى

من الشاه سليم ملك بلاد اليمن [illegible] ضاراب الملك الاكبر

بعد بسم الله والاتكال عليه أقول انه لما كنت قد ارتبطت مع معاليكم بالمحبة

ورهنت نفسي لكم على وثيرة الخلوص وعدم النكث كان لا يزال يتردد في ذهني ما أوليتموني إياه من النعم فكنت أريد أن أظهر صدق مودتي ووفائي لخدمتكم وكنت أنتظر أن أقف على خبر من جهة حروبكم مع المصريين لاسر به ويطمأن بالي ولبثت من حين سفركم إلى هذا اليوم في شاغل ليس من بعده شاغل وكلما تقلبت الايام وطالت يطيل هذا الأمر وتطول على موجبات القلق والاضطراب إلى أن ضقت صدراً من جرى هذا الانقطاع وأخيرا خفت من أن تكون أموركم غير ناجحة فتزيد أكداري فجمعت في الحال مائة ألف فارس من فرسان اليمن رعاياكم وقلدت أمرهم إلى بنى انوش لما أعهد فيها من الشجاعة والبسالة وأمرتها بسرعة المسير ولهذا كنت على ارتياح نوعا ما فأسألكم ياسيدى أن تكرموا على برسول يطمئنى عنكم وإذا كنتم في احتياج إلى زيادة الجيش فأمروا بالاعادة فان عموم أهل اليمن صغارا وكباراً على استعداد للمسير إلى خدمتكم فانهم قد رأوا تحت ظلكم من الراحة والأمان والعدالة مالم يروه من قبل ولذلك تراهم يدعون دائما لدولتكم بالعز والبقاء ونشر الأمن والأمان وها أن بنى والجيش يبقون في خدمتكم إلى حين رجوعكم وأسأله تعالى أن يعيدكم إلى أوطانكم وأنتم تحت ألوية النصر والظفر والسلام ختام .

فلما سمع الملك ضاراب كلام الشاه سليم قال بالحقيقة إنه من عقلاء هذا الزمان وحكمائها فهو ودود مخلص فمثله يليق أن يكون حاكما مالكا مستلما حياة عبيد الله محافظا عليهم ولا بد لى بعد قليل من الايام أن أبعث له برسول أعرض عليه كل ما جرى علينا لانه يسر لسرورنا ويتكدر لكدرنا إنما يكون ذلك بعد مجيء فرساننا والخبر عنهم والأمل منه تعالى انهم يكونون هنا بعد يوم أو يومين وهذا ما ينبئني اليه ضميري لأن للسعادة علائم وللنحوس علائم وما النحوس الا اعداء الداء لنا لانها ان فاجئتنا لا تلبث عندنا طويلا بل ترحل عنا مدفوعة بيد الاقدار مرفوسة برجل السعود . وقبل أن امكن الوليد اخيراً من تدبير امر جديد فقد فكرت ان ننهض في الصباح ونسير الى جهة معسكره لانه لا بد ان يكون في بلاء وويل من جرى قتلة تمرتاس وتفريق جيشه وجيش الامير مسعد فقد تدبرنا ونحن في اصعب الضيقات اسهل الطرق لكبح هذا الجيش الذى لولا تر فيقات العناية لكان اهلكنا لا محالة . فاستصوب الجميع رأيه وباتوا على نية الرجوع الى نحاه معسكر الوليد في اليوم القادم وكانت رجال الاميرة انوش قد ضربوا مضاربهم بعيدين عنهم ولما مضر بالينهم فذهبت اليه وباتت على فراشها كل تلك الليلة قلقة مضطربة على غياب فرخوزاد وهي تقول في نفسها قد خاب ما كنت مؤملته فاني تحملت كل هذه المشاق وسافرت من بلاد اليمن الى مصر على امل ان اجتمع بمحبوبي فوا خيبة المسعى

ويا لضياع التعب إذا لم يعد فرخوزاد فماذا يا ترى يحل بى والى أى جهة أذهب وهل أبقى حية أو أقتل نفسى وألحق به وهذا من العدل أن لا أبقى بعده دقيقة كى يقال عنى انى حفظت عهده حتى الموت وإذ مت فلا أعود فأرى أحدا من سكان هذه الدنيا وعليه فانى لا أخشى لوما على قتل نفسى وكانت تقوى فى رأسها هذه التأملات وتتقلب أشكالا وأنواعا وما من حاجة لشرح وبيان حالة من كان مثلها عاشقا ثابت العزم كثير الوفاء

ولما كان الصباح نهض الملك ضاراب من فراشه وأمر أن تنهض العساكر فتركب خيولها ففعلت وركب هو أيضا وركبت انوش إلى جانبه وطيطلوس ودوش الراى فساروا فى مقدمة الجيوش الى أن استلموا السهل فتبطنوه وقطعوا الحرش حتى وصلوا الى المركز الذى كانوا فيه قبلا وهناك شاهدوا عساكر مصر تعج وتضج وهى قائمة فى مركزها فأمر الملك ضاراب أن تدق طبول الحرب وقال لا يجب أن أضيع هذه الفرصة فانها غنيمة لنا فأعداؤنا فى اضطراب ونقصان وليس فى كل ساعة يجب الرحمة والعدل لأن لو كان فرسانى عندى وقومى باقية كما هى لانصفت القوم وما حاربت هذا النهار بل أخرته لأنبههم للقتال من قبل شروق الشمس أى من قبل ساعات ولا افاجئهم بغتة . قال وكان الوليد حقيقة فى اضطراب وارتباك لما وصل اليه الأمير مسعد وحكى له ما كان من امر الحيلة التى نصبت عليهم وكيف قتل منهم هذا العدد العظيم تكدر غاية الكدر وكذلك سيف الدولة فانه عند اجتماعه بفهر ومهر وقهر لامهم على غشهم وسلوك هكذا حيلة عليهم غير ان الوليد كان معلقا كل أمله بتمر تاس وقال لوزيره وان كان قد فقد منا هذا المقدار نلمنا وعدونا انما لى امل وثيق بان النصر باق لنا وان تمرتاس سيأتينا بالملك ضاراب فى هذا اليوم ولا اظن ان الايرانيين يثبتون امامه الا ساعات قليلة وبقى منتظرا كل ذلك النهار بفروغ صبر وما صدق ان رأى الشمس وقد مالت الى جهة الغروب فركب مع وزيره والشاه سرور وطيفور وسيف الدولة ورجاله الأمراء وخرج وسار الى محل مقربة من الجيش وكان فى نية الوليد أن يأتى تمرتاس على بعد لأنه قد فرغ صبره ولم يمكنه القيام والبقاء لحين وصوله اليه بل ركب وتقدم رجاء ان يصل اليه خبر الظفر قبل وقته بدقائق الا انه ما تقدم الا قليلا حتى شاهد طلائع جيشه قد اقبلت على تلك الحالة المشؤمة وهم متفرقون كل التفرق يركضون ويفرون [illegible] خوفا من ان تكون الأعداء لاحقة بهم . فلما رأى الوليد ذلك عن بعد كاد يطير صوابه وخفق قلبه وطار الشرار من عينيه ودلت حالة قادميه على عودهم بكسرة هائلة مريعة وبقى خافق القلب مضطرب البال الى ان وصلت بين يديه

وأعملت البيض النصال فى المرافق والأوصال . ولعبت العمدان فى الرؤوس والأبدان . وحمحمت الخيل وصهلت . ولعبت الفرسان وحملت . ونشر الغبار كالغمام . وضرب فوقهم رواقا كثيفا من الظلام . وفعلت الفرسان أفعال الصناديد . وقاتلت قتال الابطال الاماجيد . ونادت مناداة المنتصرين . وقامت من على الشمال واليمين . تسد على المصريين طرق الهرب وقد عولت على أن تبيدهم عن آخرهم إلا أن المصريين كثير وا العدد فلم يخل انتظامهم ولا لحق بهم ضرر بل كانوا منضمين إلى بعضهم البعض أى انضمام . فلاقوا أخصامهم بقلوب لا تخشى الاعدام . ولا تخف شرب كأس الحمام . ولذلك كان القومان متعادلان . والقومان ككفتى ميزان . فان شجاعة الايرانيين أقامت مقام كثرة المصريين ودام السيف حاكما بين الفريقين والموت سائدا عند الطائفتين إلى أن قرب الزوال ومالت الشمس طالبة الاختباء وعجلت بالاختفاء وفى الحال ضربت طبول الانفصال فرجع الجمع عن الحرب والقتال . وهم فى تعب وملال وعاد كل إلى ناحية فنزل الملك ضاراب فى المكان الذى كان نازلا به قبلا وعاد الوليد إلى مضاربه وخيامه وبعد أن أكل الطعام وأخذ لنفسه الراحة اجتمع حوله أعيانه وقواده ومن الجملة بيدانديش الوزير . فقال لا اخفاكم أن الاعداء أخذهم الطمع فينا وفى نيتهم أنهم يتغلبون علينا فاذا لم تداركهم بالتدابير الحسنة وإلا نالوا منا مرادهم فى يومين أو ثلاثة أيام . فقال طيفور ليس من الرأى أن نتهامل فى أمرهم بل من الواجب أن تبعث بوزيرك إلى المقنطر الساحر ويعرض عليه عظم المصائب التى جدت بعد غياب فرسان ايران ويطلب منه دفعة واحدة هلاك الملك ضاراب وقومه لان الحرب قد طالت كثيرا ولم يعد من وسيلة لحسمها إلا به ولو سأله من الاول ذلك لفعله وجرى على الجميع ما جرى على فيروزشاه ورفقائه . قال الوليد انه خطر لى أن أبعث الوزير من أمس إنما تأخر بسبب غياب عياره . قال بيدانديش إنى لما كنت عند المقنطر دفع إلى خاتما أبطل به عمل الافعى المقيم عند باب سره ومنذ أربعة أيام أخذ عيارى الخاتم ولم أعد أراه بعد ولا أعلم أين هو وهل وقع فى يد الاعداء أو لحق به ضرر آخر ولذلك أنا فى ارتباك عظيم من أجله والا لكنت سرت منذ الامس . فقال طيفور لا يجب أن تنتظر عيارك وكما دخلت فى الاول على المقنطر الساحر يجب أن تدخل هذه المرة ولو لم يرجع عيارك وأخاف أن يكون قد اتفق مع الملك ضاراب وأخذ لهم الخاتم للسعى فى أمر خلاص فرسانهم قال لا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا كان أسيرا ونزعوه منه وعلى كل حال فانى أسير من هذه الساعة على أمل أن أكون هنا بعد ثلاثة أو أربعة أيام انما أريد منكم أن تأمروا هلال العيار أن يسير معى لانى أحتاج اليه فى الطريق فأجابه الوليد

إلى طلبه وعاد بهلال العيار وقال له كن على حذر فانك بعد ساعة ستسير برفقة الوزير إلى قصر المقنطر الساحر فيكون لك بذلك الخير الكثير قال سمعاوطاعة ولى أحب أن أحضر بين يدى هذا لأطلب منه أن يسهل على الاخص طرق زفاف سيدتى عين الحياة بسيدى الشاه صالح وأن يكتب لهما الحجابات التى تقربهما من بعضهما البعض فى الحب والرغبة وأن يمنع عنهما كل أعين المفسدين الحاسدين

قال الراوى وما انتهى هلال العيار من هذا الكلام حتى سمع من نحو الاعجام غوغاء وضوضاء وصياح وتصفيق ومناداة ثم أعقب ذلك أصوات طبول أفراح وتباشير هناء وموسيقات ملكية تعزف باصوات التهاليل والمسرات حتى كان القوم فى أعظم فرح وحبور فاشغلت هذه الحالة أفكار الوليد وجماعته وأرعبتهم كل الرعب وحسبوا لها الف حساب وفى الحال قال لهلال العيار سر بالعجل وادخل بين القوم وانظر فيهم وأتينا عنهم بعلم اليقين ولا تخف عنا شيئا البتة قبل ان تسير مع الوزير. فأجاب أمره وسار فغير ثيابه ولبس ثياب فقراء الاعجام وخرج من جيشه وتوغل فى القفار ثم جاء من جانب الجيش وهو مظهر على نفسه الفاقة والضعف فلم ينتبه إليه احد ولا أرى حارسا عند الحدود فأشغله هذا الأمر وزاد انشغاله عندما رأى كل واحد يصفق من جهة وهذا يهنأ ذاك وذاك يبشر هذا فدنا من أحد الناس وسأله عن الخبر بلسان إيرانى وقال له ياسيدى لما هذا الفرح فى قومنا أهل جد حدث حديث موجب لهذه الاعمال. فقال له ويلك أما أنت فى الجيش وهل أنت أطرش لا تسمع قال إنى أسمع انما لا أفهم وأنظر الناس فى فرح زائد فاسأل فلا يخبرنى احد [illegible] ضعف حالى وكونى شحاذ لا يلتفون إلى. قال صدقت فانك معذور [illegible] أحرث [illegible] وأبطالنا قد عادت الينا فى هذا اليوم من أسر الساحر مقنطر [illegible] قبعته بالارض وجعل يرقص بعصاه حتى ضحك منه كل من [illegible] وقف وقال وهل سيدنا فيروزشاه عاد من الاسر أيضا وتخلص معهم [illegible] بالمقنطر أسيرا وقد ركب على ظهره بهروز من قصره إلى [illegible] وجعل يصفق ويمشى حتى فات القوم ثم نظر إلى [illegible] من حيث أتى وهو مضطرب كل الاضطراب وكانت [illegible] انقراض الوليد ورجاله قد آن وأن الشاه سرور سيلحق [illegible] والخسران ولا زال على هذه الحالة حتى دخل على الوليد [illegible] مشؤم ياسيد فقدقلبت علينا النحوس وخاب ما كنا نظنه و [illegible] قلب الجميع عند استماع كلامه وقال له الوليد [illegible] ورشاد

قد تخلص ومن معه من أسر الساحر وقد جيء بالساحر ذليلا حقيرا وهو مقاد كالبعير وفوق ظهره بهروز العيار عيار فيروزشاه وابن الغول . فنزلت الحملة على الجميع وأخذهم سكوت طويل ولم يقدر أحد منهم أن يلفظ كلمة إلا أن طيفور لم يقدر طويلا على السكوت لأنه لم يصدق هذا الخبر ولذلك قال لهلال هل نظرت بعينيك ما تكلمت به فاني أحسب ذلك ضربا من المستحيل وكيف يمكن لبهروز أن يسطو على مثل المقنطر الساحر ويقوده ويركب على ظهره وهو يملك لسانه وعقله فيقدر بكلمة واحدة أن يقيده ويكتشف على أمره ويعرف سره وأحواله . قال هكذا سمعت ولا أظن أن فرح الايرانيين ينتج عظيما هكذا على غير هذه الطريقة . قال طيفور ان الايرانيين أصحاب مكر وخداع فعملوا هذا العمل وأشاعوه بين قومهم لأسباب أولا لتشتد به ظهور الفرسان ويصبحون قادرين على الضرب والطعان لعلمهم أن فيروزشاه ورفقاءه فى نصف المعسكر ثانيا ليبلغنا هذا الخبر ونحسب له حسابا ونهابه ويكون علة لقطع ظهورنا واضطرابنا ولا سيما إذا عرفنا أن الساحر أسير عندهم فلا نعود نطمع بالمسير اليه للتخلص منهم وبذلك يصبحون قادرين علينا اذا قطعنا الرجاء منه . فدخل هذا الكلام فى خاطر الوليد صوابا وقال لهلال سر ثانيا إلى الجيش واحتال لتنظر بعينيك وهل حقيق ذلك أم لا وهل أن الفرسان تخلصوا فاذا رأيت ذلك حقيقة فعد الينا حالا وأخبرنا بالواقع فاننا لا ننام الليلة إلا لتعود من بينهم .

قال سمعا وطاعة وفى الحال عاد على الطرق التى جاء منها ودخل بين الايرانيين ولازال يطوف بين المضارب والخيام وهو ينظر إلى فرح القوم ولا يرى فيهم شيئا من التصنع والرياء إلى أن وصل إلى قرب صيوان الملك ضاراب فوجد الازدحام كثيرا والعالم تأتى أفواجا افواجا للفرجة على المقنطر وهو واقف بباب الصيوان وعلى ظهره بهروز العيار وفى انفه إبرة ثخينة من الفولاذ وفى رقبته حبل طويل اشبه بعقود مستثنية بدرفتات العيار .

واخذ هلال فى ان يزاحم القوم إلى ان قرب من الصيوان وشاهد تلك الحال فتحقق الخبر إلا انه نظر إلى الداخل فرأى فيروزشاه جالسا بالقرب من ابيه وبقية فرسان فارس من حواليه وكلهم كالكواكب اللامعة والملك ضاراب لابسا أبهى زينة وعلى رأسه التاج المرصع الذى كان لبسه اثناء المواسم والأعياد وكان لا يفارقه لا ليلا ولا نهارا بل ايثما سار يصحبه معه وكذلك طيطلوس والجميع عليهم من الملابس الذهبية ما لا يثمن بثمن فحقق هلال ما سمعه وفى الحال كر راجعا حتى انتهى الى حضرة الوليد فقال له ليس يا سيدى فى المسألة رياء ولا

خداع من القوم فانهم على الواقع يفرحون ويسرون ثم حكى له ما شاهده وكيف رأى المقنطر ذليلا حقيرا وعلى ظهره بهروز وهو عرضة للمرجة والهزء

فلما سمع الوليد هذا الخبر وتحققه أيقن بالهلاك وخراب الديار وتشتيت الأحوال ولعب به لاعب اليأس فقطع حيله وألقاه فى ارتبك وذهب إلى فراشه ون أن يبدى رأيا وتفرق من بعده الجميع كل ذهب إلى صيوانه وهم فى حالة من أيشم الحالات وأصعبها واجتمع طيفور بالشاه سرور فى انفراد وقال له ان هذا الحساب لم يكن لنا على بال وما كان ظنى أن الملك ضاراب يعود الى التجمع وتعود إليه قوته وهل يدخل بعقل بشر ان مثل بهروز العيار يتوصل إلى القبض على مثل المقنطر فبالحقيقة ان العناية مصاحبة الايرانيين ولم تنته السعادة عنهم بعد . قال الشاه سرور إن هذا الذى كنت أخافه وأخشاه وقلبى ينهى إلى أن الملك ضاراب لابد أن يقهرنى ويأخذ منى بنتى رغما عنى كما أخذ بلادى وأنفذ أمره فيها . قال طيفور اما أخذه لبنتك فلابد منه وهو الأوفق إنما نخاف من أن ينتقم منا ويقتلنا لأنه من المقرر المؤكد أنه مملوء بالغضب من امتناعنا عليه ولابد إذا وقعنا فى يده يميتنا أشر ميتة ولذلك أرى من اللازم اذا دخل المدينة نفر من غير جهة ونترك عين الحياة اما بارادتنا أو بالرغم عنا فتى استحوز عليها وتملكها زفها على ولده ورجع عنا وبعدذلك نرسل إليها الرسل فتتوسط أمرنا ونعود كما كنا هذا إذا كان لم يظهر لنا من عالم الغيب أمر جديد يعود علينا بالنصر والظفر فربما كان يخطر للوليد أن يذهب إلى قيصر ويتمسك بأذياله ويطلب إغاثته ومعونته فتكون إذ ذاك لنا طرق الرجاء مفتوحة فنذهب معه ويكون اتمام السعى عليه تعالى . ثم ان الشاه سرور وطيفور باتا فى قلق حيث لا يعلمان ما يكون من مستقبلهما وما تخبأ لهم فى زوايا الزمان

قال الراوى وكان السبب فى خلاص فيروزشاه وبقية الفرسان الذين كانوا فى قبضة المقنطر بهروز العيار كما تقدم معنا الكلام فانه سار ومعه الاشوب تبر وصفر شاه وبدر فتات وداوموا المسير الى أن دنوا السد عن بعد فدنوا منه شيئا فشيئا إلى أن قربوا من الباب ورأوا الحية عليه قائمة على عملها والنار تتقذف من فيها كبركان نار ملتهب فأخرج بهروز الخاتم وتقدم أمام رفيقيه إلى الافعى فبطلت حركتها عندما صوب الخاتم اليها وبأقل من لحظة مر الاشوب وسرفتت من الباب وتبعهما بهروز وبعد أن صاروا داخل الباب عادت حركات الافعى إلى ما كانت قبلا ثم تقدم بهروز أمام الاثنين وأوصاهما كل الوصية وعلمها ما تحتاجان اليه وما هما لازمه فى ومهما بقى سائرا إلى أن توسط الروض وكان الوقت إذ ذاك صباحا فصادفوا المقنطر خارجا من قصره وفى نيته أن يأتى روضه فشاهدهم آتين اليه وقبل أن تأخذه الدهشة من حالتهم

ويفكر فيهم نظرهم قد سجدوا أمامه إلى الارض ونادى كبيرهم هوذا السيد العظيم والساحر الكريم الذى أتينا من أقاصى الأرض لخدمته وتقف بين يديه هذا أستاذ السحراء وكاهن الكهناء الذى لا يوجد له فى هذا الزمان ثان فاشكر الشياطين والأرواح القوية على هدايتها لنا إلى أن صار لنا أن نتشرف بلثم تراب أقدامه فالحمد لهم وألف الحمد على هذه المنة العظيمة ولنشكر النار وما تبعث الشمس من الأنوار وما يأتيه إبليس من الأسرار وجعل يسجد ويقوم عدة مرات ويفعل الاثنان كفعله حتى تأكد المقنطر أنهم سحراء أو تلامذة سحراء وثبت عنده ذلك من ثيابهم المشغلة بالنقوش التى لا يمكن أن تكون إلا من عمل أعظم السحر وصبر إلى أن وقف بهروز بين يديه وارتمى عليهما يقبلهما ووقع على رجليه يقبلهما أيضا ويمرغ بوجهه عليهما وقال لبدر فتات والأشوب تقدما وامسحا وجهكما بأقدام هذا السيد العظيم تبركا منه فهو سلطان سلاطين سحراء هذا الزمان وواحد كهانته ولا يوجد بين الفرسان من هو مثله فى حكمته وعظمته وكرامة أخلاقه وسيادته وعلو منزلته وإذا قدرناه حق قدره حق لكل من خدم واستخدم أن يتخذه إلها ومعبودا فخراب الدنيا وعمارها متوقف على لفظة من فيه

فلما سمع المقنطر هذا الكلام أعزته نفخة الكبر والعظمة ومال قلبه إلى بهروز وفى الحال تقدم الاثنان وجعلا يقبلان أقدامه ويتمرغان عندها . ثم قال المقنطر لبهروز من أنتم ومن أين تأتون فيظهر لى أنكم قد كملتم آدابا ومعرفة وتربيتم على يد رجل عظيم الكهانة واللياقة فقال له بهروز اعلم يا سيد سادات من خط وكتب ونطق بالحكمة المنطوية على الأسرار الروحية أننا عبيدك من بلاد الغرب الأقصى وذلك أن أبانا كان من هذه البلاد وسار بتجارة إلى تلك الأرض وأقام فيها وتيسرت أموره وتحسنت أحواله فاخذنا مع والدتنا ونحن صغار لا نعى على أحد ولا نعرف شيئا من هذه الدنيا إلى أن كبرنا وكان والدنا قد تعرف بأحد المغاربة الذين لهم معرفة بفن السحر فطلبنا منه ، قال له ان أولادك يصلحون لأن يكونوا سحراء وانى اكراما لك أبذل الجهد فى تعليمهم فأقمنا عنده أياما وفى نيته أن يعلمنا هذا الفن الشريف فدرجنا فى بادىء الأمر أن علمنا شرب المر وأكل الحشرات وما تمتاز به السحراء ليكون لنا نفس قوية على قبول مثل هذه المكاره . فكنت أنا أصنع له الشراب فاستخرجه بما يسر به جدا ويقول لى دائما أنه لا يمكن أن يوجد من هو قادر على استخراجه مثلك وكنت أشربه بقبول ورغبة فائق الحد إنما أخوى كانا يكرهان ذلك ولم يعتادا عليه ولسوء الحظ فاجئت المنية استاذنا قبل أن يبدأ بتعلمنا إلا أنه قبل موته أعطانا هذه الثياب وقال لنا هى تقيكم من كل ساحر وتدخلكم فى جوق السحراء وسألنا أن

نقصد غيره فلا نضيع هذا الفن الشريف فحزنا عليه جدا وصرفنا نحوا من سنة بالبكاء والعويل . ثم جعل بهروز يبكي ويلطم على خدوده وبدرفتات والاشوب يفعلان كفعله وقال للمقنطر أنه لا يليق بالانسان أن ينسى من عمل معه معروفا فياليتنا كنا الفداء لنفسه من نكبات الأيام وغدرها . ثم إننا ياسيدى بعد السنة رجعنا إلى أبينا وأخبرناه بموته فحزن جدا وفعل عليه أفعال الأم على ولدها لما كان بينهما من الحب والمودة وبعد أن صرفنا زمانا ليس بقليل ونحن نسأل إذا كنا نرى غير أستاذنا يدرسنا هذا الفن . وأخيرا قال لنا أبى إذا كان ولا بد لكم من تعليم هذا الفن على حقيقته فان فى بلاد مصر ملك هذا العلم وسيده وفارس ميدان سباقه المقنطر الساحر فاذهبوا اليه وترامو على أقدامه فهو كريم لطيف حليم يقابلكم ولا سيما إذا عرف أنكم من بلاده ومن أبناء وطنه فكاد قلبنا يطير فرحا وحبورا وبعد أيام قليلة ودعنا أبانا وأخذنا رضاه وسرنا على هذه النية والأمل أن كرامتكم تقبلنا عبيدا لنصرف العمر فى ظلكم وتحت طاعتكم وفى خدمتكم

فأجابه المقنطر على الرحب والسعة فأنت عندى فى أرفع منزلة لان قلبى قد مال اليك ولكن يجب أن تقيم عندى أياما وتصنع لى شراب هذا المساء من يدك لأرى هل كما وصفت وقلت مين أستاذك الأول كان يشهد لك به قال . سمعا وطاعة فسوف ترى منى صدق ماقلته لك . ثم انهما رجعا إلى الداخل ومن خلفهما بدرفتات والاشوب وجعل المقنطر يريهم غرف قصره واحدة بعد واحدة إلى أن دخل بهم أخيرا غرف تلامذته وكان عنده اثناعشر تلميذا يدرسهم فن السحر وقد انتخبهم لنفسه فلما رآهم بهروز حياهم وبش فيهم وأظهر سروره منهم فعاملوه بالمثل وقد تعجبوا من رقته وانبهروا من ثيابه وثياب الذين معه وعلموا أنهم من وجاق السحر . وهناك جلس المقنطر بين تلامذته وأمر بهروز وبدرفتات والاشوب أن يجلسوا على المائدة فأخذ كل منهم إلى جانب على كرسى فأمر أن يؤتى لهم بالشراب فذهب أحد التلامذة وأتى به وهو على صحن من ذهب وكان المقنطر يرغب فى أن يرى كلام بهروز هل هو صحيح أم لا وهل يقدر أن يشرب هذا الشراب بقبول مع أنه هو نفسه يتضجر منه ولولا عادته وكثرة استعماله لكان لا يطيق شربه أصلا ولما قدم الشراب إلى بهروز أخذه بقبول ووضع الكاس على فمه وتجرعه دون أن يظهر على نفسه أدنى ملل أو كراهة أو شيء من ذلك فأيقن المقنطر سروره من ذلك الشراب وانه سهل عنده شربه ويشتاقه ويتشوق إليه بخلاف بدرفتات والاشوب فانهما ماشرباه إلا بكل ملل وكره فسر المقنطر من بهروز وقال للتلامذة انظروا إلى هذا الولد الماهر واقتدوا به ولا ريب أنه يخرج ساحر قدير لا ثانى له فى

زمانه فقال له هذا جل غايتى ياسيدى فانى أعرف أن من تكون أنت أستاذه يسود ويباهى ويفاخر بين العالم أجمع

وبعد ذلك بقليل أمر بالطعام فأتى به من جراذين مقلية بدهنها ومن هررمشوية على النار ورأسها ويداها باقية ومن جراذين مكبوسة بالملح إلى غير ذلك مما تكرهه النفس فلما رأى ذلك بهروز قال هذا الأكل مما تطلبه نفسى ثم جلس وجعل يأكل بالتهام ويظهر سروره من الأكل دون مانع أو تكره حتى سر منه المقنطر فوق ماهو مسرور وقال فى نفسه لابد لى من الاعتناء به عنوة وأن أفضله على جميع تلاميذى وقد أعمى الله عنه وجه الحقيقة وستر غايته فلم يفكر بحيلته ولا خطر له قط أنه محتال أو مصنع وبعد أن فرغا من الطعام قام المقنطر وخرج إلى روضه وقال لتلاميذه ابقوا أنتم فى دروسكم وسأل بهروز أن يسوى له الشراب وأن يستخرجه بحسب ما تعلمه من أستاذه الأول ليرى هل هو كالشراب الذى يستخرجه هو فقال سمعا وطاعة ونزل بهروز أيضا إلى البستان وأخذ من الحشائش والأثمار المرة فدقها وعصرها ثم غلاها على النار نحوا من ربع ساعة وبعد ذلك أنزلها وبردها إلى أن نضجت جيدا وبعد ذلك جاء بالروائح الزكية ورشها فوقها ولما فرغ من عمله قال الآن وقت نوال المرام ثم سكب الشراب فى كاساته وأملأ أولا الكاس الأكبر للمقنطر ووضع فيه البنج كثيرا ثم ملأ أيضا الاثنى عشر كاسا وأشغلها بالبنج أيضا وأما كاسه وكأسا رفيقيه فبقيا على حالهما وصف الجميع على المائدة وعاد إلى المقنطر وقال له ياسيدى إن الشراب قد انتهى فهل لك أن تذوقه وتأمر بشربه قال نى بانتظار ذلك وفى الحال صعد من الجنينة ودخل غرفة الطعام فوجد الكاسات مملوءة واستنشق الروائح العطرية فانتعش بها قلبه وقال نعم إن الشراب يحتاج إلى مثل هذه الروائح فهل هكذا كان يشرب أستاذك قال نعم ياسيدى وجلس المقنطر وجلس التلامذة كل على كرسيه المخصوص به وبقى بهروز واقفا فقال له المقنطر لما لا تجلس . قال إن خدمة المائدة فى هذا العشاء على ياسيدى ولذلك بعد شربكم للشراب أهيىء لك طعاما لم تذقه زمانك لتعلم صدق خدمتى لسيدى قال أحسنت فمثلك تلمذ السحرة وإلا فلا ثم أخذ الكاس وأمر التلاميذ أن يأخذ كل كاسه ففعلوا وشربوا وقد ذاق المقنطر أن مرارتها أشد مما كان يصطنعها هو وإنما كانت ازكى رائحة واشهى لنفسه فسر منها وقال لبهروز عافاك فهذا الشراب لم أذق مثل عمرى والأمل ان يكون الطعام مثله فقال مرحبا بك ياسيدى فسوف تعلم علم اليقين انى ما جئتك إلا رغبة فى الشراب لأسقينك إياه من يدى فتذوق ما لم تذقه وما انتهى بهروز من كلامه حتى وقع تلاميذ المقنطر بأجمعهم وأماهو فانه رأى من نفسه

تغيير أحواله وأنه أخذ فى أن يدوح شيئا فشيئا فتأكد أن الشراب مشغل لاسيما عند ماتبين من تلامذته أنهم سقطوا جميعهم فأحدق فى بهروز وعول أن يوقع به فلم يقدر أن يتلفظ بكلمة واحدة ولم يمكنه بهروز أيضا بل انه خاف من أن ينفذ غايته فيه قبل سقوطه فرفع يده ولطمه بها لطمة قوية ألقاه بها على الارض كالميت وقد غاب عن الوجود من عظم الضربة القوية التى وقعت عليه ومن فعل البنج فى الحال أسرع إلى حبل فشده وأخرج من جيبه إبرة كان قد استحضرها من عند صفراء الساحرة وأدخلها فى أرنبة أنفه وكان قد تعلم من صفراء أن هذه الابرة إذا أدخلت فى أنف السحرة يفقدون معرفتهم ويقدرون على الاتيان بعمل من أعمالهم السحرية .

وبعد أن انتهى بهروز من عمله طاف بالقصر كله ومعه رفيقاه وهم يفتشون على الاسارى فلم يروا أحدا ولا وقفوا على خبر أحد منهم حتى أعياهم الامر وتكدروا مزيد الكدر ورجع بهروز ووضع البنج فى أنف المقنطر فاستيقظ ووجد نفسه أسيرا مربوطا وأراد أن يوقع ببهروز فلم يقدر فقال له بهروز أين فرسان فارس وأين سيدى فيروز شاه فاهدنى اليه فى الحال وإلا نحرتك بهذا الخنجر قال ولك انى قادر أن أفعل فيك مافعلته بهم ولكن قلبي أحبك فلا أعاملك بما تستحق وسوف أهديك اليهم إنما اخرج لى هذه الابرة من انفى فانها آلمتنى جدا وسر أمامى لاوصلك اليهم ولا تظن أنى ماعرفتك من الأول إنما غضضت الطرف عنك رغبة فيك قال إنك ترجو محالا فهذه الابرة لاتخرج من انفك مادمت حيا فعجل بالافادة عن مكان وجودهم فقد طفت القصر وفتشت فى جميع نواحيه قال لايمكن ان اخبرك البتة ولو قتلت ومت ألف ميتة ثم نظر المقنطر إلى جهة سرير منامه ليرى إذا كانت تغيرت حالته عنده فتبع من بهروز ت فتشت القصر بأجمعه فلحظ منه بهروز ذلك واسرع إلى السرير فقلبه فوجد تحته حلقة فشدها و[illegible] يبلاطة قد رفعت فيها وبان من تحتها دهليز عميق يبتدئ [illegible] ضيق فتدرج فى [illegible] ووصل إلى الاسفل ومشى بذلك الدهليز إلى أن انتهى إلى دار صغيرة فى صدرها [illegible] كبير و[illegible] فدفع بابه بقوة فانكسر ودخل وإذ به يرى الفرسان جميعهم مشدودين [illegible] بعضهم البعض وهم فى حالة عذاب لانهم كانوا جميعهم مقيدين بأيديهم وأرجلهم ومصروب لهم سكك من الحديد بخلاف فيروزشاه فانه كان مضاعف العذاب فى رجليه [illegible] قيود ومثلها فى أيديه وعند عنقه طوق من الحديد [illegible] بحيث لا يقدر ان يتحرك فلما رآهم بهروز فرح غاية الفرح وتسع صدره [illegible] نجاح . وفى الحال قصد تلك القيود فأخذ المبرد وقصد ان يفك قيودهم [illegible] وقطع

السكك فلم يؤثر المبرد فيها فأغاظه ذلك جدا وأما فيروزشاه فانه فرح غاية الفرح وقال له لازلت يا بهروز تاتينا وقت الضيق فانت علة وجودنا فاسرع فى خلاصنا وإلا متنا عن آخرنا فامعن بهروز النظر مدة وهو يفكر ماذا يعمل بقطع القيود وقد ترجح عنده انها قيود سحرية لا يفعل بها المبرد ولاخلافه ولذلك عاد راجعا إلى المقنطر واخذ الخنجر واستله عليه ووضعه فى ظهره وقال انى احركك إذا كنت لا تفك قيود الاسارى قال لا افك قيودهم مالم تطلقنى فانى اعاهدك على ان لا اخون قولى بل حالا افكهم واطلق سبيلهم ولا اعود إلى اسرهم مرة ثانية قال انك ترجو حالا فما لخلاصك من سبيل إنما إذا فككتهم خففت عنك العذاب ورفعت عنك اثقالا كثيرة بفكرى ان احلك إياها قال لا تطمع بخلاصهم إلا برفع الابرة من انفى فاحتدم بهروز من كلامه ولعب به الغضب وبينما هو على مثل ذلك خطر بباله الخاتم الذى جاء به بدر فتات العيار بانه يبطل عمل السحر وفى الحال اسرع الى النزول فى السلم فصار فى اسفل الدهليز ودخل القبو الموجودين به وقبل كل احد منا من سيده فيروزشاه ووضع الخاتم على قيوده فتساقطت ووقعت الى الارض فكاد يطير شعاعا ومثل ذلك فعل بالاطواق الحديدية التى كانت تحيط بعنقه فانفتحت وزالت فرمى بهروز نفسه عليه وجعل يقبل يديه ويهنئه بالسلامة فقبله فيروزشاه وقد بكا من شدة الفرح لانه كان لا يصدق بالخلاص وايقن قبل مجيئه بالهلاك والممات غير انه قال له دعنى يا بهروز الآن واسرع الى فك قيود الباقين فانهم فى عذاب مبين فاسرع اليهم وجعل الخاتم على القيود فتتساقط وتنحل وتطلق اصحابها وترجع اليهم الحرية التامة وهم فى فرح لا يوصف وما منهم إلا من شكر بهروز واثنى عليه وتعجب من فعله وقد سأله فيروزشاه كيف قدر ان يتوصل اليهم ومن اين عرف انهم عنده وانهم تحت الارض . فحكى له كل ماتوقع له معه وكيف انه اسره بالابرة الى ولاذيه وانه الساعة قائم فى القيود وقال لسيده أرجوك ان تحكى لى عن انواع العذاب التى عذبكم بها وآخذ لكم بالثار منه قال لا خفاك اننا عندما كنا فى الجيش نحارب ولا علم لنا بامور مثل هذه وإذا بنا قد تطايرنا فى الهواء ولا نعرف عظم القوة الفعالة التى قبضتنا بل لم نر فى انفسنا إلا سقوطنا باسرع من لمح البصر امام هذا الخبيث وإذا به جالس على كرسيه كأنه الملك فى عظمته ولما صرنا بين يديه لم يكن فينا من قدرة تتحرك بها فقال لنا اهل كان من قدركم ان تطرقوا ديار مصر وتعملوا ما عملتم دون ان تحسبوا حسابا لاحق عليكم اجمعكم بل الحق على هذا فيروزشاه ثم تقدم منى ولطمنى لطمة لا انساها لى لانه لا يمكن عندى من القوة قدر ذرة لادافع عن نفسى . انتقم منه ولما لعب بى الغيظ قصدت ان ارفع بيدى

لاضربه فلم أستطع فكدت أنشق احتداما غير أنه لم يكن فى وسعى الاالصبر فصبرت على مضض . ثم ان المقنطر قال لنا انى عازم على قتلكم جميعا وليس الآن بل عندما ينتهى الوليد من عمله وينتقم من جيوشكم ويبددها ويزف ولده على عين الحياة وبعد ذلك يجىء الى مع وزرائه وفرسانه فأقتلكم بوجودهم شر قتلة . فلما سمعت أن فى الاجل تأخير فرحت على نوع ما وقلت فى نفسى ان هذه من توفيقات العناية لان بهذه المدة لابد من أن يسعى بهروز أوطارق بخلاصنا بالحيلة وبعدذلك جاء بالقيود فكان يأمرها أن تقيدنا فتفعل وتضايق علينا ثم ساقنا الى هذا القبو وضرب لنا السكك وزادلى أنا العيار ووضع لى المناخس وقد قال لى انك رئيس القوم فمن الواجب أن تحمل أضعاف ثقلهم لاسيما وأن بنية جسمك وقوتك تقدر على العذاب اكثر منهم . وبقينا فى هذا المكان وكل يوم يرسل لنا مع واحد من تلاميذه قطعة من الخبز فقط لا غير مع قليل من الماء ولذلك ترانا فى خرار عظيم وضعف قال لابأس فالحمد لله الآن على سلامتكم فاذهبوا بنا الى الاعلى لنأخذ الساحر معنا وتلاميذه ونسير فى الحال لان الملك ضاراب فى شدة عظيمة وقد تأخر الى الآكام وتحصن بها وهو فى مزيدارتباك فاذا لم نداركه تشتت الجيش جميعه وامسى هو اما اسيرا واما قتيلا فلماسمع فيروزشاه صاح من شدة الاسف وقال لا سمح الله ان يقع على ابى مكروه فلا بد لى من ان انتقم من الوليد ومن رجاله واجعل بلاده خرابا ينعق فيها البوم والغربان ومثل ذلك فعل بهزاد وبقية الفرسان وقالوا سيروا بنا الى مواقع القتال لنأخذ لانفسنا بالثأر

قال ثم انهم اسرعوا الى فوق وامامهم بهروز كفرخ من فروخ الجان وباسرع من لمح البصر صاروا فى ساحة القصر ورأوا المقنطر على تلك الحالة فشمتوا فيه وما منهم الا من طلب ان ياكله باسنانه الا ان بهروز منعهم وقال لهم لا بد لنا من عذابه فتهيأوا المسير فاننا فى حاجة الى السرعة انما قبل ان اذهب فلا بد لى من ان افتش فى هذا القصر فلا بد ان يكون فيه من الجواهر ما نستعين به فى غربتنا وفى الحال اسرع الى الغرف وجعل يدخلها واحدة بعـــد واحدة وكلما رأى شيئا من التحف والجواهر والذهب اخرجه حتى حزم عشر حزم فعاد الى تلاميذ المقنطر فايقظهم من رقادهم بضد البنج فاستيقظوا وانبهروا عندما شاهدوا كثرة الفرسان فصاح فيهم بهروز وقال لهم ويلكم من فاه منكم بكلمة قتلته الاتعلمون انى كبير سحراء هذا الزمان وما استاذكم الا من اقل تلاميذى وقد قصدت ان اختبره لاعرف عظم معرفته فاذا هو حمار بليد لايعرف من السحر الا الاضرار بالناس والا لو كان كما يدعى لكان عرف انى من اكبر اعدائه والآن قد صار اسيرا وسترون ما افعل به لانه لا [illegible]

أن افعل بكم سوءا إذلاذنب عليكم إنما أريد أن أصحبكم معي إلى جيوش فارس فليحمل كل منكم حزمة من هذه الحزم ويسير أمامنا ثم فتش بهروز على مكان الخبز فوجد بعض أرغفة فأعطى كل واحد من الفرسان كسرة وقال لهم إننا في الطريق نأخذ من القرى والضياع وكان جاءهم بأسلحتهم التي كانت عليهم لأنها كانت في إحدى الغرف ودع لكل أمتعته وخرجوا . وأما هو فانه تقدم من المقنطر وركب على عنقه ولف برجليه على ظهره وقال له سر بي مع رفاقي فقال له لا أسير فرفع السكين ونخسه بها نخسة قوية من فؤاد مقروح فجرحته وسال الدم وركض يجري حالا أمام الجميع وقد قال له بهروز الآن إن عصيتني قتلتك لأني لست في حاجة اليك وقد أنهيت كل العمل وخلصت الفرسان فموتك خير من حياتك فلزم أن يطيعه وسار يركض إلى أن وصلوا من الأفعى فأخرج بهروز الخاتم وصوبه اليه فبطلت حركته ثم دنا من الأفعى فرفسه برجله إلى الأرض فسقط . وقال للمقنطر لا تظن إن رصـــدك يفعل في فان ثيابي هذه لا يؤثر فيها السحر ولا تفعل نار الأفعى بها شيئاً إنما جئت بالخاتم لأقوى عليه وأسهل للفرسان المرور وبعد أن بعدوا عن القصر جعلوا يمرون على القرى والضياع فيذهب بدر فتات والأشوب ويأتون منها بالطعام وداموا في مسيرهم نحو يومين وليلة إلى أن أدركوا مصر فعول بهروز أن يميل بهم إلى جهة الآكام إلا أنه نظر عن بعد أن جيوشا كثيرة عند المدينة فقال إن صح ظني فالملك ضاراب قد عاد إلى مركزه الأصلي وهو في نصر وتوفيق ومن اللازم أن نرسل بدر فتات يكشف لنا أخبارهم فاذا كانوا هنا يبشرهم بقدومنا فاستصوبوا رأيه وأمر فيروزشاه بدر فتات العيار أن يسير إلى ساحات القتال فاذا وجد أباه هناك يبشره بقدومهم ويعلمه بخلاصه فسار وكان الوقت حينئذ عند الغروب والملك ضاراب قد عاد من ساحة القتال ونزل في صيوانه ومالبث أن صار داخله إلا وبدر فتات صيح من الخارج بشراك يا سيدي بشراك فقد عاد اليك ولدك وتخلص من شرك الهلاك فوقع صوت بدر فتات في آذان الملك فعرفه وفي الحال خر إلى الأرض ساجدا وشكر الله على ماسمعه وقبل التراب تواضعا ثم ركض إلى الباب وإذا به يرى بدر فتات فقال له أصحيح ماتناديه به قال نعم ياسيدي وبعد ساعة يكون هنا فأعاد الشكر لله وأمر في الحال أن يفرغ الذهب على بدر فتات وأن يعطى العطايا العظيمة وأرسل فدعا أنوش بنت الشاه سليم وأطلعها على الخبر وأمر كل الفرسان والرجال أن تخرج إلى ملاقاة ولده وأبطاله فركبوا إلا أنهم ما بعدوا إلا قليلا حتى وأوا بهروز في المقدمة راكبا على ظهر المقنطر وهو يسوقه سوق البعير وبقية الفرسان خلفه متواردين فصاحوا عن فرد صوت صياح الفرح والمسرة ورموا بأنفسهم على بعضهم البعض وما منهم إلا من شكر الله تعالى وتقدم فيروزشاه وقبـــل يدي أبيه فقبله بدموع تتساقط من أعينه كالعارض الهطال . ثم تقدمت أنوش وسلمت على

فيروزشاه وعلى فرخوزاد وحكى الملك ضاراب عن عملها وكيف قتلت تمرتاس فشكرها الجميع وفرحوا فيها ولاسيما فرخوزاد فانه فرح غاية الفرح وحسب ذلك من السعادة والتوفيق أن تكون دائما إلى جانبه وبقربه فيتمتع من النظر اليها ويلتذ بحديثها وعذوبته وصرفوا نحوا من نصف ساعة وهم فى سلام وتهنئة وقد نظر الملك وبقية الفرسان إلى المقنطر الساحر وفوقه بهروز كالنمر الجارح فتعجبوا منه ومامنهم إلا من لعنه وأمر الملك أن يبقى بهروز راكبا عليه إلى حين وصوله إلى الخيام وأن يقف عند باب صيوانه لتأتى عموم رجال فارس تتفرج عليه وبعد ذلك عادوا إلى الخيام وهم من الفرح فى أعلى سماء وأصواتهم مرتفعة إلى العلاء حتى وصل ضجيجهم إلى المصريين فتعجبوا او عثوا بهلال العيار فكشف الخبر وجاءهم بعلم اليقين كما تقدم معنا الكلام

وفى ثانى الأيام اجتمع الوليد برجاله وقد فار غضبه حتى أصبح صدره يغلى كالمرجل ولام طيفور على عدم تصديق هلال وقال له لازلت متصلبا فى أعمالك مخطئا فى آرائك والآن لم يعد أمامنا إلا الدخول إلى المدينة وقفل أبوابها والمحاصرة داخلها إلى أن نرى لنا طريقا للتخلص من هؤلاء القوم الذين جلبوا الينا من غضب الله علينا فلا كانت عين الحياة ولا كان اليوم الذى فكر فيها ابنى ووصل خبرها اليه وهل لأجل زواج بنت تخرب ممالك وامم وما ذلك إلا فعل الطيش والحدة وانها تفعل فى الانسان إلى أن تغيبه عن الصواب وتذهب به عن طرق الرشاد . فقال بيداندبش ما مضى فات يا سيدى وان كنت قد دافعت فى وطنك دافعت عن شرفك وناموسك ولاجل ذلك إنما نلوم كل اللوم على الملك ضاراب الذى ترك بلاده وسار برجاله من جهة إلى جهة ومن مملكة إلى مملكة حتى أهلك كثيرا من رجاله ومن أخصامه كل ذلك لأجل عين الحياة على أنه لو سار بها أبوها إلى ما فوق السبع الطباق أو نزل الى ما تحت الطبقة السابعة لما تركها له وما ذلك إلا لأجل عناده وتصلبه والآن أرى من الرأى الحسن أن ترسل الخبر الى المدينة فتفتح أبوابها ويوقف عندها جماعة من الرجال فنغادر فى الغد ما استطعنا فان تمكنا كان خيرا وإلا فنرجع القهقرى وندخل المدينة من جميع الابواب وعندها نقفل الابواب فى وجه الاعداء لانهم دون شك يكونون فى اثرنا فاذا أقفلت الابواب لا أظن ان احدا يقدر ان يصل الينا فيقاتلونا من الخارج وندير النهر فيحيط بالمدينة حول الخندق ومن ثم نرى هناك ما يجب علينا فعله . فقال الوليد ان هذا رأى وقد عزمت فى الغد على ما اشرت وفى الحال بعث بالخبر إلى المدينة وامر ان تفتح الابواب وتوضع الطرقات ولا يقف احد فى وجه الجيش اذا قدر عليه ان يدخل مهزوما والخبر فى المدينة برجوع فرسان إيران من عند المقنطر ولعل بمثل هذا الخبر الى بنته طوران تحت

وأطلعها على ما كان من أمر الفرسان وقال لها إنى كنت أخبرتك سابقا عن أن المقنطر قد بعث بالأوراق فاستأسر فيها فرسان الفرس والآن أخبرك أن بهروز العيار سار بالحيلة إلى المقنطر بعد أن توافق مع بدر فتات العيار عيار الوزير بيدانديش ودخل على الساحر ولا أعلم بأى قوة قدر أن يربطه لأنه خلص فرسانهم وعاد بهم فرحين وفى مقدمتهم فيروزشاه وبهزاد ومصفرشاه وأمام الجميع بهروز راكبا على ظهره وبدر فتات يقوده كأنه بعير وهذه الأعمال قد أخذت بعقلى وأشغلت لى أفكارى ورمتنى فى وهدة اليأس وفى الغد تريننى داخلا إلى المدينة مهزوما لا محاصر داخلها إنما لابد من أن تنتصر الأعداء أخيرا على لأن ما من أمل عدت أومله لتعاد إلى قواى الأصلية كما كانت قبلا وكل هذا الذى جرى علينا كان بسبب أخيك وزواجه بهذه عين الحياة الموجودة عندك ولا ريب أن طالعها منحوس على كل من يرغبها ويطلب زواجها . وبعد أن بعث بالأخبار إلى المدينة وإلى بنته أوصى كل رجاله أن تكون فى الغد على أهبة القتال ومتى تضايقوا يدخلون الأبواب ويقفلونها خلفهم وبات على هذه النية ينتظر مضى هذه الساعات القليلة الباقية من الليل وقد أمر أن يدخل فى الليل الخيام والمون والذخائر وكل ما هو فى الخارج كى بعد دخولهم لا يكون باق لهم شىء فى الخارج تكسبه الأعداء

قال كنا قد تركنا عين الحياة مع طوران تخت فى حالة تعيسة تندبان حظيهما وتلومان زمانهما وتذمان الأيام التى ما سمحت لهما إلا بقليلها . وفى تلك الليلة كانتا نائمتين على مثل هذا الحديث كل منهما تشكى ما هو ملم بها لرفيقتها وتبيح لها ما فى

انتهى الجزء السادس عشر ويليه الجزء السابع عشر

الجزء السابع عشر
من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

قلبها فقالت أتظن أن الأيام تعود فتجمعنى بعصفر شاه ذاك البدر الذى مارأت عينى قط أبهى جمالا منه ولا أشرق نورا وهل أرى نظير تلك الليلة التى زارنى بها وأشاهد من سناء طلعته وحلاوة حديثه اللطيف ماشاهدته وسمعته . وإنى محروقة الفؤاد لأجل ذلك وعلى الأكثر لو كان بقى يوما أو يومين لكنت ارتويت من عذوبة ألفاظه وشبعت من النظر إلى محاسنه

لو كان هذا الدهر يرضى قربنا　　يوما لما نظرت بدا عيناه
ياليته قد كان أعمى لا يرى　　ليلا أتانى فيه مصفر شاه

فقالت لها ان تشكى من الدهر فطالما شكى قبلك أناس وان تذميه فذمه كثيرون قبلك فهو عن الشكوى أصم أعمى لا يؤثر فيه الطعن والذم ولو سمح لك أن تقيمى مع حبيبك يومين أو ثلاثة أو أكثر لابد من أن يعود إلى عنادك فتكونين كما أنت الآن ومثل هذا الحب لا ينقضى بمدة من المدات فكلما طال طال ارجاء به وكلما تمدد زاد تعلق القلب به فما الدهر إلا ذو غايات ومقاصد من مال اليه كان مسرورا سعيدا وطالما دعوت أن يبقى حبيبى عندى فيخالفنى مخالفة الخصم ويعاندنى معاندة العدو إلا أنه لابد أن يضجر ذات يوم فيسمع النداء كونه كما يقال عنه متقلب الأعمال لايقبل أن يبقى على حالة واحدة مطلقا انه بعمله هذا يمتحن ما حبنا ويعلمنا أن نحافظ عليه فالحب الثابت الشديد لاينقضى بانقضاء الأيام وتقلباتها المعيدة ولا يتغير بعناد الدهر والأيام فهو يبقى حتى الموت

لاكان قلبا لا يدوم على الوفا　　حتى تضم يد البلا حشاه
فالنفس لاترضى البقاء إلا على　　أمل بأن تهنا بمن تهواه

فأجابت طوران تخت فأين الهناء منا وأين الراحة فلو كنا من رعاع الناس لكان سهل علينا جدا أن نجتمع بمن نهوى دون حسود ولا رقيب وكان الدهر يعفو عنا ولا ينظر الينا بعين الأهمية والاهتمام وهل ترجى لهما إلا بالاجتماع بحبيبه وهل من اجتماع بعد وقوعهما بأيدى الساحر الماكر المقنطر فوا حسرتاه فهو الآن يعذبان عنده فى أسره بأنواع العذاب التى لا تعرفها البشر فلسحره فقدوا الحس والحقين والرحمة والشفقة ومن يا ترى يقدر أن يتسبب فى خلاصهما أو يتجاسر أن ينظر إلى

يبت هذا الساحر بسوء هذا إذا كانت لم تحدثه نفسه الخبيثة الدنية الفاسدة بهلاكهما وإطفاء خبرهما وقطع رجاء أصحابهما منهما فياليتَ ذلك الخبيث اللعين يموت قبل أن ينوى شرا لهما أو يلقى عليهما ضرا

لاعاش من يبغى الردى لأحبتى　　يا رب بل عجل عليه فناه
بجميع أعضائى وكل جوارحى　　تدعوك يا ربى فأنت الجاه

وكانت طوران تخت تتكلم وتتحسر وتلطم على خدودها على غير وعى ومثلها كانت تفعل عين الحياة وقد قالت نعم انى أتصور عظم المصائب والأهوال المحيطة بنا لأجل عذاب من نحب وكل ما جرى على فيروزشاه قبل هذه المرة علمنى ان أقول أن ليس على الله من أمر عسير فقد نجاه الله مرات كثيرة من أيدى السحرة وانتشله من أيدى القتلة وأبعد عنه تدابير الأعداء ورد عنه سهامهم . ولذلك كان من الصواب أن ننتظر أحكام العناية وتدابيرها . ومجمل مايعذبنى الآن ويكاد يذهب بقواى تأكدى أن هذا الساحر لا يعذب على الأكثر إلا حبيبى لأنه هو المطلوب والمقصود وهو الذى قاد هذه الجيوش كلها من أجلى وهو الذى أوقع بجيش أبيك وكاد يهلكه وعليه فقد تأكد الجميع ولا سيما أبوك انه إذا قتله يتخلص من كل ما هو واقع فيه فياليت من يأتينا بالأخبار عن الأحباب أهل هم باقون فى قيد الحياة أم اغتالتهم أيدى الحوادث وأوصلت اليهم الأشرار أذاها ولا ريب فى أنى سأموت لموته كما أنى سأعيش لراحته وهناه

هل من يبلغنى عن المحبوب ما　　يلقى وما فعلت به أعداه
أو من يقول له بأنى بعده　　أرجو الممات إذا حرمت بهاه

فقالت طوران تخت ان اليأس التى علينا بكل قوته حتى تمكن منا والآن أرى أنه لابد من أن ننعى أنفسنا فاننا سنموت لا محالة إذ لم يعد من مطمع لنا برجوع من نحب نفوسنا ولا نقدر أن نعيش بدونه فعزينى لأعزيك واندبى حظى لأرثى لك حظك فان لم نكن الآن ماتتين فعلا فاننا سنموت بعد قليل وإذا كنت زعمت بأنك ستميتين نفسك إذا عرفت بموت فيروز شاه وأنا أيضا سأجعل الموت نصيبى فان اجتماعنا فى اليوم الآخر أسهل علينا جدا من اجتماعنا فى هذه الدنيا الزائلة وأقرب

لاخير فى الدنيا وفى لذاتها　　ان كان من أهوى يعز لقاه
فجميل صبرى قد أضعت لبعده　　والدهر أشعل فى الفؤاد لظاه

وما كانت عين الحياة ممن يقطع الرجاء إلى الحد الاخير وكانت ان استعظمت المصاب وشخصته جسيما ترى من نفسها ارتياحا إلى المستقبل لاسيما عند ما فكرت أن فى رجال إيران من العيارين الذين لا يصعب عليهم خلاص فرسانهم ولو كانوا

فى جوف الأبحار تحت الماء وعذرت رفيقتها على ضياع كل صبرها لعلمها أن ركونها إلى محبوبها كان بقدر اجتماعها القصير به إنما محبتها له كانت بأشدها يمكن أن تحب أوفى بنت لأجل شاب ولامتها فى نفسها على التهور إلى هذا الحد قبل أن تمتحن محبة حبيبها وقالت لها لقد أرى أن المحبة الواقعة فى قلبك إلى مصفر شاه أشبه بالمحبة التى هى عندى لفيروز شاه إنما محبوبك لم يكن عندك بمنزلة الخاطب كونه وجد أسيرا فأبيت به ولهذا رضى من نفسه أن يكون لك محبوبا مكافأة على فعلك معه الجميل ولم تقلبه على حبه الحوادث لتعلمى ان كان ثابتا فيها أم لا خلافا لفيروزشاه الذى جد فى الأول إلى الحصول على وعاد الى تكرارا وحفظ الى الآن مودتى وتذكرها وهو تحت أثقال الحديد وفى أشد الضيقات ولو كان ينزع من قلبه حبى لانصرفت كل هذه المشاكل والحرب لكنه رضى بهلاك نفسه وجيوشه لأجلى ولا أقول لك هذا لأفضل نفسى ومحبوبى وأظهرت لك أن فيروز شاه هو أصدق ودا من مصفر شاه وأكثر حبا لأن رجال الفرس مطبوعون على الوفاء والامانة انما جل قولى بان لا تمكنى اليأس من نفسك وتعدمى الصبر الى الدرجة الاخيرة مع أنك لم تذقى من حلاوة العيش شيئا وسلمت بنفسك الى أيدى الضجر والملل ويجب عليك أن لا تموتى بعده بل تختارين غيره زوجا لك كعادة بنات الملوك اللاتى لم يكن لهن وفى قلوبهن من الحب الا بقدر وجود المحبوب اذ يكون قد مر الحب عليهن كالظل فينقضى بانقضائه ويزول بزواله فاقلعى من نفسك هذه الجرثومة ولا تلقى بنفسك فى سبل المهالك وعيشى مع أبيك مرتاحة تفعلين طاعته وتحفظين أوامره ولا تتخذينى بذلك عذولة لك على حبك أو لائمة على عملك هذا بل أريد أن أجعل لك من نفسك سلوة حتى اذا قضى لا سمح الله على مصفر شاه تجدين سلوة بغيره اذ لم يوجد عندك الا ساعات قليلة بالصدفة . وأما أنا فاذا مت لموت محبوبى كان فرض على أولا لكونى عاهدته على ذلك مرارا وثانيا كونى غريبة مأيوسة سأجبر الى قبول غيره بالرغم عنى وقد شاع خبر حبنا فى كل قطر وناد وتحدثت به الركبان فى كل مكان وقد عرف الشرق والغرب أن الحروب قائمة بسببى فكيف يمكن أن تطيق نفسى سواه ولو كنت من أجبن البنات وأقلهن مودة لكانت علمتنى كل هذه الامور أن أكون صادقة الحب ودودة احفظ عليه حتى الموت

ما أضعفت قط الحوادث قوتى بل زاد حبى بالمنى أهواه
هى علمتنى أن اكون ودودة حتى الممات لاجله ارضاه

فتأثرت طوران تخت من كلام عين الحياة الا انها حملته على محض صفاء الطوية ولذلك قالت انظنين انى ارضى غير مصفر شاه حبيبا ولو فقدت هذه الحياة

واضطررت إلى سف التراب والتساؤل من أيدى الناس لأنى رهنت نفسى له ووعدتها به ووعدته أيضا بأن أكون له وكفانى أن أكون أنا وافية له بوعدى وإذا كان الحب مبتدئا فلا فرق الآن بين قلبي وقلبك وحبي وحبك ان أوله وان آخره فانا الآن فى سقم على زعم من قال ان أول الحب سقم وآخره قتل وسوف أصل إلى آخره فألاقى فيه القتل المعد لكل حبيب خانه الدهر فأبعد حبيبه ورماه فى يأس مافوقه من يأس فآها والف آه

ولو أننى القيت فى رأس شعرة   من الجفن لم تشعر بى العين من سقم
كذلك لو مازجت بالجسم نقطة   من الخط ماامتازت عن الخط فى الحجم
ولو رام فرض الجسم منى توهما   أخو فكرة أعياه ذلك بالوهم

وما فرغت من كلامها إلا وقد دخل عليها البواب وقال لها يا سيدتى ان رسولا من أبيك دفع إلى هذا الكتاب وعاد على عجل وقد فهمت منه ان اباك عاد إلى التأخير والاذلال فعول فى الغد أن يدخل المدينة ويحاصر فيها فانتعشت روح عين الحياة لهذا الكلام ومالت بكل سمعها اليه تنتظر وضوحا من التحرير وأما طوران تخت فأخذت التحرير من الخادم وبعد ان صرفته فضته وقرأته ولما وعيت ما فيه جعلت تصفق من الفرح وتصيح .. الحبيب . نجا .. نجا .. الهناء .. الهناء .. مصفر شاه أتى ... مصفر شاه ... فأرادت عين الحياة ان تستعيد منها الحديث بكل سرعة فلم تجبها بغير ما كانت تسمع منها فاسرعت إلى التحرير وتلته فى داخلها ثم بعد ان عرفت كل مافيه وتأكدت منه ان فيروز شاه قد نجا من قبضة الساحر وقد عاد إلى ابيه القت بنفسها الى سرير هناك واسندت راسها الى حائط ووضعت يدها على قلبها وهو يخفق لعظم الفرح الذى وقع بغتة وقد اخذت بعمل رفيقتها وبقيت مدة تحدق بها فتشاهد اعمالها وافكارها تضرب الى معسكر ايران تسلم على حبيبها وتهنئه بسلامته وبقيت على ذلك نحواً من نصف ساعة الى ان قدرت على جمع حواسها فسجدت إلى الأرض وشكرت الله ودنت من رفيقتها وقد خافت عليها كل الخوف من ان يلحق بها ضر أو تصاب بجنون من جرى هذه البشارة فاحاطت يدها بوسطها وأخذتها إلى السرير فاجلستها وقالت لها اجلسى وتأنى باعمالك واحذرى على نفسك من الطيش والخفة فنجاة حبيبنا وان كان مفرحا إلى مافوق يظن إلا انه يلزم ان لاندع انفسنا عرضة للوم وعندنا من أسباب الفرح ما يجعلنا ان نهنأ به ونسلى ذواتنا فهيا بنا إلى مائدة المدام نسكر ونطرب بذكر الأحباب ونفرح لخلاصهم ونهنىء انفسنا بقرب المعاد فوعت إلى كلامها وانقادت اليها وقالت لها هلم فاسقينى على ذكر مصفر شاه وزيدينى من حديثه ففى مثل هذه الساعة يطيب شرب الخمور وفى الحال امرت عين الحياة قهرمانتها شريفة

وقهرمانة رفيقتها هند ان تروقا بواطىء المدام وتاتيان بالنقولات والزهور فاسرعتا إلى طلبها ولم يكن إلا القليل حتى جلست عين الحياة إلى جانب طوران تحت ثم سكبت كاسا وناولتها وقالت لها اشربي على صحة محبوبك وانشدى شيئا من الشعر فاليوم يوم الهناء فاخذت الكاس وشربته بعد ان انشدت تصف جمال مضفر شاه :

عطفت على ود الهوى وولائه ... وأخلصت اسرارى لحفظ اخائه
وما ذاك إلا ان حبانى بشادن ... يقطع أكباد الجفا بوفائه
رخيم معانى الدل أدمت من روا ... نعيم خدود الغانيات ومائه
سقيم حواشي الطرف والخصر عزأن ... يلوح لرآى العين بند قبائه
اغن كأن الله ألبس خده ... لثام ورود مذهبا بحيائه
واودع جفنيه من السحر صارما ... تلوح المنايا منه عند انتضائه
وللحسن بل لله بانت قده ... إذا عبثت فيها طلا خيلائه
يصوبها نحوى فيوهمنى المنى ... أداء سلام خصنى بادائه
وما هو إلا ان تحقق ان لى ... بقية روع سهلها بانثنائه
إلى الله أشكو أرقما فوق خده ... يحوى خلال الفكر دون اقتفائه
ومهما بدا من وكره وهو يلتوى ... لوى كل غصن مستهاما بدائه

ولما سمعت عين الحياة انشادها وما وصفت به حبيبها من المحاسن الثابتة فى عقلها تذكرت هى فيروز شاه وجماله وبهاءه وما هو عليه من المودة والوفاء وحسن الطوية وكيف انه لما كان يزورها ويجتمع بها ينشدها من فصاحته وعذوبة ألفاظه ما يجعلها تسكر فتغيب عن الهدى وتذكرت ايضا يوم قبلها وقبلته ووقعت شفتاها على ناعم خده وتذكرت ليونة قده فهاج عليها الغرام وتاقت إلى وصف جماله فاخذت كاسا من الخمر فشربتها وانشدت :

دب الحياء بخده فتضرجا ... رشاء اذاب على الشقيق بنفسجا
رخص البنان اغن احوى اوطف ... كالبدر أبهى من رأيت وابهج
لم يكفه دعج العيون ملاحة ... حتى تشرابت بالمها وتتوجا
وتفضضت وجناته وتذهبت ... بالحسن دمالج ساعديه ودبجا
يختال كالغصن الرطيب بمعطف ... لدن نزل السمهرى معوجا
ويظل يكسر مقلتيه تدللا ... اين النجاة لعاشق اين المنجا
ومعربد للحظات اطلق حسنه ... فتقيدت بشجونه مقل الرجا
صلت الجبين بدا كبدر زاهر ... يا صحى قف هنا وتفرجا

قد ذاب قلبي في هواه صبابة ... وبحسنه لكمين قلبي هيجا
وفني اصطباري في الهوى وتجلدي ... والدمع أمطر في الجفون وأثلجا
يا أيها القمر الذي القمر الذي ... من صدغه من صدغه ليل سجا
جد بالوصال فان لي بك مدخل ... لم يبق عنه حسن وجهك مخرجا
من لي بمن فضح البدور ملاحة ... وبطرفه فتن الغزال الأدعجا
فاضت مياه الحسن في أعطافه ... والجسم أزبد فوق ردف موجا

ولم تكن إحداهما أقل عشقا من الثانية لترى فيها عيبا من تطرفها في العشق والشكوى إلى حد خارق العادة ولذلك أقامتا وقتا ليس بقليل على شرب عقار ومناشدة أشعار وهما تعللان النفس بقرب الوصال . وقد قالت بنت الوليد لعين الحياة لابد لنا بعد أيام قليلة من أن تنال مرادنا وتصبح كل منا بيد محبوبها ويروق لنا العيش بعد هذا التكدير فتنهدت عين الحياة تنهد الحزين الضعيف الأمل وقالت لها من أين تعرفين ذلك والحرب لاتزال واقعة ولا رجاء بالصلح والتقرب من بعضهما وفي نية أبيك أن يحاصر المدينة فاذا قدر على الدفاع عنها أقاما زمانا دون حصولنا على نتيجة من قرب الحبائب وان لم يقدر على المدافعة أشار عليه طيفور بالسفر فيسافر الجمع ويهربون من المدينة ويأخذوننا معهم فماذا عسى أن تقولين إذ ذاك قالت وقد أزعج ذلك خاطرها وأقلقها وأبان لها وجها مخوفا جديداً وهل تظنين ان والدينا يتركان المدينة ويهربان هكذا على ما أظن هذا إذا فكرا بالخلاص قبل تمكن الايرانيين من المدينة وفتحها عنوة وإلا إذا فتحوها بالحصار ودخلوها والسيوف تقع على السيوف والفرسان تصافح المنون فازوا بأنفسهم وتركونا دون أن يتمكنوا من أخذنا معهم . قالت وهذا جل ما نرجوه فحينئذ تأتي أهل فارس فتدوس البلد ويجلس الملك ضاراب على عرشها وتزف على حبيبينا ولا يكون وقتئذ من خوف علينا البتة . فأحرق هذا الكلام داخل عين الحياة وتمرمرت منه لأنها وان كانت مقروحة الفؤاد على فيروزشاه وملوعة ببعاده ومشتاقة كل الشوق إلى قربه والدنو منه والتملص من كل هذه الصعوبات إلا أن عزة نفسها كانت تمنعها ان تتزوج به على غير الطرق المرعية في شرف من كان مثلها من بنات الملوك . ولهذا قالت لرفيقتها أتظنين اني وان مت كمدا وولوعا بحب من انا مضطرمة بنار حبه أقبل بأن اسلمه نفسي كسبية استحوز علي بالسيف وارغم ابي على أخذي وماذا ياترى يقال بين بنات الملوك الحالين وأهل هذا العصر والأعصر الآتية ألا يقال عني اني بعت ابي بشهوتي وقبلت ان اسلم نفسي سبية أثناء الحرب والطراد وان فيروزشاه الذي يهواني ويرغب في ويحارب لأجلي قهر أبي وطرده بالسيف واخذني من بعده فهذا مما لا يمكن ان

أقبل به ولا أفضل الحياة ولذة الزواج على فقدان الشرف والناموس . قالت انك تتأملين محالا لأن أباك لا يقبل قط أن يسمح بك لأعدائه ولا يمكن وقوع صلح بينه وبين الملك ضاراب لتزفين بطريقة الشرف والناموس قالت انى أعرف ذلك إلا انى ما زلت أقدر أن أمنع وقوع مثل هذا الأمر فلا أتأخر ولا سيما إذا كان أبى لا يزال حيا يملك نفسه فهو الولى المقام على قبل العناية الالهية وانى أسلم بتدبير أمرى إلى الله فهو يدبر بحكمته كلما يراه مقربا للصواب والانسانية . ودامتا على مثل هذا الحديث حتى سكرتا وغابتا عن الوجود فانت قهرمانة عين الحياة فأخذتها ومثل ذلك فعلت هند ووضعتا كل واحدة منهما فى فراشها شاملة من خرتى الحب والكرم وسنرجع إلى ذكر حديثهما فيما يأتى معنا من الكلام ان شاء الله تعالى

ولما كان صباح اليوم التابع لذلك اليوم نهضت عساكر إيران من مراقدها ، قد عمدت إلى خيولها لانها سمعت من قبل الصباح بضرب طبول الحرب والكفاح أمر الملك ضاراب وكذلك أنذرت عساكر مصر أن الاعجام سيهجمون عليهم فى ذلك اليوم فاستعدوا للحرب والكفاح وافترقت جموعهم إلى فرق وذلك أن الاسكندر ملك الاسكندرية فرض رجاله على حدة وأوصاهم أثناء القتال أن يقاتلوا نحو ساعة من الزمان ثم ينهزموا على طريق الاسكندرية ويسلكوا تلك الطريق عائدين إلى بلادهم إلى أن يصلوا ومن وقع بأيديهم من رجال إيران أخذوه معهم أو قتلوه وأوصاهم كل الوصية أن يحاولوا أسر فارس من فرسان إيران يسيرون به إلى بلادهم وكذلك مسرور بن عتبة ملك الشام والمنصور ملك حلب وسيف الدولة صاحب ملاطية وبقية الملوك المتجمعين هناك كل واحد منهم عزم على الهجوم على الاعداء حتى إذا اشتد القتال تفرقوا وسار كل فريق منهم فى طريق إلى بلاده ومثل ذلك الوليد والشاه سرور فانهما أوصيا رجالهما وقوادهما عند المضايقة أن ينقهقروا إلى المدينة ليحاصروا بها . وبأقل من نصف ساعة اصطفت الصفوف ورتبت ميمنة ت و الا ف وركب فرس ميدان السباق والجامع اشتات قوتها بعد الحق . فيروز شاه بن الملك ضاراب الذى لم يخلق له ثان بين الاعجام والاعراب ومن خلفه بقية فرسان الاحزاب وكلهم يعدون أنفسهم بالنصر والظفر وأن يجعلوا ذلك اليوم آخر لايام بينهم وبين المصريين وأما بهزاد فانه اجتمع بسامك سياقا وقال له فى هذا النهار تظهر الاهوال ويبان الشجاع من الجبان وأريد أن أفتك بالقوم فكان لم يروا مثله فى كل هذه الحرب ولا أتى بمثله فارس من فوارس الزمان غير انى أطلب اليك أن ترافقنى وأرافقك أثناء القتال فلا يبعد أحدنا عن الآخر بل نكون ملاصقين لبعضنا جنبا لجنب فتحمى ظهرى وأحمى ظهرك وعندى ان كنت أنا وأنت على هذه الحالة نكفى

وحدتا لهلاك المصريين . قال له حبا وكرامة فانى أريد ذلك لأن فيه شفاء الغليل من الأعداء اللئام ولما اعتمدا على هذه الحالة تقدما إلى الامام يطلبان الحرب والصدام وإذا بالعساكر قد حملت على بعضها البعض . وقدارتفع صياحها وضجيجها وهى منتشرة فى تلك الأرض . وبأسرع من لمح البصر حمل الرجال على الرجال وجرى الدم وسال وتقطعت المرافق والأوصال . وغابت منهم نجوم الآمال وافلت اهلة الأعمار فلم ينير منها هلال . وطلب السيف الفصال . أن يكون حاكما فى صدور الأبطال . ليفعل فى حكمه أعجب فعال . وينفذ غاياته خارقة درجات الاعتدال فيطرد الأرواح من الأشباح ويجعل الأجسام . عرضة للطيور والهوام . وهكذا كان فان السيف اليمان أنزل على القوم أنابيب العذاب كالعارض الهتان . وصب عليهم صبيب الأكدار تتدفق باعظم فيضان . فذل من بعد عزه كل شجاع . وارتضى بالموت فى سبيل الممانعة والدفاع كرها بالهزيمة وتخلصا من السمعة والذميمة . وذاق المصريون من حرب أهالى إيران أمر العذاب . ودارت عليهم دوائر الشدات والاكتئاب وتفرقوا فى تلك البرارى والهضاب وفى أثرهم صاحب هذه السيرة الذى كان عليهم كقضاء الله . ابن الملك ضاراب فيروز شاه . الذى ساد على سائر الملوك بالشجاعة والمجد وعلو الجاه . فضرب فى أقفيتهم ضربا أحر من لهيب النار . وفعل فيهم فعلا يحق أن يكتب بماء الابصار . فيقرى على أهل الأدهار والأعصار . فيعرفون عظم مقدرة ذلك الفارس الجبار والأسد المغوار . والصارم البتار الذى اخترق صيته السبع البحار . وفعلت جميع الفرسان كفعاله واقتدت بحربه وقتاله . فاتخذته لها مقياسا وجعلت لاعينها حملاته مقباسا . ولما رأت أهل مصر أن إيران أنزلت عليهم ويلاتها . ورمتهم بشديد طعناتها وضرباتها . حتى أهلكت منهم الجمع الغزير . وأوصلت اليهم البلاء الكثير اتخذت طرق الهرب والفرار فألووا بعنان خيولهم وطلبوا الهزيمه وسار كل فريق بطريق وأما أهل مصر واليمن فانهم قصدوا جهة المدينة وتبع كل فارس من فرسان إيران ملكا من الملوك وقبيلة من القبائل وانتشروا انتشار الغيوم فى تلك السهول وازدحمت أقدام الداخلين إلى المدينة ورجال الملك ضاراب تتأثرهم وتضرب فى أقفيتهم وقد أشفت غليلها وأروت ظما أفئدتها وأما بهروز وسيامك سياقبا فانهما اخترقا رجال المصريين وقد فعلا بهم أفعال عفاريت الجان وفتحا فى وسطهم مجالا وكانا يضربان بالعمدان فيسحقان الروس والابدان وقد أسكرتهما خمرة الانتصار ولم يقدر أحد أن يجبت أمامهما ولا يبقى وراءهما وقد غاصا بالدماء وأورثا بالعدا الانتقام وكلما تقدم المصريون إلى جهة المدينة تقدما معهم حتى دخلا باب مصر مع من دخل من الفرسان وهما لا يعرفان ذلك ولا شعرا بدخولهما بل داوما على القتال والحرب والنزال والفتك

فى الابطال وكان هذا مجمل ما يفكران به وينضمان إلى بعضهما لا يفترقان ولا يأخذهما هدوء ولا توان ولا زالت الفرسان تدخل المدينة والرجل الشجاع الذى يسلم عند دخوله وينجو بنفسه ويخلص من سيوف الفرس وطعناتهم حتى دخلوا بأجمعهم وفى الحال قفلت الابواب فى وجه الايرانيين وهم يهيجون كالجمال ويزأرون كالآساد ولما استقر الوليد فى داخل المدينة أمر ان تطاف المدينة بالماء وان يدار النيل على الخندق المحيط بالأسوار ففعلوا ورجع الايرانيون إلى الوراء وما منهم إلا من هو على غاية الفرح والسرور إلا سيامك وبهزاد فانهما أصبحا داخل المدينة وهما على ما هما عليه من الحرب والقتال يزيدان كما تزيد النار بالاشتعال.

قال وبلغ الوليد ان فارسين من فرسان إيران يقاتلان ويناضلان داخل المدينة وقد أهلكا قسما من العساكر وهما يصيحان ويناديان فيدعى احدهما انه بهزاد ويتكنى بنفسه والآخر يباهى بأنه سيامك سياقبا ولم يقدر احد من الفرسان ان يثبت امام وجهيهما فلما سمع الوليد بهذا الخبر كاد يطير من الفرح وقال ويلكم ان كان بهزاد داخل المدينة فزيدوا عليه العساكر كى لا يفلت وينجو وإذا نجا جازيت كل العساكر بأجمعها ثم انحدر إلى الأسواق وشاهد تلك الافعال فأخذته الحيرة والاندهال وجعل ينادى بالعساكر والابطال ان تزدحم عليهما وان ترميهما بالأحجار والنبال وان يسدوا عليهما كل الطرقات وقامت القيامة فى تلك الساعة وكثر الصياح والصراخ وجعلت الناس تتراكض نحوهما البعض للقتال والبعض لتفرجة على ما يكون منهما.

وكانت عين الحياة وطوران تحت فى تلك الساعة جالستان فى القصر على شرب وهناء وهما تعللان نفسيهما بقرب أيام الراحة وبالحرى بنجاح الأحباب إلى ان بلغهما دخول الوليد إلى المدينة مهزوما فقالت عين الحياة هو ذا ابوك فى البلد وقد كسر أيشم كسرة ومن الاصابة ان يرعوى عن طلبى ويصالح الملك ضاراب ويزوج ابنه بغيرى وإذا انتهى الاتفاق بينهما طلبك مصفر شاه من أبيك فيزوجه بك دون شك ولا ارتياب وبهذه الطريقة يحفظ بلاده من الخراب ويدفع عن رجاله ويلات القتل والعذاب ويصون حريم المدينة وأموالها من الهتك والانسلاب ويكون لنا نحن الراحة التى نرجوها من رب الارباب هذا إذا كان صاحب عقل وتدبير لا يصغى إلى رأيه وزيره ووزير [illegible] فى صفور وإلا لا بد لاهل ايران من الاستيلاء علينا وعلى كل حال وعلى بلاده بقضاء جمعهم و[illegible] عليهم بملوك الارض اجمعها وستنجد بسحرتهم وكهنتهم [illegible] وقالت يا حبذا لو كان ذلك انه طمع الانسان فى هذه الدنيا يصور له مستقبل صورة حسنة فيأخذ بامياله إلى أرفع الدرجات ويهوره منها فى [illegible]

تروق فى أعينه السلامة دفعا لويلاته لأنه شامخ العز والنفس يفضل الموت على الذله ولذلك لا أعلم ما يكون منه وماذا يفكر فى مستقبل أمره مع الايرانيين حتى أنه لو مال إلى دفع هجمات الايرانيين التى تدك الجبال بمصالحتهم والتنازل لهم عن زواجك بابنه لمنعه أبوك ووزيره طيفور الخبيث وساعده على ذلك انقياده الأعمى إلى وزيره بيداندیش

وبينما كانت عين الحياة وطوران تخت تتكلمان بشأن ما كان من أمر أبويهما وإذا سمعا الصياح وتراكض الناس فاستدعتا بالبواب وقالتا له اذهب وانظر لنا سبب هذا الصياح ، استفسر لنا عن حالة المطاردين وحالة رجال المدينة وهل دخل الاعداء المدينة أم لا يزالون خارجها . فتدرج الى اجابة طلبهما ونزل الأسواق وسأل عن الخبر فأخبروه أن المدينة فى ضيقة عظيمة وأنه بعد قفل الأبواب وجدوا فارسين من فرسان ايران يقاتلان فى وسط المدينة وقد ازدحمت فوقهما كل عساكر المدينة ورجالها وهما لا يكلان ولا يملان بل مصران على الطعان والضراب وسلب النفوس . فعاد البواب وأخبر طوران تخت بكل ما سمعه من الناس فى الاسواق فزاد ارتباكهما ولاسيما عين الحياة فانها ترجحت أن فيروزشاه هو داخل الاسواق وأنه خاطر بنفسه لاجل حبها وكذلك طوران تخت خافت من أن يكون أحد هذين الفارسين مصفر شاه حبيبها ولذلك تاقتا الى معرفة الخبر وسالت عين الحياة البواب وقالت له هل سالت عن اسمى ذينك الفارسين قال كلا ياسيدتى فقالت له اسرع واستفسر لنا عن اسميهما ممن يعرفهما لنعلم من يا ترى يكونان من رجال ايران . فكر الى الاسواق وسال عمن أمكنه أن يفيده فقيل له ان أحدهما يدعى بهزاد والآخر سيامك سياقبا فعاد وأخبرهما بذلك ففرحتا غاية الفرح واتسع صدراهما وانشرحا غاية الانشراح وقالت عين الحياة الحمد لله الذى لم يكن هذان الفارسان حبيبى وحبيبك ولا واحد منهما لانى مؤكدة أنهما لا يخرجان من المدينة وأنهما سيمسيان اما قتيلان واما أسيران مهما جالدا على القتال وأهلكا من الرجال ثم انهما صبرتا على حكم القضاء وانتظرتا الفرج من العزيز الرحمن

قال ولا زال بهزاد وسيامك سياقبا فى قتال شديد يفك الزرد النضيد ويعمى الابصار ويحير الافكار وقد تكومت حولهما القتول كالتلول وسالت بين أيديهما الدماء كانابيب الماء وقد تخدشت أجسادهما من الجراح الا أنهما ثبتا على الحرب والكفاح وأيقنا بشرب كأس الحمام وهما يصيحان ويخترقان الصفوف ولا يريان بين أيديهما الاجدرانا وأسوارا وكيفما ملت حولهما لرجل مالا وكلما قتلا عشرة أوعشرين جاءهما عوضهم مئات وألوف وهما ثابتين على هذه الحال الى أن ضاق خلق الوليد وضجر من ثباتهما

فجعل يصيح بالرجال ويقول لهم ويلكم ضايقوهما واقتلوا جواديهما وانزلوابهما العبر فأسرعت الفرسان لصياح الوليد وصوبوا السهام الى الجوادين فقتلوهما ووقعا الى الارض فارمت الفرسان بنفوسهما فوقهما وهى تخاف من أنهما يفقار فيعودان الى القتال وداروا بهما من كل جهة وصوب حتى منعوهما من الوقوف ونزعوا السيوف من أيديهما وجاءوا بالحبال فربطوهما وأوثقوهما حتى أصبحا أسيرين ذالين وتأكدا وقوعهما فى يد الوليد فصبرا على حكم البارى سبحانه وتعالى وأما الوليد فانه فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وسر غاية السرور ورجع كأنه انتصر على الملك ضاراب وعساكره وجلس فى قصره وكان قصره عند حافة النيل محاط بسور ارتفاعه نحو عشرين ذراعا وأمامه رياض وفسحات وجنائن وبعد أن استقر به المقام دعا اليه بكامل رجال ديوانه فحضروا وقال لهم ان هذين الاسيرين هما من رجال الفرس العظام وهما اللذان فعلا بعساكرى الافعال الشنيعة وانى أروم أن أشفى قلبى بقتلهما فقال طيدور ان فى قتلهما الغاية ولاسيما بهزاد لانه فتك فى الرجال فتكا عظيما وهو ركن من أركان فارس يبلغ درجة فيروزشاه وأبيه فيلزور واذا ابقيت عليه سمعت عيار وفارس بنجاته لانهم عفاريت لا يصعب عليهم أمر فى هذه الدنيا وشدتنا عندهم رخاء فقال لابد لى من ذلك فى الغد اذا أحيانا الله ثم أمر بالانتباه والمحافظة عليهما ووضعهما فى سجن القصر بالقرب منه وصرفوا ذاك النهار على أتم ما يكون من التيقظ عليهما واستشار الوليد أيضا جماعته فيما ذا يفعلون فى أمر الحصار فأصروا عليه واعتمدوا على أن يداوموا الحصار الى أن ينفتح لهم باب الفرج

فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الملك ضاراب فانه بعد أن عاد من الحرب الى صيوانه امر بأن تجمع عنده الفرسان ليرى من بقى منهم ومن فقد وكان مسرورا جدا بانتصار ذلك النهار وبسطوته على الاعداء وادخالهم الى المدينة رغما عنهم وقد فرح كان بولده الذى كان النصر معقود بناصيته وبعزمه تقرب رجال الفرس وتبنى له المجد بيتا لا ينهدم مع توالى الايام وفى الحال حضرت قواده أمراء الفرس وحضر بعدهم حتى احتبك ديوانه وجلست الفرسان فى مراكزها كل فى مركزه وعلى كرسيه ثم تمعن فى المجلس برمته فوجد كرسى بهزاد وكرسى سيامك وكرسى خورشيدشاه وكرسى بهمنزار فارغة وليس عليها اصحابها فاضطرب داخله وخشع لذلك وارتبك وسأل عنهم فقيل له ان سيامك وبهزاد كانا يقاتلان مع الجيش ولم نرهما حتى الآن ولا سمعنا عنهما امرا واما ورخشيدشاه وبهمنزار فقبا فانهما أسيران لأن الآن حدثهم بأسرهم فى جيش الاسكندر ملك

الاسكندرية والآخر قبض عليها عند محاربته مع جيش الشام والآن هو عند الملك مسرور بن عتبة وإننا عرفنا ذلك من فرسانهما الآن كل واحد منهما تتبع جيشا وتأثره ولا زالوا يركضون أمامهم حتى تقطعت الفرسان من خلفهم إلا أنهما لم يرجعا حتى وقعا فى أيديهم فأغاظ ذلك الملك وارتبك وقال لم يكن فى ظنى أن هذه النصرة تكلفنا فقدان من هم أحب علينا من بلاد مصر ومن فيها ولا بد من مداركة الأمر والسعى خلف من يمكننا خلاصه وهو خورشيد شاه لأنه قريب منا ويمكن تخليصه بأقرب وقت واما بهمنزار قبا فلابد من السعى خلفه عند نهايتنا من هذه الحرب ولو كان يمكننا أن نفادى بالعساكر لأرسلت أكثر من نصف عساكرى الآن إلى الشام إذ لا يهون على ولا يطيب لى العيش إذا فكرت بأن الفرسان الذين خدموا بلادى وقاتلوا أمام جنودى يقاسون الذل والعذاب من أجلى ثم انه أمر كرمان شاه أن يسير بمائة ألف من العساكر إلى الاسكندرية لخلاص خورشيد شاه ويعود به وإذا رأى أن الأمر صعب يبعث اليه بالأخبار فامتثل فى الحال وودع الملك ضاراب وبقية الفرسان وأخذ معه بدر نتات العيار يخطط له الطرقات ويهديه على منافذ المدينة لأنه مصرى الأصل وخبير بأحوال تلك البلاد ومعابرها ومسالكها . وبعد ذلك قال الملك ضاراب وقد بهمنى أمر آخر وهو أن أعرف كيف غاب بهزاد وسيامك وهل لحق بهما ضر أو أخذ أسيران إلى جهة من جهات مصر وذلك من العجب لانهما من أقوى فرسان فارس فلا أظن أنهما يسلمان بنفسيهما إلى الاعداء إلا بعد فقد قواهما وقطع رجائهما من الحياة فقال فيروزشاه لاريب أنهما دخلا المدينة على ما أظن لانهما كانا يقاتلان فى عساكر مصر وقد غاصا فيها وغابا عن نظرى وهما الى جنب بعضهما لا يفارق أحدهما الآخر وفى ظنى أن الطمع ونشوة الفخر بالشجاعة لعبت برؤوسهما فدخلا المدينة وقفلت خلفهما الابواب وهذا على الاكثر . فقال طيطلوس هذا مما يرجح ولا بد من أن نقف لهما على خبر وسوف نرسل بعيارينا إلى المدينة إذا أمكنهم الدخول فيرون لنا صحة الخبر وبعد ذلك انصرف الجميع بعد أن تقرر عندهم وجوب محاصرتهم المدينة والقيام حواليها وقد غاظهم جدا جريان الماء حواليها بجداول محفورة لها منذ القديم حتى طافت على وجه الأرض بعد أن ملئت الخنادق ودارت فيها

وفى صباح اليوم الثانى جلس الوليد فى قصره المعهود وأخرج اليه بهزاد وسيامك سياقا بعد أن أحضر لديه كل رجاله فلما وقفا بين يديه قال لهما أتظنان أن يصفو لكما يارجال فارس ويتم لكم النصر والعز دون أن تروا مكروها أو يفقد منكم فارس خطير فقد طغيتم وتمردتم حتى اصبح كل واحد منكم يظن من نفسه انه

وحده كاف لجيوش مصر فكيف ترون بأنفسكما الآن وهل من وسيلة لخلاصكما فقد، عزمت على قتلكما والانتقام منكما وذلك على أسوار المدينة ليشاهدكما الملك ضاراب ورجاله فتحترق قلوبهم عليكما فقال له بهزاد ويلك أيها الملك الجاهل الجائر أهل تظن أن الموت يخيفنا فلو كنا مثلكم نهاب المنون لما كنا نفتحها بقلوب أشد من الحديد صلابة ألا انظر تمونا والسيوف حوالينا كالأشطان نضحك ونرمى باجسادنا عليها كأنها أكياس قطن وإن كنت تتباهى أنك أسرتنا ووضعت علينا الحجر والترسيم فهذا عار وعيب عليك لأنك ماأسرتنا إلا بفرسانك أجمعها وساعدك ضيق المجال وقتل خيولنا فلو كنا فى الفلا واجتمع علينا أضعاف جيوشك وقوادك لمارأوا منا غير ضربا يفلق الجلاميد وطعنا يكسر الرؤوس فاقصر كلامك واجر أحكامك فما نحن ممن يكره الموت بعد ان فعلنا مافعلنا من جيوشك أكثر من عشرة آلاف نفس وقد أخذنا لأنفسنا وألبسناكم أثواب العار انما أحذرك من أمر واحد وهو أن قتلنا يكون عليكم شرا ووبالا لأن الملك ضاراب إذا عرف بقتلنا لايبقى على أحد منكم ولاسيا ولده فيروزشاه قاهر الأعداء ومبيد الأضداد فلا تظن بنفسك ان فرسانك تقف أمامه ولا تمنعه هذه الاسوار عن أن يدوسها بأرجل جواده ويدخل المدينة فيأخذ منكم حقنا ولا يرضى بأعظمكم لعلمه أننا نساوى بلادكم بأجمعها فاغاظ الوليد كلامه وقال له مه أيها العنيد ألا تهاب غضبى وأنت فى قبضة يدى وسوف ترى إلى أين يصل بك هذا الكبر والعصيان ولابد من موتك أشنع ميتة فاستهدف بعد ساعات قليلة للقتل وكان الوليد يتكلم عن غيظه من كلامه وقد تأكد عنده أن رجال الفرس لايهمهم الموت فلايهابون النوازل والمصائب ويصبرون عليها صبر الرجل الكريم الجليل .

قال الراوى وبينما كان الوليد على مثل ذلك وإذا بضجة وصيحة قامت خارج الديوان والناس تتزاحم أفواجا أفواجا فسال ما الخبر فقيل له اعلم يا سيدى ان الملك قيصر بعث اليك منذ أياما جوادا عظيم الهيكل لا يوجد مثله لتتقاتل عليه وهو من نسل خيول البحر فصادف مجيئه مع عشرين نفسا من رجال الروم يوم هربكم من الأعداء فى اليوم الأخير أى البارح ودخولكم إلى المدينة وقد دخلوا قبلكم بساعة تقريبا ولما لم يتهد الجواد عند مشاهدته القتال أخذوه إلى اصطبل خصوصى فابقوه فيه أمس واليوم جاءوا به ليقدموه خدمتكم لتقاتل عليه رجال فارس ولا ريب انه وحيد خيل هذه الدنيا فالذى يركبه يلحق ولا يلحق ولا يصاب راكبه بأذى ولا يصل اليه خصمه . فشاق الوليد النظر إلى هذا الجواد وإذا بالرجال قد دخلوا به إلى باب الديوان فلم يدخل لعظم جثته ... صهل بصوت أشبه بالرعد القاصف حتى

أرعب قلب كل من حضر وخافه الجميع ولا سيما الوليد وطيفور وقال الوليد فى نفسه قد بعث قيصر لى بهذا الجواد لأقاتل عليه فكيف أقدر أركبه ولا أظن أن أحدا من فرسانى يقدر أن يركب عليه وبينما كان الوليد وبقية الفرسان يشغلون بهذا الجواد التفت بهزاد إلى سيامك وقال له لولاك ولولا خوفى من أن تبقى وحدك هنا عرضة للموت لخدعت الوليد وتسببت إلى الخلاص قال ان كنت تقدر عليه فلا تتأخر فان خلاصك ينفعنى أولا لعلى ان قصد الوليد أنت فاذا نجوت لا يعود يفكر فى وثانيا يمكنك ان تتسبب بعد خلاصك فى خلاصى وتطلع الملك ضاراب على أمرى فاعجل فى خلاصك وانج بنفسك وإلا قتلت أنت وقتلت أنا معك بجريرتك قال سوف ترى ثم التفت إلى جهة الوليد وقال اعلم ياوليد ان هذا الجواد من أحسن الخيول وقد يسمع انه يكون كالغول عند القتال إنما توجد دائما به خصائل رديئة لايأمن راكبه من الغدر والقتل فان شئت ركبت لك هذا الجواد فاذا كان به بعض الخصائل الرديئة لينته وطبعته حتى يأتى على طرق الصواب ولاخفاك أن لاقوم فى كل أقوام العالم يعرفون بالخيل ويركبونها كأهل الفرس ولما انتهى بهزاد من كلامه قال طيفور لا تصغ إلى كلامه ياسيدى فانه يسعى بنصب مكيدة يخلص نفسه بها فلاتصدقه فقال بهزاد من أين يمكنى الخلاص والمدينة مقفلة الأبواب والأسوار منيعة عالية سيما وأنا بلاسلاح ولاعصا فكيف يكون الخلاص ومن أين أطمع به وفوق ذلك فانى أطلب أن تقام العساكر حول الميدان صفوفا صفوفا حتى يسدوا على كل طريق ومسلك فيصعب على الجريان فى غير الميدان الذى أجرب به هذا الحصان فقال الوليد انى أحب أن أرى انسانا يركب هذا الجواد وفى ظنى أن بهزاد لايقدر على ذلك بل يرميه ويدوسه بأرجله وتكون هذه الغاية ومع ذلك فانى أضع العساكر طبقات طبقات تقوم كلها بالسلاح وهو بلا سلاح فلو شاء الهرب لما أمكنه ومن أين يهرب إنما غايتى الوحيدة ان اعرف هل يقدر على رد جماح هذا الجواد وإذا كان يقدر هل له ان يعرف العيب الذى فيه وهل خصلة رديئة كما يزعم قال ثم ان الوليد دعا بقواد العساكر وأمرها أن تحيط بالفسحة من كل جهة وأن تستعد على أسلحتها ولاتدع مجالا لهرب بهزاد وانه إذا قصد الفرار يرمونه بالسهام فيقتلونه لأنه مجرد من السلاح وما من درع عليه يمنع عن جسده ففعلوا وفى الحال اصطفت العساكر من كل ناحية وازدحمت أقدام المتفرجين وكان أكثر الناس شوقا إلى ذلك الوليد حيث كان يحب أن يلين الجواد ويعرف ان كان يقدر على ركبه أم لا ولما انتهى العمل أمر الوليد بهزاد ان يعلو الجواد وان يطاق قياده وتفك رجلاه فلما رأى من نفسه أنه مطاق أيقن بالفرج وفرح غاية الفرح وفى الحال اعتلى

ظهر الجواد وأخذ بيده قياده وقد شاهد منه جوادا كالبرج المشيد ذات قوائم ضخمة بالنسبة إلى جسمه فتأكد أنه قادر على أن يبلغه ما فى فكره وان ينجو عليه من فوق الأسوار وبعد ان نظر إلى اليمين والشمال ورأى انه يسهل له الفرار منه اطلق للجواد العنان فخرج من تحته كالسهم فى الانطلاق حتى لسرعة جريه كاد يختفى عن العيان ثم عاد به ثانيا حتى حمى واشتدت أعصابه ولاسيما عند مارأى من نفسه ان فارسه بطل من الابطال لا يقاس به ثان وفى المشوار الثالث قرب بهزاد من الجهة التى فيها الوليد وصاح أى وليد ان لى امانة عندك وهو رفيق سيامك سياقبا وانى اقسم بالله العظيم إله الخليل إبراهيم ان مددت يدك اليه بسوء لاارضى إلا برأسك بدلا منه ولاارجع عن مصر إلا ان اهدمها إلى اساسها وسوف ترى بعينيك ما تسمع به أذنيك وجرى ذلك باسرع من لمح البصر ومن ثم صاح بالجواد صيحة قوية من فؤاد مقروح ارتجت لصياحه تلك الاسوار وارتجت قلوب الحاضرين وزاد الجواد فى غليانه وجريه حتى كاد يقرب من حائط السور وهناك لكزه برجله عند خواصره ورفع له رأسه فادرك الجواد الغاية فتجمع بقوائمه وضرب بها الأرض فانفتح فيها حفر وخلجان وارتفع الجواد إلى الجو وقد شاهدته كل عين وانبهر منه الوليد وجماعته ولا سيما عندما شاهدوه وقد حلق السور إلى الخارج وارتفعت منهم الأصوات وعلا الصياح وامر الوليد ان تسرع الفرسان إلى الأسوار وترميه بالنبال والسهام إذا كان لايزال حيا فتسلقوا الجدران ونظروا إلى الخارج وإذا بالحصان غائص فى الماء وهو ينخطف كالسنونو لا يأخذه تعب ولاملل وقد تقدم انه كان من خيول البحر فلا يتعب فى الماء بل كان يجرى فيها اكثر مما يجرى على اليابسة فصوبوا نحوه السهام وهم يعلمون انهم لايقدرون ولا يمكن ان يدركوه وسمع صياحه كل من كان فى المدينة حتى بلغ طوران تخت وعين الحياة وهما فى مزيد كدر لما بلغهما من ان الوليد سيقتل بهزاد وسيامك ومعظم كدرهما كان خوفا من ان يقتل الاثنان وبسببهما تزيد العداوة فلا يرضى الملك ضاراب وفيروز شاه إلا بالوليد والشاه سرور وكل سيد مشهور واخذتا ان تتذكرا كيف يصعب الامور ويأتى بها على غير المراد وفى الحال سمعوا الصياح والصراخ فارسلتا البواب واوصتاه ان يأتيهما بالخبر فغاب وعاد اليهما بما رأى وقال لهما ان احد الفارسين فاز بنفسه ونجا من يد ابيك وقد قفز السور بجواد ركبه وحكى لهما كل ما كان قد سمعه عن بهزاد ففرحت عين الحياة ومثلها طوران تخت وقالت لا ارى شبيهه فلا نسمع خبرا عجيبا عن رجال فارس إلا ويتبعه اعجب منه فهم عن حقيقة من اشد رجال العالم ولو لم تكن بهم صفات الانس لقلت انهم طائفة من طوائف الجان خرجت على

الانس لتوقع بها وتلقيها فى وهد التشتيت والعذاب فهل سمعت أو سمع أحد قبل الآن أن رجلا حلق على جراد سورا كالسور القائم فى هذه المدينة وانى أشكر الله الذى ماأحببت رجلا من غير هؤلاء الأقوام ولامالت نفسى إلالمن سيكون له فى الدنيا حديث تتحدث به الأنام أجيالا بعد أجيال .

قال وأسرع بهزاد على ظهر الحصان فى الجرى وهو يمخر النهر على غير هدى لأنه غاب عن الوعى إلا أن عزمه بقى ثابتا لأن شدة برودة الماء وعظم نزول الحصان فيها وتبلل ثيابه أثر فيه كثيرا لأنه وان كان يقدر أن يتغلب على الناس والأبطال ويقفز الابراج والأسوار إلا أنه لايقدر أن يغلب فواعل الطبيعة المؤثرة التى لا يحتمل المرء عظم صعوباتها ولما رأى من نفسه أنه يكاد يقع عن الجواد وأن البرد أثر فى جسمه مال رأس الحصان إلى الشاطىء فخرج به إلى الضفة وما لحق البر حتى وقع إلى الأرض كالمائت وقد تشنجت أعضاؤه ويبس كالخشبة وغاب وعيه قال وكان قد وصل إلى قرب المكان النازل به الملك ضاراب فشاهد بعض الرجال عن بعد وهم لا يعلمون من هو فاسرعوا وأخبروا الملك ضاراب فأمرهم أن يسرعوا ويأتوا به حالا وبالحصان ليرى من هو فلما ساروا ووصلوا تحققوا أنه بهزاد ففرحوا للقائه وتكدروا من حالته وأسرعوا به إلى الملك ضاراب فلما رآه على تلك الحال طار الشرار من عينيه وصاح وناح وخاف من أن يكون قد فقد حركته وفارقته الروح وأمر طيطلوس أن ينظر فيه ولما رآه طيطلوس علم ان الحياة باقية فيه فامر أن يؤتى بخرق من الصوف ويفرك جسمه وأخذ فى أن يسكب فى فيه المنبهات ويدهنه بالأرواح المهيجة إلى أن دنت فيه وسرت فى جسمه ورجعت الأعضاء تتدرج إلى وظائفها ولم يمض إلا ساعات قليلة حتى عاد اليه وعيه وجلس مستويا ونظر ماحواليه فعلم أنه فى حضرة الملك ضاراب فصاح بن الحصان فقال له الملك عندنا لاتخف عليه واستعاد منه حديثه فاعاده عليه موضحا لاختصار . ثم أخذوه إلى صيوانه وجعل الوزير طيطلوس يداويه ويسقيه من لمقويات وهو على ازدياد قوى ونجاح .

قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وسوف نرجع إلى حديثهم بعد الآن وأما ما كان من خورشيد شاه فانه لما تتبع آثار رجال الاسكندرية وقد انفرد عن رجاله وطلبت نفسه الفتك فى الفارين لعلمه ان هذه فرصة لا يمكن أن يضيعها ولا يتسهل مرة ثانية أن يشفى غليل فؤاده منهم ولذلك دام على طعنه وضربه وقد بعدوا عن مصر وهو فى آثارهم لا يفتر ولا أخذه هدوء إلى أن غاب عن أعين أصحابه وإذذاك قيل للاسكندر ان فارسا من فرسان إيران متتبعا آثارنا لوحده وليس فى فرساننا

من يقدر أن يقف فى وجهه فاغتاظ من ذلك وكان قد أمن لحاقه من الأعداء ونظر إلى نفسه وقد بعد عن مصر فامر أن تعود اليه الفرسان فعادت وصاحت وحملت فالتقاها بقلب قوى وعزم جرى إلا أنه كان قد تعب وكل فما استقام أكثر من ساعة حتى وقع من التعب إلى الأرض فهجمت عليه الفرسان وأوثقوه بالكتاف وقدموه إلى الملك اسكندر فسأله عن نفسه وقال له من تكون من الفرسان قال أنا خورشيد شاه ابن عم الملك ضاراب ملك بلاد فارس وابن عم فيروزشاه الذى أنزل بكم الويل والعمى ورماكم بالذل والقهر وشتتكم تشتيتا لا تجتمعون بعده مدى الدهر . قال وكان الاسكندر قد أغيظ من كلام خورشيد شاه ولكنه كظم غيظه وأمر أن يحمل إلى المدينة ليرى ماذا يفعل به إما أن يبقيه وإما أن يقتله وقطع المسافة بأيام قليلة إلى أن دخل الاسكندرية وهو منهزم بحالة يرثى لها ودخل العسكر إلى المدينة وما فيهم من يصدق أنه ينجو من الموت ويصل إلى مقره سالما أمينا من الخطر الذى كان يتهدده واجتمع اليه أعيان البلد وهنأوه بالسلامة وشكروا الله على رجوعه وبعد ذلك استشارهم فيما يفعل فى خورشيد شاه فقال له وزيره الخاص إن كنت ترغب فى إبعاد الأذى عن بلادنا ورفع الضرر عن الأهالى فاطلقه ودعه يذهب إلى أهله والى ملكه والا اذا أبقيته هنا أو فعلت به أمرا منكرا قدت اليك عساكر ايران فيأتون هذه البلاد ويوقعون بنا وليس لنا طاقة على حربهم ولسنا بملزومين لأجل الانتقام من فارس واحد نجلب الينا الويل والخراب وما من عداوة بيننا وبين الايرانيين . قال أما اطلاق سبيله فلا مطمع فيه لأنى مزمع على ارساله الى الوليد عند اغتنام الفرصة عساه ينتفع به ويرى لزوما لابقائه عنده أو يبعد به الايرانيين عنه وانما لا أضيق عليه بل أوصى بالمحافظة عليه داخل قصرى لأرى كيف ينتهى الأمر واذا وجدت أخيرا أن الدوائر دارت على الوليد قتلته وأخفيت أمره ثم دعا بالحارس وقال له أريد منك أن تبقى هذا عندك ولا تغفل عنه مطلقا انما لا تضايق عليه ولا تضع فى أرجله القيود بل جرده منها وابق منها واحدا صغيرا فى رجل واحدة بحيث لا يتمكن من الفرار واياك أن تدع أحدا يكلمه أو تدعه يخالط أحدا أو تدع سلاحا يصل الى يده وأحضر خورشيد شاه وسلمه اليه وقال له كن دائما متيقظا عليه فاجاب وذهب به الى غرفة من غرف القصر السفلى ووضعه بها وعمل ما أوصاه به الاسكندر

قال وبينما كان الحارس ذاهبا به نظرت بنت الملك اسكندر اليه من النافذة فوقعت فى هواه وكان اسمها كومندان وكانت من الحسن والجمال على جانب عظيم ذات قد قويم ممشوق تشبه القنا بعنق طويل أبيض يحمل رأسا صغيرا مستديرا فى

أعلاه عينان سوداويان تحت حواجب مقرونة كالقسى فى وسطه جبهة واسعة لامعة تضىء كالمقباس ولم يكن فمها بأكبر من الخاتم الذى يلبس فى خنصر الضعفاء من النساء ويزين هذه كلها وجه كثير الجاذبية بخدود ناعمه وفى عنقها عقد من الماس الثمين الذى فقد رونقه ببياض عنقها الصافى وتحت ذاك العنق صدر فسيح ممتلىء بارز منه نهدان لا كبيران ولاصغيران لا يمكن أن يتمكن القابض عليهما من الثبات فى مركز المداعبة والملاعبة دون أن يشعر من نفسه بالسعادة العظمى المقرونة بشتات العقل وشدة الهيام وتحت ذينك النهدين بطن كثير العكنات فوق ساقين على قدمين صغيرين فجل من قال لها كونى إلهة للحسن فكانت . وبمجمل القول أنها كاملة فى كل تركيبها أى لم تكن أدنى وصفا ولا أقل رتبة فى درجات الجمال من بنات هذه الرواية وخطيبات أبطالها . فلما شاهدت كومندان خورشيدشاه وكان قلبها لا يزال خاليا لم يتمكن به بعد حب أحد شغفت به وكادت تقع إلى الأرض لولا ثباتها وجلدها وقوة قلبها . وقدرأت منه شابا ظريفا معتدل القامة كامل الهيكل صبوح الطلعة لم تر مثله قط بين فرسان بلادها وقد تأكد لديها أنه ملك عظيم الشأن رفيع المقدار لاهتمام أبيها به ولما غاب عنها وأخذ إلى القصر بكت من عظم ما نابها حرقة عليه وتأسفا على وضعه فى الحبس وبعد أن حل ما حل بها وصرفت نحوا من ساعة تشكو غرامها لنفسها وتنظر إذا كان يمكنها الوصول اليه فلم تر سبيلا وللحال نهضت إلى قهرمانتها ودخلت عليها سرا وقالت لها أريد منك أن تنظرى فى أمر يوصلنى إلى الأسير الفارسى الذى وضعه أبى فى هذا القصر . قالت وماذا تريدين منه قالت قد علقت به وأحبه قلبي وتمنيت أن يكون لى زوجا ويكون دائما عندى قالت إن ذهابك اليه ووصولك إلى سجنه ليس من الموافق وربما افتضحت وظهر الأمر وليس أيضا من المناسب أن تجتمعى به فى السجن إذ لا يليق بكما أن تقيما هنا عرضة للمخاطر والعذاب والاكتشاف بل من الواجب أن تتسببى فى إحضاره اليك فيقيم الليل عندك والنهار فى سجنه لا يعلم به أحد قط قالت إذا صح ذلك أغنيتك وجعلت نفسى مديونة لك بالجميل قالت هذا سهل عليك جدا لأن الحارس تحت أمرك لا سيما وأنه كان قبل استخدامه فى الحبس بوابا عندك وخادما لك ومطيعا لأمرك وعلاوة على ذلك تعلمين أكيدا أنه رجل طماع يحب المال فعديه به ومهما طلبت اليه فعل قالت إنى لا أرغب فى أن أكلمه بمثل هذا الكلام بل أفوض اليك هذه المسألة فخذى له مهما شئت من الذهب وعديه بالكثير ولا تبخلى قط عليه حتى يجيب فانى أهب كل شىء حتى روحى فى سبيل الاجتماع بحبيبى الجديد الفارسى ولو ساعة واحدة قالت سوف ترين ما يسرك ويرضيك ثم أخذت فى جيبها الذهب وخرجت إلى الحبس فوجدت الرجل قائما عنده فسلمت عليه

فأجابها بالسلام وكان له بها صحبة قديمة ومحبة ثابتة فقالت له إنى عرفت أن عندك رجل فارسى أتى به ملكنا فى هذا اليوم من حرب الايرانيين قال نعم هو خورشيدشاه ابن عم الملك ضاراب ملك الفرس قالت ان سيدتى كومندان قالت لى اذهبى إلى الحبس واسألى لى الحارس أن يرسله إلى لأراه ويبقى عندى هذه الليلة أتفرج عليه لأنه قيل لها أنه جميل الطلعة قال أما من جهة جماله فهو مفرد فيه لانظير له فى كل ما رأت عينى وأما من بعثه اليها فلا يمكنى لأنه نظرا لحسنه يسبى كل من رآه وبدون شك إذا شاهدته تهواه فلا تعود تتخلى عنه ويقع اللوم على وربما قتلنى أبوها إذا عرف بفعلها قالت ومن أين يعرف أبوها بذلك فهى تريد أن تراه وإذا علقت بحبه كما زعمت كان لى ولك الخير الكثير لأنها كريمة العطاء وهى سيدتنا ونعرف طباعها وتسلمنا أمر تدبيرها ولا سيما أنا فانها تأتمنى على سرها وتستشيرنى فى قضاء كل مصالحها فأشور عليها أن تحضره عندها فى آخر السهرة من كل ليلة وفى الصباح تسترجعه من عندها وتنزله إلى مكانه فلا يعلم أحد بذلك وإنى أسأل الله تعالى أن تعلق به وتحبه فاننا نأخذ أموالا غزيرة نستغنى بها فى مدة قصيرة عن خدمتها ونقيم مع بعضنا فى مكان منفرد ونصرف الوقت بالهناء فكان هذا الكلام على قلبه أشهى من الماء الزلال لأنه كان مغرما بها ويتمنى أن يقيم معها دائما فقال لها إن تكفلين لى ذلك أجبت سؤالك . قالت كن أنت مطمئنا فسوف ترى ما يسرك ويكون لك عندها كل إكرام ومقام ثم أخرجت له قبضة من الذهب دفعتها اليه وقالت له خذ هذه منها الآن على سبيل أن تريها إياه ويقيم عندها تحادثه هذه الليلة وتسأله عن بلاده وأحواله فصل الى الله تعالى أن يقع فى قلبها موقعا حسنا وتحبه كما أنى أحبك قال إنى أطلب من الله ذلك وإنى من الآن قائم على الصلاة وقد فرح بما رأى من الذهب وسر غاية السرور وقال فى نفسه أصابت القهرمانة فيما زعمت فان الثروة قريبة منا والراحة تنتظرنا ولهذا وعدها أنه فى نصف الليل يأخذه اليها وودعها وودعته ورجعت إلى سيدتها وقالت لها ابشرى ياسيدتى فان الأمر قد انتهى على أحب ما تشتهى وفى الحال أمرتها أن تعدد مائدة المدام وتهيء اللوازم المقتضية لصرف الليل مع خورشيدشاه الذى أحبته من كلما يليق به فأسرعت الى طلبها وكان ذلك الليل عندها من أحب الليالى وأهناه إنما كانت تعد ساعاته بفروغ صبر فتراها طويلة تكاد لا تنتهى الساعة إلا لينتهى معها الصبر وتلقيها فى الضجر وما صدقت أن جاءت الساعة المطلوبة حتى جاءتها قهرمانتها وأخبرتها باتيان خورشيدشاه فنهضت من غرفتها مدهوشة فرحة وأسرعت إلى الباب وإذا به واقف عنده مع السجان فأخذته منه ودفعت له قبضة من الدنانير جائزة على

فعله وتلقت خورشيد شاه بالترحيب والاكرام وأرمت بنفسها عليه تقبله وتشرح له حال حبها وهو مندهش من عملها مبهوت منها كيف أنها أحبته وسعت فى جلبه اليها دون أن يكون بينهما سابق معرفة وكيف رمت بنفسها عليه وباحت بهواها وغرامها دون ترو ولا تأن وتأكد أن ذلك جرى منها لشدة ماوقع عليها منعظيم الغرام حتى أغابها عن وعيها وكان قد انبهر عقله وضاع وعيه لما رآه من جمالها وحسنها الباهرين الساحرين للألباب الآخذين بالعقول . وقد أجاب الى عملها بأنه قابلها بالمثل وجعل يقبلها وقال بنفسه لايليق بى أن أصدها وأضيع لها رجاءهابى وأرميها بالفشل واليأس وإن كان قد سبق منى وعد إلى تاج الملوك بنت الملك النعمان وأ عهدت اليها بقبلى وعاهدتها على الوفاء ولكن قطع رجاء هذه يوقعها باليأس وربما بالجنون لانه رأى منها تهورا بالحب مفرطا وعملا صادرا عن قلب محترق ملوع بنيران غرام شديد ولهذا سلم نفسه اليها واعتمد أن يبقى حافظا فى قلبه محبة حبيبته الاولى فأبطته وتأبطها ودخلا غرفة المدام وجلسا عليها وإذا كل آنيتها من الفضة والذهب وهى محفوفة بالأزهار والرياحين مع اختلاف أجناسها وألوانها وكلها زكية عطرة تشرح الصدور وتسر النواظر .

أبدى لنا الياسمين الغض حين بدا ... درا يفوح بنشر منه معتبق
كزويجات صغار صار فى لمع ... من أفقهاذوائب الياقوت فى الشفق
ونرجس الروض قد حيى بمضعمه ... فى أصفر ناقع مع أبيض يقق
كانه وهو فى قضب منعمة ... يلقى النسيم عليها نفس معتنق
أقشاط در من الابريز فى جمم ... جعد فما بين مجموع ومفترق
وفتح النور أحداقا بلا هدب ... صيدت بمنهل أجفان بلا حدق
كانهن فقاقيع مكبسة ... تمزقت بارتجاس الريح فى الورق
وأقبل الورد من برغومه خجلا ... يبدى لنا فوق ريا نشره العبق
دراهما من يواقيت على قضب ... تراكمت تحت دينار على طبق
وقد أحاطت لرتص الدستبند بها ... من الزبرجد حيتان من الورق

وبعد أن جلست وجلس إلى جانبها جعلت تطارحه الغرام وتشكو له ما لحق بها من جرى نظرة واحدة أعقبتها ألف حسرة حتى غيبتها عن الهدى وأنها تكدرت من جرى قيامه بالسجن . فشكرها على فعلها معه وقال لها إنى مديون لك الآن بالجميل كما أنى مغرم بك مشغوف بحبك وأريد منك أن تراعى حرمة هذا الود وإنى أعدك أنك لا تلبثين أن تصيرى زوجة أمير إيرانى لأن ليس فى نساء إيران ولا فى غيرها من هى مثلك فى حسن الوجه وجمال المعانى فسرت من كلامه وملأت قدحا

من الخمر وناولته فشرب وفعل هو كفعلها وأنشدها من شعره ما أسكرها وغيبها عن الهدى ودام هذا العمل بينهما وهما على شرب ومشموم وعناق وتقبيل يصرفان الوقت بحجر الغرام مع المحافظة على العفة وقفل أبواب الطهارة فى أوجه الاميال الفعالة إلى أن كاد يفقدان صبرهما لولا تسليهما بالاشعار والشكوى وقد فعلت برأسيهما الخمرة أعظم فعل ولما اشتد غرام كومندان ولعب بها العشق بتحريكات الخمار أخذت فشربته وأنشدت تصف جمال محبوبها وتباهى بحسنه وهى على غير علم انه مغرم بغيرها

بروحى من أفضت لسلبى خلائقه ... وذو الحسن مثل الصبح ينبيك صادقه
إذا طال ليلى مثل الشوق وجهه ... بدا فاحال الصبح أبداه فالقه
تجسم من نور جنى يكاد من ... لطافته يؤذيه باللحظ رامقه
يجرد من لحظيه ان كان رامقا ... لها روت سيفا تستبينا بوارقه
يغنج بالتكحيل أجفان طرفه ... وقد ذرفت بالعارضين شقائقه
وما قصده التحسين بالكحل إنما ... لتحديد عضب لم يجد عنه عاشقه
فحاذر سهاما فوقت عن حواجب ... من اللحظ ريشت بالجفون رواشقه
وما فرعه المسود فوق جبينه ... سوى لاحق والصبح لا شك سابقه
ومسكى خال منه فى ناصع الطلا ... كما فتق الكافور بالمسك فاتقه
حكى خاله من فوق مخضر شارب ... لشحرور روض شوقته حدائقه
وما البدر إلا ما أظللت ذوائبه ... وما الشمس إلا ما حوته بنائقه
وما السكر إلا من رضاب لثغره ... إذا مزج الصهباء من فيه ذائقه
إذا اهتز رمحا أو تمايل بانة ... وإن ماس تيها قلت قد جل خالقه

وكانت لا تنشد بيتا إلا وترى من نفسها لذة تأخذ بها إلى الميلان والعجب وترتاح إلى كثرة النظر فى وجه حبيبها وأى شىء ألذ على العاشق من أن يسمح له الزمان بالاجتماع بمحبوبه على خلوة يسمع منه شكواه ويحيه عليها بمثلها ولذلك كانت ترى من نفسها أنها بنعمة من الله وإن الدهر راقد عنها ملته بغيرها وتمنت أن لا ينقضى ذاك الليل بل تقف الكرة مظهرة بظهرها إلى الشمس فلا تصادف ذلك القطر غير أن الليل أبى إلا السرعة فى الرحيل ومر كما يمر الظل وانقضى بحيث لا يشعران إلا ونور الصبح أخذ فى أن يتقدم رويدا بطليعة النهار فاسود لذلك قلبها وكاد يغمى عليها فصبرها خورشيد شاه وقال لها لا تيأسى من الاجتماع مرة ثانية ففى الحكمة الاصابة . قالت انى أعرف ذلك ولا أريد أن تبقى عندى إلا الليل أملا أن لا يطلع أحد على خبرك فيبعدونك عنى ولا يتيسر لى الاجتماع بك مرة ثانية ولذلك سأصبر

كل هذا النهار والقسم الأول من الليل وان كنت ألاقى بهما من عذاب ناشىء عن بعادك هذه المدة التى أحسبها أطول من سنى حياتى الماضية إنما لى أمل بغسل هذا العذاب بماء اجتماع المساء القادم فتزود منى لأتزود منك بقبلات الوداع . ثم عانقا بعضهما عناق الوداع وقد ذرفت أعينهما دموعا غزيرة بللتهما أى بلل . وإذ ذاك دخلت القهرمانة وقالت يا سيدتى إن الحارس أتى وفى نيته أن ينزل خورشيد شاه إلى الأسفل وقد وعدنى انه فى المساء يعيده اليك . فقالت لها ادفعى له مهماشاء من الدراهم وعديه انى سأزيده عندما يأتى فى المساء . ثم سارت القهرمانة ومن خلفها خورشيدشاه وخدمة القصر إذ ذاك نيام حتى وصلت إلى الباب فنزل خورشيدشاه وهو نشوان من خمرة الحب واللذة التى لاقاها فى تلك الليلة وقد علق أملا كبيرا باجتماعه مرة ثانية وثالثة بتلك المحبوبة الجديدة وكان يريد فى أن يعاهدها على الحب ويرتبط بها رباطا مكينا ويوجه أفكاره إلى التعلق بها تعلقا صحيحا إلا انه كان يرجع عندما يرى من نفسه ضرورة الوفاء والقيام بصدق القول مع تاج الملوك محبوبته الأولى ولا تطاوعه مروءته أن يقال عنه بانه قليل المودة ناكث العهد وهذا الأمر جعله كالواقع فى لجج الابحار تتلاعب به الأمواج وهو بين دفتى خطر ونجاة وبعد أن استقر فى محبسه وضع السجان القيد فى رجله كالعادة فأطاعه وبعد ذلك التى برأسه على وسادته ونام طويلا إلى ما بعد الظهر فاستيقظ وأكل وصبر إلى أن كان الليل وحان الوقت المعين فأخذ إلى كومندان وصرف تلك الليلة عندها أشهى وأحب من الليلة الأولى وفى الصباح أعيد إلى مكانه وأقام على هذه الحالة ولم يطلع على خبره قط أحد

قال وقد تقدم معنا أن كرمان شاه ركب وسار فى اليوم الثانى من غياب الفرسان وجد فى مسيره يتقدمه بدر فتات العيار حتى قرب من الاسكندرية وكان ذلك عند غروب الشمس فنزل للراحة تلك الليلة وفى الصباح نهض إلى صيوانه وكتب كتابا إلى الملك اسكندر صاحب الاسكندرية يقول له فيه اعلم أيها الملك الرفيع الشأن أن الملك ضاراب ملك ملوك الاعجام وصاحب إيران وأبا فيروزشاه صاحب البند والعلم ومذل الجبابرة العظام والملوك الفخام الذى رأيت بعينيك فعله وشاهدت حملاته وبطشه لما افتقد ابن عمه خرشيد شاه صعب عليه الحال وغضب مزيد الغضب وتكدر لفقده وبعد أن علم من اتباعه انه أسر عندكم بعثنى بمائة الف فارس من فرسان فارس الأشداء وأمرنى أن أطلب اليكم تسليم ابن عمه المأسور عندكم فان سلمتونى اياه كان خير فأخذه مع تقديم الشكر وأعود راضيا من أعمالكم وإلا فانى مأذون بمحاربتكم ومقاتلتكم ولا أرجع ما لم أهدم اسوار المدينة واخلصه

من أيديكم وأقيم حاكما أطلبه وأختاره . وأخذ بدر فتات التحرير وانطلق إلى أن وصل إلى باب المدينة فطرق وقال للبواب انى رسول من قبل سيدى كرمان شاه إلى حاكم المدينة فدخل وسار إلى دار الحكومة إلى مقر الاسكندرية فدفع اليه الكتاب وطلب منه الجواب فلماقرأه اشتعل بنيران الغضب وقال أيظن كرمان شاه ان كل رجال فارس وغيرهم من فرسان هذا الزمان إذا تجمعوا عصبة واحدة يقدرون على الدخول إلى المدينة وأسوارها منيعة شاهقة لا تخرقها الخوارق وأبواب البحر مفتوحة لنا لا يمكن حصرها فليفعل مهما شاء ثم نظر أيضا إلى بدر فتات فعرفه وقال له لقد وقعت بيدى يا بدر فتات فأنت خائن وما جزاء الخائن إلا الموت وكما خنت سيدك ستلاقى منى الهلاك فلابد من قتلك الآن قال كيف تقتلنى ياسيدى وأنا رسول وفى شرع الملوك ونظامها أن قتل الرسول حرام . قال إذا كان الرسول أمينا أما إذا كان خائنا فقصاصه ضرورى وفى الحال أمر أن يقبض عليه ويساق إلى أسوار المدينة مع أربعة من أنفاره فينزع من ثيابه وينادى أمام رجال إيران لينظروا إليه ويعلموا أنه قتل رسولهم ويروا موته باعينهم . فلما سمع وزير الاسكندر كلامه نهاه وقال له دعه يا سيدى يرجع إلى مولاه واطلق خورشيدشاه أيضا واعتذر اليه وارح نفسك من معاندة الأقدار فان أهالى فارس قادرون على كل ما يقولون فلا تقف فى وجوههم أسوار مدينتك ولا غيرها قال ان ذلك لا يكون أبدا ولا بد لى من أن أعمل عملا فى أهل فارس يذكر جيلا بعد جيل ثم انه أمر النفر أن تسوق بدر فتات إلى أعالى الأسوار فيقتلونه ويجرون بدمه على جدرانها ويكون ذلك على مرأى من الايرانيين فأخذا بدر فتات العيار وصعدوا به السور القائم إلى جهة عساكر كرمان شاه فأوقفوه عليه ونادوا بأهل إيران أن تتفرج عليه وعلى ما يحل به من أيديهم ثم أخذوا يجردونه عن ثيابه ويقتسمونها بينهم وكانت ثمينة جدا مرصعة بالذهب والحجارة الكريمة ولا سيما خنجره الثمين وانهم لما رأوه انعطفوا اليه مندهشين وكل وجه فكره إلى أن يستولى عليه فرأى بدر فتات منهم الغفلة والانشغال فضرب برجليه فى جدار السور وقفز كالغزال من أعلاه فهبط يهوى إلى النهر المحيط بالمدينة من تلك الجهة ولا زال فى هبوطه إلى أن وصل إلى الماء فاخترقه لعظم ثقله حتى اختفى عن الأعين ثم طفى على وجه الماء فسبح إلى أن وصل إلى الضفة فصعد عليها وكان لا يزال عليه قميص فقط فسار بتلك الحالة إلى أن أرى نفسه كرمان شاه وحكى له ما كان من أمر حاكم الاسكندرية وكر راجعا إلى صيوانه فلبس ثيابه ونشف جسده ورجع إلى صيوان سيده فوجده فى اضطراب فاستعاد منه الحديث فأعاده وشرح له مفصلا كل ما كان له فى حضرة الاسكندر وكيف أن وزيره نصحه

فلم يقبل فأغاظه ذلك وعزم على الفتك بالمدينة والهجوم عليها . فقال له بدر فتات مهلا يامولاى لاتفعل الآن أمرا وابق ذلك إلى الغد فانى عزمت فى هذه الليلة أن أنزل المدينة وانظر مقر خورشيدشاه على أقدر أن توصل إلى خلاصه فأتى به لأنى أخاف ان نحن ضايقنا الاسكندر انتقم منه ولاسيما أنه يخطر فى ذهنى أن أرى لى طريقا تمكننا من الدخول الى المدينة بغتة خوفا من التطويل والفشل لأن هذه الأسوار القائمة حولها سميكة جدا بحيث لا نقدر على هدمها إلا بعد صعوبات جمة وقتل كثير من رجالنا . قال أخاف عليك من ضرر جد بدوما من منفذ تقدر على الدخول منه قال انى أعرف بالقرب من النيل منفذا صغيرا يساع رجلا فقط وذلك بدهليز طويل ينتهى إلى دار الحكومة يصعد منه على سور عالى وينحدر من هناك على قصر بنت الملك المحاذى لقصر الملك وقد عرفت ان خورشيدشاه هو فى قصر الملك أى فى غرفة فى أسفله ملاصقة لقصر بنت الملك فاذا تمكنت من خلاصه عدت به على هذه الطريق بأسرع آن . قال افعل ما بدا لك وإياك من أن تظهر أمرك فانك إن وقعت بأيديهم هذه المرة يقتلونك لا محالة . قال كن مطمئنا فانى كافل بنفسى النجاح وسوف ترى منى صدق كلامى . ثم صبر إلى الليل حتى اسود حالكه فلبس لباسا صيفيا وتقلد بخنجر خلاف خنجره الذى سلب منه وانسل إلى جهة النيل فوجد رواقا ضيق المجال فمشى عليه بدقة عند حافة النهر حتى انتهى إلى المنفذ فدخل منه زحفا على بطنه ولا زال حتى صار إلى الداخل فوصل إلى دار الملك وتسلق السور وعزم على أن يقفز على سطح قصر كومندان فوجد فيه نورا منبعثا من نافذة صغيرة فى أعلى القصر فشغل باله وخاف من أن يكون خدمة القصر وسكانه مستيقظين فوقف برهة متفكرا إلى أن خطر له أن يدنو من النافذة وينظر إذا كان داخلها قوم قيام أو نائمون فرمى بالحبل على السطح فمسكت كلاليبه وشدها فوجدها متينة تحمله فأتى إلى طرف السور ونصب نفسه على الحبل وأخذ يتسلق الحائط شيئا فشيئا إلى أن قرب من النافذة ونظر الداخل فوجد كومندان جالسة وإلى قربها خورشيد شاه وأمامهما صفرة المدام وهما يتعاطيانها على أحب انتظام وهى مقرونة بالمسامرة والمغازلة وقد سمع كومندان تقول له لا تطمع بالخروج من هذه المدينة الا بى ولا أحمل أبى أن يتخلى عنك وأظن ان مروءتك تطاوعك على تركى أتقلى على جمر الغضا واتسعر بنار الحب فأصبح عرضة للأمراض والأوجاع والاسقام.قال إنى قلت لك انى لا اذهب عنك ما زلت اسيرا او مازالت بلادكم فى يدنا فتكونين معنا إنما أؤكد لك انه لابد من إتيان عيارى بلادنا لخلاصى ووصولهم إلى ولذلك لابد لى من الذهاب معهم والنجاة . قالت هذا يبعد تقديره فعياروكم لا يصلون إلى هذه

المدينة ولا يقدرون ان يعرفوا مكانك ولهذا ترانى امينة من هذا الوجه ولما سمع بدر فتات هذا الكلام وتأكد خورشيد شاه اخذ حصاة صغيرة ورماهما بها فانبغتا لها وارتبكا واضطربا وتأكدا ان احدا يطلع عليهما واراد خورشيد شاه ان يخرج ليرى من الرامى وإذا به قد حاكاه وقال لا تخف يا سيدى فأنا بدرفتات عيار ابن عمك وقد جئت لخلاصك فخفق لذلك قلب كومندان وزادت اضطرابا وشعرت بفراق قواها وارادت ان تعمل الحكمة والدراية فى بقاء محبوبها واما هو ففرح مزيدالفرح وامره بالنزول فرفع نفسه على الحبل الى اعلى السطح ثم نزل من سلم القصر إلى وسطه فوجد القهرمانة بانتظاره لأن كومندان دعتها وامرتها بأن توصله اليهما فلما دخل سلم عليهما وقال لكومندان اتظنين ان عيارى الملك عاراب يصعب عليهم شيء من مصاعب الدنيا فما من عقدة إلا ويقدرون على حلها. قالت لله دركم فانى اعرف كل ذلك واسمعه عنكم. إنما لا اريد ان اعرف واصدق انكم تقدرون على تكدير راحتى وهنائى وتقصدون ابعاد خورشيد شاه عنى. قال كيف يمكنه بعد ان نكون قد جئنا وخاطرنا بأنفسنا لاجله يمنع ولا يذهب معنا ومع ذلك فاننا اتينا بالعسكر لنستولى على المدينة ونتسلط عليها وذلك تحت قيادة كرمان شاه وبيلتا. ثم حكى لهم كل ما كان من امر ابيها وكيف انه لم يقبل بأن يسلم خورشيد شاه وفوق كل ذلك فانه قصد قتله وهلاكه فنجا حاذفا نفسه من على السور فتعجبا منه ثم قال وإننا الآن حول المدينة قائمون وفى نيتنا المهاجمة ولم يكن يعيقنا إلا وجودك داخلها فأتيت لأذهب بك إلى المعسكر. قالت انى لا اطيع إلى تسليمه وانى افادى ببلاد ابى وبنفسه ايضا لاجله فما من مطمع لذهابك به وحده إنما عندى من الرأى ان اسهل لكم تسليم المدينة فتدخلونها وتستولون عليها ويبقى حبيبى فى يدى. قال إذا فعلت ذلك اجبت سؤالك وابقيته عندك. قالت إنى فكرت فى الغد ان آخذ شرذمة من الرجال ويكون ذلك فى الليل واسأل البواب فتح الباب لأخرج وفى نيتى ان اتحسس اخباركم عن بعد واقول للبواب ان ابى امرنى وفى نيته ان يكبس جيوش الفرس وعند فتح باب المدينة تكونون انتم قائمين عنده مهيئين انفسكم للدخول فبحال فتحى الباب تهجمون فتقتلون البواب والحراس وتدخلون المدينة فتفتكون بمن يمانعكم ويدافعكم ولا اريد منك إلا بقاء من احببت عندى وافعلوا انتم ما شئتم ففرح بدر فتات لذلك وقد تعجب منها ومن عظم تعلقها بخورشيد شاه حتى انها سمحت بفتح المدينة وتسليمها لاجله وباعت اباها وكل ما هو عظيم عندها لاجل شهوتها النفسانية. ولذلك قال لها انى ارى هذا صوابا ويمكنك ان تبقى مرتاحة خاصة على من تحبينه ونستولى نحن على المدينة دون عذاب كثير وعظم صعوبة. وبعد ان اتفقوا على هذا

الرأى وعينت الزمان والساعة التى تفتح بها باب المدينة ودعها وخرج مسرورا بنجاحه فصعد السطح ونزل السور إلى دار الحكومة ومنها إلى الدهليز فاستلمه ودخل منه كما خرج إلى أن انتهى إلى الرواق ولما صار فى الخارج اجتاز النهر وسار إلى معسكره حتى انتهى إلى صيوانه فبات تلك الليلة وفى الصباح نهض إلى سيده كرمان شاه فوجده جالسا بانتظاره . فقال له ماذا فعلت قال كل ما نحن محتاجون إلى فعله ثم أطلعه على مارآه وما كان من أمر كومندان ففرح غاية الفرح وسر من قرب نجاح مسعاه وقال ان العناية توفقنا والظروف دائما تخدمنا وما برحنا نفتح البلاد الصعبة الأسوار بسهولة غير منتظرة . وأقام ينتظر المساء بفروغ صبر وقد أعد العساكر وأوصاها بأن تسهر كل الليل ولا تنام إلى حين يدعوها وأن لا تنزع عددها وسلاحها

وقبل نصف الليل بساعة نهض كرمان شاه بعساكره ورجاله وتقدم إلى جهة باب البلد ورتب العساكر أن تدخل حال فتح الباب وبقى بالانتظار وكانت كومندان بعد أن وصل اليها خورشيد شاه أبقته فى قصرها وأوصت القهرمانة بالمحافظة عليه وجاءت إلى المعسكر وقالت للقائد انى أريد منك مائة نفر لغاية يريد أبى أن يجريها بواسطتى وابق أنت فى مكانك منتظرا أوامره فانه سيصدر لك أمرا فيماذا يجب أن تفعل فى هذا الليل فأجاب طلبها فأخذت الرجال وسارت بهم إلى جهة الباب فوجدت البواب نائما والحارس قائما على حراسته وهو يخفر فدنت منه وأيقظته فاستيقظ مرعوبا لما علم أنها كومندان وقال لها ماذا تريدين ياسيدتى . قالت افتح الباب فان أبى عول على مفاجأة الأعداء فى هذه الليلة وانى سائرة فى مقدمته لأرى ان كانوا استقروا فى فى خيامهم آمنين أولم يزالوا ساهرين وهو ذا أبى آت فى أثرى ففتح البواب الباب وفى تلك الدقيقة هجمت رجال فارس وكانت كما قدمنا منتظرة فتح الباب فقتلت الحراس وتدفقت على المدينة فأقاموا الصياح فى كل جوانبها وارتجت المدينة فى تلك الساعة أى ارتجاج وهبت الناس من مراقدهم مرعوبين خائفين لايعلمون السبب ولاماذا جرى وكذلك الاسكندر صاحب المدينة فانه استيقظ مرعوبا وسمع الصراخ والصياح فى سائر الأنحاء فتأكد أن الأعداء دخلوا البلد فارتاع وغضب وقصد الذهاب إلى مقر العساكر ليدافع عله يمنع عنها مهاجمتهم إلا أنه مابعد إلا القليل حتى صادفه كرمان شاه لانه كان آتيا اليه ينتقم منه ويقلع أثره وفى الحال ضربه بسيفه فقتله وقصد جهة العساكر وأشغل فيها القتل حتى صاحت من شدة الألم واستأمنت لأنفسها وقد علمت أن ملكها هلك واندثر ومابزغت الشمس إلا والمدينة بيد الفرس وقد دخلوا أسوارها ورفعوا عليها الأعلام

الفارسية ونادت فى كل الاسواق باسم الملك ضاراب ودخل كرمان شاه قصر الملك وجلس عليه كرسيه ومعه بهلوان بلاده بيلتا وبين يديه بدر فتات العيار وكلهم فرحون بالنصر والظفر من أقرب طريق وأسهلها وعند ذلك دخل خورشيد شاه عليه وهنأه بالانتصار ومدحه على السعى فى خلاصه فصافحه وحياه وقال له إن ابن عمك الملك ضاراب فى ارتباك عظيم لأجلك ولولا انشغاله بمحاصرة المدينة لسار بنفسه أو بعث بابنه لأجل خلاصك والحمد لله فاننا لم نلاق صعوبة ولا فقدنا فارس واحد وما هذا الامن من مساعدته تعالى ومن حظوظ الايرانيين لأنهم محبوبون مادخلوا مدينة إلا وعلق بهم نساؤها وباعوا بلادهن لأجلهم . قال إنى أعلم ذلك ولولا كومندان للقينا صعوبة وعناء ولقيت أنا أيضا عذابا ومشقة إنما أخذتنى اليها وأكرمتنى فهى بالحقيقة من البنات اللاتى أخلصن الود فى خدمة الملك ضاراب وان تكن قد باعت أباها من أجلى إنما لا أنكر أنها عاقلة حكيمة وفعلها هذا كان بالرغم عنها دعتها اليه ضرورة العشق التى تعمى بصرها وتذهب بصوابها وليست هى بأول من فعل مثل هذا الفعل وكنت عزمت فى الاول أن أقطع رجاءها منى وأطلعها على أمرى وأخبرها بأنى وعدت قبلها غيرها وأعطيتها قلبى لكنى فكرت أن ذلك يعود عليها باليأس وعلى بترك الراحة . قال حسنا فعلت فانها وإن كانت علمت بحبك لغيرها لا ترجع عن هواى ومع ذلك فمن اللازم أن تبقى عندها ولا تكافئها إلا بالجميل والاحسان ومتى آن أوان أظهار الامر وعرفت الحقيقة تعذرك ونطلب من الملك ضاراب أن يزفها على أحد أبناء عمه . وبعد ذلك جاء وزير الاسكندر وأعيان المدينة ينادون بالطاعة وعرضوا على كرمان شاه دخولهم فى طاعة الايرانيين . فقال لهم اننا نقبلكم مع رضانا عنكم ولا ننكر لكم جميلا فقد عرفنا أنكم نصحتم ملككم وسألتموه اطلاق سبيل أسيره فلم يقبل حتى اتى شر عمله والآن فانى باذن سيدى ومولاى وابن عمى الملك ضاراب أقيم باسمه حاكما عليكم هذا الوزير العاقل الخبير فنادوا باسمه ملكا عليكم تحت حماية الفرس وأن تبقى الراية الفارسية مرفوعة على أسواركم ففرح الجميع بهذه البشارة وقالوا إننا نشكر الله غاية الشكر ونحمد مراحمه على هذا الالتفات العظيم واننا نحب هذا الوزير أكثر مما كنا نحب ملكنا وشاع الخبر فى كل المدينة أن الحاكم عليهم هو وزيرهم

وبعد أن رتب كرمان شاه كل ما يحتاج إلى ترتيبه نهض من خورشيد إلى قصر كومندان فوجداها قائمة لها بالانتظار وقد أعدت الطعام وهيئات موجبات الاكرام بما يليق بشأن ضيفها الجديد وحبيبها ولما رأتهما ترحبت بهما وسمعت من كرمان شاه وتلقته بكل ترحيب فشكرها على فعلها ونجاحها فى عملها . وقد تعجب مما هى

عليه من الحسن والجمال والبهاء والكمال وحسد عليها ابن عمه وهى أيضا تعجبت من هيبته ووقاره وجماله وقالت فى نفسها بالحقيقة ان رجال فارس بأجمعهم أصحاب حسن فقد خصهم الله بهذه المزية فتنة لنساء العالم ولما جلست على مائدة المدام تأملت بهما فلم تر فرقا ففطنت لنفسها وقالت إنى الآن فى أعظم سعادة لانى قائمة بين اثنين من أجمل رجال الدنيا وأى بنت من بنات ملوك هذا الزمان وساداتها لا تحسدنى على نعمتى ولذة معيشتى معهما ولا غرو ان مات أبى بعملى فانى عوضت عنه بمعين ألذ لعينى وقلبى منه وعوض أن يموت على غير سبب فيلحقنى الحزن والكآبة والسعى مدفوعة الى البكاء والصياح بالتأثر الشديد الذى يقع على أقرب الناس للمفقود وأحبهم عنده فلهذا السبب وهذا الحب دفعت عنى تلك الاكدار بل بدلتها بافراح وراحة وهناء شتان بينها وبين تلك الحالة التعيسة التى انقضت وما وعيتها . وجعلت كومندان تسكب الخمر وتعاطى ضيفيها وتترحب بهما وهما يتناشدان الاشعار ويتذاكران الاخبار ويترنمان بالاغانى المتنوعة المطربة وقد راق لهم الزمان وطاب الوقت وحسب كل واحد منهم نفسه سعيدا وتمنى أن تدوم تلك الحالة وتطول فقد خلت من كل رقيب وحسود وغفلت أعين الزمان فلم تحدث لهم ما يكدرهم فى ذلك النهار إلا أنهم حسدتهم على ما رأتهم فيه وما هم عليه وغاظها عدم انتباههم اليها فأرادت أن توقع عليهم بعضا من همومها وانشغالاتها فصبرت عليهم وهى تتوعدهم قائلة لهم فى آخر الليل تسمعون الصراخ وبقيوا على تلك المنادمة بين الكاس والطاس إلى ان اشتد الليل فحينئذ قال خورشيد شاه ان لى عدة أيام آتى إلى هذا

انتهى الجزء السابع عشر ويليه الجزء الثامن عشر

الجزء الثامن عشر

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

القصر فلا أرى فيه غير هذه الغرفة ولاأخرج منها إلا إلى محبى وكنت لا أحسن أن اظهر لاعين ساكنيه وخدمه واما الآن فقد صرنا نحن الحكام ومامن مانع يمنعنا عن ان ندور فيه وننظر فى غرفه وفسحاته قالت فلندع ذلك إلى اليوم القادم فاننا الآن فساوى من فعل العقار . قال انى احب ان يكون ذلك فى هذا الوقت وما من مانع فطوفى بنا هذا الطابق العلوى قبلا فلابد ان تكون غرفة مزينة بالنقوش الجيلة ويكون أثاثه متقنا لان صناع الاسكندرية من أعظم صناع الدنيا ولهم معرفة وإلمام بالزخارف وكل ماهو مبهج مرغوب قال فلم يسعها إلا ان تجب سؤاله وتفعل غايته فقامت به وجعلت تدور الغرف واحدة واحدة حتى اتت غرفة الاستقبال وكانت من اتقن الغرف واجملها منقوش على جدارانها النقش البديع وفى سقفها سلاسل من الذهب معلق بها ثريات من الذهب ايضا مرصعة بالجواهر اللامعة من صناعة المصريين القدماء وكانت نوافذ تلك الغرفة تشرف لجهة البحر وقد تسمع اصوات الامواج تضرب على جدرانها بما يستدعى التفات السامع فاعجبت هذه الغرفة كرمان شاه وخورشيد شاه وتقدم الاخير الى جهة النوافذ المطلة على البحر وجلس بقربها ودعا كومندان أن تجلس هناك وقال ان قيامنا بهذه الغرفة مسر لقلوبنا موافق لحالتنا اكثر من غيرها فقالت له كل القصر لا بل كل المدينة تحت امرك الآن وما من مانع دون مرامك وطلبك فاينما شئت اجلس ومن ثم جعل ينظر الى جهة البحر وقد اخذ نظره الى جهة نور بعيد ظاهر عن بعد وهو فى وسط ضباب كثيف اشبه بغيمة سوداء قائمة على سطح البحر وكان القمر مشرقا ونوره صافيا يتكسر على المياه فيتموج مع موجها فاعجبه ذلك المنظر وطلبت نفسه النزول فى البحر والسير عليه ولذلك قال لكمندان انى أرى هذا النور من خلال هذا الضباب وهو فى نصف البحر مع انى لا ارى يابسة وليس هناك من جزيرة قالت وقد ظهر عليها الاضطراب وارتبكت وجعلت تزدرد فى ريقها لا اعرف هذا فدعنا منه فما عرفه احد قبلى لاعرفه ولا يمكن لاحد من بلادنا ان يعرفه قال لا يمكن ذلك مع انه قريب من المدينة ولا بد من انك تخفين عنى امرا وتحاولين غماضه فقولى لى القول الصحيح ولاتدخلى باب الكذب فانت ممن يكذب بل بينى ما يمكنك ان تبينيه لى بحيث لاتحوجينى ان اقصد تلك الجهة لاطلع على تلك الناحية وقد شوقنى

كلامك وتغير حالك إلى الوقوف على خبرها فلا بد لى منه . فلما سمعت كلامه خفق قلبها وشعرت بانسلاخ روحها وكادت تسقط إلى الأرض لولم تستنهض همتها وتتجلد وتيقنت أنها إذا أخبرته عن الخطر المحدق بمن يروم الدخول فى ذلك الضباب يرجع ولا يرضى بأن يخاطر بنفسه فيقدمها ضحية للمهالك فقالت له انى لم أكذب عليك قط وانى صادقة فانى لاأعرف شيئا عن تلك الناحية وماأسمعه لايفيدك شيئا وهو ان تلك الناحية التى تراها هى جزيرة قائمة فى وسط البحر يظللها ضباب كثيف جدا محدق بها من كل جهة فلا يرى قط ماهو داخله ويقال ان ضمن الجزيرة كنز من عمل السحرة القدماء. وقد قصدوا حفظه وأقاموا عليه هذا الضباب كالحارس يحرسه من قاصده والطامع فيه وقد قصد كثير من الطامعين وأصحاب البطالة أن يعرفوا مقر ذاك الكنز فركبوا القوارب وحالما يجتازون ذاك الضباب يختفون فيه فلا يعود يسمع عنهم خبر ولا ينظر لهم أثر وقد كان أبى رغب كثيرا فى أن يعرف ضمن تلك الجزيرة فبعث بكثير من الناس لاسيما من المحكوم عليهم بالقتل ووعدهم أنهم إذا جاءوا له بالأخبار الأكيدة عن هذه الجزيرة أطلق سبيلهم وأنعم عليهم وجعلهم من خدمة فيذهبون على القوارب ويدخلون الضباب ومن ثم لايعود يسمع لهم خبر كغيرهم من الذين هلكوا قبلهم ولهذا خاف الجميع الدخول وأبوا المخاطرة بالأرواح لأن كل نفس عزيزة على صاحبها ولهذا قلت لك انى لاأعرف ما سبب هـــذا الضباب ومن أين ذاك النور فيه وليس أنا فقط بل كل من فى المدينة لايعرفون هذا السبب وكل واحد يسمع من أبيه وأبوه من أبيه أيضا ان هناك كنز إنما الموت دونه وبما يظن أنه هلك داخل هذا الضباب أكثر من مئات ومئات من الالوف

قال فلما سمع خورشيد شاه هذا الكلام قال صدقتك أنك لاتعرفين شيئا عما هنالك إنما ماعرفته كفانى وما بقى فانى أسعى لمعرفته بنفسى فقال له كرمانشاه وكيف تقدر ان تعرفه قال انى أذهب بنفسى إلى تلك الجزيرة وأجتاز ذاك الضباب ولاأعود إلا بمعرفة الحقيقة فصاحت كومندان على غير وعى عند استماعها كلامه وقالت له انى لاأقبل قط ان تخاطر بنفسك فارجع عما قلته وليس داخل تلك الجزيرة إلا كنز من الأموال والجواهر وهذا أنت فى غنى عنه وأكد أن ذهابك يلقينى فى وهدة العذاب بحيث ألتزم ان أميت نفسى أشنع ميتة تخلصا من الحياة بدونك قال لها لابد لى من أن أسير إلى اختراق هذا الحجاب وما كانت رجال الفرس لتقول أمرا ولا تفعله ولاسيما وأننا نعتقد أن الله معنا وان المرء لايموت بغير يومه فلطمت على خدودها وبكت من فؤاد قريح وقالت انك تخاطر بنفسك وترمى بها إلى

الموت عن طيش وحدة وكيف يمكنى أن أطيعك على مثل هذا العمل وأفقدك بوقت قليل كهذا . وقال له كرمان شاه لا تذهب ولا أقبل معك بالذهاب ولا أدعك تنفذ غايتك ومآربك وتلق بنفسك إلى الخطر على حين أنت فى غنى عنه لا سيما وانى مسئول الآن لدى الملك ضاراب إذا تركتك وشأنك لانه بعثنى وأنت فى الأسر لخلاصك وارجاعك اليه وقد قبل بالمفاداة بمائه الف من العساكر طمعا بحياتك وخلاصك فكيف بعد الوصول إلى الغاية والاعتماد على الرجوع إلى حضرة ملكنا تتأخر وتفقد أنت من بيننا فهذا لا يمكن أن أوافق عليه وأدعه يتم قط . فأغاظه هذا الكلام وتشامخت به مفاعيل الخمرة وقال له انك لا تقدر أن تمنعنى عن انفاذ غايتى فانت ملك وأنا مثلك وانى أحتم كل الحتم وأقسم بالله العظيم رب موسى وإبراهيم الخليل وأثبت قسمى بحياة الملك ضاراب وحياة ولده فيروزشاه كنز الفخر والجاه انى لا أرعوى عن غايتى ولا أرجع عن طلبى ولابد من ركوبى البحر فى الغد والوصول إلى هده الجزيرة كيف كان الحال ان كنت أعيش أو أموت . فالجم هذا الكلام كرمان شاه وكرمندان وأسلكتهما ولم يشاءا أن يخيباه لما رأيا منه هذه الحدة والاقسام وصبرا عليه إلى الغد على أمل انه يكون قد انتبة إلى نفسه وشعر بالخطر الذى يتهدده من جرى دخوله فى ذلك الضباب ويرجع عن قوله

وبعد أن انتهت تلك الليلة وجاء الصباح قاموا من رقادهم وخرجوا إلى بعضهم وفى ظن كرمندان أن حبيبها يكون قد صحا من سكره ووعى إلى نفسه فحيته وجلست بقربه وهى هاشة باشة فاجابها بمثل عملها وقال أريد أن أرسل الآن مناديا ينادى فى المدينة انى اريد الذهاب الى الجزيرة المسحورة وانى اريد قاربا مع اربعة انفار من الملاحين فمن قبل بذلك اعطيته الف دينار سلفا . قالت له هل لا تزال مصرا على قولك تطلب الهلاك لنفسك . قال انى قلت ولا ارجع ونفسى تحدثنى ان الموت بعيد عنى وانى سأخترق هذا الحجاب الكثيف واطلع على كل ما هناك واعود دون ان يلحق بى ضر او أذى . فاقصرى عن الممانعة وأجيبى إلى كل ما اقوله قالت انى لا أظن أن احدا من النوتية يقبل ان يخاطر بروحه لاجل المال . قال لا بد من الوصول إلى رفاق يرافقونى فى سفرى هذا . وفى الحال دعا بالمنادى وامره ان ينادى فى كل اسواق المدينة وشوارعها ان كل من يرغب فى ان يذهب مع ابن عم الملك ضاراب إلى الجزيرة المطلسمة ويوصله على قاربه اليها اعطاه الف دينار فذهب المنادى ونادى كل ذلك النهار ورجع فى المساء دون ان يحصل على نتيجة واخبر خورشيد شاه ان لا احد يرضى بهذه المخاطرة ولم يجبه احد على مناداته . قال يلزم ان تراجع العمل فى الغد وتزيد المبلغ إلى خمسة آلاف دينار ولا ترجع او

قط دون أن تأتيني بالمطلوب ولو صرفت سنة على هذه الحالة فاطاع المنادى وفى اليوم الثانى أعاد عمله وجعل ينادى وزاد المبلغ إلى خمسة آلاف دينار وبينا هو ينادى سمعه أربعة رجال وكانوا فقراء للغاية وليس بيدهم ولا بارة الفرد وهم أصحاب عيال وأولاد صغار وما من سبيل إلى القيام باودهم . فاجتمع هؤلاء إلى بعضهم وقالوا نحن نذهب مع هذا الملك ولسنا بأحسن منه فاذا عاش عشنا معه وإذا مات متنا معه ونكون قد أحيينا عيالنا وأعددنا لهم المال الكثير ليعيشوا به بعدنا . ولما اتفقوا على هذه الغاية جاءوا إلى المنادى وعرضوا بأنفسهم عليه وقالوا اننا نذهب لقضاء هذه المهمة ونسير مع هذا الملك على قاربنا إلى تلك الهوة المفتوحة للهلاك ونرمى بأنفسنا اليها معه فأما ان نتخلص معه ونرجع معه أيضا واما ان يصيبنا ما يصيبه فلسنا نحن بأعز حياة منه فأتى بهم المنادى حتى أوصلهم إلى خورشيد شاه وعرضهم عليه ففرح بهم غاية الفرح واستعاد منهم الوعد فأجابوه بما تقدم وقالوا له نحن رفاقك فى سفرك إلى أين تريد الذهاب فأمر أن يدفع لهم المال الذى وعدهم به وزادهم فوقه وأمرهم أن يتهيأوا وينقلوا المؤنة إلى قاربهم ليذهبوا فى صباح اليوم الآتى ففرحوا بما وصل اليهم وأخذوا الذهب وساروا به إلى بيوتهم وعرضوه على نساءهم وأولادهم فمنهم الامن بكا من فراقهم وناح على هلاكهم إذ كان مؤكدا عندهم ذلك واجهدوا أنفسهم فى ارجاعهم فلم يصغوا وقالوا ليس ذلك فى وسعنا فاننا لا نقدر على اخلاف الوعد بعد أن قبضنا المال وبعنا أنفسنا إلى هذا الفارسى الذى فى نيته أن يكون رفيقا لنا فما نلاقيه يلاقيه وليست أنفسنا بأعز من نفسه

وفى صباح اليوم التالى جاء النوتيون إلى قصر كومندان فوجدوا أن خورشيد شاه قد أعد كثيرا من الخبز والمأكل ما يكفى لهم أشهرا فامرهم أن ينقلوه إلى القارب ففعلوا حتى كاد يمتلىء ولما فرغوا أخبروه بذلك وطلبوا اليه أن يأتى معهم إلى القارب فنهض بقصد الذهاب وجاء إلى كومندان وودعها وهى تبكى بكاء الثكلى وتعلقت بأذياله على قصد أن ترجعه عن عمله وطلبت اليه أن لا يخاطر بنفسه وزادت فى البكاء ورمت بنفسها عليه وقد خلعت الصبر لما تأكدت مسيره إلى الهلاك . فلم يصغ اليها ولا رجع عن عزمه بل قال لها أريد منك فقط الدعاء وأن تصبرى على حكم القضاء والقدر . ثم دنا من كرمان شاه فودعه وبكى كل منهما على فراق الآخر وأعاد كرمان شاه عليه قوله ينصحه بعدم الذهاب وأجهد نفسه ليمنعه فلم يقدر وقال انى أقسمت فلابد لى من اتمام قسمى وان فقدت حياتى . وبعد أن ودع الجميع ذهب إلى الشاطىء وركب القارب وسار به على أجنحة السرعة يشق الماء موجها الى تلك الجزيرة . وكانت كومندان بعد أن سار من أمامها دعت بأربعة من النوتية آخرين

وقالت لهم أريد منكم أن تذهبوا فى أثر القارب الموجود فيه خورشيد شاه وتروا ان كان يدخل الضباب أم لا وعودوا إلى بالخبر الصريح وان جئتمونى بخبر رجوعه أعطيتكم الذهب الكثير . فاجابوا طلبها وأسرعوا الى قاربهم وساروا من خلف القارب الأول يترقبون مسيره وجلست كومندان فى نافذة القصر تنظر الى القارب وهو سائر على وجه المياه وكلما بعد عنها تشعر بانحطاط قواها وضعف فى أعصابها واسوداد فى قلبها وتقطع فى أحشائها وانسكاب فى دموعها واحتراق فى فؤادها وافتقاد فى صبرها واختلال فى عقلها وعماء فى عيونها حتى كانت حالتها عبرة لمن اعتبر ولما رأت القارب قد بعد عنها وغاب عن بصرها لطمت على صدرها وخدودها وأيقنت بممات حبيبها وأذرفت دموعها وأنشدت :

لك الله هل برق الربوع يلوح ... وهل بان من ليل العناد نزوح
وكم تراه يسطو على بادهم ... وأشهب طرف الصبح عنه جموح
أراقب نجما ضل مسلك غربه ... وطرف هام والفؤاد جريح
يبيت يناجينى الحمام بسجعه ... ويروى حديث السقم وهو صحيح
ينوح ولا يدرى البعاد وفرخه ... لديه قريب والزمان سموح
على غصنه المياد أصبح شاديا ... ونشر الصبا يغدو له ويروح
أقول له والوجد يمطر ملتى ... وقلبى من نار الغرام طريح
ألا ياحمام الأيك فرخك حاضر ... وغصنك مياد ففيم تنوح
فأين من النائى عن البعد حاضر ... وأين من الباكى النحوب صدوح
فهل ياترى من منقذ ومساعد ... يخلص من أيدى النوى ويريح
وهيهات ان ألقى على الدهر منجدا ... سوى من له فوق السماك طموح

وكانت تبكى وتنوح وتستغيث بالله سبحانه وتعالى وتدعوه إلى انقاذه وخلاصه من الموت وكانت لاتزال معلقة ببعض الأمل برجوعه عند وصوله إلى ذلك الضباب ومشاهدته الخطر عيانا ووصوله إلى شفيره وكان كرمانشاه أيضا قد تم عند الهدة ثانية ينتظر عودته أو عودة الملاحين الذين تأثروه وقد حس بالحزن والكآبة لبعده وتأكد عنده أن الملك ضاراب سيلومه على تركه وشأنه وركوبه متن الأخطار وأخذ فى أن يدعو الله إلى سبحانه وتعـــالى لينقذه من المكان الذاهب اليه أو يغير فى عزمه فيرجعه عن السلوك فى سبيل المخاطرة والهلاك وأما خورشـــيد شاه فانه بقى يتقدم على ذلك القارب الذى يحمله حتى قرب من الضباب فوجده كثيفا جدا وهو يشبه غمامة سوداء تظلل رقعة كبيرة من البحر لا يعلم قط ما داخلها وكان البحر يظهر من حول تلك الغمامة صافيا رائقا بحيث يظهر ما فى قعره . فلما قرب من تلك الغمامة

توقف الملاحون عن الدخول وقالوا اعلم يا سيدنا اننا الآن قادرون على الرجوع ولا نزال نملك أنفسنا وقيادنا فاذا أردت الخلاص فارجع بنا وإلا بعد دخولنا فى هذه الغمامة السوداء لا نعود نقدر على الرجوع مطلقا ولا نعود نملك أنفسنا فنبقى داخلها إلى أن نموت ولا نعلم ما يكون فيها وما يجرى علينا وما نعلمه ونؤكده أن كثيرين قصدوا اكتشاف هذا الكنز فدخلوا ولم يعودوا قط ولا رأيت انهم هلكوا وانقرضوا وأصبحت هذه الجزيرة مدفنا لهم فعد بنا من حيث أتينا واشتر نفسك فان النفس عزيزة وكان خورشيد شاه قد شعر من نفسه بقرب الخطر الذى سيلاقيه ورأى بعينيه شدة كثافة تلك الغمامة وجعل يردد فى ذهنه عدم تقدمه إلى الأمام وخطر له مرارا أن يتأخر عن الخوض فى عباب ذاك البحر إلا أن عزة نفسه كانت تمنعه ولا سيما عندما فكر أنه أقسم بالله وبالملك ضاراب وبابنه فيروز شاه وقد يهون عليه أن تهلك نفسه ولا يضيع قسمه وأكثر شىء هون عليه ركوب هذه المخاطر هو فكره باعمال فيروز شاه واصراره على انفاذ مآربه لأنه ما فكر بأمر إلا وأجراه ولا سلك سبيلا الا ووصل الى منتهاه فيلقى بنفسه إلى المخاطر طوعا وينجو منها بأمره تعالى ولما قوى هذا الفكر فى رأسه هان عليه الموت فسلم أمره لله تعالى وتقدم الى الأمام أى انه أمر الملاحين بمداومة التجذيف وقال لهم انى قلت شيئا ولا أريد أن أرجع عنه فاسألوا التوفيق منه تعالى . ولم يكن الا دقائق قليلة حتى اقتحموا ذاك الضباب ودخلوا تحته فظللهم ولم يعودوا يروا بعضهم بعضا وحجبوا عن أعين غيرهم وصاروا يكلمون أنفسهم وهم يعرفون مواقع بعضهم بالصوت وقد ثبت عند خورشيد شاه انه فى هوة الموت وانه سلك سبيلا صعبا وضاق صدره وأصبح كالأعمى لا يرى قط ما أمامه ووراءه وثبت عنده ما كان يسمعه من كومندان عن ذاك الضباب وأراد التخلص والرجوع الى الوراء فأمر النوتية أن تدير مقدمة القارب وترجع الى الوراء عساهم أن يتخلصوا من تلك الحالة الصعبة فجربوا ولم يقدروا وقالوا له لا تطمع محالا فان القارب لا يمكن أن يرجع الى الوراء مقدار شعرة واحدة كان ما خلفه يابسة فزاد هذا الكلام قلقه وجعل يصلى الى الله ويطلب منه المعونة والاغاثة والقارب يتقدم الى الامام وكلما سار قليلا تشتد كثافة الضباب ويزيد البحر اضطرابا وهياجا ولم يكن الا القليل حتى لطم القارب اليابسة فاصاب صخرا هناك رهدا عليها فعرف خورشيد شاه انهم وصلوا الى البر فنزل عن القارب اليه وفعل مثله الملاحون وهم يهتدون الى بعضهم بالصوت واللمس وبعد أن أقاموا قليلا شعروا بشدة الجوع والتضور فتناولوا شيئا من القارب فاكلوا وبعد أن شبعوا أراد خورشيد شاه التقدم الى أواسط الجزيرة فامتنعوا عليه رفقاه وقالوا له اننا لا نقدر أن نتقدم اختشاء من أن لا نعود

نهتدى إلى مكان القارب فيضيع عنا الزاد فنموت جوعا وإننا مازلنا هنا نقدر أن نقيم أكثر من شهرين لأن عندنا من الزاد ما يزيد فى أجلنا ويطيله إلى أن يبعث الله لنا بالفرج من عالم غيبه وإلا مازلنا نقدر على تاخير الأجل لا نتركه مطلقا فوافقهم على ذلك وعرف أن الحق معهم وأنهم إذا بعدوا عن القارب أضاعوه فيموتون بوقت قريب وأقاموا على تلك الحالة فى الصباح والمساء يأكلون ويشربون ويصلون الى الله أن يأتيهم بالفرج ويتسلون مع بعضهم بالأحاديث والقصص والنوادر

ورجع القارب الثانى الذى كان يتأثرهم بأمر كومندان واخبرها أن القارب الأول دخل الضباب ولم يعد يظهر له أثر فغمى عليها نحوا من ساعة فرشوا على وجهها الماء حتى أخذت لنفسها الروع وجعلت تعدده وترثيه وقد ثبت عندها أن حبيبها قدفقدولم يعد يرجع ولم يكن دأبها إلا النوح والبكاء وأما كرمان شاه فانه كاد يختنق من الأسف وانفطرت مرارته وقال فى نفسه من اللازم أن أسعى فى كشف هذا الضم عن خورشيد شاه فاذا توصلت إلى مابه الصواب كان خيرا والا بعثت فأخبرت الملك ضاراب ليرى الطريقة الواجبة لنجاته ولهذا جمع اليه شيوخ المدينة ورجالها والحاكم عليها وقال لهم لا اخفاكم ما كان من خورشيدشاه ونزوله البحر قصد الاكتشاف على هذه الجزيرة وقد دخلها ولا أظن أنه عاد يمكنه الرجوع عنها والتخلص منها وقد دعوتكم أملا بالاكتشاف على حقيقة هذا الخطر وماذا تعرفون من أمر ذلك المكان عسانا نقدر أن نخلص ابن عم الملك ضاراب الذى لا ريب فى أنه يغضبه هذا الأمر ويكدره تهاملنا عنه فأجابه الجمع أن لا علم لنا بشىء مما تقصد ولا نعرف إلا أن داخلها كنز من الذهب والجواهر وقد طمع به كثيرون فلاقوا الموت ودفنوا فيها لان الداخل اليها لا يخرج وهذا نسمعه من آبائنا وآباؤنا عرفوه من آبائهم . قال وهل لا يوجد دليل أوحديث وحكاية تحكى عن هذه الجزيرة قال الوزير إننا لا نستدل من شىء قط عنها وقد يوجد دليل عظيم لو كان فى وسع احد ان يقرأ اللغة الكلدانية لان فى خزينة مملكتنا هنا كتاب بهذه اللغة يتعلق بأمر الضباب والجزيرة انما لا احد قدر او يقدر ان يعرف ما داخله ولذلك تراه مهملا متروكا داخل الخزينة لا يلتفت اليه . فلما سمع كرمان شاه ذلك ترجع عنده وجه الامل فقال اريد ان تسرعوا الى بهذا الكتاب فان الفرج فيه وأما من جهة قراءته ومعرفة ما فيه فهو سهل جدا لان عند ملكنا رجل حكيم عاقل خبير بأحوال الدنيا ومطلع على كل لغاتها وتفرعاتها وقد يعرف نحو سبعين لغة أصلية مع فروعها فلا ريب انه عند اطلاعه على هذا الكتاب يعرف حال هذه الجزيرة فيبادر الينا لخلاص خورشيد شاه ونجاته قبل ان تدركه المنية ويفوتنا الوقت وفى الحال ذهب الوزير الى الخزينة فأخرج

الكتاب وجاء به إلى كرمان شاه فدفعه اليه فأخذه منه وفى نفس الدقيقة كتب إلى الملك ضاراب كتابا قال له فيه . اعلم يا سيدى أنى انتصرت على المدينة بهيبتك بعد وصولى بيومين وذلك أن بدر فتات دخل المدينة على أمل أن يجس أحوالها ويعرف مقر ابن عمك فيخلصه ويأتى به قبل مهاجمتنا المدينة فصادف أنه رآه عند بنت الاسكندر حاكم المدينة وقد علقت بحبه وهويته ولهذا اتفق بدر فتات معها على أن تفتح أبواب المدينة قبل نصف الليل بقليل فتدخل عساكرنا وتتملكها وهكذا صار فانا عند فتح الابواب اندفعنا على البلد فتملكناها وبسيفكم قتلنا حاكمها ونشرنا راية فارس على أسوارها تلوح بالنصر وتحقق بالظفر والسعد إلا أنه جد علينا حادث لم يكن فى الحسبان قط وهو أن ابن عمك خورشيد شاه قصد الدخول إلى جزيرة مطلسمة بوسط البحر مظللة بغمام كثيف مظلم فعملنا كثيرا على منعه فلم يصغ وأصر على الدخول فى ذلك الغمام ومن خواصه أن الداخل تحته لا ينجو قط منه ولا يعود قادرا على الرجوع وبعد أن سلك هذا السبيل الخطر وثبت عندنا وقوعه فى حفر الهلاك وقد بحثت على الطرق المؤدية إلى خلاصه فلم أر إلا طريقة واحدة فهمتها من الوزير الذى أقمته باسمكم حاكما على المدينة وهو أنه موجود عندهم فى الخزينة كتاب من عهد الملوك اليمنيين أى من عهد الملك سيف بن ذى يزن وفى هذا الكتاب كلام عن هذه الجزيرة إلا أنه لا يوجد بينهم من يقدر على تفسير حرف من حروفه أو يقرأ كلمة من كلماته ولهذا أسرعت بارسال هذا الكتاب اليكم مع بدر فتات العيار لتعرضوه على سيدى الحكيم الخبير وزيركم طيطلوس حتى إذا تبين منه أمر للخلاص يبادر إلى إنجازه خوفا من أن يضيع الوقت وتفوت الفرصة فيلحق بابن عمكم الموت ولا يعود فى وسعنا بعد ذلك إلا التأسف والتندم على ضياع أمير خطير مثله والسلام عليكم فأسرعوا لان الوقت قصير . وبعد أن ختم التحرير سلمه إلى بدر فتات العيار وأمره أن يأخذه ويأخذ الكتاب معه ويسير إلى الملك ضاراب بما أمكن من السرعة والاستعجال فتناوله من يده وضرب رجليه بالأرض وانطلق يجرى كالغزال المذعور ينهب الأرض نهبا وينخطف كالبرق فى السرعة .

فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الوليد فانه بعد أن دخل المدينة وقفل أبوابها كما تقدم مع بهزاد وسيامك وفر بهزاد عن الاسوار غمى على الوليـــد وكاد يفقد حواسه وبقى نحوا من ساعة وهو يزبد ويرغى كالجمال ولا أحد يجسر على الدنو منه أو التكلم معه ولا سيما عند ما أخبروه أنه قد فاتهم ولم تصبه سهامهم وكان أسفه عظيما على بهزاد بقدر ما كان على الجواد وبعد أن وعى لنفسه قليلا قال له طيفور ألم أقل لك ياسيدى أنه يفر وينجو لأن رجال الفرس شياطين مردة فما أعمالهم إلا عجيبة وإنى أعرف بهم من كل الناس فلم تع لقولى ولا التفت إلى وقد صدقته حتى

فازبنفسه وبالجواد أيضا فلعب الغضب بالوليد من تعنفه وشتمه على قوله وقال له لاتزال تنذر بالشر فما أنت إلا مطبوع على الفال والرداءة . ثم أمر أن يبقى سيامك تحت الحفظ والترسيم إذ لم يعد له من قتله فائدة . وبقى على الدفاع وفى كل يوم تهجم رجال الفرس على الأسوار فينتشب القتال كل النهار ويعودون دون جدوى فى المساء وهكذا كانت حالتهم .

ومثلهم كانت حالة الملك ضاراب وعساكر إيران وفيروزشاه ورجاله فانهم أقاموا على حصار المدينة لا يقربون من أسوارها لداعى إحاطتها بالخنادق والمياه بل يقاتلون من على الأسوار عن بعد بحيث تصل السهام ومتى زادوا فى القتال اختفى رجال مصر داخل الأسوار وكانوا ينتظرون الدخول إلى المدينة بواسطة اكتشافهم على منفذ أو بفروغ الزاد من المدينة أو بوقوع حادث جديد فوق العادة . وكان بهروز مشغل الفكر من جهة المقنطر الساحر وهو قائم على حراسته يعذبه ليلا ونهارا وأخيرا سأل الملك ضاراب فى قتله وقال له ما من حاجة إلى بقائه فموته خير من حياته لأنه نقمة للعالمين ولا مطمع لنا فيه . قال اقتله وأرح عباد الله منه ونخاف أن يتخلص فيهلكنا وينتقم منا ونعود إلى العذاب وتكون حالتنا الأخيرة أشر من الأولى . فأخذه بهروز إلى قرب الأسوار فى صباح يوم حينما كان رجال مصر عليها وهم ينظرونه عن بعد وقد تقدم منه بهروز وأخذ خنجرا فى يده وقال له كيف ترى نفسك الآن فانك بعد دقائق قليلة تفارق هذه الدنيا فمت على دين الله سبحانه وتعالى وتب اليه فيصفح عنك فى اليوم الاخير . قال إنى لا أترك معتقدى ولا أخاف الموت فانه أحب إلى من قيامى عندك على العذاب والقهر إنما أحذركم يا رجال فارس شر بنت أختى شمس الساحرة ساحرة بلاد الصين فانها تأخذ لى منكم بالثأر لانها داهية دهماء لا يوجد من يقمعها فى هذه الصناعة فقد تعلمته وهى شابة ولا تزال تتعاطاه فتخضع لها به عموم بلاد الصين وتخافها كل سحرة الدنيا . قال له إننا لا نهاب السحرة وكما قدرنا عليك وجعلناك عرضة لانتقامنا نفعل بها إذ تعرضت لنا وقصدت أن تلقى علينا ضرا لان إلهنا قدير يعيننا على كل من يرغب لنا شرا أو أذى . ثم ضربه بالخنجر فنزع روحه عن جسده وشرحه وقطعه قطعا قطعا وأخرج إبرة الفولاذ من أنفه وحفظها عنده وعاد إلى الملك ضاراب فأطلعه على ماحل بالمقنطر فشكره وشكر الله على هلاكه وخلاصه من ويله .

قال وبعد مضى أيام قليلة من ذلك اليوم كان الملك ضاراب جالسا فى صيوانه بعد العشاء وعنده كالعادة عموم فرسان الفرس ومقدميهم وهم منضمون كحلقة وقد

قال الملك ضاراب انه حتى الساعة لم يأتنا خبر من جهة كرمان شاه ولا أعرف أهو ناجح فى قتاله أو متأخر او لا يزال على حالة الحصار . فقال له طيطلوس ان مدينة الاسكندرية من أمنع مدن العالم حصانة لمتانة أسوارها ووقوعها على البحر فيمكن أن تحاصر أعواما عديدة دون أن يتمكن مهاجموها من فتحها عنوة بالقوة لكن الرجاء أن يتوصلوا الى فتحها بالحيلة أو بطريقة أخرى وبينما هم على مثل ذلك واذا ببدر فتات دخل الصيوان حاملا على عاتقه الكتاب وبيده تحرير كرمان شاه . فلما رآه الملك ضاراب انعطف بخاطره اليه وقال له ما وراءك من الاخبار والأمل أن يكون الى خير . قال ما أتيت الا بالخير ثم دفع اليه التحرير فدفعه الى طيطلوس فقرأه و بشره بفتح المدينة والاستيلاء عليها واقامة الأعلام الفارسية فوق أسوارها وقرأ له ما كان من أمر خورشيدشاه فتكدر الملك لهذا العمل الأخير وقال انى فرحت لفتح المدينة فى الأول لخلاصه غير أن الكدر أوقعنى باليأس لأنى ما بعثت بالعساكر الا طمعا بخلاصه وليس فى نيتى فتح المدينة والانتقام من ملكها فانى فى غنى عن ذلك . ثم أمر طيطلوس أن ينظر فى هذا الكتاب ويرى ما داخله عله يجد الطرق الموضحة أسباب ذاك الضباب المميت عساه يتوصل الى طريقة ينقذون بها ابن عمه . فاجابه وفى الحال تناول الكتاب وأخذ يقلب فى صفحاته ويتبحر فيه وكان يعرف أن يقرأه جيدا فصرف أكثر من ساعة على تلك الطريقة الى أن جلى له الأمر ووضح جيدا فرفع رأسه وقال للملك ضاراب أشكر الله يا سيدى على التفات الله اليكم من قديم الزمان واعداد السعادة والاقبال لكم من لدنه تعالى فقد تبينت أن السحر الموضوع على ذاك الكنز يزول بهمة واهتمام رجل سعيد يوجد فى بلاد فارس يدعى فيروزشاه ابن الملك ضاراب ابن الملك بهمن من ملوك الفرس وعلى وجهه السعيد يفتح الكنز وتخرج الجواهر منه ويموت القائم على حراسته من سيفه . وهذه الجزيرة عمل السحرة منذ أيام ملوك اليمن أى من حين عمران الاسكندرية لأن تلك المدينة بنيت فى زمان الملك سيف ابن ذى يزن من التبابعة الذين خرجوا من اليمن وجاءوا هذه الديار وكان هذا الملك موفقا كل التوفيق حتى ملك الدنيا بأسرها وجمع أموال العالم وجواهرها العجيبة الى خزينته فبعد موته اجتمعوا سحراؤه الذين بقوا أحياء بعد موته وقد خافوا أن يفقد هذا المال وينتشر بين أيدى الناس فيضيع فضربوا الرمل فعرفوا أى رجل مدلول عليه من الله سعيدا موفقا فعرفوا أيضا أن الله سيخلق رجلا يدعى فيروز شاه وهو الذى يستولى على بلاد مصر ويفتح خزائنها لأنه كريم شجاع يكون أوحد أهل زمانه وأسعد رجل فطلسموا هذه الجزيرة ونقلوا المال اليها واقاموا على

خدمتها ماردا من أكبر مردة الجان وملوكها وقد أعهدوا اليه بحراسة الجواهر إلى حين يأمر الله بموته . وهكذا كان وقد قصد كثيرون من طماعى الولاة والملوك والحكام والفرسان من أهل هذه البلاد وغيرها الدخول فلم يقدروا فهذا كل ما تبينته فى هذا الكتاب الذى كتبه أولئك السحرة بلغة غريبة وقد أشاروا ضمنه أنه لا يمكن لأحد أن يطلع عليه أو يعلم ما فيه إلا طيطلوس الحكيم وزير ذاك الملك المدعو بفيروزشاه ولهذا لم يعد عندى من ريب ان هذا الرجل المقصود هو ابنك وسيدنا ومولانا وفخر جيوشنا وبلادنا . وقد أوضح ضمن هذا الكتاب كيفية الدخول إلى الجزيرة والطرق الموصلة إلى إزالة المطامع والأخطار المحدقة بها . فاذا أمرت سرت فى هذه الليلة مع فيروز شاه لخلاص ابن عمك وإخراج المال وفتح الكنز . فسر هذا الكلام الملك ضاراب وانشرح صدره له وقام فسجد لله شكرا وفعل ابنه مثله ثم قال ان الله أعد لنا منذ الأزل زمانا سعيدا وهيء لنا أسباب التوفيق وقد أراه سبحانه وتعالى يميل الينا فاننا وإن كنا نلاقى أحيانا صعوبات ومصائب إنما تلك المصائب تنتهى علينا بالأفراح والمسرات وتكون على أعدائنا شرا ووبالا . وإنى الآن أطلب اليك أن تسرع متكلا على الله مع ولدى إلى الافراج عن ابن عمى وخلاصه والعود الينا به وباخبار ما يكون من أمر هـــذا الكنز . قال إننا بعنايته تعالى سنتوفق إلى كل ما نرجوه

ونهض فى الساعة فأخذ ما يحتاجونه وركب . وركب إلى جانبه فيروزشاه وهو فرح بما سمعه من طيطلوس عن هذا الكنز وأعظم فرحه قوله عن انه سيقتل بسيفه المارد القائم على حراسة الجزيرة وقال فى نفسه انى كثيرا ما كنت أسمع عن قتال الجان وأريد أن أنظر إلى المردة فأحاربهم لأرى هل فيهم من يقدر أن يقف أمامى وهل لا يرهبون منى وطلبت اليه نفسه أن يطير إلى ذلك المكان لينهى العمل بأقرب وقت ويعود إلى محاصرة المدينة ويحصل على محبوبته القائمة داخلها . وبعد أن ودعا الملك ضاراب وبقية الفرسان خرجا من الجيش وبين أيديهما سرور فتنت وبهروز العيار وهو كفرخ الجان وكان كسيده يطلب أن يلاقى ماردا ويعرف كيف هو وكيف تركيبه وداموا على السير عدة أيام إلى أن قربوا من الاسكندرية فعرف كرمانشاه بقدومهم فخرج بموكب عظيم وخرجت أهل المدينة كبارا وصغارا رجالا ونساء يتسابقون إلى ملاقاتهم وكلهم يتشوقون الى أن يروا فيروز شاه وينظروا إلى صفاته لأن اسمه كان عظيما فى عقولهم وقد ملأ قلوبهم وشغلت عقولهم أحاديثه وأحاديث شجاعته وبعد أن سلموا على بعضهم البعض دخلوا المدينة بفرح وسرور ولا سيما عندما عرف الجميع أنهم جاءوا لفتح الكنز وأن طيطلوس عرف من الكتاب

الطرق الموصلة إلى افتتاح الكنز وإزالة الأخطار عن تلك الجزيرة القائمة فى وسط البحر . ولما وصلوا إلى قصر كومندان تقدمت من طيطلوس فقبلت يديه وشكت اليه حالها وطلبت منه الاسراع بنجاة خورشيد شاه وفعلت مثل ذلك مع فيروز شاه فوعداها بكل جميل ومدحاها على خدمتها للملك ضاراب وخلوصها للايرانيين . وأقاما عندها كل تلك الليلة على أحب إكرام وترحيب وأعيان المدينة يأتون لزيارتهم والسلام عليهم . وقد أخذت كومندان بجمال فيروزشاه وقالت فى نفسها لا أرى واحدا من الفرس إلا وهو أبهى جمالا وسناء من أخيه فهنيئا لعين الحياة التى ستضم إلى هذا البدر المشرق والفارس الوحيد

وباتوا تلك الليلة فى القصر وعند الصباح نهضوا من مراقدهم وجاءوا دار الاحكام حيث اجتمع من حولهم الوزير السابق الذى أقيم حاكما على المدينة وكامل الاعيان ورجال المدينة فخطب فيهم طيطلوس وأبان لهم سبب مجيئه وقال لهم ان هذا الكنز سيفتح وهذا السحر المظلل الجزيرة يزول بعناية الله ومساعدة الملك وابن الملك قاهر السلاطين وملوك الارض ومرعب مردة الجان الذى داس بأقدام سعده رأس كل فارس وبطل وأزاح بأرياح توفيقه غيوم المكاره والكرب فيروزشاه الذى جاء اليكم لأجل هذه الغاية فادعوا له ولوالده بالعز والبقاء وسوف ترون بأعينكم ماذا يكون والآن أريد منكم أن تجتمعوا معنا وتسيروا إلى حيث نسير لتشاهدوا عجائب أفعاله وغرائب أعماله وما من خوف عليكم ولا من كدر يلحق بكم . فرفعوا كلهم أصوات الدعاء له وقالوا اننا أينما سار نسير فى ركابه وبرفقته فما نحن بافضل منه والذى تسهل له أن يقتل المقنطر الساحر بعد أن يأتى به أسيرا ذليلا حقيرا لا يصعب عليه قضاء أمر آخر مهما كان صعبا ثم قال لهم طيطلوس هلموا بنا فان الوقت حرج وأحب أن أكون فى هذا النهار على الجزيرة بعد أن أجلوها لكم وتقشع عنها غيومها الكثيفة التى تظللها . فنهضوا وساروا أمامه الى حيث يطلب فقال لهم أريد منكم أن تهدونى الى قلعة خربة فى هذه المدينة يقال لها قلعة نصر فقالوا له أن هذه القلعة مهجورة متينة لا يدخلها أحد ولا يجسر أفرس فارس ان يدنو منها لأنه يقال انها منذ زمن قديم مسكونة بالجان والمردة الذين كانوا فى خدمة الملك نصر . قال انى أعرف ذلك وأريد منكم أن تسيروا أمامى فأجابوه الى طلبه وساروا الى أن قربوا من القلعة المذكورة فاذا بها شاهقة الى حد السحاب وهى مبنية بالطوب دون نوافذ البتة فهى عبارة عن حجر واحد مربع الجدران فتقدم فى الأول فيروز شاه والى جانبه طيطلوس والناس من خلفهم أفواجا أفواجا يريدون أن يتفرجوا على ماذا يقدر أن يفعل وقد أمنوا على أنفسهم على نوع ما لما تأكدوا أن طيطلوس اطلع على سر الامر

الخطر فى هذه الجزيرة وذلك بواسطة الكتاب المأخوذ من الخزينة وعندما داروا الأسوار ورأوها منيعة جدا أمر طيطلوس أن يؤتى بالبنائين والفعلة فحضروا حالا فأمرهم أن يفتحوا فى الحائط نافذة كبيرة فأخذوا يشتغلون بآلاتهم وقوتهم حتى فتحوا نافذة كبيرة مربعة دخل منها كثير من الحاضرين ولما دخل طيطلوس نظر الى الداخل فوجد آثار أبنية قديمة عدمها الزمان أو كاد يعدمها وقد تجمع عليها من نسج العنكبوت ما غطاها عن أعين الرائين وكثير من التراب متراكم فى أمكنة كثيرة عند فسحاتها فامر طيطلوس أن ترفع تلك الأتربة وأن تكشف الأبنية من الأقذار المتولدة من تقلب الازمان والسنين فرفعت فى الحال وبان من تحتها أرض مبلطة بالبلاط الابيض المنقوش من زمن قديم وكاد يزول ذاك النقش فلم يبق له إلا قليل أثر وفى وسط تلك الفسحة المبلطة بالبلاط الأبيض بلاطة حمراء كبير ضخمة محكمة الوضع وفى صدر تلك البناية قبة قائمة ومن حولها طائر كبير أشبه بنسر هائل الهيئة يرف على سطح القبة بأجنحته وهو يسرى على محور واحد لا يتخطاه ويسمع لذاك الطائر صوت أشبه بصوت الغراب عند نعيبه ولهذا الصوت كان أهل الاسكندرية على الدوام يظنون أن داخل تلك القلعة المهجورة طوائف من المردة والجان فلا يجسرون على أن يقربوا منها وتجسم ذلك الوهم حتى دخل عقل كل نفس فى المدينة فلما رأى طيطلوس الطائر وقف عند ذلك الحد وأخرج الكتاب ففتحه وعرف ما داخله ثم أغلقه وأمر فيروزشاه أن يتلو حسبه ونسبه على تلك البلاطة ثلاث مرات وينادى أنا هو الموعود باختراق هذا المكان وأخرج مفاتيح الكنز منه فهيا أيها الخدام واخرجوا منه فقد عزمت على رفع هذه البلاطة لاخراج القوس والسهم منها . فأخذ فيروزشاه يقول ما علمه اياه طيطلوس إلى ثلاث مرات فسمع من تحت تلك البلاطة دوى عظيم وأصوات قوية وصرير أسلحة حتى اضطربت كل تلك القلعة ومالت ببعضها وخاف كل الحضور الموت وارتعوا رعبا عظيما وكادوا يرمون بأنفسهم الى الأرض من خوار قواهم وانقطاع ظهورهم وعلت وجوههم صفرة فاقعة كادت تخفى رسوم وجوههم الأصلية . وكان فيروزشاه يسمع تلك الاصوات ويضحك منها غير خائف من نتائجها الا أنه وضع يده على قبضة سيفه وعول انه ان خرج عليهم أحد من طوائف الجان تشدده بضرب من قوى عزمه . ولم يكن الا القليل حتى زالت تلك الاصوات وتبعها هدوء وسكوت عظيم ونظر فيروزشاه إلى جميع من حواليه فاذاهم كالموتى مضطربون وجوههم صفراء وليس فيهم من قدر أن يضبط نفسه من الخوف إلا بهروز فانه بقى واقفا فى مكانه ثابت الجنان غير مرتعب ولا خائف وقد استل بيده خنجره كمن يتهيء للقتال . فعجب منه فيروزشاه وعلم أنه قوى القلب لا

يوجد بين عياري الدنيا من هو مثله فى البأس والقوة وكامل الخصال من الاقدام والبسالة . وبعدأن هدأت الاصوات وسكنت الضوضاء وسكن خفقان قلب طيطاوس أمر أن ترفع البلاطة الحمراء فرفعت واذا به يرى من تحتها صندرقا من حديد مقفلا ومفتاحه فى قفله فعالجوه حتى فتح واذا من داخله قوس وسهم موضوعين فيه فتناولهما طيطاوس ودفعهما الى فيروزشاه وقال له امش ثلاث خطوات الى الامام وقف مستويا ووجهك إلى جهة القبة ثم اتل حسبك ونسبك واذكر اسمك واسم أبيك وأوتر القوس واطلق السهم منه فاذا كنت المقصود وقع الطائر حالا الى الأرض فتأتى اليه وتنزع منه المفتاح الذى يفتح به الكنز فقال انى متكل على الله ثم تناول القوس وعدا ثلاث خطوات واستوى واقفا ونظر الى جهة الطائر فرآه لا يزال على حاله من طيرانه حول القبة فذكر اسمه واسم أبيه وأجداده وأوتر القوس وقد وجه به نحو الطائر بخفة يد معدودة فيه فانطلق ذاك السهم وبأسرع من لمح البصر وقع فى قلب الطائر فانبعث منه صوت قوى أشبه بالرعود القاصفة ارتجت منه جدران تلك القلعة وما حواليها وخاف الجميع أعظم من خوفهم الأول الا أنه بأسرع من لمح البصر انقطع الصوت ووقع الطائر الى الأرض لا يبدى حركة فتقدم فيروزشاه منه ومعه طيطاوس وبهروز وقلبه فوجده من النحاس الاصفر المصقول وليس فيه شيء من الريش الذى كان يظهر للأعين فى حال قيامه حول القبة ثم تقدم طيطاوس من الطائر وشقه واذا به يرى علبة صغيرة من الذهب فى جوفه ففتحها فرأى مفتاحا صغيرا فتناوله ودفعه لفيروزشاه وقال له قد قضى الغرض من هذه الناحية ولم يبق علينا إلا المارد الأكبر المحدث الضباب حول الجزيرة فهذا ينبغى قتله وصاحب هذا الكنز يقول فى الكتاب ان داخل القبة حفرة الى جنب قبره فيها سيف مرصود لقتل ذاك المارد وبغيره لا يقتل . قال اخرج لى ذاك السيف فاقتله وارفع الغضب عن هذه الجزيرة واخلص خورشيد شاه المحبوس فيها بصفة أسير وان كان قتل أو هلك فانى لأرضى بدلا منه كل ملوك الجان ومردتها . قال فأمر الوزير بحفر حفرة الى جانب قبر كان موجودا داخل القبة وداوموا الحفر الى أن توصلوا إلى ذاك السيف وهو مصنوع من الحديد بقبضة من النحاس وليس فيه شيء ثمين إنما كان عليه من الكتابة السحرية ما يغطى به صفحتاه فيكاد لا يظهر ولا يقرأ تلك الكتابة الا من كان ماهرا بهذا الفن وتناول فيروز شاه السيف وحمله الى جنبه بعد أن أرجعه إلى غمده وهو فرح بهذه الحالة وبما وصل اليه من توفيق البارى وثبت عندة أنه سيقاتل بعد قليل أكبر مارد من مردة الجان . ولما فرغوا من كل العمل ولم يعد عليهم عمل هناك خرجوا من القلعة وعادوا الى القصر والناس من خلفهم أفواجا أفواجا وهم

يتعجبون من عمل فيروزشاه وثبات جنانه وقد دار حديث شجاعته بين الكبير والصغير وهم لا يكادون يصدقون كل ما رأوه وقد زال كأنه لم يكن.

وبعد أن أقاموا نحوا من ساعة فى القصر وأكلوا الطعام وارتاحوا قليلا جاءت كومندان إلى الوزير طيطلوس وسألته أن يسارع لخلاص خورشيدشاه وقالت له ان كل دقيقة تضيع قد يمكن أن يكون بها هلاكه لأنه مقيم داخل ذلك الضباب دون ريب ويبقى مقيما إلى حين فراغ الزاد منه ومتى فرغ الزاد يموت جوعا ولا أعلم ان كان يكفيه لأكثر من هذه الأيام التى انقضت لاسيما وأن برفقته أربعة رجال يأكلون معه ولا أظن إلا أن المؤونة فرغت منهم أو كادت تفرغ. قال كيف يكون الحال ان كان عنده مؤونة كافية أو لم يكن فانى معول على الذهاب إلى الجزيره فى هذه الساعة. ثم أمر الحاكم أن يعد لهم قاربا كبيرا يسعهم ليسير إلى الجزيرة ويكون فيه النوتيين الأشداء ستة يجذفون وفى الحال تهيء القارب وأعد كل ما طلبه طيطلوس. ثم نزل هو وفيروزشاه وبهروز وكرمان شاه والنوتيون فركبوا القارب وسار بهم قاصدا ذاك الضباب الكثيف. وركب أهل المدينة بأجمعهم على قوارب مخصوصة وانتشروا فى جوانب البحر لأن الناس تأكدت أن الكنز سيفتح وان الضباب سيزول بطالع فيروز شاه ولذلك آمنوا على أنفسهم من الخطر وقصدوا الفرجة على ما يكون من أمره وكيف يمكنه أن يفتح الجزيرة ويستخرج الأموال والجواهر المدفونة هناك منذ زمن قديم وساروا على قواربهم خلف القارب الأول السائر لقضاء هذه المهمة وكان فيروزشاه قائما عند مقدمة القارب موجها بوجهه إلى ذاك الضباب منتظرا أن يلاقى العجائب داخله وقلبه جامد كالصوان غير خائف ولا حاسب حساب ما يكون له بل يتشوق برغبة واشتياق. لازال القارب يتقدم إلى أن صافح ذاك الضباب وأخذ فى أن يبتدىء بالدخول فيه وقد هيء ذاته فيروز شاه ونظر إلى ذاك الضباب وإذا به يرى ماردا طويلا قد خرج من البحر من مقدمة المركب وانتصب انتصاب العمود وهو بقامة تكاد تلحق السحاب عجيب التركيب رأسه أشبه بقصر كبير ضخم وجسمه يضاعف ذلك بزيد كصوارى المركب طولا إلا أنها تزيدها أضعافا ثخنا وعرضا وحال انتصابه وخروجه من البحر اضطرب وهاج مما أجفل الملاحين وتذبذب فى القارب ما عدا فيروز شاه فانه تهلل وجهه فرحا كما كان يتهلل عند اقتحامه معارك الطعان وقد سمع المارد صاح بصوته قائلا ويلك يا فيروز شاه بن الملك ضاراب قد جئت للموت فستهدف لهلاك والقلعان. ثم مد المارد يده وقصد أن يتناول القارب ويلقى به إلى الهواء فأسرع فيروز شاه وأجابه بصوت يكاد يقابل صوته وشهر ذلك السيف ورسمه إلى يده

الممدودة بقوة عزم يقطع صلابة الحديد فال السيف من جهة إلى ثانية وانقطعت تلك اليد ووقعت إلى البحر فهاج وتلاعب القارب وفى الحال دخل المارد فى الماء وانقشع من بعده ذاك الضباب قليلا بحيث صار يقدر الانسان أن يرى ما أمامه وفى الحال صاح فيروز شاه فى النوتيين وأمرهم أن يسرعوا فى التجذيف وكان الخوف أرعب قلوبهم وأضعف من عزائمهم وقد رجفت أعضاؤهم من شجاعة ما رأوا من فارس ذاك الزمان وتأكدوا أن الخبر ليس كالعيان فجذفوا وخاضوا ذاك الضباب وساروا إلى أن توسطوه وهم يرون بعضهم بعضا ولا يرون إلى بعد وهناك عاد البحر فاضطرب وانتصب ذاك المارد كالأول ونادى بندائه السابق ومد يده الثانية بسرعة كلية فجازاه فيروز شاه بنفس المجازاة الأولى وقطع له يده الثانية فانفجرت منها أنابيب الدماء حتى تلطخ منها الجميع وعاد المارد فنزل فى البحر يصيح متألما متوجعا وشعر فيروز شاه ان القارب كاد يقف فعرف ان النوتية قد ضعفت أعصابهم فصاح بهم وهو ينظر إلى الأمام لا يقدر أن يلتفت إلى الوراء خوفا من غدر المارد فعاد الرجال إلى التجذيف إلا أنهم لم يقدروا عليه كالواجب لأن أيديهم تقطعت من خوارق قواهم وضعف قلوبهم وما تقدموا إلا قليلا حتى اضطرب البحر وهاج فعلم فيروز شاه بخروج المارد فتمطى بثبات عزم وماخرج ذاك المارد وقابل وسطه فيروزشاه حتى ابتدره بضربة فى أحشائه من تلك اليد وصار ذلك باسرع ما يمكن من السرعة فجمر المارد بصوته وأرسل أصوات التألم بما يشبه الرعود وانتفض فى الجو واحذف إلى الماء فكثر اضطراب البحر وهياجه حتى أصبح القارب على شفير الغرق وكان الضباب قد انقشع تماما وزالت تلك الكثافة وظهرت السماء صافية وبينت الجزيرة قريبة منهم وقد قربوا من النزول ونظر فيروز شاه الى ورائه لما شعر بوقوف القارب وقد تاكد أن المارد قتل واختفى أمره فوجد كل من فى القارب ماق الى الأرض الا بهروز فانه مشهر الخنجر وواقف فوق رأسه كأنه يتهيء للدفاع عنه فانبهر منه وقال له والله ماأنت الا أشد قلبا من كل من هب ودب على وجه الأرض وقد غلط من عملك العيارة فكان أحرى بك أن تتعلم فنون الحرب والقتال فتفوق كل من نقل القنا قال انى لا أريد شيئا من كل ماذكرت وجل ماأرغبه ان أبقى حافظا بامانة خدمتى لك واحرسك من كل عدو يريد أن يوصل أذاه اليك دائما كنت أو مستيقظا ولا تعجب من ثباتى أمام هذا المارد لأنى كنت لولم يسبق سيفك اليه أوصلت خنجرى الى قلبه ولا ريب انه يقضى عليه به لأنه من الأسلحة التى جئت بها من عند المقنطر الساحر فهى من عمل السحرة المعدودة لمثل هذه الأعمال ثم تقدم فيروز شاه من طيطاوس ورش على وجهه الماء حتى استيقظ وهو أشبه بالأموات وفعل مثل ذلك

بكرمان شاه والباقين ونبه النوتية ولامهم على تركهم المجاذيف وخوفهم وقال لهم ألا تعلمون أن مدتنا وحياتنا كانت تتوقف على ثباتكم فلو لم يقتل المارد فى هذه المرة لوقف القارب عن السير ولم يكن فى وسعى أن التفت اليكم لانبهكم خوفا من غدره لأنى أعلم أنه لايأتى إلا من المقدمة كونه مسحور من جهة الجزيرة فلايتخطى الضباب ثم طمنهم ووعدهم بازالة الأخطار وكذلك طيطلوس فانه أوعب قلبه من الفرح والمسرة وتأكد زوال الأخطار ونظر إلى البحر فوجده مصبوغا بدم المارد وهو كثير الاحمرار وكانت القوارب التى تاثرت قاربهم تأخرت قليلا عندما رأت ذاك المارد وسمعت صوته إلا أنها تقدمت أخيرا لما تأكدت أن المارد قد قتل ونظرت أن الضباب الذى كان قبلا يظلل الجزيرة وما حواليها قد انقشع وصفا الجو وبان كل شىء وكل من عليها يصيح بالدعاء وطول العمر للملك ضاراب وولده فيروز شاه

قال وكان خورشيد شاه قبل ذلك قائما فى مكانه على الجزيرة وبالقرب منه رفاقه الملاحون الذين جاءوا به وكانوا قد صرفوا تلك الايام فى عذاب وآلام وأكدار وقد قطعوا الرجاء ويأسوا من الحياة وتأكد كل واحد منهم أنه هالك لامحالة وفى كل مدة يأكل الواحد منهم كسرة خبز ويشرب قليلا من الماء خوفا من أن يفرغ منهم الخبز والماء فيموتون إذ ذاك وهم يطمعون فى تأخير الأجل عسى أن الله يرسل لهم من عالم غيبه من يخلصهم . وفى نفس ذلك اليوم نظر خورشيد شاه إلى الزاد فوجده قد نقص كثيرا فلا يكفى إلا لوقت قليل فقال لرفاقه إنى مؤكد كل التأكيد أن الموت أصبح قريبا منا إذ أن الزاد صار قليل جدا فلا يكفينا لأكثر من مرة أو مرتين فقط ولا أعلم كم لنا من الأيام فى هذه الجزيرة لأننا لا نرى النـــور قط فلا نفرق بين النهار والليل وأعيننا تكاد تعمى فلا نبصر بعضنا ولا نبصر ما أمامنا وورا.ما نحن قائمون على العذاب والأوجاع فأرى تخلصا من هذه المعيشة المرة أن نرمى أنفسنا إلى البحر فنموت غرقا ونعجل فى الموت حيث لا بد لنا منه عاجلا كان أو آجلا فقالوا له ليس فى وسعنا أن نقتل أنفسنا بأيدينا بل يجب أن نبقى إلى آخر نسمة من حياتنا ولا نقطع رجاءنا من رحمة الله تعالى فان رحمته واسعة فلا بد من أن يظهر لنا شىء جديد وقت قريب وإلا فنموت موتا طبيعيا ونخلص من قصاصه تعالى . فرأى أنهم قد نصحوه وأن رحمة الله قريبة من طالبها فجعل يصلى إلى الله تعالى ويرجو منه الرحمة والمساعدة وأن يغيثه ويخلصه من تلك الهوة المهلكة وما فرغ من صلاته حتى انسكبت عليه رحمته تعالى وأغاثه ونظر اليه ولم يقبل أن يخيب سؤاله وحاشاه من ذلك فهو السميع المجيب

وأخذته البغتة ورفقاؤه لما رأوا أن لا وقت ظهر وأن الشمس قد سطعت عليهم وبعثت بأشعتها على تلك الجزيرة مشرقة زرقاء وبهاء ونقية أخرا من

نصف ساعة لا ينظرون بأعينهم لوقوع النور بغتة على أعينهم وانتقالهم من الظلمة إلى النور بوقت واحد ومن عظم الدهشة والتحير لم ينتبهوا إلى شيء مما في البحر بل قصدوا أن يصعدوا إلى أواسط الجزيرة ويروا القصر الذي رأوه قائما في وسطها وإذا بفيروزشاه ينادي عليهم ويبشرهم بالخلاص فوقع صوته بآذان خورشيد شاه فدلف عليه بلهفة وكان قد خرج إلى البر بمن معه وجعلا يقبلان بعضهما ويبكيان من عظم الفرح ثم تقدم طيطلوس أيضا وهنأه بالسلامة والخلاص ومثله فعل كرمان شاه وبيلتا والحاكم وكل من صعد على تلك الرقعة اليابسة وكان فرحه لا يقدر وقد نظر إلى البحر فوجده مملوءا من القوارب وعليها الناس مثل النجوم عددها ونظر أيضا إلى مدينة الاسكندرية فوجد أسوارها وجدرانها وسطوحها مغطاة بالناس وكلهم يتفرجون على الجزيرة وصياحهم قد ملأ الأرض لأنهم رأوا اجلاء الغمامة وانقشاعها فعادوا من الفرح يصيحون ولا يعلمون ماذا يقولون وقد ملأ الجهات أصوات تصفيقهم بالأيادي والصفير.

وبعد أن حكى خورشيد شاه كل ما قاساه من العذاب في جوف تلك الظلمة وكيف أنه قطع الرجاء والخلاص ونوى على اماتة نفسه في ذلك النهار استعاد الحديث منهم وما سبب انقشاع تلك الظلمة عنهم فحكى له طيطلوس الأسباب وكيف أن كرمان شاه أسرع إلى الفحص في سبيل خلاصه ووجد كتاب الكنز فبعثه اليهم ليطلعوا عليه وقد وجدوا فيه أن الكنز لا يكشف إلا على وجه فيروزشاه بن الملك ضاراب لأنه سعيد موفق موعود من الله بالاقبال والمساعدة وعلى هذا جاءوا المدينة وأخرجوا من القلعة السيف والمفتاح وجاءوا الضباب فمانع المارد المقام عنده وعلى محافظته والذي هو أصله فقتله فيروزشاه وبعد ذلك رأوه عن بعد فعرفوه وأسرعوا اليه وهم يصفقون من الفرح لأن جل المقصد من مجيئهم هو ولولاه لما جاءوا وليس من قصدهم أن يأخذوا مالا وجواهر أو نحوها فشكرهم وأثنا عليهم وبعد أن استراحوا قليلا قال خورشيد شاه ان مرادنا أن نتوجه إلى هذا القصر فان لا ريب ان داخله قوم من الجان لأني دائما أسمع أصواتا رخيمة وأرى النور في أعاليه من وسط هذا الضباب ثم يختفي ولو لم يكن النور عظيما وأن في القصر أناس لما كان يخترق مثل هذه الكثافة ولا كان أيضا يضيء ثم ينطفيء ثم يتغير ولا كانت الأصوات أيضا أحيانا ترتفع وأحيانا لا تسمع ويبقى في الجزيرة هدوء وسكينة لا يسمع إلا أصوات الأمواج التي تضرب على صخورها فقال طيطلوس ان هذا لا بد لنا منه وحيث أتينا هذه الجزيرة وصرنا عليها فلا بد من فتح الكنز واستخراج ما فيه. وبعد ذلك اعتمدوا على التقدم لاتمام العمل وما جاءوا لأجله.

وكانت كومندان عند نزول طيطلوس وفيروز شاه فى القوارب مع تلك الجماهير أحضرت قاربا مخصوصا وأرسلت عليه رسولا من قبلها وأمرته أن يعود اليها فى الحال عند ورود خورشيد شاه حيا ووعدته أن تغمره بالأموال إذا جاءها ببشارة حياته فسار ذلك الرسول وشاهد كل ما كان من أمر المارد وغيره حتى تبين خورشيد شاه وتأكد أنه حى فأمر رجال القارب أن تسرع بالعود إلى المدينة فساروا به يمخرون البحر حتى جاءوا الشاطىء فنزل الرسول ودخل على كومندان فوجدها قائمة فى نافذة القصر المطلة على البحر فحكى لها كل ما رأى وما شاهد وما كان من أمر الضباب وإزالته وبشرها أخيرا بحياة حبيبها وأنه رآه مع رفاقه حيا فى أرض الجزيرة فصفقت من الفرح وصاحت على غير وعى واستمر ناه ثم أفرغت على مبشرها الانعام وأعطته الأموال الكثيرة ورجعت فجعلت إلى قرب النافذة وجعلت تنظر بملء الفرح إلى الناحية التى فيها حبيبها وكانت قبل أن جاءها رسولها وبشرها بتلك البشارة نظرت إلى انقشاع الغمامة وجلاء الجزيرة فتمنت أن تطير إلى تلك الجهة لتتأكد هل أن محبوبها ومالك قلبها هو حى أو ميت وأصبحت تنتظر الخبر من وفدها إلى أن بلغها ومن ثم أقامت تنتظر عودته وتشاهد بدر جماله وقد شكرت عناية الله تعالى التى حفظته سالما الى ذاك اليوم

وكان فى وسط تلك الجزيرة قصر قائم حسن البنيان متقن النقوش والزخارف وهو مبنى على تسعين عمود من الرخام وفوقه قبة من المرمر المنقوش وحول القصر سلم من النحاس الأصفر بدرابزون من النحاس الأحمر وكان كل ما فى القصر وعليه يدل أنه قديم العهد ليس من يسكنه إلا القبة القائمة على أعلاه فانها كانت تظهر نظيفة لامعة قال وكان السبب فى نظافة تلك القبة أن بنتين من بنات الجن كانتا تسكنان القبة وتترددان فى أكثر الأحيان اليها وتقيمان فيها على الغناء والحظ والانشراح والسرور والأفراح تتعاطيان كؤوس الراح وتنهبان الوقت باللعب والمزاح يقال لاحدهما وهى الكبرى المرهفة والأخرى وهى الصغيرة جهان أفروز وكانت هذه الصغيرة من أجمل البنات وألطفهن تسبي العقول برقة خصرها وبهاء طلعتها وبياض جسمها [illegible] اليوم الذى جاء فيه فيروز شاه فشعلتا قناديل القبة وقدمتا الكؤوس والطاس والغنا تمرجان وتمرجان إلى ان مضى كل الليل وجاء النهار فنامتا لأخذ الراحة من الصباح الى ما بعد الظهر وإذ ذاك استيقظتا من النوم [illegible] اذا بهما قد سمعتا صوت المارد الذى سبق ذكر قتاله مع فيروز شاه فتعجبتا وقالت الصغيرة لأختها ماهذا يا أختى فانى أرى صياح مارد عظيم وأرى البحر مملوءا بالقوارب والناس [illegible]

الانس الذين يسكنون هذه المدينة . قالت هذا المارد هو المتكفل بحماية هذه الجزيرة والمظال عليها الغمامة السوداء فان صدق ظنى وصح ما كنت أسمعه من أبى يكون المارد المذكور يتقاتل مع فارس من الانس يقال له فيروز شاه ابن الملك ضاراب قالت ومن أين يعرف أبوك أن هذا الفارس يقاتل المارد قالت لانه كان يعرف انه من أشد رؤساء المردة لا يمكن أن يقف أمامه أحد لا من المردة ولا من العفاريت حتى ان كامل ملوك الجان تهتز من سطوته وكلهم يرجفون من عظم صولته وهيبته ويتمنون له موتا أحمر لظلمه وعتوه إلا انهم كانوا يسمعون أن الحكماء الذين كانوا على زمن الملك سيف ابن زى يزن قد وكلوه بهذا الكنز لانه كان من خدمه وعرفوا أن لا يقتل هذا المارد إلا هذا الفارس لانه رجل سعيد دلت عليه الدلائل بانه سيفوق على أهل زمانه من المشرق إلى المغرب . قالت ومن أين جاء هذا الانسى وما الذى أوصله إلى هنا قالت انى سمعت من بعض خدمة المقنطر الساحر فى هذه الأيام وهم العفاريت الذين كان يستخدمهم لقضاء مهماته انه علق بحب بنت من بنات الانس يقال لها عين الحياة بنت الشاه سرور وقد لاقى لأجلها المصائب والأهوال ووقع فى الضيقات والأخطار ومع كل ذلك فانه نجا منصورا ظافرا وقد حارب أباها فكسره وقهره ففر من أمامه إلى هذه البلاد واحتمى عند الوليد وقد أصحب ابنته معه فتأثره إلى هذه البلاد وقد جرت له عدة وقائع فانتصر وفاز وحاصر المدينة بعساكره والآن أظن انه جاء ليقتل هذا المارد وسوف تظهر الحقيقة . وفى تلك الساعة انجلت تلك الغمامة فشاهدتا رجال الانس من تحتها . فقالت جهان أفروز أريد منك يا أختى أن تدليني على هذا الرجل الذى حكيت عنه وأشرت اليه . قالت انظرى إلى ذاك الذى فى أول الرجال يشرق بأنوار جبينه اللامع ألم تريه أكثر جمالا من كل من حواليه لا بل من كل ما فى رجال الانس فكما انه جمع لاعظم درجات للشجاعة فقد جمع أيضا لأبهى المحاسن وأجملها وقد قتل المارد وصبغ البحر من دمه وجاء لاخراج الأموال والجواهر المدفونة فى أسفل هذا القصر وليس من مانع بعد فانه فى هذه الساعة يأخذها ويرجع من حيث أتى . قالت بالحقيقة انه بديع فى جماله فقد أخذ لى عقلى لان عينى لم تر من هو مثله فهل ياترى ان التى أحبها هى مثله فى الجمال وهل ان حبها له كحبه لها فلا تنعم ان محبتها له ومحبته لها واحدة كما ان حسنهما واحد فهى فى أعلى درجة من الجمال حتى ضربت بها الامثال وتناقلت أخبارها الركبان فهويها على السماع كثير من أولاد الملوك والامراء إلا أنها لم تعلق بحب أحد إلا بحب فيروز شاه وقد أخلصته الحب وبادلته المودة وحفظ العهود . قالت بالله عليك يا أختى أن تشفقى على وتجمعينى به فلم يعد لى من صبر عن وصاله وأريد منه

ولو قبلة واحدة فانى أشعر بخفقان داخل قلبي لا يهدأ إلا بالاجتماع به وأرى نيرانا بقلبي جديدة تضطرم فلا تنطفىء إلا ببرد عذربة ألفاظه . قالت كونى طمئنة الآن واصبرى على هواك فانى سأجمعك به بوقت قريب وأعدك وعدا صادقا انى أزوجك به قبل أن يتزوج بعين الحياة بنت الشاه سرور وأنك تعلمين انى لا أقول شيئا دون أن أفعله

وكانت هذه المرهفة من قهرمانات الجان وطاماتها الكبرى وقد خبرت أحوال الانس والجان وعرفت أمور العفاريت والمردة وأحاديث كل منهم ولم يكن يصعب عليها شيء وقد تأكد عندها أن أختها أحبت فيروز شاه وهامت به وأشغلها هواه فصبرتها وعذرتها عليه وقالت فى نفسها انه ذات وجه جذاب فلو كانت الملائكة من أجواق النساء وفى صفاتهن ومزاياهن لأحببنه مع عفتهن وطلبن وصاله مع نزاهتهن . ثم قالت لأختها هلمى بنا الآن لنذهب قبل أن يدخلوا القصر ويطلعوا على أحوالنا وليس من اللائق أن نبقى هنا ونجتمع بفيروز شاه بحضور الوف من الانس ثم أخذتا كل ما هو فى القبة فاخفتاه حتى لا يرونه وطلبنا طبقات الأفق وغابتا عن ذاك المكان وجهان أفروز محروقة القلب ملذوعة الفؤاد تتحسر على الاجتماع بمن حبته ومن رأته أعينها ينير كالبدر عند تمامه

وأما فيروزشاه وطيطلوس وخورشيد شاه والذين معهم فتقدموا إلى جهة القصر حتى دخلوا تحته وقد دهشوا من حسن صناعته واتقان بنائه وطافوا فى كل مكان حتى لم يعد من مكان إلا وطافوه . وفى النهاية دخلوا القبة فرأوا داخلها من الآثار ما يدل على أن يسكنها ساكن فقال طيطلوس لا ريب أن النور يظهر من هذه القبة فى كل ليلة وان صدق حذرى فانه يسكن هذه الغرفة جماعة من الجان فيالنا ولهم الآن ولنذهب من حيث جئنا فقال خورشيد شاه كيف نأتى إلى هنا ولا نعلم السبب الموجب لقيام قوم من الجان هنا وما هو السبب فى اجتماعهم بهذا المكان وانى أريد أن أبقى هنا لأنظر الحقيقة فاعترضه فيروز شاه وقال له دعنا الآن من هذا وسوف نعود اليه فى وقت آخر وانى أخاف من أن يقع لنا حادث جديد يعيقنا أياما وأشهرا عن الرجوع إلى مصر وأحب شيء لدى سرعة الرجوع إلى هناك وأخاف من أن يجد على أبى أمر غير منتظر يمنعه من الدخول إلى المدينة وفتحها ويفرون بعين الحياة حبيبتى بعد أن تكون قد وصلت إلى يدى وهذا الذى يشغلنى دائما . فسكت خورشيد شاه عند سماعه هذا الكلام ونزل الجميع إلى أسفل القصر بقصد استخراج الذهب وما فى الكنز من المال ولما وصلوا إلى أرض القصر وجدوا قبرا من الحجر الرملى مكلسا بالكلس الابيض فأمر طيطلوس أن يهدم القبر فنوشر بهدمه وظهر

من داخله باب سلم من الحجر الأبيض فأمر طيطلوس فيروزشاه أن ينزل أمامه فنزل ونزل من خلفه ومعهما بهروز العيار وبدر فتات ولما انتهوا من السلم وجدوا دهليزا واسعا فساروا فيه إلى أن وصلوا إلى مغارة تحت الأرض واسعة فدخلوا فيها والشموع بأيديهم فرأوا فى صدرها بابا من النحاس به أقفال من الحديد فقال طيطلوس لفيروز شاه هذا هو باب الكنز فاخرج المفتاح الذى أتيت به من جوف الطائر وافتح هذا الباب بعد أن تقرأ سلسة حسبك ونسبك ففعل وأخرج من جيبه المفتاح ووضعه فى القفل فانفتح فى الحال وبان من داخله غرفة تضىء بها مقاييس من الجواهر اللامعة والذهب الوضاح فانبهر الجميع من عظم ما شاهدوا وأخذتهم الدهشة وقال طيطلوس ان كل ما لاقيناه من المصاعب هو لاجل هذه الموجودات فاحملوها إلى فوق لنسير إلى الملك ضاراب فيفتخر فيها على كل ملوك الأرض لانها لا توجد قط عند أحد فى هذة الايام فاصغر جوهرة منها بقدر البيضة الكبيرة . وأمر بهروز وبدر فتات أن يحملا من تلك الجواهر وينقلا الذهب إلى فوق ليحمل إلى القوارب ففعلا وأخذا فى أن يصعدا بالأحمال على أكتافهما فيسلمانها إلى كرمان شاه وذاك ينقلها إلى القوارب على ظهور الرجال حتى فرغوا جميعا من العمل وحينئذ صعد فيروزشاه وطيطلوس إلى وجه الأرض وهنئوا بعضهم بعضا بالسلامة . وبعد ذلك كروا راجعين إلى القوارب فركبوها ومثلهم المتفرجون فانهم ساروا بقواربهم وهم يتعجبون من عظم ما رأو بتلك الجزيرة وما فيها من الأموال والجواهر التى لا تثمن بثمن فاصغرما فيها يساوى ملك ملك . قال ولازالوا حتى جاءوا الشاطىء فنزلوا ودخلوا المدينة بالفرح والدعاء واصوات المسرة والتهاليل . ونقلوا الأموال والجواهر إلى قصر كومندان وجاءوا اليها يخبرونها بكل ما جرى فهنأتهم بالسلامة والخلاص وهى من افرح عباد الله بنجاة محبوبها ولا تصدق ان تراه وقد اعدت اكراما له وليمة فاخرة دعت اليها كل اعيان المدينة وحاكمها وعملت لهم الأطعمة الفاخرة والأشربة اللذيذة وزينت القصر بالأنوار من كل جهة وكست جدرانه بالزهور والرياحين وترحبت بفيروزشاه كل الترحيب فعاملها بكل بشاشة ولطف وقال لها كونى مطمئنة البال فسوف نرسل اليك بعد ايام قليلة لنأخذك إلى مصر بعد فتحها كونى عزمت هناك ان ازف على خطيبتى عين الحياة وعند زفافى لا بد من زفاف كامل الفرسان الخاطبين لأنفسهم ليكون فرحى شاملا وفرح ابى وكافة رجالى كاملا

واقاموا كل تلك الليلة على الفرح والمسرة إلى ان قرب الصباح فأمر فيروز شاه ان تحمل الأحمال وترفع على ظهور الجمال بعد ان تضع فى صناديق صغيرة مصفحة

فحملت ورفعت وسارت امامهم وعند تضاحى النهار دعا بالحاكم اليه واعيان المدينة فخطب فيهم خطابا حرصهم فيه على الصدق والامانة فى محبة الملك ونفع الوطن وان يحافظوا على الراية الفارسية وان يكاتبوا دائما اباه كملك اكبر فوقهم وضرب عليهم الخراج والجزية ثم ودعهم وركب جواده الكمين وركب معه كرمان شاه والفرسان برمتهم وطيطلوس وقد ودعوا ايضا كومندان وشكروها على اهتمامها وودعها محبوبها ايضا فبكى وبكت وكل منهما بعد الآخر وكذلك كرمان شاه ودعها وفى قلبه منها نار حب لا تطفىء لانه كان قد مال اليها واحبها محبة صادقة وقال فى نفسه ان ابن عمى لا يمكن ان يتزوجها لنفسه كونه قد وعد غيرها قبلها ولذلك لابد لى عند اغتنام الفرصة من طلبها لنفسى ولا اكون قد غدرت بذلك ابن عمى بل يتنازل عنها لعلمه ان لا مطمع له بها وبقى يكمن ذلك فى ضميره وينتظر الوقت المعين . قال ودامت العساكر سائرة فى تلك الفلاة وفى مقدمتهم فيروزشاه الاسد الرئبال والفارس العجيب الاهوال . وهو فرحان من نفسه ومما وصل اليه من المجد والرفعة واكثر فرحه كان بعودته إلى مصر إلى جهة عين الحياة وقال لابد من انها تنظر الى نفسها نظر المفتخر اذا علمت انى قتلت ماردا من مردة الجان وفتحت كنز التبابعة وجئت منها بالمال الغزير والذهب الكثير والجواهر التى تملأ المخازن والخزائن وقد خطر على باله كل ما كان من امره ومن امر محبوبته وكيف ان اخصامه يحولون بينهما فيمنعونها ويمنعونه عن ان يراها مع ان ملوك الجان وعفاريتها وسحرتها لا تقدر ان تقف فى وجهه ولا تمنعه عن اجراء غاياته وجاش عليه الشعر فأنشد

عين الحياة ملوك الانس تخضع لى ... وترهب الجان من قولى ومن عملى
عين الحياة ابتنيت اليوم لى سكنا ... فوق السماك سما مجدا على زحل
لذا تريني وجيش الجان ذكروا ... اسمى له فر منى وهو فى وجل
وماردا جئته لا العزم قل ولا ... رأى سبيلا لضعف عامل الـكَلِ
لـكننا كنت مثل البحر قد ضربت ... به العواصف او كالعارض الهطل
ضربته بحسام فاختفى وغدا ... يأن انه مشقوم من العلل
قطعت ايديه والجمع الغزير يرى ... فعلى ويعجب منى كل ذى بطل
وعاد نحوى وعدت الضرب ثانية ... فقطع السيف منه كل متصل
بشراك بشراك يا عين الحياة لقد ... اصبحت دون البرايا منتهى املى
فتحت فى القلب كنزا قد حللت به ... كسته ايدى المعالى ابهج الحلل
هونت وحدك لى كل الصعاب فكم ... ازحت فى همتى العلياء من جبل
ان قلت للجبل العالى انتقل عجلا ... لطاعنى وغدا يهوى على عجل

وقد رجعت أخوض النقع مفتخرا لم يثن كيد النوى كيدى ولا حيلى

وكان ينشد وطيطلوس يعجب من انشاده ومن فصاحته وعلو همته وعظم محبته ولا زال القوم يسيرون والعساكر جارية من خلفهم وأمامهم الجمال تحمل الأموال وهى بعدد الرمال حتى قربوا من مصر وبانت لهم عن بعد نصف يوم أسوارها وبيوتها وهناك أخذ طيطلوس قرطاسا وكتب إلى الملك ضاراب يبشره بما كان وقد كتب فيه

بسم الله المسهل المسبب

من طيطلوس عبد الملك ضاراب ووزيره الأمين إلى سيده وصاحب المجد والرفعة أما بعد فانى أخبركم يا سيدى انى توجهت من حضرتكم مع ولدكم علة السعادة والفخر وسرنا حتى دخلنا الاسكندرية فأخرجنا منها مفاتيح الكنز وقد طردت باسم ابنك طوائف الجان التى كانت قائمة فيه ومن ثم ركبنا البحر وسرنا على القوارب لخلاص خورشيد شاه واخراج الأموال الغزيرة والجواهر النفيسة وعند مصافحتنا للضباب انتصب لنا مارد عظيم لا يوجد أكبر منه بين كل المردة أرعب كل من رأى ذلك المشهد إلا ابنك الأسد الكرار فقد قطع يديه بضربتين وقتله بالثالثة ومن ثم انقشع الضباب عن الجزيرة وتبين لنا ابن عمك عليها وهو حى ففرحنا به غاية الفرح وأخذناه معنا ودخلنا الكنز وأخرجنا منه الخزائن التى كانت خبئت لكم منذ أزمان وأجيال فاذا هى مما يبهج النظر ويحير العقول فهى وحدها تكفى لأن تشترى بها الدنيا برمتها وأخذنا كل ذلك إلى الاسكندرية فرتبنا بها الحكام من قبلكم وضربنا عليهم الجزية وعدنا فرحين منتصرين نرتجى التشرف بمقابلتكم ولعلمى بأن مسرتكم تزيد بأعمال ولدكم اسرعت فأخبرتكم ونحن بعد ساعات قليلة نكون فى المعسكر بناديكم والسلام

ثم طوى الكتاب وبعثه مع بدر فتات وأمره أن يسرع إلى الملك ضاراب ويعلمه بقدومهم فأخذه وسار بكل سرعة حتى وصل إلى بين أياديه فدفعه اليه بعد أن قبل يده فأخذه وقرأه ففرح فرحا لا يوصف وأعلن ذلك على كل جيشه وأمر الفرسان والابطال أن تركب لملاقاة ولده ووزيره طيطلوس وأن يكون لهما ملتقى عظيما فخرج الجميع وهم يعزفون بالموسيقات ويلوحون بالأعلام ويلعبون على ظهور الخيول وما ساروا إلا القليل حتى التقوا ببعضهم البعض فصاحوا صياح الفرح حتى ارتجت تلك الأرض وسلم المقيمون على القادمين وهنئوهم بالسلامة وعادوا راجعين ناشرين ألوية الافراح والسرور حتى دخلوا المعسكر وجاءوا صيوان الملك ضاراب فخرج حبا بولده واعتبارا لطيطلوس الذى كان ينزله منزلة الأب النصوح العاقل وسلم عليهما ودخلوا جميعهم الصيوان وجعلوا يحكون للملك مفصلا ما كان من أمرهم

وما لاقوا فى الجزيرة ففرح بسلامتهم ولام خورشيدشاه على مخاطرته بنفسه ودخوله باب الهلاك عن جهل . فقال له لم يكن ذلك منى يا سيدى بل هو من محركات العناية التى دفعتنى إلى تلك الحفرة الخطرة وإلا لولا دخولى فيها لما تيسر لكم السعى خلف ورفع تلك الأخطار واستخراج الأموال منها والانتفاع بها . قال أصبت بذلك وإنى أشكر الله تعالى على عنايته وتسهيلاته فانه لا يدفع بنا إلا إلى الأمكنة الصالحة لنفعنا ورفع اسمنا وتشييد دولتنا ولا يعد لنا إلا كل ما هو موافق لمصلحتنا . ثم إن الملك ضاراب أحضر المال والجواهر بين يديه وفتح الصناديق أمام الفرسان والأبطال فأخذوا يتفرجون عليها وقد انبهروا مما شاهدوا وتعجبوا من كثرة تلك الجواهر وكبر كل واحدة منها وبعد أن فرغوا من الفرجة عليها أرجعها الملك إلى الصناديق وأقفل عليها وأمر أن توضع فى خزينته لحين الحاجة فقد عزم أن يفرقها مع الجواهر والأموال التى جيء بها من قصر صفراء الساحرة ومن قصر المقنطر فى عرس ولده فيروز شاه ليغتنى بها كل بعيد وقريب وبعد أن أقاموا برهة على تلك الحال تفرق كل من الفرسان إلى صيوانه بقصد الراحة والمنام .

فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الوليد فانه لما خرجت رجال فارس لملاقاة فيروزشاه وعلت الضوضاء فيما بينهم أمر هلال العيار أن يسير فى أول الليل عند نشر الظلام إلى بين المعسكر ويكتشف على سبب هذا الفرح والاستبشار فوعده بالطاعة وأنه لا بد له أن يأتيه بصحة الخبر وقد قلنا إن الوليد لما سمعه من أصوات السرور قال لا بد أن يكون جاء اليهم أمر مفرح أوجبهم إلى إظهار ما أظهروه وما كفانا ما هم عليه من التقدم والانتصار حتى تزيد أمورهم نجاحا وفلاحا .

وفى المساء خرج هلال العيار ونصب الجسر ودخل بين الايرانيين واستنشق منهم روائح الأخبار واستعلم منهم على أسباب ما كان من أمرهم فى النهار وبعد أن وقف على الحقيقة كر راجعا مندهشا من توفيق فيروزشاه وحسن حظه ولما قرب من الخندق قطعه على جسر من الخشب كما فعل بالأول ثم رفعه وجد الباب ففتح له ودخل إلى أن وصل إلى صيوان الوليد فوقف بين يديه والصيوان محتبك بالحضور وشرح له كل ما سمعه وقال له إن سبب ذلك رجوع فيروزشاه من الاسكندرية وقد فتحوها وقتلوا الاسكندر حاكمها وضربوا الجزية على أهلها وكان ذلك بمساعدة بنته كومندان لأنها احبت خورشيدشاه فباعت بلادها وأباها لأجله ثم ذهب إلى الجزيرة المطلسمة وعلق فيها فنزل فيروزشاه وفتحها وأزال عنها الطلسم وقتل مردة وعفاريت وجاء بأموال الكنز وجواهره فهذا الذى جعل كل أهالى فارس أن يفرحوا ويتهللوا ويصفقوا ويرقصوا لأنهم كيفما مالوا يرون النصر والتوفيق فلاقوا فيروزشاه ملاقاة

تليق بمثله وقدمناه بسلامته الكبير والصغير فقال الوليد إن صح هذا فقد خربت بلادنا إلى الأبد وخرجت من يدنا لأنه كان لى كبر رجاء بالاسكندرية لعظم حصونها ومتانتها ووقوعها على البحر فان كان قد فتحوها فليس لنا بعد من أمل بمكان حصين نلتجىء اليه إذا أحوجتنا الضرورة إلى الخروج من مصر هربا . وفوق كل ذلك فانهم فتحوا الكنز وأخذوا أموال بلادنا المدفونة فيها منذ أجيال وأزمان فما هذا فيروزشاه إلا رجل سعيد الطالع مدلول عليه من الله مقصود توفيقه منه لأن التقادير لا توفق أحدا وتخدمه الوسائط إلا ولله فيه غايات ومآرب . وكان فى عزم طيفور أن يضرب صفحا عن الكلام إلا أن سكوته وما سمعه عن نجاح فيروزشاه ومدحه كاد يفطر مرارته فتكلم بالرغم عن إرادته وقال أيصدق مثل هذا الخبر ياسيدى وهل يمكن لفيروزشاه أن يفتح مثل هذا الكنز الذى حكى عنه هلال العيار ويقتل المارد ويهزم طوائف الجان . وعلى ما أظن أن فيروزشاه قصد خلاص ابن عمه وإخراجه فأصابه مثله وهلك ومات فلم يقبل الايرانيون أن يظهروا ذلك خوفا من أن نعلم به فنطمع فيهم فعملوا هذا العمل وأقاموا رجلا مثله فى مكانه لغايتين أولا لأجل لا نطمع نحن كما تقدم وثانيا ليشتدظهر جيشهم ولا يضعف لأن جيوش الفرس إذا ثبت عندها قتل فيروزشاه لا تقاتل القتال الذى تقاتله بوجوده ولك برهان على ذلك أنه عندما يغيب عنهم لا يتوقفون قط بل تضعف هممهم وتتأخر أحوالهم ففيروزشاه هالك لا محالة . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام أغاظه وكدره ولم يسعه أن يسكت عن طيفور فقال له لا زلت تأتينا بالآراء الوخيمة وتظن أنك تفكر صوابا فاذا فكرت بكل ما نحن فيه ترى أنك أنت أصله وسببه فقد أشرت على المشورات الذميمة حتى خربت لى بلادى وأخرجتها من يدى فتملكها الايرانيون وأخذوا عمالى فنصبوهم عليها وألزمتنى إلى أن أفرد الويلات وراثى إلى مصر ولا زلت حتى الساعة تنكر توفيق هذا الرجل العجيب فكيف لا يصدق عنه مثل هذه الأخبار وقد رأينا أعظم منه أهل الذى بعث أسيرا وحيدا إلى جزائر السودان وعاد منها مالكا عليها منصورا على ملوكها بعد قتل ملكها وأهلك صفراء الساحرة التى هى أشد بأسا من ألوف من المردة لأن كلمة واحدة منها تكفى لهلاكه يصعب عليه أن أن يقتل ماردا ويفتح كنزا عرف منذ قديم الزمان أنه يفتح على وجهه وليس عمله هذا بأصعب من قتلهم للمقنطر الساحر وبعد وقوعه بأيديهم وعجزه عن استعمال قوته السحرية الفعالة وقد رأيت بعينيك عجيب فعله وكيف طير الفرسان فى الجو إلى أن أصبحوا يقادون اليه كالأسارى . فسكت طيفور عن الكلام وقلبه يلتهب من الغضب والغيظ من عمل فيروزشاه وكلام سيده . ثم قال الشاه سرور للوليد انى أرى أن فى المدينة

من المون ما يكفى إلى سنين وأعوام وأسوارها منيعة لا يقدر الايرانيون على هدمها ولا سيما حولها الحاجز العظيم وهو خندق الماء المحيط بها فلنثبت على الدفاع ومهما شاء الله فليفعل . وكان الشاه سرور فى تلك المدة قد قدم منه وزيره الثانى وهو الخواجه اليان وأظهر له عذره وابان له أنه لو سمع كلامه منذ البداية لما وصل إلى هذه الحالة . وبعد فروغ السهرة ذهب كل إلى مكانه وهم فى كدر وبأس

قال وانتشر خبر انتصار فيروزشاه فى جزيرة الاسكندرية وقتله للمارد فيها وإخراجه الجواهر منها حتى بلغ عين الحياة وطوران تخت . وذلك انه كان بالقرب من القصر القائمين فيه قصرا للوليد قد أنزل فيه سيف الدولة ملك ملاطية عند دخولهم المدينة للحصار وبسبب هذا الجوار وقعت الالفة بين زوجة سيف الدولة وبين عين الحياة وطوران تخت فصارت تأتى اليهما فى كل يوم وتجتمع معهما على الطعام والمدام وقد اكتشفت على أسرارهما وساعدتهما عليها وقالت لهما انكما مصيبتان بحبكما لمثل رجال فارس ولا سيما عين الحياة فانهما ان قبلت بغير من أحبته وهو فيروزشاه أو بدلته بغيره قادت نفسها إلى الذل والعار فمثل هذا الرجل يحب ويعشق ويفدى بالارواح وهل لو كان حبيبها الشاه صالح تقتدر أن تفتخر به أو تباهى أو لا تسمع لوما وتنديدا من العالم أجمع بأنه بعد أن صار لها أن تكون زوجة لملك كفيروز شاه ابن الملك ضاراب صاحب الأفعال الحميده والحسن الفريدة والخصال المحمودة والصيت البعيد تتركه وتقبل بالشاه صالح الكامل البليد . وعلى هذا كانتا قد أحبتاها وشاركتاها فى الاجتماعات إلى أن كان ذلك اليوم جاء اليها زوجها سيف الدولة وأخبرها بكل ما كان من أمر الفرس وقال لها ان قلبى يميل لهؤلاء الاقوام لأنهم فرسان صناديد وأبطال أماجيد تخدمهم الأيام وترعاهم العناية . وفى صباح اليوم الثانى بعد ذهاب زوجها جاءت الى عين الحياة وحكت لها ما سمعته عن حبيبها وقتله للمارد واخراج الكنز على وجهه ففرحت مزيد الفرح وجعلت تصفق وتقول هكذا هكذا وإلا فلا وطلبت من طوران تخت أن تجعل لها ذلك النهار نهار حظ فتشربان خصوصيا على ذكر الأحباب وتنشدان الاشعار الغرامية لأجلهما ويكون ذلك بحضور زوجة سيف الدولة فأجابتها إلى عملها وأمرت قهرماتها باتمام طلبها وفى الحال انتصبت مائدة المدام فجلسن عليها وهن من الفرح والمسرة على جانب عظيم وأخذن فى تعاطى كؤوس المدام ونشد الاشعار ووصف محاسن الاحباب وقد اشتد فعل الحب بقلب عين الحياة عند تلاعب الخمرة برأسها فأنشدت .

رضيع الصبا للبين قد طر شاربه ... وكهل الدجا مذ شب شبت ذوائبه

وما الليل إلا الدهر أعيت صروفه ... وما هو إلا صرفه وعجائبه

وما الويل من ليل تطاول إذ غدا   يجاذبنى ذكر الهوى وأجاذبه
طلبت به وصلا تقادم عهده   وما كل مطلوب ينول طالبه
على حين أحيى ميت النوم ناظرى   لزورة طيف أشبه الصدق كاذبه
ولى محسن قد ساء صدا وإنما   بدا الصد من أمر تسر عواقبه
ولا وصل إلا أن يلم خياله   ولا هجر إلا أن تزم ركائبه
ولى كبد حرى على أبحر الهوى   تسير بها سفن الهدى ومراكبه
خذا الحذر من أعطافه وجفونه   فما هى إلا سمره وقواضبه
وإياكما القوس المراش سهامه   ألم ترمكم ألحاظه وحواجبه
وماذا على من صار خالا بخده   أغار أبوه أو أغيظت أقاربه
له عارض فى الخد قد زان شكله   كما زان خط اللام فى الطرس كاتبه
بكيت وقد قد الحشا وهو ضاحك   وهل يستوى مسلوب قلب وسالبه
فمن لوعة فى الصدر شب ضرامها   ومن مدمع يرفض فى الخد ساكبه
خليلى ما لى يوم نهب جوانحى   أخيب من مالى ويغنم ناهبه
أريحا فان الحب ضاقت مذاهبه   ولم يلف خيرا فى الغرام يجاوبه
إذا مادنا يخفى وإن يجتنب دنا   فأى يدانيه وأى يجانبه
ومهما دعاه الوصل عارضه الجفا   فأى يحاسبه وأى يشاغبه
ومهما شفاه السقم أودى به النوى   فأى يعانيه وأى يحاربه
وقد هدمت رايات جيش اصطباره   على جيش الوجد صالت كتائبه
وأصبح لا طيب الوصال ميسر   لديه ولا دار الحبيب تقاربه
فما كل عين بالجمال قريرة   ولا كل سمع قد نحاه مجاوبه

انتهى الجزء الثامن عشر وسيليه الجزء التاسع عشر

الجزء التاسع عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

ولا كل من قد سار ردت جياده ولا كل من وافى أنيخت ركائبه

ولما فرغت عين الحياة من انشادها اهتزت طربا امرأة سيف الدولة وقالت لها لقد أصبت فى ذكر أشواقك وأجدت فى وصف حبيبك وأطربتنا بنغمات صوتك الرطب فجمع الله شملك به وجمعه بك وجعل أيام سعادتكما مقرونة بالبركات والخيرات. ثم التفتت الى طوران تخت وسألتها أن تنشد شيئا من الشعر فى وصف حبيبها وذكر أشواقها كما فعلت عين الحياة. فقالت حبا وكرامة فانى أنشد ألوفا من الأشعار فهى عندى من الموجبات ومفروض فما حبيبي ممن ينسى ثم تناولت كاسا فشربتها وأنشدت

ترى سكرت عطفاه من خمر ريقه فماست به أم من كؤوس رحيقه
مليح يغار الغصن عند اهتزازه ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه شيء ناقص غير خصره ولا فيه شيء بارد غير ريقه
ولا ما يسر النفس غير نفاره ولا ما يروع القلب غير عقوقه
عجبت له يبدى القساوة عندما يقابلنى من خده برقيقه
ويلطف بى من بعد أعمال لحظه وكيف يرد السهم بعد مروقه
يقولون لى والبدر فى الأفق مشرق لذا أنت تهوى قلت بل اشقيقه
فلا تنكروا قتلى بدقة خصره فان جليل الخطب دون دقيقه
وليلة عاطانى المدام ووجهه يرينا صنوح الشرب حال غبوقه
بكاس حكاها ثغره عند ابتسامه بما ضمه من دره وعقيقه
لقد نلت إذ ناد منه من حديثه من السكر مثلا نلته من عقيقه
فلم أدرى من أى الثلاثة سكرتى أمن لحظه أم لفظه أم رحيقه
لقد بحته قلبى بخلوة ساعة فأصبح حقا ثابتا من حقوقه

وكانت طوران تخت رخيمة الصوت وقد أنشدت شعرها هذا بفؤاد ملسوع ملوع من الحب فكان له تأثير عظيم فى قلب عين الحياة وامرأة سيف الدولة وقد قالت لها الأخيرة لا تعتبي على دهرك الآن ولا تتحسرى على بعاد محبوبك فلابد من أن يصفو الدهر ويروق عيشه وتجتمعى بصفر شاه وتنالى منه مرادك فرجال الفرس

يحفظون العهود ويثبتون على الوفاء وهم الآن قائمون على المحاربة وملاقاة الأخطار والأهوال والبعد عن الديار لأجل هذه الغاية وعندى أنهم لا يرجعون عن عزمهم دون أن ينالوا مرادهم . ثم قالت عين الحياة لامرأة سيف الدولة إنى أسألك الآن وإن كنت خالية من الحب وليس لك ما يشغل ضميرك ويمطر فؤادك أن تنشدى لنا شيئا من الشعر طمعا أن تسكنى بعذوبة لفظك ورخيم صوتك هيجان فؤادينا فقالت انى أحرمكما من ذلك وأمرك على واجب لانك عما قليل تصبحين سيده البلاد بأسرها ومالكة على الجميع . ثم انها شربت كاسا من الخمر وأنشدت

معاذ الهوى ان الصريع به يصحو ليفعل ما يملى على سمعه النصح
وكيف يرجى منه يوما أفاقه وزند الهوى فى عقله دابه القدح
دع القلب يشقى فى طريق ضلالة ففى رأيه ان الوصول بها نجح
يؤمل آمالا مدى العمر دونها كان مطايا النائبات به جمح
ويكتم أسرار الغرام فؤاده ويفضحه من حزن مقلته السح
لقد الفت عيناه أن تنضح الدما وتلك دما عقل بها أحكم الجرح
يعاف الكرى منه المحاجر كارها تزول جراح جرحها شانه الرشح
له فى انتظار الطيف جفن مورق تنفته من شدة الأرق القرح
ولم يدر ان الطيف يحذر ان يرى نزيل بيوت دأب أبوابها الفتح
غدا دهره بالهجر ليلا جميعه وحسبك دهر بالنوى كله جنح
كأن بجوم الأفق فيه تنصرت فليست لغير الشرق وجهتها تنحو
كان الثريا والنسور تخاصما وظلا على جد بجانبه المزح
كان به الشهب الثواقب تنبرى مراسيل ذات البين يرجى بها الصلح

وكان ذلك اليوم من أعظم أيام المسرة على عين الحياة بما وصل اليها من خبر حبيبها فلا تركت شعرا إلا وقالته ولا شربت كاسا إلا وغنت لها وطربت من مفاعيلها وكانت تتمنى قرب زمن الاجتماع و لوصول إلى من اصطفته لنفسها واصطفاها لنفسه

فهذا ما كان من أمرهن وسوف نعود بعد قليل إلى ما يجرى بشأنهن وأماما كان من الملك ضاراب ورجاله فانه فى الليلة التابعة لليلة مجيء ولده عقد مجلسا مؤلفا من كل فرسانه وأبطاله واستشارهم فى ماذا يفعلون فان أمر الحصار طويل والقتال على هذه الحال بعد بلا نهاية وبلا جدوى فقال له فيروزشاه اننا لا نرى شيئا أمامنا يساعدنا على حوال غاياتنا الا القتال وتشديد الحصار على المدينة ومبادرة القتال فاننا لا ندع لهم راحة إلى أن يسلمونا وينقادوا الينا أو أن يظهر لنا سبب آخر للفتح من طريق غامضة الآن لا نعلمها . قال طيطلوس إن هذا جل ما نراه ومع ذلك نسأله

عيارينا أن يبادروا دائما الى الفحص عن منافذ إلى المدينة لان لا بد من أن يكون لها منافذ خفية يدخلون منها فى بعض الأحيان ومتى اطلعنا على هذه المنافذ يسهل علينا الدخول منها أو بالحرى يدخل بعض فرساننا فيسهلون لنا طريق فتح الابواب قال الملك ضاراب اذا فلنبادر إلى الحرب فى صباح اليوم القادم ولتضرب طبولها من قبل إتيان النهار ولنتكل عليه تعالى فانه لا يهمل أمرنا ولا يقبل بطويل كدرنا وضجرنا ولا يقبل أن نبقى هنا عرضة للحر والعذاب . وفى اليوم القادم خرجت الابطال طالبة ميدان القتال وقد تقلدت بقسيها وحملت سهامها وتقدمت إلى ناحية الاسوار وطبولها تضرب تنبيها لمن داخل المدينة . وفى الساعة الأولى من النهار وصلت الى جهة الاسوار فوجدت ان المصريين قد أقاموا على جدرانها وبأيديهم السهام وما وقعت العين على العين حتى اختلف القتال بين الطائفتين واشتعلت نار الوغى وتطاير السهام فى الفضاء واستقرت فى مهج الفرسان . فأنزلت عليها الويل والهوان . والهلاك والخسران وعلى منها الضجيج والصياح وقام سلطان الموت لقبض الأرواح . واستخلاصها من الاشباح وقد ارتفع الغبار إلى الجو فضرب على القوم سرادق الظلمات . وخفى فى وسطه اختلاف مسير السهام فلم تعرف إلى أى الجهات وتلبست الابطال بثياب الويلات . طمعا بالتقدم والثبات وكان ذلك اليوم عظيم النكبات كثير الشدات . هلك به كثيرون من الفريقين . وذاقوا أشد عذاب لم تسمع به أذن ولا رأته عين . وما جاء المساء حتى صبغت الأرض بالدماء وتلطخت الجدران من كل مكان بأدمية الفرسان وعند اشتداد الظلام ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن القتال ورجع كل إلى طريقه فنزل المصريون عن الاسوار ودخل الايرانيون الى الخيام وهم من التعب فى أصعب مقام وقد لحق بهم من القتل والجراح ما ألقاهم فى حجر الهموم والاكدار ومثلهم حل بأعدائهم وباتوا تلك الليلة وهم على غاية ما يمكن من الغضب على نية العودة إلى القتال فى الصباح . ولما كان الصباح نهض الفريقان واستئنفا القتال وعادوا الى ما كانا عليه فى اليوم الاول وكان أكثر الناس هجوما رجال السودان الذين مع فيروز شاه لأنهم كانوا يهجمون لهجومه ويفعلون أفعال الاسود حتى هلك منهم كثيرون وقتل ميمون قائدهم وكان فيروز شاه حزينا عليه إلا أنه كان كالاسد الرئبال يصول ويجول ويهجم على الاسوار هجمات الصواعق إذا تحدرت ونزلت وفى مساء ذلك اليوم رجعوا ووقع عليهم أكثر مما وقع فى اليوم الاول وقد عادوا حيارى من عظم ما نالهم وكدرهم جدا فعل المصريين وكيف انهم ثبتوا على الأسوار وكيف انهم لوجود خندق لماء لا يقدرون أن يصلوا الى الأسوار ليدكوها الى الاساسات ويخربوها عن بكرة أبيها ولذلك جمع

الملك ضاراب رجاله ووزراءه وقال لهم انى مكدر جدا من عواقب هذه الحرب فاننا نقاتل رجال مصر وهم داخل الاسوار فلا تصيبهم سهامنا وسهامهم لا تخطينا لان ليس من مانع يمنع عنا ولا من حاجز نختبىء به فاذا دام الامر على ذلك عدة أيام هلكنا . ووقعنا فى مزيد الارتباك وقلت رجالنا كثيرا فمن الواجب أن ننظر أولا فى رفع هذا الخندق الذى هو حول المدينة يمنعنا من التقرب منها والدنو من أسوارها قال طيطلوس ان فى ذلك صعوبة كلية لان نهر النيل لاقرار له ولا يمكن لازالة الماء من هذه الخنادق وقت قليل ومع كل ذلك فانى أرى من المناسب أن تشتغل كل الفرسان بحفر ترعة وتحول الماء الى جهتها وان كان فى ذلك صعوبة كلية ووقت غير قصير . قال بينما القوم على مثل ذلك واذا بفارس من فرسان إيران قد دخل عليهم وبيده أكرة من النحاس الاصفر مدورة بقدر البيضة مصقولة لايعرف لها أول من آخر وقال الملك اعلم ياسيدى انى بينما كنت هذا اليوم فى القتال مع رفاقى واذا بهذه الاكرة وقعت إلى جانبى موجهة الينا من جهة الاعداء أى من على الاسوار القائم الاعداء عليها ولا أعلم السبب وانها نزلت نزولا بطيئا يظهر منها أن موترها لم يقصد بها ضرر أحد والا لو ضرب بها أحدا لاماته دون شك ولو وقعت على أربعة أشخاص لاهلكتهم لامحالة ولهذا أرى أن لها حديثا لابد من ظهور نتائجه وقد أتيت بها الى حضرتك تنظر فى أمرها فأخذها الملك من يده متعجبا وقد نظر فيها وتحير من أمرها لانه رآها ملساء مسقولة لا باب لها ولا ثقب فيها ودفعها إلى طيطلوس لينظر أيضا فيها فأخذها منه ونظر فيها وقلبها بين يديه فلم ير سببا للظن فيها وقال لا أعلم ما القصد منها وما هو السر فيها وأخذها من بعده دوش الرأى وفيروزشاه وبقية الفرسان والعيارين فما قدر أحد منهم أن يعرف سببا أو سرا لهذه الاكرة وكان بهروز ينظر اليهم منتظرا أن أحدا منهم يكشف أمرها فلم يتوفق إلى تمام انتظاره ولذلك أخذها بيده وتأملها صاغيا . ثم قال ان صدق ظنى يكون داخل هذه الاكرة تحرير مرسل الينا من داخل المدينة وسوف تظهر لكم القضية حالا ثم قبض الكرة بيديه الاثنتين وشد باحداهما الى صدره وعاكس بالاخرى فانفتق وسط الاكرة وبان أنها مركبة برغى وداخلة بعضها ببعض بحيث لا تظهر للعيون فتعجب كل من حذاقة بهروز وانتباهه وبعد أن فتح الاكرة تماما تبين أن داخلها ورقة مكتوبة ومختومة ومعنونة باسم الملك ضاراب فتناوله إياها فأخذها ودفعها الى طيطلوس ليقرأها فرآها من الخواجه اليان وما يأتى صورتها

من عبدكم اليان وزير الشاه سرور إلى سيدى ومولاى الملك ضاراب اخى سيدى فيروز شاه

أما بعد ذكرى لاسمه تعالى واتكالى عليه أقول . انى فى ليلة أمس دعانى الشاه سرور اليه المخابرة فى شأنه وشأن تخلصه من المدينة إذا تسهل لكم الدخول اليها وقد أشار عليه طيفور بأنه إذا بانت لكم علائم الانتصار وأخذتم فى أن تدخلوا المدينة نجا بنفسه مع وزيره وأنادون أن يعلم أحد ويكون مسيره إلى بلاد الرومان إلى قيصر الملك الأكبر يحتمى عنده ويستعين به عليكم وكان طيفور هو الذى هون عليه طرق الفرار وأدخل فى عقله سهولة المسير إلى هناك وأقنعه بأن الملك قيصر يقدر أن يردكم عنه ويمنعكم أن تجبروه إلى زفاف بنته . ولما انتهى الأمر واتفقنا عليه قال الشاه سرور إن مرادى أذهب إلى الوليد إلى قصره الآن وأستخبر منه عما جد فى هذه الليلة فى معسكر إيران لأنه أخبرنى أن عنده عيار اسمه روضة يذهب كل ليلة من دهليز فى قصره إلى النيل فيخرج منه ويختلط بين الأعداء فيقيم ساعة أو ساعتين ويعود اليه بأخبارهم وبماذا يفكرون وعلى ماذا يعولون ولا ريب فى أنه ذهب هذه الليلة حسب عادته وانى أعلم أن الوليد ينتظره . فأجبناه فى الحال وسرنا إلى أن دخلنا إلى قصر الوليد وكان الوقت إذ ذاك نحو الساعة الرابعة من الليل فوجدناه قائما فى بيته لوحده منتظرا أخبار عياره فتلقانا وبعد أن سلمنا عليه قال له الشاه سرور انى فرح غاية الفرح لأننا فى هذين اليومين ثبتنا وهلك من الايرانيين جانب غير قليل . قال وانى مثلك فى هذا الأمر وقد ندمت على خروجى إلى خارج البلد بل كان من الواجب مقاتلتهم ونحن فى بيوتنا وعلى أسوارنا وفى هذه الطريقة كنا قهرناهم وأهلكناهم فيئة بعد فيئة والآن انى موقن أننا إذا قاتلناهم شهرا على هذه الحالة أفنيناهم عن آخرهم ففى كل يوم يموت قوم بسهامنا وليس لهم سبيل لأن يصلوا الينا وتظهر فرسانهم عظم شجاعتهم فينا وأقل واحد منا يقوم مقام أعظم فارس منهم لاسيما وان عندى عيار أمين صادق يذهب كل ليلة ويأتينى بالأخبار عنهم وعما يزعمون أن يجروا وبماذا يتكلمون وقد أخبرنى فى اليومين القادمين أنهم مضطربون لأجل النقص الذى وقع فيهم وبينهم وقد ذهب الليلة ولم يعد وميعاد ذهابه الساعة الثالثة من كل ليلة فيعود فى الساعة الخامسة إلى السادسة وإلا أنا بانتظاره فلا يمضى ساعة إلا ويأتينا الخبر عما يراه بين الفرس . وأقمنا عند الوليد نحوا من ساعة ونصف ونحن بذكر هذه الحرب وما كان منها والأمل أن يفيد الحصار أكثر من القتال والهجوم خارج البلد وفيما نحن على مثل هذه الأحاديث وإذا سمعنا من داخل خزانة موضوعة فى زاوية غرفة الوليد التى نحن فيها ثلاث دقات خفيفة تنبيها له فتقدم من الخزانة وفتح بابها وإذا بروضة العيار خارج منها فعلمت أن هذه الخزانه هى باب الدهليز الموصل إلى الخارج وان روضة يذهب اليكم من هناك

فلما وقف روضة بين يدى سيده أخبره بكل ماسمعه عن جيوشك وما تكلمتم به من اضطرابكم من الحصار وكمية العدد الذى نقص منكم فى اليوم نفسه . فلما سمعت منه ذلك أغاظنى إلا أنى سكت وصغيت لما كان يدور من الكلام بين الوليد والشاه سرور ولما كان آخر الليل ودعنا الوليد وخرجنا وأنا أفكر بأمر روضة العيار وما كان منه وما لبثت أفكر فى هذا الأمر إلى أن خطر لى أن أعلمكم به وإذا لم يكن عندى من أبعثه إليكم عنل هكذا رسالة خطر لى أن أبعثها ضمن أكرة من النحاس ومتى وقعت بينكم لا بد أن تتعجبوا منها فتفتحرها وتعلموا ما أقصد منها ولذا السبب ذهبت إلى النحاس وطلبت إليه أن يصنع لى أكرة على النسق الذى أشرت إليه فعمل لى حسب مطلوبى فأعجبتنى ولذلك كتبت هذه الرسالة ووضعتها داخلها وقفلتها فلا يظهر منها إلا أنها قطعة واحدة على أمل أن أذهب فى الصباح إلى الأسوار عند اشتباك القتال واضعها فى قوس وأوتره فتقع عندكم وفى ظنى أن وقعت بيده يطلعكم عليها ويدفعها اليكم وجل الغاية منها أنكم فى هذا المساء وفى المساء الذى بعده تنتظرون الساعة المعينة وتترصدون هذا العيار الذى ذكرته لكم فاذا قبضتم عليه وتهددتموه دلكم على الطريق الذى يدخل ويخرج دائما منه وبواسطة هذه الطريق تتوصلون إلى فتح المدينة بكل سهولة فتدخلونها وتتملكونها وتنتهى هذه الحرب المهلكة وبغير ذلك لا سبيل للنجاح مطلقا لأن الأسوار متينة جدا وخنادق الماء تحميها من هجماتكم عليها يوما والسلام منى مشفوعا بتقبيل أياديكم وأيادى والدكم سيدى فيروزشاه

فلما سمع الحاضرون والملك ضاراب هذا الكلام فرحوا غاية الفرح وتعجبوا من ذكاء الخواجه اليان كيف انه اتخذ هذه الطريقة لايصال الخبر اليهم بأسرع ما يمكن قبل وصول روضة العيار اليهم . ثم أنعم الملك ضاراب على الذى جاء بالأكرة وأصرفه ودعا اليه العيارين بأجمعهم وقال لهم اسرعوا الى حدود معسكرنا واكمنوا متفرقين فى تلك الجهات عساكم أن تقبضوا لنا فى هذه الليلة على روضة العيار فتأتونا به ويكون الفرج بواسطته فأجابوه بالحال وأسرعوا فاكمنوا كل إلى ناحية وهم شمرنك والأشوب وطارق وبدر فتات وبهروز وشياغوس وجعلوا ينتظرون مجيء هذا العيار ولم يكن إلا القليل حتى نظر بهروز فى الجهة التى هو كامن فيها رجلا ينساب كالأفعى تحت ذلك الظلام الحالك وهو آت من جهة المدينة الى نحو معسكرهم فقال لا ريب أن هذا هو المطلوب بصبر الى أن قرب منه فتأكده عند ما رآه لابسا ملابس الدراويش إنما لم يا كمه وجهه لاشتداد الظلام فتأثره ليرى أى جهة يقصد فرآه قد جاء الى جهة صيوان بهت ضاراب فزاد عنده التأكيد ولذلك انقض عليه انقضاض الباز وقبض على عنقه وصاح فيه وقال له ويلك يا روضة أتظن أن عيارى إيران

غافلون عنك ساكتون عن عملك وأنت فى كل ليلة تطرق جيشنا غير حاسب لأحد منا [illegible]ابا فسوف ترى مايحل بك فخفق قلب روضة عند سماعه كلام بهروز وعرف أن أمره قد ظهر إلا أنه قصد المحاولة والتملص. فقال أى روضة تعنى وأى عيار هنا فأنا درويش من عباد الله وقد جئت النهر فاستقيت وعدت أقصد البرارى وكان مرورى عليكم من نوع الصدفة تقريبا لطريق وأنى أقصد الخلاء وأسافر من بلد إلى آخر فاتركنى وإلا إذا عرف ملككم بحالى وأنك تعرضت لى وأهنت رجال الله غضب منك وجازاك شر المجازاة. قال صه ياروضة ولا تطمع أنك تخلص بالحيلة فأنا ممن يحتال عليهم فان كنت لا تعرفنى فلا بد أن تكون قد سمعت بذكرى فأنا بهروز عيار فيروزشاه فاذهب أمامى إلى حضرة الملك ضاراب فهو حليم كريم عله يقربك إلى أستاذك طارق وتكون من خدمه وتنال أنعامه.

فخفق قلب روضة عند سماعه كلامه وقد خاف أن يمتنع أو يكابر فيقتله إنما سار معه وهو يقول له الآن تجلى الحقيقة وتعرف أنى لست بروضة العيار ولازالا سائرين إلى أن أتيا صيوان الملك ضاراب فوجداه قائما فيه كالعادة وحوله جميع فرسانه وأبطاله وهم بانتظار عودة العيارين اليهم فدخل بهروز قابضا على روضة إلى أن وقف بين يدى سيده فقبل يده وقال له قد أتيتك بهذا الخبيث الذى نحن بانتظاره كى تنتقم منه فهذا هو العيار روضة عيار الوليد وقد جاء بصفة درويش ففرح به وقال له ماهذه الأعمال ياروضة أما عرفت بعمل أستاذك طارق ورفيقك بدر فتات وهما الآن عندى باعزاز وإكرام يخدمانى بأمانة فكان من الواجب أن تسرع من زمان إلى وتشد وسطك فى خدمتى فيكون لك الخير الغزير وتنال الالتفات الذى ناله سواك. قال وان روضة ياسيدى فانا درويش أعبد الله ولا أعرف روضة ولا أحدا اسمه روصة وأنى ادعو الله أن يخلصنى منكم فلا توصلوا أذى إلى وأنا برىء لا ذنب لى قال لا تطمع فى المحاولة فلم من سبيل لخلاصك من أيدينا لاسيما وأن عندنا من يعرفك حق المعرفة. ثم أمر حينئذ أن تجمع العيارين اليه فسارت الرسل اليهم وجاءت بهم ولما رأى طارق روضة عرفه حق المعرفة فقال للملك ضاراب هذا هو روضة بعينه ياسيدى [illegible] يعد حينئذ فى وسعه الانكار وقد [illegible] حق [illegible]
نفسه إلى أن يقيم عند الملك ضاراب [illegible] خدمه [illegible] وقسمه [illegible]
وفى الحال [illegible] طارق [illegible] لا [illegible]
به ومعروف [illegible]
الملك ضاراب [illegible]
[illegible]

خدمته ترى منه كل مايسرك ويرضيك وإلا فانه يمينك لا محالة وأى شيء عدت ترتجى من مصر وهى فى حالة الخراب والوليد سينقضى عمره بعد قليل من الأيام وتملك الفرس بلاده وملكه ويزول سلطانه فاجاب روضة وعرض خدمته على على الملك فقبله وقال له قد صرت منذ الآن من رؤساء عيارى بلادى وسوف ألبسك الثوب الخصوصى المرصع وأعطيك الخنجر الفارسى الغزير الثمن وارتب لك المرتبات الغزيرة فتعيش كامير من الأمراء الكبار مثل طارق وبدر فتات انما أريد منك الآن أن تهدينا إلى الدهليز الذى خرجت منه وهل يمكن أن يسير فيه أكثر من واحد. قال هو دهليز واسع ياسيدى يمكن أن يسير فيه الرجل واقفا دون أن يلاقى صعوبة البتة فهو يبتدىء من خزانة فى غرفة الوليد قد عملها لاخفاء خبره عن أعين الناظرين وينتهى إلى أسفل سور عند حافة النيل وبابه من هذه الجهة ضيق جدا بحيث لا يمكن للرجل أن يدخل منه إلا زاحفا على بطنه وهو مسدود بحجر فاذا قصدت الدخول منه رفعت الحجر فدخلت ثم عدته كما كان فلا يظهر للناظر قط أن هناك منفذ وهكذا كنت أفعل دائما عند ذهابى وإيابى. قال وكيف كنت تجتاز النهر قال كنت أصحب معى قطعة من الخشب السميك كون النهر من تلك الجهة ضيقا فالقيها على ضفتى النهر واجتازه ومتى عدت رفعتها وأدخلتها إلى الدهليز فتبقى إلى اليوم الثانى وهى الآن فى مكانها فعند عودتى أرفعها. قال الملك أن كنت قد رغبت فى أن تكون من عيارى بلادى يجب عليك أن تقسم لى الاقسام العظيمة وتعدنى صادق الوعد أنك تكون أمينا صادقا لا تخون باحد من رجالى واتباعى ولا تبيح بسر من أسرارى. قال انى اقسم لك بالله العظيم والرب الكريم ان لا اخون لك عهداً ولا انكر جميلا ولا اذكر سرا بل اكون امينا على خدمتك صادقا فيها وسوف تظهر لك الأيام ما انا قائله الآن وبعد ان اخذ عليه الملك ضراب العهود والمواثيق قال له أريد منك ان تذهب امام فرسانى وابطالى فى هذا الدهليز إلى ان تدخلهم قصر الوليد ومن ثم تدلهم طرق الأبواب ليفتحوها فندخل ونملك المدينة فى هذه الليلة ونخلص من هذه الحرب ويكون لك بذلك الخير قال حبا وكرامة فانى مستعد لقضاء ما تأمرنى به ولا تمضى هذه الليلة مالم تدخلوا المدينة وتقبضوا على الوليد وينتهى الامر على احب ماترغبون.

وحينئذ دعا الملك بهزاد وفرخوزاد وكرمان شاه وخورشيد شاه وبيلتا وبهمنزار قلى وطهمور ومرادخت الطبرستانى وشبرين الشبيلى الطلقانى وتمام الثمانين فارس من اقرب فرسان إيران وقال لهم سيروا انتم خلف هذا العيار فادخلوا معه الدهليز ومتى خضتم على الوليد فاسرعوا إلى الأبواب من اقرب طريق دون ان

تباشروا عملا فنكون نحن على الأبواب . وفى مقدمة العساكر ولدى فندخل المدينة وتملكها ولا نبقى على عاص فيها ونكون إذا اراد الله فى الغد حكام مصر فنجازى المعتدين على أفعالهم وأعمالهم فاجابوا طلبه وأسرع كل إلى عدته فلبسها ونقل سلاحه وتعدد للقتال وودعوا الملك ضاراب وساروا خلف روضة وأمامهم بهروز العيار حاملا الشموع ليعلقها فى الدهليز ولما وصلوا النهر قطع روضة أولا على الخشبة التى كانت موضوعة أشبه بجسر فوقه وخلفه بهروز ومن ثم صارت الفرسان تأتى واحدا بعد واحد إلى أن صار الكل فى الضفة الثانية قرب السور فتقدم روضة إلى حائط السور وأخرج منه حجرا كان مسدودا به باب الدهليز فبان من خلفه خلاء طويل متسع فدخل روضة وفى أثره بهروز كفرخ الجان لا يفارقه دقيقة واحدة وقد وجد أن جوف الدهليز واسعا فجعل يلصق الشموع منيرة فى جدرانه لترى الفرسان طريقها فتدخل بسهولة فدخل فى الأول بهزاد ومن بعده أخواه ودخلت الفرسان واحدا بعد واحد فيدخلون فى الأول زحفا إلى ان يصلوا إلى الداخل ومن ثم يقفون ويسيرون إلى ان صار الجميع داخل الدهليز فمشوا فيه على أنوار الشموع التى كان بهروز ينيرها ويعلقها فى الحيطان حتى وصلوا إلى آخر الدهليز فوقفوا هناك ومن ثم ضرب روضة على باب الخزانة ثلاث ضربات كعادته وفتح الباب فصار داخل الغرفة فوجد الوليد بانتظاره وقد ساءه ابطاؤه فقال له لما هذا الابطاء وما وراءك من الاخبار قال اعلم ياسيدى ان عيارى إيران عرفوا بامرى فقبضوا على وقادونى إلى الملك ضاراب وأنا أحاول الخلاص منهم مدعيا بانى درويش فلم يصدقونى ولا سيما طارق فانه عرفنى حق المعرفة فعولوا على قتلى أو انى انضم إلى عياريهم واخدمهم كغيرى فلما رأيت ان لاخلاص لى إلا بخدمتهم فاجبتهم اليها ووعدت الملك ضاراب بصدق الخدمة . فهل أخطأت بهـــذا الوعد . قال كلا لأنك لو لم تعده بمثل هذا الوعد لما أتى عليك فنعم ما عملت . قال وبعـد ذلك عدت من الدهليز الذى ذهبت فيه وقد اصحبنى بهزاد الايرانى وطلبت اليه أن يرجع فلم يقبل بل قال لى ان مراده يواجهك ويسألك عن رفيقه سيامك سياقبا لأنه أبقاه أمانة عندك إلى حين رجوعه وها قد رجع فارتجف الوليد عند سماعه بذكر بهزاد وخفق قلبه وصاح أين هو الآن وإذا بهزاد قد قفز من داخل الخزانة إلى أرض الغرفة مشهرا بيده السيف وهو يقول ها أنذا هو ثم تبعه فرخوزاد وبيلتا وبقية الفرسان فغمى على الوليـد وتيقن الموت والهلاك وفى الحال ربطه بهزاد ووكل فيه اثنين من الفرسان وقال لروضة انطلق بنا إلى الابواب فان فيروز شاه بانتظارنا عندها مع عساكر إيران . ومن ثم ساروا إلى جهة الابواب وكان الناس إذ ذاك نيام فلم يشعر بهم أحد وان صادفوا أحدا قتلوه حتى انتهوا

إلى الأبواب فقتلوا الحراس القائمة لحراستها وإذا بفيروزشاه واقف عندالباب الكبير مهيء للهجوم فعند فتح الباب التقى ببهزاد فسأله عن الوليد فأخبره بأنهم قبضوا عليه فهجم على المدينة عند ذلك وأمر الفرسان أن تتفرق فى نواحيها وتتملك الأسوار ومن مانع قتلوه وأن لا يشرق النهار إلا والأعلام الفارسية تخفق فوق أسوار مصر .

قال واندفقت عساكر الفرس كالبحور الزواخر وهى تصيح وتنادى بالاستبشار والانتصار وانتشرت فى أسواق المدينة وفاجئت عساكر الأسوار فضربت فيها بالصارم البتار وأجرت أدميتها كالأبحار ودخلت الشكن فتملكتها وأهلكت من فيها وأقام فى المدينة الصياح من كل جهة وناح وتأكد أهلها أن الأعداء دخلوها وفتحوا أبوابها فارتعبوا وخافوا وقفلوا أبوابهم وأقاموا داخلها وكان الملك ضاراب قد أوصى فرسانه أن لا يضر أحد بالأهالى ولا ينهب من المدينة شيئا ومن خالف وصيته جازاه بالقتل إنما كان معظم الذبح والقتل واقع فى عساكر اليمن وعساكر مصر ومن بقى فى المدينة من المنتصرين لها وقد قبض على كثيرين من الأمراء والفرسان ومن مانع قتل وذاق الممات. ودخل الملك ضاراب بحاشيته ووزرائه إلى قصر الوليد فجلس فى عرشه وهو محفوف بحرسه الخاص ينتظر عودة فرسانه اليه عند فراغهم من العمل والاستملاك وهو فى فرح لا يوصف بهذا النصر العظيم وقد طن من نفسه أن الحروب قد انتهت وأنه وصل إلى الحد الأخير منها وكان لا يعرف ماذا عملت فرسانه وماذا جرى على الوليد وغيره من الأمراء والسادات وكان يسمع صياح فرسانه وأبطاله تنادى بالنصر والظفر وعساكر مصر تستغيث مستجيرة من هول تلك الليلة ولا زال القتل فى الشكن والأسوار عاملا إلى حين بزوغ شمس النهار وقد أشفى فيروزشاه غليله وأروى ظمأ فؤاده وفعل مثله بهزاد ليث الطراد وبقية الفرسان الأحواد حتى أصبحت أسواق المدينة عبارة عن أقنية وخلجان تسيل بها أبحر من الدماء . وفى الصباح رفعت السناجق الفارسية على كامل الأسوار ولم يبق من مكان إلا وتملكته رجال الفرس ووضعت سلطتها عليه وقد قبضوا على كثير من الأمراء والأعيان فأودعوهم السجن ومنهم الوليد وسيف الدولة حاكم ملاطية وغيرهما من المشاهير وعند الصباح أتى الفرسان إلى قصر الاحكام حيث كان الملك ضاراب قائما وكلهم يهنئونه بالنصر والظفر ووردت عقلاء البلد يقدمون له طاعتهم ويستأمنونه على أموالهم وأرواحهم فوعدهم بكل جميل وأمنهم وقال لهم لا بأس عليكم فانى لا أريد لكم أذى وما دخلت المدينة إلا بعد أن حذرت رجالى من الاستبداد والتطوح إلى الاضرار بأحد وما أقصده هو شىء واحد لا أريد سواه وقد مانعنى فيه حاكمكم وعسكره ولذلك كان هو المقصود من حربى فمن كان طائعا حرم قتله فاذهبوا وانشروا فى

المدينة واسع حلم رجال فارس وأخبروا قومكم أن يخرجوا إلى أشغالهم وأعمالهم لأن لاحرب عليهم ولا مانع من وجودنا بينهم يمنعهم عن البيع والشراء فمن من إعساكرى ابتاع شيئا دفع ثمنه بأكثر مما يساوى ومن من رجالى تعدى على أحد أو اختلس أحدا بيارة أو طمع بأحد أو نظر إلى امرأة فارفعوا إلى أمره فانى أجازيه بالقتل عبرة لغيره . فمدحوه من عدله وشكروه على حلمه وعادوا من أمامه وهم يأمرون الناس بأن تخرج من بيوتها وتعود إلى مصالحها وبلغوا الكل أمر الملك ضاراب وحكوا كلامه وأخذت الناس تأتى حاناتها ودكاكينها آمنة من الظلم والاستبداد فرحة بالخلاص من ويلات الحرب .

وفى أول كل شىء طلب الملك ضاراب أن يؤتى بالشاه سرور ووزيره طيفور فذهب الشرط إلى قصرهما فلم يروهما فعادوا وأخبروه بغيابهما فتكدر وسأل إن كان أحد رآهما فلم يراهما أحد وأمر أن يفتش فى المدينة عليهما ونظر أيضا فلم ير ولده فيروزشاه قد عاد مع بقية الفرسان فسال عنه وقيل له دخل قصر بنت الوليد الموجودة فيه عين الحياة فامر طيطلوس أن يذهب إلى هناك وينظر إذا كان الشاه سرور وطيفور هناك وقد ظن أنه اختبأ عند بنته وأمره أن يقبض عليهما ويأتى بهما فسار وأصحب معه بعضا من الفرسان إلى أن دخل القصر فوجده على غير انتظام ووجد فيروزشاه داخل غرفة من غرفه يبكى وينوح ويندب ويتحسر ويتوعد حتى كاد يفقد عقله فدنا منه وقد علم أن عين الحياة غائبة عن القصر فرفعه ونصحه السكوت والصبر وقال له إن كانت عين الحياة قد سارت من هذا القصر فلا بد أن تكون فى المدينة وعلينا أن نأمر بتفتيش البلد ونعد من تكون عنده ويأتينا بها بالأموال الغزيرة فنهض فيروزشاه عند سماعه هذا الكلام ومسح دمعته وهو يتحسر ويتحرق .

قال وكان فيروزشاه بعد أن فرغ من القتال ووضع الراية الاولى فوق الأسوار وبان نور النهار قصد قصر ابنة الوليد لأنه كان يعرفه حق المعرفة من ليلة جاء اليه مع بهروز فدخله وأمر الفرسان أن تسر إلى أبيه ولما صار ضمنه فتش على عين الحياة فلم يراها فخفق قلبه وسأل عنها بنت الوليد . فقالت له إنى فى أول الليل كنت وإياها فصرفنا قسما من السهرة مع بعضنا نردد ذكركم وحديثكم إذ لم يكن لنا حديث غيرهما ثم افترقنا وكل واحدة دخلت إلى غرفتها للمنام ولما ارتفع الصياح وعلت أصوات رجالكم عند دخولكم المدينة انتبهت خائفة وأسرعت إلى غرفتها فلم اجدها فسألت عنها لم يعلمنى احد خبرا يتعلق بها ولا رآها احد . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام شعر بانسلاخ روحه من جسده وتأكد وقوع فراق آخر جديد لم يكن فى الحسبان وجعل يندب حظه وقد فقد صبره وعدم قواه عند ما فكر انه بعد كل هذه المصائب

لا يرى عين الحياة ولا يقدر ان يكلمها بكلمة او ينظر اليها نظرة وبقى على ذلك إلى ان جاء طيطلوس فأخذه وجاء به إلى ابيه واعلمه بغياب عين الحياة فنما غيظ الملك ضاراب وقال لا ريب ان الشاه سرور فر بابنته وقصد جهة الملك قيصر ليحتمي به كما كتب لنا وزيره الخواجه اليان هذا إذا لم يكن مختبئا فى المدينة وإنى اقسم بالله العظيم رب موسى وإبراهيم الخليل انه إن سار إلى ماوراء جبال قاف تاثرته وانزلت به العبر لانى اقسمت واثبت الآن قسمي انى لابد من ان أميته شر ميتة واجعل الغربان تاكل لحمه . ثم امر المنادين ان تنادى باسواق المدينة ان كل من عرف خبرا عن الشاه سرور ووزيره طيفور وأعرضه على الملك اجزل عطاه وغمره بانعاماته ومن جاءه بعين الحياة او يعلم عنها خبرا استوزره وخيره بان يعطيه كل ما يطلب منه فاخذ المنادون ينادون فى البلد ودار التفتيش فى كل مكان وبعث الملك ضاراب بالفرسان إلى البرارى والطرقات تسأل وتفحص عله يقدر ان يعرف خبرا عن خطيبة ابنه او ابيها .

قال وكان السبب فى غياب الشاه سرور انه كان نائما تلك الليلة فى قصره وليس عنده علم بما كان من تدبيرات العناية وهو يؤمل النجاح والخلاص من اعدائه بمداومة هذا الحصار فلم يشعر إلا وهلال العيار ينبهه بعجلة كلية وقد قال له هيا ياسيدى قم بنا لننجو من المدينة فقد دخلتها الاعداء وإذا بقيت فى مكانك قبض عليك وهلكت لا محالة فنهض مرتعبا خائفا لا يدرى ماذا يصنع وقال لهلال من اين ذلك وكيف السبيل إلى الخلاص قال إنى قلقت ولم ياخذنى نوم فخطر لى ان انزل الاسواق على ان اقف على خبر جديد او ان ارى عيارا من عيارى ايران فنزلت السوق وطفت قليلا فصادف مرورى قرب باب المدينة الكبير وإذا بجماعة من الفرسان يتقدمون نحوه فصبرت انظر الخبر وقد اخفانى الظلام ولم يرنى احد وإذا ببعض من فرسان إيران قد تقدموا من الباب فقتلوا الحراس وفتحوه وبعدما فتح الباب سمعت صوت فيروزشاه ينادى فثبت عندى ان الاعداء فازوا بالنصر وانهم يقبضون على كل من فى المدينة إنما لا اعلم كيف دخل اولئك الفرسان الذين فتحوا الباب وإذ كنت متوكدا انك إن وقعت بايديهم قتلوك اسرعت بالمجل لاخذك وانسل بك من بين الاسواق إلى الخارج بينما تكون فرسان الفرس مشغلة باستلام القلاع والاسوار فاعجل بالمسير قبل فوات الفرصة وإلا اهلكنا وراحت ارواحنا . ثم هلال ايقظ الشاه سرور وأولاده وأخذوا كل ما يحتاجون اليه ونزلوا من القصر يتلصصون بين الاسواق وقد قال طيفور انه كان من الواجب ان نحضر معنا عين الحياة فلا نتركها هنا عرضة لهم فيزفونها على فيروزشاه فقال هلال لا يمكننا ذلك قط فان عين الحياة فى قصر طوران تحت والفرصة لا تمكننا

من الوصول اليه حتى ولو وصلنا اليه فلا تأتى معنا ولا تقدر أن نجبرها فتروح أرواحنا بسببها ففوزوا بنا الآن قبل إظهار أمرنا . ثم تقدم إلى جهة باب من أبواب المدينة صغير ففتحه وخرجوا منه واستلموا البر وقد جاءهم هلال بالخيل فركبوها وفروا يركضون وقد فرحوا بالخلاص والنجاة وداروا بوجوههم إلى جهة بلاد الرومان إلى بلاد الملك قيصر يلتجئون عنده ويعرضون عليه حالهم وما أشرقت شمس نهار اليوم التالى إلا وكانوا قد بعدوا عن مدينة مصر بعدا عظيما لا يمكن لحاقه بوقت قريب وكان كل همهم كيف أن عين الحياة بقيت داخل المدينة وهى قد أصبحت فى قبضة فيروزشاه ولا بد له أن يقترن بها فى الحال فقال هلال إنى أظن أن عين الحياة لا تقبل مع فيروزشاه أن يزف عليها من دون أن يكون أباها حاضرا زفافها لأنها عاقلة حكيمة وتخاف من لوم اللائمين ولا ترضى العار والذل . قال الشاه سرور هكذا كان عهدى بها وإنى أعلم أكيداً أنها وإن كانت تحب فيروزشاه إلا أنها تراعينى وتحبنى ولا تقبل فى إهانتى ولذلك كانت فى كل هذه المدة طائعة لأمرى لا تخالف على ولا ترغب فى غير ما أقوله لها ولا تريد أن تظهر لى محبتها له اعتبارا لى فاذا امتنعت عن فيروزشاه ولم تقبل أن تقترن به إلا بحضورى بعث إلى يترضانى فأمضى اليه ولا ريب أنه يعيد إلى بلادى وتصح أحوالى .

قال طيفور كيف تقبل بعد أن كان منه ما كان ووصلت العداوة بينكما إلى هذا الحد أن تحضر زفافه أو ترضى عنه وهل تظن أن عين الحياة إذا امتنعت عليه يقدر أن يجبرها لاسيما وهو مغرم بها فيلتزم أن يتبعنا إلى بلاد قيصر ويحاربنا هناك وإذا لم يتبعنا جعلنا الملك قيصر أن يسير اليه بفرسانه وأبطاله لأن الرومان أشداء أصحاب بأس ونجدة فهم أقدر من الفرس على كل حال وذلك أن للملك قيصر ولد جميل الصفات بطل من الأبطال فنعرض عليه أمر زفافه بعين الحياة وأنها تدخل دين النصرانية وتعتمد بجرن المعمودية على زعم أنها عرفت الحق فاتبعته . وندخل نحن إلى بلادنا وعدنا إلى ما كنا عليه قبل من العبادة ونكون فقط قد خسرنا عين الحياة إلا أنها تكون قد قرنت بمن هو أعلى شرفا ونسبا من فيروزشاه وأحب الينا منه وليس هو بعدونا وملكه أوسع وأنفذ كلمة فى العالم منه .

ولا ريب أن الملك قيصر إذا رأى تذللنا وخضوعنا بين يديه حن لنا فاذا لم تأت الفرس إلى بلاده سار هو اليهم وانتزع منهم عين الحياة وأرجعنا إلى سلطتنا الاولى فدخل هذا الكلام فى رأس الشاه سرور واعتمد عليه كل الاعتماد . وساروا يقطعون الارض وينهبون الطرقات قاصدين بلاد الرومان .

فهذا سبب هربهم وغيابهم وأما عين الحياة فانها كانت نائمة فى فراشها وقد قلقت بعد دخولها الفراش بساعه وأخذت أن تلعب بها الهواجس وتذهب بها من جهة إلى أخرى وقد فكرت فيما يكون من أمرها إذا دخل الايرانيون البلد واستولوا عليها عنوة وكانت تحب من كل قلبها أن تعرف ماذا يكون من أمر أبيها معهم وبماذا يعاملونه أهل يقتلونه أم يذلونه ويبقون عليه ويصالحونه وترجح لديها أنهم لا يتركونه بدون قصاص ولا يمكن أن يرجعوا اليه بلاده كونهم أقاموا عليها غيره ولذلك تكون وان كانت زوجة ملك من أشرف ملوك العالم بنت ملك مطرود ومهان استحوذ عليها زوجها بقوة السيف فأذل أباها وأخذها بالرغم عنه أو ربما تيسر لأبيها أن يفر من المدينة ويهج على وجهه فى القفار ولا يعرف أين مكانه فتكون المصيبة عليها أشد وأعظم حيث أن أباها يكون بعيدا عنها وتكون فى أعين الناس كمغصبة على الزواج فيقال عنها كما يقال عن غيرها بأنها قبلت بابعاد أبيها وإهانته وباعت بلادها لأجل شهوتها فهذه الافكار أخذت فى ان تكبر وتنمو فى رأسها حتى زادبها البلبال فنهضت فى الارق وجلست بقرب شباك غرفتها تطلب إلى الله ان يلهمها إلى ما به الصواب وان لا يبعد عنها حبيبها وان يجعلها بوقت واحد حائزة على الشرف الكامل بحيث لا يهان أبوها ولا يقال عنها أنها أخذت سبية وعلى ما ترجو من قرانها بفيروز شاه إذ بذلك يطمأن قلبها ويرتاح ضميرها وتكون قد عاشت عيشة ممزوجة بالراحة والاطمئنان والهناء والسلامة وبينما هى على مثل ذلك بين تيار من الافكار المقلقة وإذا بها قد سمعت الاصوات وقد ملأت المدينة وارتفعت الضوضاء بما يشبه الرعود القاصفة فخفق قلبها واضطربت وقالت فى نفسها لابد للايرانيين من أن يكونوا قد دخلوا المدينة وحال دخولهم يقبضون على أبى فيعدمونه الحياة ولابد من أن يدخل على فيروز شاه ليرنى سيفه وهو يقطر من دم المصريين وربما من دم رجال أبى نعم انى أريد أن أراه على مثل هذه الحالة إنما هل تطيعنى الانسانية عليه وهل يقبل معى ناموسى بأن أوافقه على أبى وبأى وجه يحق لى أن افتخر على سواى من ربات الخدور إذا كنت لا أقدر ان ألجم نفسى عن غايتها وأرجع بها إلى ميدان الفخر والناموس انى قادرة ان أتغلب على أميالى أو أتحمل ثقل بعاد من أحبه قلبى ولا أقدر أن أنكر جميل والد قد ربانى وفرضت على العزة الالهية طاعته فيا ترى ينبغى لى أن أفعل وفيما هى تلبس ثيابها وتفكر خطر لها ان تخرج من القصر وتدخل إلى قصر سيف الدولة وتختبئ عند امرأته إلى أن ترى ما يكون من أمر أبيها فان رأت أن الملك ضاراب قد صالحه وعفا عنه أظهرت نفسها وسلمتها إلى حبيبها وإلا فتبقى مخفية

وتلحق بابيها إذا تيسر لها ذلك ولاتكون سعت من نفسها برغبة إلى انقاذ غايات حبيبها وقهر أبيها وإهانته .

ثم انها انسلت من القصر التى هى فيه دون أن يراها أحد أو يعلم بها أحد فرأت باب قصر سيف الدولة مفتوحا فدخلت فيه وأتت غرفة زوجته وكانت مستيقظة وقد خرج زوجها من غرفتها لداعى الصراخ والصياح وهم باضطراب وارتباك لانفتاح المدينة وامتلاكها من الاعداء فلما وصلت اليها رمت نفسها بين أيديها وقالت أريد منك ان تكتمى أمرى وتخفيه عن كل احد حتى وعن بعلك والله يجازيك عنى خيرا فانبهرت تلك من عملها وقالت لما ذلك ولما تخافين لأن هذا الفتح لأجلك ولأجل إهنائك وسرورك فستكونين سائدة على كل هذه البلاد ومالكة رجالها ونساءها وتتزوجين بأكمل رجل فى العالم وكيف تأبين ذلك وقد سمعتك مرارا تتحسرين عليه وتبكين من أجله وطالما تمنيت حسم هذه الحرب وقربك من فيروزشاه فاختفائك هذا مما يزيد فى إكدار الجميع ولاسيما خطيبك فيراه عليها كدارا وأحزانا قالت إنى طالما طلبته وأريده ولازلت أطلبه برغبة واهتمام ومحبتى باقية على ماهى بل انها أخذت فى النمو يوما فيوما إلى أن بلغت حد الجنون انما قصدت ان اختفى لأعلم ماذا يكون من أمرأبى معهم فاذا قبضوا عليه أظهرت نفسى وطلبت له من فيروزشاه العفو والتأمين وإذا هرب ونجا بنفسه أبقى مختفية وألحق به ولاأترك زواجى يتم على هذه الحالة مادمت قادرة على المنع وعلى ان لاأكون سبية وإنما إذا وقعت بيدهم بالرغم عنى التزم ان أسكت عن هذه الحالة ولست كغيرى ممن لأجل غايتها يهون عليها هلاك أبيها وبلاده قالت لوكان أبوك وافق حبيبك لما كان سعى وراءه وجسم اسباب العداوة بينه وبينه ولذلك لايكون فيروزشاه المتعدى . قالت انى اعرف ذاك جيدا واعرف ان ابى يستحق القصاص منه بالنسبة اليه لا إلى انما لااوافقه على قصاصه مهما سعى فى عذابى وعذابه كون العناية الالهية ترضى بمراعاة الوالدين وواجبات الانسانيه تدفعنا اليها وقد اقبل الموت والعذاب على ان اسعى إلى زواجى رغما عن ابى فماذا ماترى يقول إذا عرف به وهو بعيد أليس يغضب على ويلعنى ويشيع كلامه بين العالم فيقال انى قبلت بأن اكون مغتصبة سبية وخالفت رضا ابى ولم اكن قادرة على ضبط نفسى إلى حين يرضى الله فيجمع بين ابى ومحبوبى او يسمح بما هو فوق الحسبان وانى اخير اطلب اليك ان تخفينى عندك وتكتمى امرى عن كل انسان حتى وعن بعلك ايضا وان تأتينى باخبار الفرس وما يكون من امرابى فوعدتها باصدق المواعيد ان تبقى محافظة عليها فلا تبيح بامرها ولا تعلم بها احدا إلى ان تحتاج اليه . ثم وضعتها فى غرفه ملابسها الخصوصية وأوصتها ان تبقى فيها إذ

يدخل اليها احد غيرها فاقامت تنتظر من الله الفرج وما يكون من امرها .

قال وقد نودى فى كل المدينة واطرافها وسئل عن عين الحياة وعن ابيها فلم يقف احد على خبرها حتى ثبت عند الجميع ان الشاه سرور ذهب بوزرائه وبنته إلى جهة قيصر كما كان قد اشار فى تحريره الخواجه اليان فاغاظ ذلك الملك ضاراب وفيروزشاه وعظمت عليه حالته وفراق حبيبته وكادت الدنيا لاتسعه ولعن اباها كيف انه يبعده عنها كلما قرب منها واقام على حالته ينتظر اللحاق بها بعد الفراغ من مصر وقد اخذ لنفسه قصرا مخصوصا يقيم فيه بقصد الانفراد والشكوى فعلم ابوه منه ذلك وسأل طيطلوس ان يلازمه ويسليه ويعده بتتبع آثارها اينما سارت وإلى اين رحلت فجعل طيطلوس ينام عنده كما كان يفعل فى تعزاء اليمن وفى خلال تلك المدة عقد الملك ضاراب مجلسا لمحاكمة المعتدين الذين فى الأسر واحضر فى بادىء الأمر سيف الدولة وكان كما تقدم قد القى القبض عليه فلما وقف فى المجلس ادعى عليه الملك ضاراب بانه يستحق القتل لقيامه ضده ومحاربته لعساكره مع خلوه من الغرض والمصلحة فقال سيف الدولة انى لاانكر انى حاربت عساكر إيران إنما كان ذلك فوق ارادتى لأنى من عمال الملك قيصر ملك الرومان وقد امرنى ان اسير إلى مساعدة الوليد فسرت بامر آمرى وهكذا شأن كل من كان مثلى ولم يكن لى ادنى علاقة مع دولتكم وانما الآن وانا ارغب فى الدخول بخدمتكم فاسالكم العفو عنى وان تقبلونى وبلادى تحت لوائكم فارفع الراية الفارسية واعد لكم جيشى لخدمتكم والقتال معكم فقال الملك ضاراب انى اقبل ذلك لأننا فى حاجة اليها كونى عولت على الذهاب إلى قيصر فى اثر الخبيث طيفور والشاه سرور فبلادك قريبة من هناك فاجعلها مقرى ومحط عساكرى تخفيفا لعذابنا فى البرارى والسهول ثم تقدم الملك ضاراب وحل قيود سيف الدولة وصافحه واكرمه وتعاهد وإياه على الوفاء وعدم الخيانة والمصافاة . ثم اجلسه الى جانب وزرائه بين ابطاله وفرسانه وجعله من تلك الساعة عونا من اعوانه . وبعد ذلك جىء بالوليد للمحاكمة مقيدا فادعى عليه الملك ضاراب بانه استعمل كل اسباب العداوة ضده وانه قاومه وقصد استخلاص خطيبة ابنه منه ليزفها على ولده مع علمه بانها مخطوبة من فيروزشاه وانه ساع فى مرضاة أبيها على زواجها وقد اجاره ضدنا وحماه منا ووعده بالقيام علينا .

فقال الوليد انى لاانكر ذلك وقد سعيت لأخذ عين الحياة زوجة لولدى عندما تأكدت من أبيها انه لا يرضى بان يزفها الا على ولدى وقد ساعدته كونى ملك من الملوك الكبار ولى الحق ان أتصرف بارادتى كيف شئت حتى وقعت بايدكم وحتى الساعة لااقبل ان اكون صديقا لكم بل ترونى مصرا على عداوتكم كى لايقال ان خوفى من القتل والقصاص

الجانى إلى التذلل والخضوع وبعد ذلك حكم عليه المجلس بالاعدام فأمر الملك ضاراب أن يسلم إلى سيف الدولة وقال له ابقه أسيرا عندك إلى أن أطلبه منك لاعدمه ثم جيء بفهر ومهر وقهر أمراء سيف الدولة وطلب محا كمتهم فوافقوه على خدمته وأن يكونوا كسيدهم من رجاله وأبطاله فعفى عنهم وأطلق سبيلهم ولم تكن طاعتهم له صحيحة بل ان الاثنين الكبيرين كانا يقصدان خيانته والرجوع عن طاعته والاصغر كان قد أخلص قوله فى خدمته ولم يكن يقصد خلاف ما وعد وسوف نأتى على ذكر خبرهم وما يكون من أمرهم فى غير هذا المكان وبعد أن انتهى من أمرهم أمر أن يؤتى بالشاه صالح فحضر بين يديه فطلب أن يجرى قصاصه على تعديه فى طلبه بالزواج بعين الحياة مع انها لا تحبه فجعل يرجف من الخوف وقال له بالله يا سيدى أن تعفو عنى فانى أذنبت وانى أعدك أن لا أعود فأذكر عين الحياة بعد الآن وقد كنت أحدث نفسى بالمحال ولم أكن أعلم أن وراءها من هو كابنك يحميها عن طمع من هو مثلى وانى أعترف أمام هذا المجلس انى لا أصلح لها وأحرى بى أن أكون عبدا عندها من أن أكون زوجها ثم رمى بنفسه على اقدام الملك ضاراب وبكى فحن له وحركه حلمه وحنوه على الالتفات اليه وقال له انى كنت أزمعت على أن أوقع بك وأعدمك على ما وقع منك انما حيث اعترفت بذنبك وعرفت مقامك عفوت عنك وسامحتك بكل ما سبق منك وأزيدك فوق ذلك انى أكافئك واحسن اليك وإذا كان لا خلف لابيك سواك فانى أعهد اليك بالملك من بعد أبيك بشرط ان تستوزر عندك ابا الخير اللحام وحماه ويكونان مدبرين لامرك فتفعل كل ما يأمرانك به لانهما حكيمان عاقلان وان تبقى على اسوار مدينتك اعلام دولتى وتدفع لى الجزية والاخرجة فى كل عام . قال انى عبدك وافعل ما تأمرنى به وتدعونى اليه ثم دعا بابى الخير وابى زوجته وانعم عليهما كثير الانعام واعطاهما مزيد العطاء وشكرهما على فعلهما مع ولده وقال لهما لا تظنا انى اترك جميلا عملتماه معنا ومن هذه الساعة انتما وزيران فى هذه المدينة تدبران امرها وتسوسانها تحت حكومة ابن الوليد ففرحا لانعامه وشكراه عليها وهما لا يصدقان بما وصل اليهما وبانهما صارا من امراء المملكة فى الدرجة الاول وان البلاد اصبحت فى ايديهما بعد ان كان احدهما جزارا والآخر طبيبا واخذا منذ ذلك الحين فى معاطاة وظيفتهما يهتمان بامور العباد .

وبعد ان جازى الملك ضاراب كلا على ما استحقه وسجن وعفا وسمح دعا سيف الدولة اليه وقال له اريد منك فى الغد أن تذهب إلى بلادك وتصحب معك الوليد وتنتظرنى فيها إلى ان اوافيك لانى ساذهب من طريق الشام إلى خلاص احد فرسان بلادى وهو بهمنزار قبا لانى ارغب فى خلاصه من هناك وان كان قد الحق به

ملك الشام ضررا قتلته وجازيته على فعله وسرت من هناك فى طريقى إلى أن أصل إلى ملاطية فاستخبر لى أنت عن الشاه سرور ووزيره طيفور واسأل عن عين الحياة بحيث إذا وصلت اليك تكون قد اطلعت على كل شيء وكفيتنى مؤنة الفحص والتفتيش كونى أريد أن أعرف كل ذلك قبل مباشرة الحرب مع الملك قيصر . قال سمعا وطاعة وانى قبل بزوغ شمس اليوم الآتى أسير بعساكرى إلى ملاطية فاعدد لكم الذخائر والمؤن وبحال وصولى انزل الأعلام الرومانية وأرفع الاعلام الفارسية وإذا عرف قيصر بذلك وقصد حربى بذلت منه الى حين مجيئكم ومهما أراد الله فليفعل . ثم انهم باتوا تلك الليلة على هذه النية وعين الحياة عند امرأة سيف الدولة كما تقدم معنا الكلام وقد عرفت أن أباها فاز بنفسه ونجا وقصد بلاد الرومان ليحتمى بالملك الأكبر . فتكدرت فى داخلها واحتارت فى أمرها ماذا تفعل فاذا أظهرت نفسها لا ريب فى أن فيروز شاه يطلب أن تزف عليه وذلك لا يرضيها وهى على مثل تلك الحالة وان بقيت مختفية طال عذاب حبيبها فيروز شاه ولاقى من أجل فراقها الأكدار والمصائب وذاق الآلام والأوجاع ولذلك كانت تصرف ليلها ونهارها مشغلة البال تطلب إلى الله تعالى أن يلهمها إلى ما به الصواب وما فيه صالحها وصالح أبيها وحبيبها ودامت على ما تقدم إلى أن جاءتها امرأة سيف الدولة وأخبرتها بأن الملك ضاراب أمر زوجها سيف الدولة أن يسير أمامه فى صباح اليوم القادم وانه سيتبعه من غير طريق فيجتمع الاثنان فى ملاطية لمحاربة الملك قيصر وسألتها فى ماذا تريد أهل تبقى مصرة على الاختفاء وتسافر معهم إلى بلادهم أو أنها تظهر أمرها وتعرض نفسها على الملك ضاراب فارتاعت عين الحياة لهذا الخبر وبقيت نحوا من نصف ساعة مطرقة إلى الأرض لا تعى على أحد ولا تسمع من أحد ولا تعرف بماذا تجيب . بعد أقداح الفكرة ترجح عندها أن تبقى مختفية وقالت لامرأة سيف الدولة انى أرى انه من الموافق الآن أن لا أعلن نفسى بعد أن تأكد الجميع انى سرت مع أبى فأرجوك أن تصحبينى معك دون أن تظهرى أمرى واجعلينى كخادمة لك وأبقى بين خدمك ووجهى مغطى فلا أظهره ولا أظهر نفسى إلى أحد إلى أن نكون قد وصلنا إلى بلادكم ولا بد الملك ضاراب ورجاله وفرسانه وابنه فيروز شاه من أن يأتوا إلى ملاطية فاذا جاءوا فحينئذ أرى إذا كان يوافق أن أطلعهم على أمرى فيستدعون أبى ويصالحونه وأكون قد سهلت بعملى هذا طريق المصالحة وجررت الملك ضاراب وقومه إلى استجلاب أبى ولا يعرف إلا الله ماذا يكون هناك . قالت افعلى كل ما يخطر لك فانى مطيعة لا أرى ك صادقة نيه فسيت بنفسى وحالى . فشكرتها على كلامها وبقيت عندها إلى الغد وفى صباح الغد حضرت الهوادج لركوب امرأة سيف الدولة وجواريها

وخدمها فركبت وركبت عين الحياة بهودج دون أن يراها أحدوسار سيف الدولة بعد أن ودع الملك ضاراب وابنه أسد الغاب وبقية الأحباب والأصحاب وأخذ الوليد ذليلا مأسورا فرفعه على جواد وخرج من المدينة وبين يديه فرسانه وأبطاله وبهلوانية بلاده فهر ومهر وقهر وانطلقوا يقصدون ناحية ملاطية وتلك الجهات تبطنوا البرارى واستلموا الطرقات وسيف الدولة فرح جدا باتفاقه مع الملك وخضوعه له واتحاده به وقد عول على خدمته بصفاء باطن وصدق نية وأن يجعل بلاده ورجاله فى خدمته فدية عنه وعن رجاله وهو لا يعلم بعين الحياة بل كان يفكر فى اتخاذ الوسائط والأسباب التى يجب استعمالها للفحص والوقوف على أمرها وهل هى عند الملك قيصر مع أبيها أم لا

قال وبما أن الطريق بعيد على سيف الدولة فلنتركه سائر فى طريقه ولنرجع إلى الشاه سرور وأولاده ووزيره طيفور والخواجا اليان وهلال العيار وداموا على مسيرهم عدة أيام يجدون فى السير يعدون أنفسهم بملاقاة الملك قيصر ويهتمون فى أمر مواجهته ويفكرون فى ماذا يكون منه ولا زالوا جادين حتى قربوا من العاصمة فدخلوها وهم فرحون بالسلامة والخلاص من مشاق الطرقات وما قاسوه منفردين فيها فصادف دخولهم المدينة عند الصباح فدخلوا على الملك قيصر وبكوا بين يديه وعرضوا أنفسهم عليه وعرفوه بأحوالهم وشرحوا له أمورهم وتقدم طيفور وقال له وبعد أن حلت بنا كل هذه الويلات والمصائب فكرنا أن لا أحد بالدنيا يقدر أن يحمينا من سطوة الملك ضاراب إلا عظمتكم لعلمنا أنك أوسع منه سلطانا وأكثر أجنادا وأفضل عقلا وحكمة وقد قلت لسيدى الشاه سرور اننا نقصد الملك الأكبر ونتمسك بأذياله ونستغيث ونطلب مساعدته فهو كريم حليم لا يرد خائبا ولا يرجع قاصدا فكأنه منبع النخوة والمروءة ولا سيما اننا إذا شكينا له حالنا وأطلعناه على قصتنا مع فيروز شاه حن لنا وشفق علينا إذا تأكد ظلمنا وربما رغب فى أن يزف بنتك عين الحياة على ولده الأمير انبوش لأنه أحق من فيروز شاه والبق منه لها ومن الشاه صالح والشاه روز ومن كل الملوك الذين سعوا فى زواجها وباعوا أرواحهم بخسة فى سبيل الحصول عليها فلم يتيسر لهم ولما وافق على كلامى قصدنا المجىء إلى أعتابكم وحاولنا أن نأتى بعين الحياة فلم نقدر لأن الملك ضاراب دخل المدينة فى وسط الليل وجعل اهتمامه كان القبض علينا والانتقام منا ومن الوليد فنجونا بانفسنا ولا ريب أن الوليد صديقك وقع بأيديهم فأهانوه وقتلوه وأتينا نحن إليك نرجو منك [illegible] تأكد أن الفرس لابد من أن يتبعونا إلى هذه البلاد ويقصدون لنا الشر [illegible] وهذه العذاب والموت . وكان طيفور يتكلم ودمعه تذرف على خديه [illegible]